



Bibliotheca Alexandrina



015916

كتاب السلوك

لعرفة دول الملوك

لتقى الدين أحمد بن على المقریزی

الجزء الثاني - القسم الأول

قام بنشره

محمد مصطفى زیادة (Ph. D.)

أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة

تصدير

للقسم الأول من الجزء الثاني من كتاب السلوك للمقريزى

كظهر الجزء الأول من كتاب السلوك للمقريزى فى ثلاثة أقسام تنتهى بآخر سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) ، وسيظهر الجزء الثانى فى تقسيم مشابه ، وأوله ما تخرجه اليوم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وكنت قد اعتمدت فى نشر الجزء الأول كله على المخطوطة التى كتبها المقريزى لنفسه (Autograph Manuscript) ، فجعلتها أصلاً لتفصيح المتن وترتيبه وتحريره (١) ، ورحوت أن أجد بقية تلك النسخة الهامة — أو بعض بقيتها — حيث وجدت مخطوطة الجزء الأول . فسافرت إلى إستنبول فى بعثة صيفية سنة ١٩٣٦ ، وأمعت فى محتويات مكتباتها الغنية ، وعثرت على نسخ كثيرة متفاوتة التواريخ من كتاب السلوك ، إلا تلك البقية التى نشدتها من المخطوطة الأصلية . وهنالك اخترت من بين النسخ الموجودة مخطوطة جامع فاتح كتبها خاني (أرقامها ٤٣٨١ — ٤٣٩٠) ، واعتبرتها أصلاً للنشر الجزء الثانى بأقسامه ، وسميتها ف بالحواشى ؛ ثم استعنت على تقويم المتن بها بنسخة المكتبة الأهلية بباريس (Bib. Nat., Fonds Arabe, Mss. Nos. 1726 - 1727) ، وهى موجودة صورها الشمسية بدارالكتب المصرية بالقاهرة ، تحت رقم ٤٥٥ تاريخ ، وقد سميت هذه النسخة الباريسية ب .

ويلاحظ أولاً أن نسخة فاتح كتبها خاني (ف) مكتوبة فى اثنى عشر جزءاً

(١) انظر المقريزى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، صفحة ٥ ، ز — ط ؛ قسم ٢ ، صفحة

ج ؛ قسم ٣ ، صفحة د — هـ .

صنخما^(١) ، الأول والحادى عشر منها مفقود ، وتلك تجزئة تفرد بها هذه المخطوطة من دون مخطوطات كتاب السلوك فيما أعلم ، وربما كان المقصود بها تضخيم الكتاب من حيث الحجم والعرض والطول ، ليتناسب ومقام الأمير يشبك بن مهدى الدوادار ، وهو الأمير الذى كُتبت لمكتبته تلك النسخة حوالى سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) ، أى بعد وفاة المقرئى بخمس وثلاثين سنة تقريباً^(٢) . أما نسخة باريس (ب) فهى فى أربعة أجزاء ، وهذه التجزئة الأربعة ، وإن اختلفت قليلاً باختلاف النسخ من حيث البداية والنهاية ، هى التجزئة الغالبة على سائر النسخ التى اطلعتُ عليها فى إستنبول ، والتى قرأتها قبلاً فى لندن وباريس أيام تلمذتى ؛ وهى أيضاً التجزئة التى رتبها المقرئى لكتابه حين كتبه ، بدليل اختتامه الجزء الأول منه بسنة ٧٠٣ هـ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، واشتغال هذا الجزء على رُبْع المدة الزمنية التى رردت فى كتاب السلوك كله .

وهذه التجزئة الأربعة هى التى أتبعُ فى النشر ، على أنى قد اتخذتُ من تجزئة ف أيضاً وسيلة عملية لتقسيم كل جزء من الأجزاء التالية ، فجعلتُ القسم الأول من الجزء الثانى منتهاً بنهاية المخطوطة ف رقم ٤٣٨٣^(٣) ، أى آخر سنة ٧٢٨ هـ (١٢٢٧ م) ، وهى السنة الثامنة عشرة من العهد الثالث للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . وعند منتصف سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) من هذا القسم ينتهى ما نقله المستشرق (Quatremère) إلى الفرنسية من كتاب السلوك^(٤) ، ومن ثمَّ يظهر المتن لأول مرة مطبوعاً ببلغته الأصلية ، ما عدا شذرات قصيرة سبق ظهورها فى كتب مختلفة^(٥) .

وتمتاز نسخة ف بكبر صفحاتها ، فطول الصفحة منها ٣٠ سنتيمتراً ، وعرضها ٢٤ سنتيمتراً ، وهى مكتوبة بمداد أسود على ورق جيد سميك نوعاً وبقلم نسخى مملوكى واضح ، تختلله عناوين السنين وبدايات عهود السلاطين بقلم ثلث بمداد أحمر .

(١) انظر ما يلى هنا ، ص ٣ ، حاشية ١ .

(٢) انظر ما يلى هنا ، ص ٧١ ، حاشية ٣ .

(٣) انظر ما يلى هنا ، ص ٣٠٤ ، حاشية ١ .

(٤) انظر ما يلى هنا ، ص ٤٥ ، حاشية ١ .

(٥) انظر المقرئى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، صفحة ١ - ك ؛ قسم ٢ ، صفحة د .

وقد عني ناسخها بنقطها نقطاً تاماً تقريباً ، وَضَبَطَها ضبطاً ليس بالصحيح دائماً ، سواء من ناحية النحو والصرف أو ناحية ضبط أسماء الأشخاص والأعلام الجغرافية . وقد كُتِبَت هذه المخطوطة للأمير يشبك بن مهدي الدوادار كما تقدم ، وهو أتابك العساكر المملوكية في عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي ، واسمه مكتوب بصفحة العنوان بكل جزء من أجزائها بحروف مذهبة في أرضية زرقاء ^(١).

ولقد كان من المنتظر أن تكون مخطوطة ف هذه بنجوة من الأخطاء والسقطات والخروا (Lacunae) ، فإن صاحبها لابد قد اختار لكتابتها ناسخاً أميناً ، وبذل له من الأجر ما يضمن به الإتقان والدقة في النقل . غير أنها لم تخل من تهاون الناسخ وسهوه ، وقصوره أحياناً عن معرفة الضبط الصحيح بسبب حال اللغة العربية في عصره ، كما أنها مكتوبة بالرسم الإملائي الذي سبقت الإشارة إلى أمثله في تصدير القسمين الأول والثاني من الجزء الأول من كتاب السلوك ^(٢) . وهذا وغيره من المآخذ التي لن نتخلص منها أية مخطوطة من المخطوطات (ما عدا أمهات القرآن) ، مما يضاف إلى ما قلنا سابقاً وتكراراً بأن النشر من نسخة واحدة — باللغة ما بلغت من حسن الصيانة والوضوح والضبط — عملية غير مأمونة البتة ^(٣).

وعلى الرغم مما تبين من أوصاف مخطوطة ف فتنها بالنسبة إلى متن مخطوطة ب أقرب في جملته إلى الصحة والصواب ، وذلك لقرب تاريخ كتابتها من زمن المؤلف ، ولاعتناء ناسخها ما أمكنه بضبط أسمائها وأعلامها الجغرافية ؛ ومع هذا فقد ساعدت مخطوطة ب على تكميل المتن وتوضيح مشكلاته وغوامضه في مواضع شتى ، كما دألت

(١) انظر ما يلي هنا ، صفحة م .

(٢) انظر القرظى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، صفحة ح - ط ، قسم ٢ ، صفحة د - هـ .

(٣) انظر مقالتي « صناعة التاريخ في مصر » . مجلة الثقافة ، السنة الثانية ، عدد ١٠٠ بتاريخ

٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٠ ؛ وكذلك القرظى : كتاب السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، صفحة د ؛ وما يلي هنا ، من ١١٩ ، حاشية ١ .

على ذلك بحواشى المقارنة والمقابلة^(١) ، وقصدتُ به أن أقرر بأن المخطوطين يكمل بعضهما بعضاً .

ولقد تخففت من الحواشى بأنواعها فى هذه الصفحات وذلك لأن معظم الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الوظائف والأعلام الجغرافية الواردة بالمتن هنا قد تقدم شرحها بأقسام الجزء الأول ، ولأن المتن نفسه فى هذا الجزء الثانى واف غان عن الشرح بالحاشية أو الإضافة بين حاصرتين ، إذ لم يعتمد المقرئ فيه إلى الاختصار والاقتضاب ، بل إنه كثيراً ما قرّن الأخبار بتفاصيلها وأسبابها^(٢)

وإنى أختتم هذا التصدير القصير بكلمة شكر خالصة للأستاذ أحمد أمين بك عميد كلية الآداب ، ورئيس اللجنة التأليف والترجمة والنشر ، فهو صاحب الفضل الأول فى إخراج كتاب السلوك من ظلام المخطوطات ، إذ تعهد مشروع نشره لدى اللجنة حتى أقرته ، وقرأ صفحات الجزء الأول بأقسامه الثلاثة قبل طبعها ، ولاحظ عليها عدة ملاحظات أوجبت مراجعة المتن وتعديل بعض الحواشى . فلما تجهّز الجزء الثانى للطبعة رجوته أن يتولى ذلك أيضاً بشئ من سابق عنايته ، فاستجاب إلى مرحباً ، فجاءت استجابته تقرّظاً لكتاب السلوك ونشره ، كما جاءت قراءته لصفحاته منجاة للناس من بعض الزلل . وإنى أشكر أيضاً للأستاذ الدكتور طه حسين بك تشجيعه لإيادى على المهضى فى هذا العمل الطويل ، علماً منه بأن كتاب السلوك وغيره من مراجع التاريخ المصرى لن تصبح طاماً سلباً سهلاً للجيل الناشئ من المشتغلين بالتاريخ إلا بعد تنقيتها بالنشر الدقيق والحاشية المفيدة ؛ وكفى دليلاً على تشجيعه أنه هو الذى سهّل لى السفر إلى إستنبول للبحث عن المخطوطات التى استلزمها عملى . وإنى أشكر أيضاً للأستاذ جاستون فيت (Gaston Wiet) ، مدير دار الآثار العربية بالقاهرة ، إرشاده لإيادى إلى بضعة مراجع استعنت بها على

(١) انظر ما يلى هنا من ١٠ ، حاشية ١ ؛ من ٥٩ ، حاشية ٣ ، ٤ ؛ من ٩١ ، حاشية ١ ؛ من ١١٣ ، حاشية ١ ؛ من ١٣٩ ، حاشية ٣ ، وغيرها كثير .

(٢) انظر ما يلى هنا مثلاً من ١٥٤ ، سطر ٣ وما بعده ؛ من ٢١٦ ، سطر ٣ وما بعده ، من ٢٤٤ ، سطر ٩ وما بعده .

شرح كثير من الألفاظ الاصطلاحية بالمتن ؛ كما أنى أشكر محمد رمزي بك المفتش
بوزارة المالية سابقاً ، لإمدادي بكثير من مذكراته التي تقصر عنها الكتب
المطبوعة . وأقدم شكرى أيضاً لزميلي مصطفى السقا أفندي ، المدرس بقسم اللغة
العربية بكلية الآداب . فقد قرأ معي شطراً من مخطوطة فاتح مقابلة على صفحات
مخطوطة باريس ؛ وكذلك أشكر اثنين من تلاميذي القدماء ، وهما جمال الدين
الشيال أفندي المدرس بمدرسة قنا الثانوية ، وحسن حبشي أفندي المدرس بمدرسة
الكوت المتوسطة بالعراق ، فقد قام كل منهما بدوره في معاونتي معاونة مستمرة في
بعض أذرار العمل في هذه الصفحات .

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة { ذى القعدة سنة ١٣٦٠ هـ .
نوفمبر سنة ١٩٤١ م .

(ط)

أسماء المراجع المتداولة بحواشي كتاب السلوك للمقرئ

(تحتوى القائمة التالية على أسماء المراجع الإضافية التى استلزمها هذا القسم الأول من الجزء الثانى ، فضلاً عما تقدمت الإشارة إليه من المراجع بالقوائم الواردة بكل قسم من أقسام الجزء الأول) .

مراجع عربية مخطوطة ومطبوعة

ابن أبى الفضائل (مفضل ...) : كتاب السهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد . القسم الثالث ، من ٧٠٠ إلى ٧١٦ هـ . (Texte Arabe publié. et traduit en français par E. Blochet, Patrologia Orientalis. Tome xx, Fas. 1. 1923) .

ابن أياس (محمد بن أحمد ...) : بدائع الزهور ووقائع الدهور ، ٣ أجزاء . (المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣١١ هـ) .

ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف ...) : منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور . (Edited by W. Popper; University of California Press, Berkeley California 1930.32)

ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الثامن . (مطبوعات دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩) .

ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ... الشافعى) : درة الإسلام فى دولة الأتراك . (صور شمسية بمكتبة الجامعة المصرية ، رقم ٢٢٩٦١) .

ابن حجر (شهاب الدين أحمد ... العسقلانى) : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء . (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٥٠ هـ) .

ابن الزيات (شمس الدين محمد) : كتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرأتين الكبرى والصغرى . (المطبعة الأميرية بمصر ، ١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ م) .

- ابن الصلاح (أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح) :
مقدمة فى علوم الحديث . (المطبعة القيمة ، بمباى ، الهند ، ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨) .
- ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ...) : شذرات الذهب فى أخبار من
ذهب ، ٨ أجزاء . (مكتبة القدسى ، القاهرة ١٣٥١ هـ) .
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجى الإفريقى ... الملقب
بابن منظور ، صاحب لسان العرب) : كتاب نثار الأزهار فى الليل والنهار . (مطبعة
الجوائب ، قسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ) .
- الأدقوى (كمال الدين أبو جعفر بن ثعلب) : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء
والرواة بأعلى الصعيد . المطبعة الجمالية بحارة الروم ، القاهرة ، ١٣٣٢ هـ ، ١٩١٤ م) .
- الإسفرائينى (أبو المظفر شاعفور بن طاهر بن محمد ... الشافعى) : التبصير
فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . نشر السيد عزت العطار ،
مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ١٩٤٠) .
- حسن (زكى محمد) : كنوز الفاطميين . (مطبوعات دار الآثار العربية ، القاهرة ،
١٩٣٧) .
- الخالدى (بهاء الدين محمد بن لطف الله .. العمرى) : المقصد الرفيع الملشا الهادى
لصناعة الإنشا . (صور شمسية بمكتبة الجامعة المصرية ، من مخطوطة المكتبة
الأهلية بباريس) .
- الخزرجى (على بن الحسن) : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية
(E. J. W. Gibb Memorial Series, London, 1908-1918).
- زيادة (محمد مصطفى) : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ المليك . (مجلة كلية
الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ١٩٣٦) .
- الصدقى (رزق الله منقريوس) : تاريخ الدول الإسلامية ، أربعة أجزاء
(القاهرة ، ١٩٠٦) .
- عرنوس (محمود بن محمد بن . .) : تاريخ القضاء فى الإسلام . (المطبعة المصرية
الأهلية الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ) .

(ك)

مراجع

- عمر طوسن (صاحب السمو الأمير) : كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن . (مطبعة صلاح الدين ، الإسكندرية ، ١٩٤١) .
- القرماني (أحمد بن يوسف الدمشقي) : كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، (بغداد ، ١٢٨٢ هـ ، ١٨٥٦ م) .
- القلقشندي (أحمد بن علي) : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المشر ، مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشا . (مطبعة الواعظ ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ١٩٠٦ م) .
- الكرملي (الأب أنستاس ماري ... البغدادى) : النقود العربية وعلم النميات . (المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٩) .
- الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) : كتاب الولاية والقضاة .

(ed. R. Quest)

- المقريزي (تقى الدين أحمد بن علي ...) : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال . (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠) .
- المقريزي (تقى الدين أحمد بن علي) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،

(ed. Gaston Wiet)

مراجع بلغات أوروبية

Atiya (A.S) : Egypt And Aragon, Embassies And Diplomatic Correspondence between 1300 and 1330. A. D. (Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlandes, Band 13, Leipzig. 1938).

Atiya (A. S.) : The Crusade In the Later Middle Ages. (Methuen, London, 1938).

De Sacy (Sylvestre) : Traité Des Monnaies Musulmanes, trad, de l'Arabe de Makrizi, (Bibliothèque des Arabisants Français T.I. pp.9.66, Le Caire. Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1905).

De Sacy (Sylvestre) : Sur la Nature et les Révolutions du Droit de Propriété Territoriale en Egypte. (Bibliothèque Des Arabisants Français 1^{er} Serie. Le Caire, 1923).

Diehl (Charles) : History of the Byzantine Empire; translated from the French by G. B. Ives. (Princeton University Press, 1925),

Lang (R. H.) : Cyprus. (London, Macmillan 1878).

Samaha (A. H. M.) : Arabic Names of Stars. (Helwan Observatory, Bulletin No, 39, Ministry of Public Works, Egypt).

Van Berchem (Max) : Matériaux Pour Un Corpus Inscriptionum Arabicarum.(Méms, Mission Arch. Française Au Caire,T. 19me, Paris,1903).

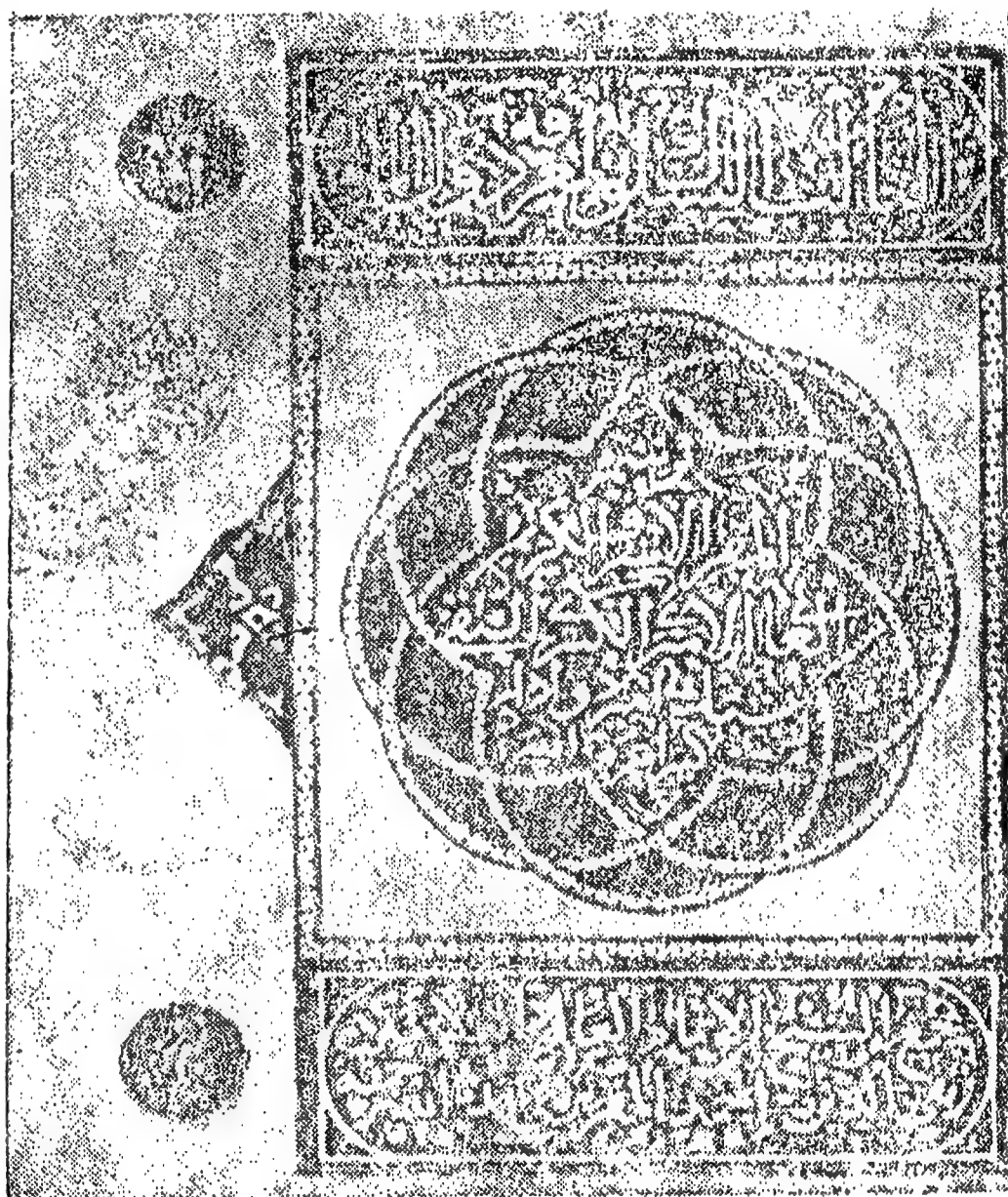
Yonge (Charlotte A.) : The Story of the Christians and Moors of Spain. (Macmillan, London 1878).

Zambaur (E. de) : Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. (Lafaire, Hanovre, 1927).

Zetterstéen (K.V.) : Beiträge Zur Geschichte der Mamlukensultane. (Brill, Leiden, 1919).

صفحة من مخطوطة ف

(٢)



صفحة العنوا من الجزء الثالث من مخطوطة ف

المقـريزي

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

الجزء الثاني - القسم الأول

(ص ٢١٠ ب) سنة أربع وسبعمائة^(١) . [في] مستهل المحرم قدم البريد بوصول الأمير سيف الدين قسطنطين^(٢) بن سيفرا أمير بني كلاب في عدة من مشايخ العرب ، ثم قدم فآكرمه السلطان والأمراء ، وأعيدوا إلى حلب . وكان من خبر قسطنطين^(٣) أنه لما خرج عن طاعة السلطان ، وعاث في أعمال حلب وأفسد ، طلبه عساكر حلب ، ففر إلى بلاد (١٢١١) الشرق ، وأقام مع المخل ، فأكرمه مدة حياة الملك محمود غازان حتى مات ، فلم يحمده [بعدئذ] ما كان يعهده ، فترامى على نائب حلب ، وما زال يستعطفه في أن يأذن له في العود بعد الشفاعة له إلى السلطان ، فأجاب سؤاله وكاتب فيه ، فعُفي عن ذنبه وأعيدت له إقطاعاته بحلب .

وقدم البريد بوقوع الفتنة بين الأمير أسنند^(٤) ، مكرجي نائب طرابلس ، والأمير بالوج الحسامي من أمرائها ، من أجل أن أسنند مر استخدم في ديوانه سامرياً كاتباً . يقال له أبو السرور ، فزاد نحره ، وأخذ يتجر^(٥) لمخدومه في عدة بضائع ، وركب

(١) انتهى الجزء الأول من هذا الكتاب بأخبار سنة ٧٠٣ هـ ووفياتها ، وذلك حسبما أورد المقرئ بالنسخة الخطية التي كتبها يده ، وهي التي جعلها الناشر أصلاً لإخراج الجزء الأول كله . (انظر المقرئ : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٩٥٧) . غير أنه مما يؤسف له ألا يوجد من تلك النسخة الأصلية سوى الجزء الأول من أربعة أجزاء ، وأن ما عداها من النسخ الأخرى متفاوت في التقسيم من حيث عدد الأجزاء نفسها ، ومن حيث البداية والنهاية في كل منها . مثال ذلك نسخة (ف ، رقم ٤٣٨٢ ، إستانبول) ، وهي التي اعتمدها الناشر أصلاً للمعر هذا الجزء الثاني ، فإنها تقع في اثني عشر جزءاً منفصلة ، وتأتي سنة ٧٠٤ هـ بها في أواخر الجزء الثالث منها ، أي صفحة ٢١٠ ب ، كما بالمتن هنا . ومثال ذلك أيضاً نسخة ب (المكتبة لأهلية - باريس) ، وهي مما استعانت به الناشر في إخراج هذا الجزء الثاني أيضاً ، فات سنة ٧٠٤ هـ بها واردة في ص ٢٩٩ أ من الجزء الأول منها .

(٢) كذا في ف ، بفتح على القاف فقط ، وهو في ب (٢٩٩ أ) « قسطنطين بن سعيد » ، وليس في الفصول الخاصة بقبائل العرب بمصر والشام بالقلقشندى (صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣١٢ - ٣٦٠ ، ج ٤ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢) ما يساعد على ترجيح إحدى هاتين الصيغتين .

(٣) في ف ، وفي ب أيضاً (١٢٩٩) « ابن قسطنطين » .

(٤) مضبوط هكذا في (Zetterstéen: Beiträge Zur Geschichte der Mamlukensultane) p.110 ، وهو مضبوط أيضاً في ف مضبوطاً جزئياً فقط . يلاحظ أن كاتب نسخة ف هذه قد عني بضبط معظم الأعلام وأسماء البلدان الواردة بها ، وأنه « انتهى » من نسخ الكتاب كله في أحد عشر جزءاً سنة ٨٨٠ هـ ، أي قبل انتهاء دولة المماليك من مصر ، فلا أدل من المحافظة على ضبطه وإثباته من غير تعليق إن كان الضبط كاملاً صحيحاً ، إلا إذا وجد الناصر ما يخالف ذلك فيما لديه من المراجع ، فهناك يكون موضع الإشارة أو التصحيح أو التكميل .

(٥) في ف ، وكذلك في ب (١٢٩٩) « متجر » .

الخيول المسومة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة، وتصرف في عامة الأمور بطر ابلس حتى كثرت امواله (٢١١ ب) وسعاداته، وتزايد شره وضرره، وكثرت شكايه الناس منه. فقام الأمير بالوج في ذلك وتحدث مع أمراء طر ابلس في لزالته عن المسلمين، وواعدهم على نصرته ومعاونته [إياهم]. ثم قام في يوم الموكب للنائب أسند ممر، وذكر له ما أصاب الناس من كاتبه السامري، ومآم فيه من الضرر، فرد عليه رداً غير جيد، وجبّه بالكذب فيما نقله، وأغلظ عليه حتى اشتد غضب الأمير بالوج منه — وكان قوى النفس شرس الأخلاق —، وحلف بالإيمان المغلظة ليضربن رقبه السامري، وقام من مجلس النائب. فكتب فيه النائب أسند ممر يشكو منه شكوى طويلة عريضة، فأعيد جوابه بالقبض على الأمير بالوج وجلسه (١٢١٢)، فأخذ سيفه وسجنه، فاشتدت عند ذلك وطأة السامري على الناس، فتجرّدوا له وكتبوا فيه محاضر بقوادح حفظت عنه، وأثبتوها بدمشق. فكتب الأمير جمال^(١) الدين [آقوش الأفرم] نائب الشام فيه، فقام الأمير بـيّبرس الجاشنكير في ذلك. وكتب بحمل السامري إلى دمشق وتسليمه للقاضي المالكي. والإفراج عن بالوج، فأفرج عنه وأنعم عليه، وقبّل السامري وسلمه للبريد، فسار به إلى حمص، فاتفق قتله بها، وأنهم أسندمرا أنه دس عليه من ضرب عنقه حتى لا يُستمكن منه، فحملت رأسه إلى دمشق.

وفيها حكم قاضي المالكية بإراقة دم شمس الدين محمد بن الباجري^(٢)، ففر من دمشق. وقدم الأمير سلا^(٣) من الحجاز في نصف صفر (٢١٢ ب)، وقد فعل في الحجاز أفعالا

(١) في « عز الدين »، وصحته كما بالمئن هنا. انظر (Zetterstéen: Op. Cit. P. 130)، وكذلك ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد، ج ٣، ص ١٠١)، ويظهر أن منشأ ذلك الخطأ أن كان من رجال الدولة أمير آخر لقبه الأفرم أيضاً، وكان اسمه عز الدين.

(٢) بغير نقط أو ضبط في ف، والنسبة إلى بلدة باجربق بالعراق الأعلى، بين البقعاء ونصيبين. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥٣). والباجري بهذا ترجمة في كل من ابن حجر (الدرر الكامنة ج ٤، ص ١٢ - ١٤)، وابن العماد الحنبلي (شذرات الذهب، ج ٦، ص ٦٤ - ٦٥)، وملخصهما أنه كان في الأصل فقيهاً بالمدارس، ثم تزهد وصحب الفقراء، وصار له أتباع، غير أنه كان يتفوه بكثير مما اعتبره رجال الدين كفرًا، مثل قوله إن الأنبياء والرسل طولت على الأمم الطريق إلى الله، وقد ظل يمانى من أنواع النفي والتشريد بسبب ذلك وغيره من أقوال وآراء حتى كانت وفاته سنة ٧٢٤ هـ.

(٣) ضبط هذا اللفظ من (Zetterstéen: Op. Cit. P. 52)، وهو مضبوط هكذا فيما يلي بكثير من المواضع في ف، وهذا الأمير هو صاحب الأخبار الطوال في تلك السنوات الأولى من عهد السلطان الناصر محمد.

الجزء الثاني

٥

جميلة : منها أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليهم من الديون لأربابها ، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مؤونة سنة ، ووصلت مراكبها إلى جدة سالمة ، ففرّق ما فيها على سائر أهل مكة جليلهم وحقيرهم ، وكتب سائر الفقراء وجميع الأشراف ، وحمل إليهم الدنانير والدرهم والغلة بقدر كفاية كل منهم سنة ، فلم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير عبد أو حرّ شريف أو غير شريف إلا وعمّه ذلك ، ثم استدعى الزيّلع^(١) وفرّق فيهم الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى حتى عمّ سائرهم ، وبعث مباشره إلى جدة ، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة (١٢١٣) ، وكمّل ما بقى إلى المدينة النبوية ، فلما بلغ وادى بنى سالم وجد العرب قد أخذوا عدة جمال من الحجاج ، فتبعهم وأخذ منهم خمسين رجلا ، فأفناه الفقهاء بأنهم محاربون^(٢) ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وعمّ أهل المدينة بالعطايا^(٣) كما عمّ أهل مكة ، فكان الناس بالحرمين يقولون : دياسلار ! كففاك الله همّ النار ؛ ولم يُسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل .

وقدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وأفدين إلى بلاد الإسلام ، نحو مائتي فارس بنسائهم وأرلادهم ، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سُنقر الأشقر ، فكتب يكرامهم ، فقدموا إلى القاهرة في جمادى الأولى . وقدم معهم أخوا سلا ، وهما نفر الدين (٢١٣ب) داود ، وسيف الدين جبا^(٤) ، وقدمت [أيضا] أم سلا . فرتبت لهم الرواتب ، وأعطوا الإقطاعات ، وفرّق جماعة منهم على الأمراء . وأنشأ سلا رلامه دارا بإسطنبول الجوق^(٥)

(١) الزيّلع أهل البلد المعروف بذلك الاسم بالصومال الإنجليزي الحالى ، وفي ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٦٦ - ٩٦٧) قصة غريبة لفرح السبب في وجود جالية دائمة منهم بمكة .
(٢) المقصود بهذه العبارة أن الفقهاء أفتوا الأمير سلا بأن أولئك العرب قد عصوا الحاكم بفعلتهم هذه ، ولذا استحقوا عقوبته حسب الفرع ، على أن استعمال لفظ « محارب » للدلالة على هؤلاء - وهم سارقون فقط - يوجب الاتفات .

(٣) في ف « بالمطا » والصفة المثبتة هنا من ب (١٣٠٠) ، وهي أحسن .

(٤) بغير ضبط أو نقط في ف والصفة المثبتة هنا من (Zetterstéen: Op. Cit. p. 132) ، وفي نفس المرجع والصفحة معلومات قيمة بصدد أصل سلا ، منها أنه كان من أسرى وقمة الأبلستين سنة ٦٧٥ هـ ، في عهد السلطان الظاهر بيبرس .

(٥) ليس بالقرنيزي (الواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٤٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٤) في باب الإسطبلات مكان هذا الاسم ، غير أنه يوجد به (نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٣٥) وصف لحكر الحازن الذي عرف به هذا الإسطبل فيما بعد ، ونصه : « حكر الحازن ، هذا المكان فيما بين بركة القيل وخط الجامع الطولوني ؛ كان من جلة البسائين ، ثم صار إسطبلا للجوق الذى فيه خيول الممالك السلطانية ... » .

الذي عمله العادل كتبنا ميدانا، ثم عرف بحكر^(١) الخازن، ورق أخويه وأعطاهم الإمرات
وقدم الأمير حسام الدين أزدَمَر المُسْجِرِي، وعهاد الدين علي بن عبد العزيز بن
عبد الرحمن بن عبد العلي بن معرف بن السكري، من بلاد الشرق إلى دمشق في رابع عشر
شعبان، ودخلا القاهرة أول رمضان، ومعهما كتاب خَرَبَندَا^(٢) وهديته، فتضمن
كتابه جلوسه على تخت الملك بعد أخيه محمود غازان، وغايب السلطان بالأخوة،
وسأل إخماد الفتن، وطلب (١٢١٤) الصلح، وقال في آخر كلامه: عَفَا اللهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَسْتَقِمْ اللهُ مِنْهُ. فأجيب، وجهزت له الهدية، وأكرم رسوله،
وسفر معه علاء الدين علي بن الأمير سيف الدين بلبان القلنجي^(٣) أحد مقدمي
الحلقة، والصدر سليمان المالكي المرتقي أحد العدول^(٤)، فتوجهوا في أول ذي القعدة،
وعاد^(٥) [علاء الدين وسليمان المالكي] في رمضان سنة خمس وسبع مائة. وقدم بدر الدين
محمد بن فضل الله بن بجلي^(٦) من بلاد غازان إلى دمشق في ثالث عشر جمادى الآخرة.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) في ف «خرييدا»، والرسم الثابت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 129). وهذا
الاسم كثير الورد فيما يلي، وسيدأب الناشر على نقطه وضبطه كما هنا بغير تعليق؛ ويلاحظ أولاً أن كثيراً
من مؤرخي هذا العصر — أو ساخهم على الأقل — كتبوا هذا الاسم كاصيغة الواردة في ف، وأنه كان
في الحقيقة معروفاً باسم «خربندا» — ومعناه المكاري — في حد ذاته فقط، وأنه اتخذ لنفسه اسماً مناسباً
فيما بعد، وهو خانبندا، ومعناه عبد الله. (انظر: Browne : A. Lit. Hist. of Persia. III. p. 46، وكذلك المقرئى : (كتاب السلوك، ج ١، ٧١٤، ٧٧٥، ٩٢٧، ٩٥٤).)

(٣) مضبوط هكذا في ف، وهو في ب (١٣٠٠) «القلنجي». انظر (Zetterstéen : op. Cit. p. 131) حيث ورد هذا الاسم مضبوطاً بالرسم الوارد في ف.

(٤) العدول جمع عدل، وهو في مصطلح الفقهاء والمحدثين الرجل الصحيح الرواية، وشرطه حسبما
جاء في ابن الصلاح (مقدمة في علوم الحديث، ص ٥٠) «أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً، سالماً من أسباب
الفسق وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً لما حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من
كتابه». على أن المقصود بالعدول هنا في الغالب جماعة الشهود الذين يختارهم القاضي لمعاونته في أعماله،
فيجلسون حوله بمئة ويسرة بمجلس المحكم على ترتيب الأقدمية في تعديله لهم، ويقومون بما يقوم به المسجل
(Notaire) في أوروبا الوسيطة والحديثة، ومنهم من تولى الوظائف الكبرى كالحسبة ووكالة بيت المال والنيابة
أيام الدولة القاطمية، وكانوا يتزبون بزي خاص يطبقونها، كالناديل تحت الحلق. انظر القلقشندي (صبح
الأعشى ج ٣، ص ١٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٩٧)، الكندي (كتاب الولاية والقضاء — ed. Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. III. N. 48).

ص ٤٣٦، ٤٣٧، وكذلك (Quatremère : Op. Cit. II. 2. P. III. N. 48).

(٥) في ف «وعادا»، وقد حذف ضمير المتني وأضيف ما بين الماصرتين لتوضيح العبارة.

(٦) بغير نقط أو ضبط في ف. انظر ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ٣٣١، ج ٣، ص ١٣٧،

ج ٤، ٢٧٢)، بحيث توجد ترجمة لكل من محمد هذا وأخويه على وأحمد.

وقدم رسل^(١) الملك طقطاي صاحب سراى وبرّ القبحاق فى أول ربيع الأول ، وأنزلوا بمنظر الكباش ، وأجريت لهم الرواتب . ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم ، وهو يتضمن الركوب لحرب (٢١٤ب) غازان ليكون فى المساعدة عليه ، فأجيب بأن الله قد كفاهم أمر غازان ، وأن أخاه خرّبتشدا قد أذعن للصالح^(٢) ، وجهزت له هدية خرج بها مع الرّسل الأمير سيف الدين بلّبان الصّرخدى إلى الإسكندرية ، وساروا فى البحر .

وقدم عدة من التجار وشكوا من المؤيد [هزبر الدين داود بن^(٣) يوسف بن عمر بن على بن رسول] ملك اليمن ، وكان مع ذلك قد قطع الهدية التى كانت تحمل من اليمن ومبلغها ستة آلاف دينار ، يُشترى بها أصناف وتسيّر إلى قلعة الإسماعيلية^(٤) مع هدية تختص بالسلطان . وكان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول حملها مدة أربعين سنة ، ثم حملها ابنه الأشرف ، فلما خرج عليه هزبر الدين داود بن المظفر يوسف (١٢١٥) بن المنصور بن على بن رسول قطع الجهتين^(٥) واستخفّ بسلطان مصر ، فكُتِبَ إليه بالإنكار والتهديد ، وسُيّر إليه مع ناصر^(٦) الدين الطورى وشمس الدين ومحمد بن عدلان ، ومعهم كتاب الخليفة أيضاً بالإنكار عليه والتهديد وأمره أن يحمل المقرر على العادة .

وقدم^(٧) أباى متلك دمةقلة من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق وشبّ

(١) ف « رسول » ، وقد غير اللفظ إلى صيغة الجمع ليستقيم مع بقية البارة .

(٢) ف « فى الصالح » والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٠٠) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (Zambaur : Manuel de Denealogie et de Chronologie p. 120) وكان المؤيد هذا على ملك اليمن سنة ٦٩٦هـ ، ويظهر أن التجار المذكورين هنا كانوا من بلاد الصين ، على أنه لا يوجد فى الخزرجى (العقود اللؤلؤية : فى تاريخ الدولة الرسولية ، ج ١ ، ص ٣٥٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٧) ما يدل على سوء معاملته لتجار ما ، أو قطع للحمل المقرر من اليمن ، بل يجد فيه القارىء أخباراً بصدّد تاجر اسمه عبدالعزيز بن منصور الحلبي ، وقد أكرمه ملك اليمن وأحسن إقامته ، كما يجد فيه تفاصيل الحمل المرسل إلى مصر تلك السنة .

(٤) لعل المقصود بهذا الاسم إحدى قلاع الإسماعيلية باليمن ، غير أن الناشر لم يستطع أن يجد ما لديه من المراجع ما يعين موضع القلعة المقصودة . انظر المقرئى كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٦) .

(٥) الجهة هى الضريبة أو الجزية المقررة . انظر كتاب المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٨٨ ، ٦٨٩) .

(٦) اسم هذا السفير مبارز الدين الطورى فى الخزرجى (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٦٧) .

(٧) كذا فى ف ، وفى أبى الفداء (المختصر فى تاريخ البشر ، ج ٢ ، ص ٥٣) أيضاً ؛ وقد ذكر الفلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٦) أن ملك النوبة فى أيام السلطان الناصر محمد بن تلاق رجل اسمه « أمى » ، فلعل هذا هو اسمه الصحيح ، وقد توفى سنة ٧١٦هـ . انظر أيضاً (Budge : A History of Ethiopia . I. P. 105 106) حيث يوجد ملخص لتاريخ النوبة فى عصر الأيوبيين والمماليك .

وَسُنْبَادَج^(١)، وطلب عسكرياً؛ فأنزل بدار الضيافة وعين معه الأمير سيف الدين طقصبا والى قوص وجماعة الوافدية^(٢)، وعدة من أجناده الحلقة نحو ثلاثمائة فارس، ومن أجناد الولاة بالوجه القبلي ومن العربان جماعة كبيرة. فاجتمعوا من البر والبحر بقوص، وسار بهم طقصبا مع أيلى ملك النوبة.

وفيها بعث الأمير ركن الدين^(٣) بيبرس الدوادار إلى القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر أن يكتب إلى نائب الشام كتاباً، فقال: د لا بد من مشاورة السلطان أو النائب، فغضب بيبرس واستدعاه، فلما جاءه لم يكتب به، وقال له: وكيف أقول لك - والك - اكتب ما تكتب؟ فقال: د تأدب يا مير^(٤) ا ولا تقول^(٥) والك ا. فقام بيبرس وضربه على رأسه ثلاث ضربات، فخرج من عنده إلى الأمير سلار النائب، وعرفه ماجرى عليه، فأقره عنده. واجتمع بالأمراء وقت الخدمة، وعرف الأمير بيبرس الجاشنكير الخبر فشق عليه وعلى بقية الأمراء ذلك، واتفقوا على بيبرس الدوادار فأخذ سيفه وعُوق من بكرة النهار إلى الظهر، وعُتِف (١٢١٦) تعنيفاً زائداً، وعزل من الدوادارية، واستقر عوصه الأمير أيديمور.

وقدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق في الصخرة التي - جدد النارج^(٦). بجوار مهلى دمشق، وأن الأثر الذى بها هو قدم النبي ﷺ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز، وأنه مضى بالحجارين

(١) كذا فى ف « بغير قطع للجيم » وقد عرف (Dozy: Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ بأنه (émerl, pierre pour polir)، أى مادة حجرية للجلاء؛ وأضاف بأنه يرد أيضاً بالدال بدل الدال.

(٢) الوافدية جمع وافدى؛ والمراد به الغريب الوافد إلى بلد جديد، وقد أطلق هذا اللفظ غالباً على الترك والقر الذين وفدوا - طوعاً أو كرهاً - إلى بلاد دولة المماليك؛ مصر والشام فى العصور الوسطى. راجع (Quatremère: Hist. des Sultans Mamlouks. 11. 2. P. 245. N. 48, P. 251)

(٣) هذا هو المؤرخ المشهور وكتابه « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » من أهم الكتب التى اعتمد الناشر عليها فى عمله هنا، ولا سيما فى الجزء الأول. انظر المقرئى (كتاب السلوك، ج ١، فهرس الأعلام، ص ١٠٧٧).
(٤) كذا فى ف (٥، ٤).

(٦) كذا فى ف، وهو نوب (١٣٠١) « التاريخ »، وترجمه (Quatremère: C p. Cit. II. 2. P. 247) ترجمة حرفية بتلك الصيغة.

الجزء الثاني

٩

وقطع الصخرة في سادس عشر رجب ، وقد أنكر عليه الناس ما فعله . فأجيب إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة ، وإن كان الأمر بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يُقال (١) على ما فعله . [وقدم (٢)] أيدُغدى الشهر زورى رسولا من جهة أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو (٢١٦ ب) بن أبي بكر بن جماعة المربى ملك المغرب ، بهدية جلييلة ، وقدم معه ركب المغاربة يريدون الحج ، وكان قد انقطع من بلاد المغرب منذ سنين ، فجهزهم أبو يعقوب ، وبعث معهم مصحفا جليلا غشاها بالذهب المرصع بالجواهر الرائع ، ووقفه في الحرم . فأكرم [أيدُغدى] وأنزل بالميدان ، وأجريت عليه الرواتب ، وكان أيدُغدى هذا لما قبض على يعقوباً في الأيام الظاهرية فرّ في جماعة من الأكراد إلى (٣) برقة ، وقدم على أبي (٤) يعقوب بهدية ، فقر به وقدمه حتى صار في منزلة وزير ، وحملت سيرته عندهم إلى أن بعثه [أبو يعقوب] بالهدية ليحج .

وفيها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاوئن على ابنة الأمير سلار النائب بملوك (١٢١٧) أبيه الصالح . وعمل مهم عظيم جدا ، وجهزت ابنة سلار بمائة وستين ألف دينار ، ومشى في زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء ، وحمل كل منهم التقادم من الشمع وغيره . فحمل الأمراء إليه ثلاثمائة وثلاثين قنطارا من الشمع .

وفيها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى : وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عرّفه بالجدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مبلغ ألفي دينار ، وأنه فارضه في أمر الأمراء ، وشجعه عليهم ، وأن السلطان كلما احتاج إلى شيء استدعى به منه ، فيحمله إليه . فشق ذلك على سلار ، وحرك منه ما في نفسه من كراهته له . وكان الأمير بيبرس الجاشنكير (٢١٧ ب) قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخى قبل سفر بيبرس لئلا يوقع به في غيبته ، فشق ذلك عليه ، فاستشار الأمير علم الدين سنجر الجاؤلى في أمره ، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق في جهته مال السلطان . وتدب لذلك من وقع الاختيار عليه . فكتب

(١) كذا في ف ، والمعنى أنه مجازى . (قاموس المحيط) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٠١) .

(٣) انظر المقتضى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٩٥) .

(٤) في ف « بن » .

أوراقا، وجلس الأمراء في الخدمة، فمَرَّ بهم سَلار ما بلغه عن الوزير وماليكه وخط عليه. فقال الأمراء بأجمعهم: «مَتَى ظَهَرَ في قبليه شيء»^(١) قُطِع جلده بالمقارع، واستدعى. فلما حضر قال له سَلار: «اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وخنته، وقد عرفت الشرط»، وأشار للرجل بمحاqqته. فقال ابن الشيخ لشوم بخته: «ومن هذا القطعة»^(٢) (٢١٨) النحاس حتى أتكلم معه، أو يُسمع منه في حق مثلي مايقوله. فاشتد عند ذلك غضب سَلار، وقال له: «يا قواد! يا قطعة نحس الإيش أنت حتى تكسّر نفسك! وإذا حضروا أحد يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا، أما لنا حرمة عندك؟»، وأمر الحاجب فضر به على رأسه إلى أن خرب شاشه. وسلمه إلى شد الدواوين، وأمره بمعاqqته ومعاqqه ماليكه بك وبكتوت وغيره، فأخذ سيفه في آخر يوم من شعبان ومضى به هو وماليكه وشاور عليه من الغد، فأمر بمطالبتة بالحَمَل^(٣)، فأخذ في تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويخرق به عن الدين أيبك الشجاعى شاد الدواوين وينكل به، لما كان في نفسه من تكبره عليه ومشييه في ركابه هو ووالى القاهرة عند قر به من (٢١٨ ب) داره. ثم إنه جلس بالصناعة^(٤) في مصر، واستدعاه من القلعة، فنزل راكبا حمارا وشق به أسواق مصر إلى الصناعة، فثار به أهل مصر يريدون رجعه، وسبّوه. ثم أعاده، ولم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثاني عشر رمضان فاستدعى^(٥) سعد الدين محمد بن عطايا ناظر^(٦) البيوت واستقر في الوزارة.

(١) في ب (٣١ ب) «مَتَى ظَهَرَ في قلبه متى قُطِع جلده بالمقارع»، وهذا مثل الدلالة على قيمة نسخة باريس بالنسبة لنسخة فاتح (ف) التي اعتمدت أصلا للنشر هنا.

(٢) القطعة هنا الرجل المحتقر، ويستعمل هذا اللفظ عادة متبوعا بصفة من الصفات (أ) أكيد المعنى المراد كما هنا، أو كما في (Dozy: Supp. Dict. Ar.)، حيث ورد به. قطعة سائس أحدب»، وترجم لفظ قطعه، عموماً إلى الفرنسية بالآتي (zéro, homme sans crédit)

(٣) الحمل - والجسم حول - ما يحمل إلى السلطان من محصول إقليم نوعاً أو عيناً، ومعناه هنا كما هو واضح بالمتن، ما يحمله المحكوم عليه عدلاً أو ظلماً من الأموال إلى خزائن السلطات. Dozy Supp. Dict. Ar

(٤) المقصود بالصناعة إحدى دور صناعة السفن المعروفة بالقاهرة في العصور الوسطى، وربما كان المراد هنا دار الصناعة بساحل القساط: انظر المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٨٩ - ١٩٧).

(٥) في ف «استدعى».

(٦) أورد القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣١) هذه الوظيفة ضمن الوظائف الديوانية ١١

وجلس والامير علم الدين سنجر الجاولى قائم بين يديه يؤخر ما يوقع عليه من الاوراق ، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة ايام قد روى قائما بين يدي الجاولى يقرأ عليه ورقة حساب . واستمر ابن الشيخى إلى ليلة عيد الفطر ، وبيرس الجاشنكير لا يتحدث في أمره بشيء ، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئا من أموره قال له : (٢١٩ أ) « مهما رسم نائب السلطان افعله » . هذا وقد ثقّل عليه في أمر ابن الشيخى زوجته بقت بتمادُر رأس نوبة وولداها (١) جر كتمرو أمير على وأخوهما خليل ، وكانوا من خواص الامير بيرس ، وهو يعدم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب ، فتحدث (٢) معه في خلاصه ، فعرفه ما كان منه مع السلطان على تروجة ، فأمسك عنه وقام .

وفيها توجه الامير بيرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية في أول ذى القعدة ، ومعه علاء الدين أيّد غدى الشهر زورى رسول ملك المغرب ، والامير بيرس المنصورى الدودار ، والامير بهاء الدين يعقوبا ، في جماعة كثيرة من الأمراء . وكان قد خرج الركب في عالم كثير (٢١٩ ب) من الناس مع الامير عز الدين أيك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيرس إلى البركة ، فكثّر الحجاج ، وقسموا (٣) ثلاث ركوب : ركب مع الامير بيرس المنصورى ، وركب مع الامير يعقوبا ، وركب مع أيك ؛ وعند ما سار الامير بيرس الجاشنكير رسم النائب سلازل شاد الدواوين فضرب ابن الشيخى في يومه بالمقارع ، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة في سابعه .

وفيها سار الشريفان حميضة ورميثة من القاهرة مع الامير عز الدين أيّدمر السكوكندى إلى مكة ، فقبض الامير بيرس الجاشنكير على الشريفين أبى الغيث وعطيفة ، وولى مكانهما حميضة ورميثة .

= اى لا يتولاها عادة أرباب القلم ، واعتبرها ناسخة تلك الوظائف البالغة خساً وعشرين ، اسمها الكامل « نظر البيوت والحاشية » ، وكان عمل القائم عليها مشاركة الأستاذار - وهو من أرباب السيف - في إدارة بيوت السلطان كلها ، من المطابخ والفراخانة والحاشية والاندان . (انظر نفس المرجع والجزء ،

ص ٢٠) ، وكذلك (Demombynes : La Syrie p. Lxxiii) .

(١) في ف « ولديها » .

(٢) في ف « تحدث » .

(٣) في ف « قسموا » .

وفيهما وجد الحاج عدّة مشاق : منها (١٢٢٠) قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سائم محرقة هلك منها خلق كثير من جفاف قِرب الماء . وأخذ الحاج من وادي النار على طريق أخرى ، فتاهوا وهلك منهم عالم كبير . وبلغ الشعير كل وية بأربعين درهما ، والدقيق كل وية بستين .

وفيهما قدم الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بمن معه من غزاة سيس وفيها أجذب الشام من الغور إلى العريش ، وجفت المياه ، ونزع الناس عن أوطانهم من العطش . وخلا من الصفقة^(١) القبلية ألفان وثمان مائة قرية . وفيها ظهر في معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا ، فأخفاها الضامن^(٢) وحملها إلى بعض^(٣) الملوك ، فدفع [له] فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى بيعها ، فأخذها منه وبعث (٢٢٠ ب) بها إلى السلطان ، فمات الضامن غما .

وفيهما توجه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في ذى الحجة من دمشق . ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري ، إلى [أهل] جبل كسر وان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا ، فجمعت العساكر لقتالهم .

وفيهما قام بأمر المدينة النبوية الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور ، بعد موت أبيه الأمير عز الدين أبي سفر^(٤) جماز بن شيحة في ربيع الآخر . وبلغ النيل سبعة عشر ذراعا ، وثمانية عشر إصبعا .

ومات في هذه السنة زين الدين أحمد بن الصاحب نحر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا ، في ليلة الخميس ثامن صفر ، وكان فقيها شافعيًا فاضلا متدينا ، رئيسا وافر الحرمة محبا لأهل الخير . (١٢٢١) ومات فتح الدين أحمد بن محمد بن

(١) كذا في ف بغير ضبط ، والصفقة هنا الناحية ، غير أن المعاجم العربية المتداولة في هذه الحواشي تذكر الصفق - وليس الصفقة كما بالمتن - بهذا المعنى (انظر المحيط) .

(٢) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٥) .

(٣) الإشارة هنا إلى ملك اليمن . انظر ابن تقي بردي (النجوم الزاهرة - طبعة دار الكتب المصرية - ج ٨ ، ص ٢١٥ ، حاشية ٢) وكذلك ابن أبي الفضائل (كتاب التهج السديد ، ج ٣ ، ص ١١٤ - ١١٦) ، حيث القصة كلها وأردت بتفصيل .

(٤) في ف « ابن سفر حماد بن سبعة » وقد ضبط الاسم كله من ابن أبي الفضائل (كتاب التهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٠١) .

سلطان القوصى الشافعى ، وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها ، فى حادى عشر المحرم . ومات شمس الدين أحمد بن على بن هبة الله بن السديد الإسناى ، خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وبقوص ، فى رجب ؛ وكان قد انتهت إليه رياسة الصعيد^(١) ، وبنى بقوص مدرسة ؛ وكان قوى النفس كثير العطاء مهيبا^(٢) تمدّوحاً ، يبذل فى بقاء رياسته الآلاف ، فيقال إنه بذل فى نيابة الحكم بقوص ثمانين ألف درهم ، فسار إلى مصر ومات بها . ومات الأمير بيبرس الموفقى المنصورى أحد أمراء دمشق بها ، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة ، مخنوقا وهو سكران . ومات الأمير الشريف عز الدين جماز بن شبيحة (٢٢١ ب) أمير المدينة النبوية ، وقد أضرّ ، وقام بالإمرة الأمير ناصر الدين منصور بن جماز . ومات بهاء الدين عبد المحسن بن الصاحب محيى الدين محمد بن أحمد بن هبة الله ، ويعرف بأبى جرادة ، مات بالقاهرة ؛ وكان سخيا مباركا فاضلا ، حدث عن يوسف بن خليل وغيره . ومات علم الدين عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى المعروف بالعلم العراقى الفقيه الشافعى ، مدرس التفسير بالقبة المنصورية ، يوم الثلاثاء سادس صفر عن بضع وثمانين سنة ؛ وكان عالم مصر . ومات تاج الدين على بن أحمد بن عبد المحسن الحسينى العراقى الإسكندراني شيخ الإسكندرية ، الإمام المحدث ، فى ذى الحجة ، تفرّد بالرواية عن جماعة ، ورحل الناس إليه ؛ وكان (٢٢٢) فقيها عالما . ومات نجم الدين عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن الكاتب^(٣) بن أبى الطيب الدمشقى ، ناظر المارستان النورى بدمشق وناظر الخزانة ووكيل بيت المال بها ، ليلة الثلاثاء نصف جمادى الآخرة ؛ وكان فقيها مدرسا مشكورا فى ولاياته . ومات أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بمكة فى المحرم ، وسمع الحديث بمكة ، وانتهت إليه مشيخة الحديث بها . ومات شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبى سعيد بن التتيتى الأمدى ، أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل . ومات الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار ، أحد الوافدية من

(١) لا يوجد بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى وظيفة هذه الصفة ، على أن عبارة المتن تدل على أنها كانت « وظيفة شرف » ، يتولاها أقدم نواب الحكم (القضاة) بالصعيد .

(٢) فى ف « مهبا » .

(٣) فى ف « أبى الكاتب » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٠٢ ب) ، وهى أقرب إلى الصواب .

الروم في الأيام (٢٢٢ب) الظاهرية ، وكان كريماً شجاعاً متديناً . ومات الأمير سيف الدين بهادر سَمَز^(١) مقتولا بأيدي عرب الشام . ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد — ويقال ديباي — الشيخى تحت العقوبة في سابع ذى القعدة ، وأخرج على جنوية إلى القرافة ، فدفن بها ، وكان فيه مكارم وعصبة^(٢) ومروءة ويكتب الخط المليح ، ويعرف صناعة الحساب ، مع الظلم والعسف والتكبر ، وأحدث مظالم عديدة ، وأصله من بلاد ماردين ، وقدم مع شمس الدين محمد بن التتبي^(٣) إلى دمشق ، وسار منها إلى القاهرة مجرداً فقيراً يمشى على قدميه ، وتعيش في خياطة الأقباع ببعض أسواق القاهرة مدة ، ثم تزياً بزى الأجناد وخدم مع الشادين ، ولازم الوقوف في خدمة (٢٢٣ أ) الحسام بُرناق شاد السكيالة زماناً حتى عرف دَخْل المباشرة وخرُجها ، فتلطّف مع بعض مقطعى السكيالة وأوعدهم حتى ضمن ساحل الغلة بيولاقي ، فشدد^(٤) فيه حتى فاض معه جملة ؛ وخدم صاحب نغر الدين بن الخليلي ، وهادى الأمراء إلى أن ولى شد الدواوين يامرة عشرة ، وانتقل منها إلى شد الجزيرة وولاية القاهرة وجمع بينهما ، فصار من أمراء الطنبخانة ، وولى الوزارة ، فكان فيها حقيقته . ومات الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشهاب أبي علي الحسين بن شمس الدين أبي عبد الله محمد الأرموى نقيب الأشراف في تاسع عشر شوال ، وولى نقابة الأشراف بعده الشريف بدر الدين بن عز الدين ؛ وقتله بدمشق أبو السرور السامري (٢٢٣ ب) كاتب الأمير سيف الدين أسندمر كرجي نائب طرابلس .

* * *

سنة خمس وسبعمائة . في أول المحرم باشر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني نيابة الحكم بدمشق ، عن نجم الدين أحمد بن حصصرى . وفي ثانيه سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها

(١) ذكر ابن تفرى بردى النجوم الزاهرة — طبعة دار الكتب المصرية ، ج ٨ ، ص ٢١٧ هذه الوفاة ، وقال إن لفظ « سَمَز » تركى معناه السمين .

(٢) كذا في ف ، وكذلك في ب (١٣٠٣) ، وأصل المراد « عصبة » .

(٣) في ف « البتقي » ، انظر الصفحة السابقة .

(٤) في ف « تشدد » والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٠٣) .

لقتال أهل جبال كسروان ، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجال شتى . فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل ، [وزحف بهم ^(١) لمهاجمة أهل تلك الجبال] ، ونازلهم وخرّب ضياعهم وقطع كرومهم ، ومنّهم ^(٢) بعد ما قاتلهم أحد عشر يوماً ، قُتل فيها الملك ^(٣) الأواحد شادى بن الملك الزاهر داود وأربعة من الجند ، وملّك الجبل عتوة ، ووضع فيهم السيف وأسرى ستائة (١٢٢٤) رجل ، وغنمت العساكر منهم مالا عظيماً ، وعاد إلى دمشق في رابع عشر صفر .

وقدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان أبو الغيث وعطيفة ، فرتب لهما ما يكفيهما وصارا يركبان مع الأمراء . وقدم الحاج ، ورُسمَ بتجهيز الهدية إلى ملك الغرب ، وصحبتهما عشرون إكديشاً من أكاديش التتر ، وعشرون أسيراً منهم وشيء من طبولهم وقسيّهم ، وخرج بها — مع أيدغدى الشهرزورى — علاء الدين أيدغدى النليلي الشمسي ملوك سنقر الأشقر ، والأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمي . واستقرّ أمين الدين أبوبكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاقى ^(٤) في نظر الشام ، عوضاً عن شهاب الدين بن ميسر . وعزل شمس الدين (٢٢٤ ب) محمد بن عثمان بن الحريري عن قضاء الحنفية بدمشق ، وكتب باستقرار شمس الدين الأذرعى عوضاً عنه . وسبب عزل الحريري أنه وجد بخطّه أن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية لم يرَ الناسُ بعد السلف الصالح مثلاً ، فاتفق أن البريدى لما توجه بتقليد الأذرعى ظنّ أنه للحريري ، وقدم دمشق والناصب قد خرج إلى الصيد ، فأعطى التقليد للحريري ، فقام إلى المدرسة الظاهرية وحكم ، وكان ابن الأذرعى يظنها له ، فيئس واغتم لذلك . ثم قرى التقليد بحضرة الناس ، فإذا هو باسم

(١) أضيف ما بين الحاصرتين لتستقيم العبارة .

(٢) في ف « ومزق أهلها » وقد عدلت إلى هذه الصيغة لضرورة السجاء الضمائر .

(٣) كان هذا الأمير الأيوبي وقت ذلك من أمراء دمشق ، واسمه حسبما ورد في ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة — طبعة دار الكتب المصرية — ج ٨ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠) « الملك الأراحد — وقيل الزاهر — تقي الدين شادى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الصغير ابن الأمير ناصر الدين (ص ٢٢٠) محمد بن الملك المنصور أسد الدين شيركوه الكبير بن شادى ابن صروان الأيوبي » .

(٤) في ف « الرقاقى » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٠٣ ب) ، وأعل النسبة إلى موضع الرقاق المذكور في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩) .

الأذرعى ، فقام الحريرى خجلا ، واستدعى الأذرعى فجلس وحكم .
وفىها أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه : (١٢٢٥) من
دخولهم فى النيران المشتعلة ، وأكلهم الحيات : ولبسهم الأطواق الحديد فى أعناقهم ،
وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم ، وعمل الأساور الحديد فى أيديهم ، ولفهم شعورهم
وتليدها . وقام فى ذلك قياماً عظيماً بدمشق ، وحضر فى جماعة إلى النائب ، وعرضه أن
هذه الطائفة مبتدعة ؛ فجمع له ولهم ؛ الناس من أهل العلم ، فكان يوماً مشهوداً كادت أن
تقوم فيه فتنة ؛ واستقر الأمر على العمل بحكم (١) الشرع ونزعهم هذه الهيئات .

وفىها أقطع السلطان فى جمادى الآخرة جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين
ابن معبد البعلبكى ، وسيف الدين بكتمر عتيق بسكتاش الفخرى ، وحسام الدين
لاجين ، وعن (٢٢٥ ب) الدين خطاب العراقى ، فركبوا بالشربوش (٢) وخرجوا
إليها ، فزرعها لهم الجبلية (٣) ، ورفعت أيدي الرقصة عنها .

وفىها آخر (٤) متملك سيس الحمل الجارى به العادة ، فبعث إليه نائب حلب
أستاداره قشتمر الشمسى أحد مقدمى حلب على عسكر نحو الألفين ، وفيهم الأمير
شمس الدين آقسنقر الفارسى ، والأمير فتح الدين بن صبرة (٥) المهمندار ، والأمير
قشتمر النجيبى ، وقشتمر المظفرى ، فى ذى الحجة من السنة الماضية . فشنوا
الغارات على بلاد سيس ، ونهبوا وحرقوا كثيراً من الضياع ، وسبوا النساء
والأطفال فى المحرم . وكان قد وصل إلى سيس طائفة من التتار فى طلب المال ،
فركب التتار مع صاحب سيس ، وملكوا (١٢٢٦) رأس الدربند ، فركب العسكر
لقتالهم وقد انحصروا ، فرمى التتار عليهم بالنشاب والأرمن بالحجارة ، فقتل جماعة
وأسر من الأمراء ابن صبرة (٦) ، وقشتمر النجيبى ، وقشتمر المظفرى ، فى آخرين من
أهل حلب ؛ وخلص قشتمر مقدم العسكر ، وآقسنقر الفارسى . وتوجه التتار بالأسرى

(١) فى « بحكمة » :

(٢) انظر القرىزى (كتاب السلوك ، فهرس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٣) فى « الحلية » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٠٤) .

(٤) فى « ف » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٠٤) .

(٥) هذا الاسم مضبوط فى ف بفتح على الراء فقط . (انظر الحاشية التالية) .

(٦) مضبوط فى ف بضم الصاد فقط .

إلى خر بَنَدَا بالأردو ، فرسَم عليهم : وبلغ نائب حلب خبز الكسرة ، فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء ، فرسَم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح ، ويبرس الدوادار وأفوش الموصلي قتال السبع ، والدُكُز^(١) السلاح دار ؛ فساروا من القاهرة في نصف شعبان على أربعة آلاف فارس . فبعث متملك سيس الحمل ، واعتذر بأن القتال لم يكن منه وإنما كان من التتر (٢٢٦ ب) ، ووعدته بالتجسس في إحضار الأمراء المأسورين ، فرجع الأمير بكتاش بمن معه من غزوة .

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين الحاج بهادر الجسكي الظاهري ، وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران مشد الدواوين ، واستقر حاجباً بدمشق عوضاً عن الأمير بكتاش الحسامي ؛ ونقل بكتاش من الحجوية إلى شد الدواوين ، وقبض على قيران وصُودر . وفيها قدم رسول ملك قسطنطينية^(٢) ، ومعه رسول الكرج ، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة في فتح الكنيسة^(٣) المصَّابة بالقدس لزيارة الكرج لها ، وأن الكرج تسكون في طاعة السلطان وعوناً له متى احتاج إليهم . فسكتب بفتح الكنيسة ففتحت ، وأعيد الرسول بالجواب .

وفيها (٢٢٧) توقفت الأحوال بالقاهرة ، لكثرة الفلوس وما دخل فيها من الخفاف الوزن ؛ وارتفع سعر القمح من عشرين درهماً الأردب إلى أربعين . فرسَم بضرب فلوس جدد ، وعملت الفلوس الخفاف بدرهمين ونصف الرطل ، فشئت الأحوال .

وفيها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة ، وأنكر على تقي الدين أحمد بن تيمية فتوى رأها بخطه في مسألة الاستواء^(٤) ومسألة خلق القرآن ، واجتمع بالقضاة في ذلك .

(١) مضبوط هكذا في (Zelterstéen : Op. Cit. p. 151) . انظر أيضاً للمقرزي (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٦٧) .

(٢) كان إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السنة الموافقة لعام ١٣٠٥ ميلادية أندرونيق الثاني (Andronicus II, 1282-1320) ، وكان ملك الكرج وقت ذاك داود السادس (David VI) انظر : (Allen: A Hist. of the Georgian People, p. 180) وكذلك (Diehl Hist. of the Byz. People, p. 120)

(٣) ليس بالمراجع المتداول بهذه الحواشي ما يدل على هذه الكنيسة بين كنائس بيت المقدس المعروفة وقد ترجم (Quatrèremère : Op. Cit. II, 2. p. 255) هذا الاسم إلى (L'église appelée mousalliah) ، اعتماداً على صيغة النسخة الباريسية التي اتخذها أصلاً لترجمته .

(٤) المقصود بذلك استواء الله على العرش .

فورد كتاب نائب الشام بأن ابن تيمية تسلم بعض أصحابه في القرآن بكلام ، فعزّره قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن مصري^(١) وسجنه ، فجمع ابن تيمية أصحابه وأخرج الرجل من السجن . فغضب ابن مصري ، وعقّده له ولابن تيمية مجلس عند النائب آل (٢٢٧ ب) الأمر فيه إلى أن كتب ابن تيمية خطه وأشهد عليه أنه شافعي المذهب يعتقد ما يعتقد الإمام الشافعي ، وأنه أشعري الاعتقاد . فنودي بدمشق من ذكر عقيدة ابن تيمية سُشق ، فاشتد حينئذ ابن عدلان ، وقام معه قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي . وحرّض الأمراء عليه . وما زال بهم حتى خرج الأمير ركن الدين العمري الحاجب على البريد بحمله وسمل أخيه شرف الدين عبد الرحمن [إلى القاهرة^(٢)] . وحلب [الأمير^(٣) ركن الدين] نجم الدين أحمد بن مصري ، و [وجيه الدين]^(٤) بن المنجا ، وتقي الدين شقير ، وأولاد ابن الصائع ، فأحضرهم يوم الخميس ثاني عشر رمضان ، فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل ، وحضر الأمراء ، فادّعى ابن عدلان على ابن تيمية ، فلم يُجبه وقام بخطب ، فصاح (١٢٢٨) عليه [القاضي^(٥) زين الدين] ابن مخلوف [المالكي] : « نحن أحضرناك للدعوى عليك ، ما أحضرناك خطيباً ، وألزمه بالجواب . فقال له : « أنت عدوّي لا يجوز حكمك علي ، فأمر باعتقاله ، فأخذ وسجن بحارة الديلم من القاهرة هو وأخوه . وخلع على ابن مصري ، وأعيد إلى دمشق ، ومعه كتاب ليقرأ على منبر الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقاد شيء من فتاوى ابن تيمية ، وأن يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك ، وثبتت على قضاة الممالك ، وتقرأ على المنابر ؛ ففعل ذلك بدمشق . وفيها قطع خبز الأمير الكبير بدر الدين بك تاش الفخري أمير سلاح الصالحى النجمي :

(١) صيغة ب (٣٠٤ ب) هنا كالتى : « فعضب بن مصري وسجنه لجمع ابن تيمية وعقده له ولابن تيمية مجلس ... » ، وهذا دليل ثان على قيمة نسخة ب بالنسبة إلى ف ، مع ما للنسخة الأولى من فائدة أحياناً في تحرير المتن وتصحيحه .

(٢ ، ٣) أضيف ما بين الحاصرين لاستكمال الجملة ، وذلك بعد مراجعة أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٥٤) .

(٤) في ف « وابن المنجا » . راجع ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٢٣ ، ١٢٤) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرين من ابن حجر (الدرر السكينة في أعيان المائة الثامنة ، ج ١ ، ص ١٤١ - ١٦٠) ، حيث وردت هذه الحادثة وغيرها من أخبار ابن تيمية في ترجمته .

وسبب ذلك أنه مرض وقد أناف على الثمانين ، دفخاف أستاذاره بكتمر الفارسي من موته ، وأن يطالب (٢٢٨ب) من ديوان (١) السلطان بتفاوت (٢) الإقطاع في مدة إمرته وهي ستون سنة ، وأن يلزم بالتقاوى السلطانية (٣) ، وحسن لولده ناصر الدين محمد أن يمضى إلى الأمير بيبرس وسلار على لسان أبيه ، بأن يتحدثنا مع السلطان بأنه قديم هجرة وله خدمة في البيت المنصوري ، وقد أسنّ وعجز عن الركوب ، ولا يحلّ له أكل هذا الإقطاع بغير استحقات ، ويسأله (٤) في إخراج عنه وكتابة مسموح (٥) لأولاده ومباشره بما يخص السلطان من تفاوت الإقطاعات والانتقالات من تاريخ إمرته إلى خروج الإقطاع عنه ، وخيّل أنه متى لم يفعل ذلك حتى يموت والده لم يبق لهم من بعده موجود ، ويحتاج إلى الاستدانة ليوفي الديوان السلطاني (٢٢٩ أ) مستحقته . فانفعل لذلك ، وبلغ مارّبه الأستاذار عن أبيه إلى بيبرس وسلار ، فتألما وبكيا ،

(١) كانت وظيفة هذا الديوان حسبما ورد بالفتشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣) محاسبة الأمير المزعول أو المنقول عن إقطاعه — أو ورثته من بعده عند وفاته — على ما تحصل من ذلك الإقطاع من مال خراجي ، فإذا ثبت للديوان أن الأمير كان يعمى في ذلك بحسب السنة الهلالية الهجرية ، وليس على حسب السنة الخراجية الشمسية ، حاسب الديوان على ما استولى عليه من المال ، وهو المبر عنه بعبارة « تفاوت الإقطاع » ، أو « التفاوت الجيعى » . هذا وكانت العادة أن يقوم بذلك ناظر ديوان المرتجعات ثم رفضت هذه الوظيفة وديوانها ، وصار أمر المرتجع موقوفاً على مستوى المرتجع ، كما أصبح الديوان المختص بهذا معروفاً باسم ديوان السلطان . انظر (Poliak : Feudalism in the Middle East. p. 22) (Demombynes : Op. cit. p. VXXV) (٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) المقصود بالتقاوى السلطانية في الغالب ما كان يجمع للسلطان من مختلف الأقاليم برسم التقاوى ، وقد عرف المقرئى (المواظف والاعتبار ، ج ١ ص ٩١) ذلك تعريفاً فيه شيء من الغموض ، ونصه : « وكانت لأراضى مصر تقاوى مخلدة في نواحيها ، وهي على قسمين : تقاوى سلطانية ، وتقاوى بلدية ، فالتقاوى السلطانية وضعها الملوك في النواحي ، وكان الأمير أو الجندي عند ما يستمر في الإقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية ، فإذا خرج عنه طوب بها . فلما كان الروك الناصرى خلدت تقاوى كل ناحيه بها ، وضبطت في الديوان السلطاني ، فبلغت مجملها مائة ألف وستين ألف أردب ، سوى التقاوى البلدية » . انظر أيضاً المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٠٨ ، حاشية ٦ ، وكذلك (Poliak: Op. Cit. p. 69) (٤) الضمير عائد على السلطان .

(٥) اسموح — وجهه مسموحات — لفظ جرى في مصطلح الدولة المملوكية على مبلغ من المال يعينه السلطان لأمر من الأمراء المقصين فوق إقطاعه ، ويأخذه الأمير مسانحة أو مشاهرة ، ومعناه هنا ما يسمح به السلطان لورثة أحد أمرائه بعد وفاته . راجع (Poliak : Op. Cit. p. 6 ; Demombynes : Op. Cit. p. LXXVI)

ودخلابه إلى السلطان ؛ فأعاد [ناصر الدين محمد] له الرسالة بحضور الأمراء ، فأجيب ، وكتب المسموح ، ونصه : « رسم بالامر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالی المولوی الامیری البدری بكتاش الفخری الصالحی أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها ، من غير طلب تفاوت ولا تقاو^(١) ، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالی وخراجی وغيره ، مسامحة وإنعاما عليه ، لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة ، مسامحة لارد فيها ولا رجوع عنها بحيث لا^(٢) يطالب بشيء قل ولا جل » ، لما مضى من الزمان وإلى يوم (٢٢٩ ب) تاريخه ، لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله ، وتوجه إليه الأمير شمس الدين سنقر السكالي الحاجب ، والأمير بدر الدين محمد بن الوزیری (بذلك) . وسبق ولده ودخل عليه ومعه بكتسر أستاذاره ، وحدّثاه في أنه قد ضعف عن الحركة ، وأن الإقطاع يستكثر عليه ، فقال : « أرجو أن يمن الله بالعافية ، وأن أموت على ظهر فرسی في الجهاد » ، فذكر له ما يتخوفانه^(٣) بعد موته من المنعم ، فلم ياتفت لكلامهما . وقدم الحاجب وابن الوزیری بالمسموح ، فقالا لهما : « لا تطيلا في الكلام ، فإنه اختلط وفسد عقله » ، فدخلا وعرفاه ما قاله عنه ولده من طلب الإعفاء من الخدمة ، فإنه نزل عن الإقطاع ، وقدّما له المسموح ، وبلغاه سلام السلطان والأمراء ، وأنه (٢٣٠) لم يفعل هذا إلا حسب سؤاله ، وقد رب له خمسة آلاف درهم في الشهر . فغضب عند ذلك وقال : « قطع السلطان خبزي ؟ » ، قالوا : « نعم » ، وعرفاه ما كان من ولده ، فالتفت إليه وقال : « أنت سألت في ذلك ؟ » ، قال : « نعم » ، فنسبته ، وقال للأميرين : « قولوا للسلطان والأمراء ما كنت أستحق أن يقطع خبزي قبل الموت ، وهم يعلمون ما فعلته معهم ، وكنت أوّل أن أموت في الغزاة ، وما برحت أخرج كل سنة لعل أن يدركني أجلى ، فما قدر الله » . ثم أعرض عنهم ، وقاموا عنه ، فمات من مرضه هذا . واستقر إقطاعه في الخصاص السلطاني ، وأضيفت أجناسه إلى الحلقة ، وذلك في ذي الحجة .

وفيهما قدمت هدية الملك المؤيد (٢٣٠ ب) هزبر الدين دواد صاحب اليمن ، فوجدت

(١) في ف « تقاوى » .

(٢) في ف « لم » .

(٣) في ف « ما يتخوفاه » .

قيمتها أقل من العادة ، فكُتِبَ بالإسكار عليه والتهديد ، وسُيِّرَ مع بدر الدين^(١) محمد الطورى أحد مقدمى الحلقة ، فلم يعبأ به [المملك المؤيد] ، ولا أجاب عن الكتاب بشيء . وفيها استسقى أهل دمشق لقلة الغيث ، فسُقُوا بعد ذلك .

ومات فى هذه السنة خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الفقيه الشافعى المقرئ النحوى المحدث ، فى شوال عن خمس وسبعين سنة . ومات محمد الدين سالم بن أبى الهيجاء بن جميل الأذرى^(٢) قاضى نابلس ، بالقاهرة فى ثانى عشر صفر ، بعد ما باشر قضاء نابلس أربعين سنة ، وصرف عنها وقدم بأهله إلى القاهرة (١٢٣١) فمات بها . ومات الخافظ شرف الدين [أبو محمد] عبد المؤمن بن خلف بن [أبى] الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الديماطى^(٣) الفقيه الشافعى المحدث آخر الحفاظ ، فى خامس عشر ذى القعدة ، من غير مرض ، عن اثنتين وتسعين سنة . ومات قاضى القضاة بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعى بها ، فى أوائل جمادى الأولى ؛ وكان فاضلاً مشكوراً سيرة . ومات محمد بن عبد المنعم بن شهاب [الدين]^(٤) بن المؤدب بمصر ، حدث عن ابن باقا . ومات الفقيه العابد المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد الحرثانى الحنبلى ؛ ومولده بمران سنة ثمانى عشرة وستائة ؛ سمع من ابن روضة والمؤتمن بن قيرة ، وسمع بمصر من ابن الجيمزى (٢٣١ ب) وغيره ، وتفرد بأشياء ، وكان فيه دعابة ، وتلا بمكة ألف ختمة . ومات شرف الدين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الجذامى الإسكندرانى . ومات الأوحى تقي الدين شادى بن المملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان ، أحد أمراء دمشق ، فى ثانى صفر على قتال السكسرويين ؛ وكان فاضلاً خبيراً بالأمور . ومات المعمر

(١) لعل بدر الدين هذا أح لناصر الدين الطورى الذى تقدمت الإشارة إليه . (انظر ص ٧ ، حاشية ٦) .

(٢) فى ف « الادرمى » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٠٥ ب) .

(٣) فى ف « شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن الحسن بن عفيف بن سرور بن خضر التسوقى الديماطى ... » ، وقد صحح وأضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢١٨) ، وابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٢) ..

(٤) ليس لما بين الحاصرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (٣٠٥ ب) .

أم الفضل زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن راحة الإسمردية بمصر في ذي القعدة ؛ حدثت عن ابن الزبيدي وأحمد بن عبد الواحد البخاري وغيره ، وتفرّدت بأشياء .

(٢٣٢) سنة ست ومبعمائة : فيها توسّش ما بين الأميرين علم الدين سنجر البرّواني ومسيّف الدين الطشلاق على باب القلّة من القلعة بحضرة الأمراء ، من أجل استحقاقهما في الإقطاعات ، فإنهما تباعلا^(١) ؛ ونزل الطشلاق على إقطاع البرّواني . وكان كل منهما فيه كبر وظلم وعسف ، والبرّواني من خواص الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والطشلاق من أزام الأمير سار النائب لأنه خشداشه ، وكلاهما ملوك الصالح على بن قلاون . فاشتد الطشلاق على البرّواني وسفّه عليه ، فقام البرّواني إلى الأمير بيبرس فشكا منه ، فاستدعى به وعنفه ، فأساء في الردّ وأخش في حق البرّواني ، وقال : (٣٢٢ ب) « أنت واحد منّي وافدى ، تجعل نفسك مثل ممالك السلطان ؟ » . فاستشاط بيبرس غضباً ، وقام ليضربه ، فجرّد سيفه يريد ضرب بيبرس ، فقامت قيامة بيبرس وأخذ سيفه وأوما ليضربه ، فترامى عليه من حضره وأمسكه عنه ، وأخرجوا الطشلاق بعد ما كادت ممالك بيبرس أن تقتله . وللوقت طلب بيبرس الأمير سنقر السكالي الحاجب ، وأمره بإخراج الطشلاق إلى دمشق ، فخشى من النائب سار ودخل عليه وأخبره الخبر فوجد العلم^(٢) عنده ، وأمره بالعود إلى بيبرس وملاطفته في العفو عن الطشلاق ، وأنه يلزم داره حتى يرضى عنه . فعاد إلى بيبرس ، وعند ما أخذ يبلغه رسالة سار صرخ فيه ، وحلف إن بات الطشلاق (٢٣٣) الليلة في القاهرة عملت فتنة كبيرة . فعاد الحاجب وبلغ سار ذلك ، فلم يسهه إلا السكوت ، وأخرج الطشلاق من رفته ، وأمر^(٣) الحاجب بتأخيرته في بليس

(١) كذا في ب (١٣٠٦) بغير نقط البتة ، وهي في « مدلا علا » ، بغير نقط أيضاً ، وقد فضل الناشر صيغة ب لاستطاعة تحريرها إلى الرسم الوارد بالمتن ، والمعنى أنهما تجالسا للحديث فيما بينهما من أمر . (لسان العرب) .

(٢) أي علم الدين سنجر البرّواني .

(٣) في ف « وأمره » .

ليراجع بيبرس فيه . وعندما اجتمعوا من الغد في الخدمة بدأه بيبرس بما كان من الطشلاقى في حقه من الإساءة ، وسار يسكن غضبه فلا يسكن بل يشتد ، فأمسك على حقه ؛ وتوجه الطشلاقى إلى الشام .

وفيهما قدم البريد من حماة بمحضر ثابت على القاضى أن ضيعة تعرف بيارين بين جبلين ، فسمع للجبلين في الليل قعقة عظيمة ، فتسارع الناس في الصباح^(١) إليهما ، فإذا أحد الجبلين قد قطع الوادى وانتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر ، والمياه فيما بين الجبلين (٢٣٣ ب) تجرى في الوادى ؛ فلم يسقط من الجبل المنتقل شيء من الحجارة ، ومقدار النصف الذى انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع ، ومسافة الوادى الذى قطعه هذا الجبل مائة ذراع ؛ وأن قاضى حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك ، وكتب به محضرا فكان هذا من غرائب الاتفاق .

وفيهما قدم الخبر من بلاد المغرب بقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرىنى صاحب تلمسان فى ذى القعدة من [السنة] الخالية^(٢) على يد خدمه ، وأن ابنه أباسالم قام من بعده ، فثاروا به بعد أسبوع ، وأقاموا عوضه [حفيدة]^(٣) أبأ عامر ثابت .

وفيهما ابتدأت الوحشة بين الأميرين بيبرس وسلا: وسببها أن التاج بن سعيد الدولة (٢٣٤ ا) الكاتب^(٤) كان متمكناً من بيبرس مستولياً على سائر أمور ، فكسبه من الدولة حتى صارت أمور الأموال الديوانية المتعلقة بالوزارة والاستاذارية لا يلتفت فيها إلى كلام غيره ، واستعان معه بأكرم بن بشير أحد أقاربه ، فتهرباً إلى بيبرس بتحصيل الأموال من المشتريات^(٥) ، وأضافا له جهة النظرون . وكان التاج صديقاً لابن الشيخى ، وهو الذى قدمه إلى الوزارة ، فلما قتل شق عليه ، واتهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى بأنه

(١) فى ف « الصباح » ، انظر ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٢) .

(٢) فى ف « الحيلة » وهو فى ب (٣٠٦ ب) « الحاية » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٥) .

(٤) كان التاج بن سعيد الدولة ، حسبما ورد فى ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٢)

كاتباً للأمير بيبرس .

(٥) فى ف « المشتراوات » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٠٦ ب) ، وهو فظ جرى فى مصطلح

دولة المماليك - وصحته فى اللغة مشتريات - للدلالة على الماليك الذين يمسرون حديثاً ويحلبون إلى اهارة =

السبب في ذلك ، وأنه الذي أغرى به الأمير سلار ، لما كان يعلم من عداوة الجاولي لابن الشيخى ومصادقته للصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا ، وهو الذي عينه (٢٣٤ ب) للوزارة بقصد^(١) إنكاه التاج بن سعيد الدولة . فأخذ التاج في العمل على الجاولي ، وهو يومئذ ينوب عن بيبرس الجاشنكير في الاستاذية ؛ وتُدب لمرافعته رجل من الأقباط ، وصار كل قليل يقول عنه لبيبرس إنه نهب الأموال ، وأخذرواتب كثيرة لنفسه وحواشيه ، وقد وقعت أحوال الدولة من ذلك ، والوزير ابن عطايا لا يدرى صناعة الكتابة ، وإنما أشار الجاولي على سلار بوزارته ليتمكن من أغراضه ، وإن بعض كتاب الخوارج خاتمة كتب أوراقاً بمال كبير في جهة الجاولي ، وأكثر من هذا القول وما أشبهه ، إلى أن تقرر ذلك في نفس بيبرس وتغير على الجاولي ، وحدث سلار في أمره ، وأنه (١٢٣٥) أخذ جملة مال مستكثرة . وكان سلار صديقاً للجاولي شديد المحبة له من قديم ؛ حتى أن كلا منهما عمر مدرسة على جبل يشكر^(٢) بجوار مناظر الكباش مجاورة لمدرسة الآخر ، وعمل لنفسه مدفنًا بجذاء مدفن الآخر . فدافع سلار عن الجاولي ، وقال لبيبرس : « بالله لا تسمع للديوان^(٣) ! فإنهم مناحيس يريدون الفتن » . فتمادى بيبرس في الخط على الجاولي وسبّه ، وقال : « لا بد أن أخلص منه المال » . فلما افترقا أعلم سلار الجاولي بتغير بيبرس عليه ، فقال له : « هذا من التاج بن سعيد الدولة » ، فأشار عليه بالدخول إلى بيبرس ومخادعته بلبين القول له ، عساه ينخدع ويمسك عما يريد . فامتثل ذلك وصار إليه وخضع له وتذلل ، فاشتد (٢٣٥ ب) في الحرج وبالغ في السب والتهديد ، ولم يلتفت إلى قوله ، فقام يتعثر في أذياله إلى سلار وأخبره ، فغضب من ذلك . وعند خروج الجاولي من عند بيبرس دخل عليه ابن سعيد الدولة بأوراق قد رتبها بما في جهة الجاولي ، وقرأها عليه ، وأحضر معه أكرم ابن بشير ليحاقق الجاولي على ما في الأوراق ؛ فقسوى بيبرس قلب ابن بشير على المحافظة .

= وربما كان هذا هو المعنى المقصود هنا ، على أن (Quatremère : Op. cit. II. 2. p. 262) قد ترجم هذا اللفظ إلى (marchandises) ، أى البضائع عامة .

(١) فى ف « يقصد » .

(٢) فى ف « يسكن » .

(٣) المقصود بلفظ « الديوان » الموظفون الذين يقومون بعمل من أعمال الدولة . (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

ولما كان الغد ، وخرج الأمراء من الخدمة السلطانية ، وجلسوا عند النائب سلا ، وفيهم الجاولى والوزير ، أمر بيبرس بإحضار ابن بشير الكاتب ؛ فلما جاء قال له : « أنت قلت إن مال السلطان ضائع ، وإن هذا - يعنى الجاولى - أخذ منه أشياء ، وإن الوزير وافقه على ذلك ، وإن (٢٣٦) أحوال الدولة قد وقفت ، وإنك ترافعهما وتحقق مال السلطان في جهتهما ؟ فتكلم الآن معهما ، ولا تقل إلا الصحيح » . فنهض عند ذلك قائما ، وأخرج الأوراق ، وحاقق الوزير على فصول تلزم الجاولى ؛ فأجاب الجاولى عنها فصلا فصلا ، وابن بشير يرد عليه ، وقال في كلامه : « أنت أمير ماتدرى فصول الكتابة » ؛ وطال الكلام ، وانفض المجلس على أقبح صورة ، وقد وقع التنافر بين بيبرس وسلا بسبب قيام كل منهما في نصرة صاحبه .

وكان من عادة بيبرس أن يركب لسلا عند ركوبه وينزل عند نزوله ، فمن يومئذ لم يركب معه ، وبقي كل منهما يركب في حاشيته وحده ؛ وتوقع الناس الفتنة . (٢٣٦ ب) فبعث الأمير سلا بسنقر الكمالى الحاجب إلى بيبرس ليتلطف به ويعرفه . « إن الجاولى قد علمت ما بينى وبينه من الأخوة ، بحيث أن كلاً منا عمل الآخر وصيه على أولاده بعد موته » ، ويتضرع له حتى يعفو عنه . ففضى إليه وبالح معه في الكلام ، وهو يشتد إلى أن قال : « لا أرجع عنه حتى آخذ منه مال السلطان وأضربه بالمقارع » . وبعث إليه : « إن لم تحمل المال ضربتك بالمقارع حتى تموت مثل الغير » - يعنى ابن الشيخى ؛ وبعث إلى الوزير بذلك أيضاً ، ورسم عليهما حتى يحملا المال . فلما بلغ الكمالى ذلك اسلا قامت قيامته ، إلا أنه كان كثير الإدارة عاقلا . وأخذ الجاولى في بيع خيله وقاشه وأمتعته (٢٣٧) بباب القلة على الأمراء ، فشق عليهم ما نزل به وشروا مبيعته بأضعاف ثمنه ، ليردوه إليه إذا صلح حاله مع الأمير بيبرس ، تقرّبا لخاطر الأمير سلا .

وتمادى الحال عدة أيام وبيبرس وسلا لا يجتمعان ؛ واستعد الأمراء البرجية الزام بيبرس ، وصاروا يركبون بالسلاح من تحت ثيابهم خوفاً من وقوع الفتنة ، وترقب الناس الشر في كل يوم ، وتحذثوا به . فركب الأمراء الأكابر : أقوش قتال السبع ، وبيبرس الدودار ، وبرئعى ، وأبيك الخازندار ، وسنقر الكمالى ، وبكوت الفتاح ، في آخرين إلى

الأمير بيبرس الجاشنكير، وتحدثوا معه في تسكين الشر وإخماد الفتنة . وما زالوا (٢٣٧ ب) به حتى رفع الترسيم عن الجاولي بشرط أن يخرج إلى الشام بطّالاً ، وقاموا من عنده إلى الأمير سلار ، وما زالوا به حتى وافق على سفر الجاولي ، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه ، ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بإمرة طبلخاناه .

وفيها أفرج عن صاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا بعدما حمل نحو الثمانين ألف درهم ، واصطلاح بيبرس وسلار ، ثم تحدّثا في أمر الوزارة ومن يصلح لها ، فعين سلار التاج بن سعيد الدولة ، فقال بيبرس : « لأنه لا يوافق ، فقد عرضتها عليه وامتنع منها » ، فقال سلار : « دعني ولياها » ، فقال : « دونك ا » ، وتفرّقا . فبعث سلار إلى التاج أحضره ، فلما دخل عليه عبّس في وجهه وصاح بانزعاج : « (٢٣٨ ا) هاتوا خلعة الوزارة » ، فأحضرها ، وأشار إلى التاج بلبسها فتمنع ، وصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه . فخاف الإخراق به لما يعلمه من بغض سلار له ، ولبس التشرّيف في يوم الخميس خامس عشر المحرم ، وقبل يدا الأمير سلار فبشّ له ووصّاه ، وخرج من دار النياحة بالقلعة إلى قاعة صاحبها ، وبين يديه النقباء والحجاب ، وأخرجت له دواة الوزارة والبقلة ، فعلّم على الأوراق وصرّف الأمور إلى بعد العصر ، ونزل إلى داره . وبلغ ذلك الأمير بيبرس فسرّ به ، لأنه كان من غرضه .

وأصبح الناس يوم الجمعة إلى دار الوزير تاج الدين أبي الفتوح بن سعيد الدولة ينتظرون ركوبه ، فلم يخرج إلى أن علا النهار (٢٣٨ ب) ، [و] خرج غلامه وقال : « يا جماعة ! القاضي عزل نفسه وتوجه إلى زاوية الشيخ نصر المنبجي »^(١) ، ففترقوا ، وكان لما نزل إلى داره توجه ليلا إلى الشيخ نصر ، وكان خصيصا به ، وله مكانة عند الأمير بيبرس ، وبعث بتشرّيف الوزارة إلى الخزانة السلطانية بالقلعة ، وأقام عند الشيخ نصر مستجيراً به ، فكاتب الشيخ نصر إلى بيبرس يشفع فيه ، ويقول له إنه قد استعفى من الوزارة وقال إنه لا يباشرها أبداً ، ويقصد أن يقيم في الزاوية مع الفقراء يعبد الله .

(١) في ف « المسحى » . انظر ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٢) ، حيث توجد ترجمة قصيرة لهذا الشيخ العابد ، المتوفى سنة ٧١٩ هـ .

فأخذ بييرس الورقة ودخل على سلار، فلما وقف عليها قال: « قد أعفيناه ، فأحضره حتى نستشير فيمن يلي الوزارة » ، فأحضره بييرس إليه فاعتذر ، وأشار بوزارة (١٢٣٩) ضياء الدين أبي بكر بن عبد الله بن أحمد النشائي^(١) ناظر^(٢) الدواوين ، فاستدعى وخلع عليه في يوم الاثنين تاسع عشره . فباشر [ضياء الدين] الوزارة ، وليس له منها سوى الاسم ؛ وصار التاج يدبر الأمور ، ولا يصرف شيء إلا بخطه ، ولا يفعل أمر^(٣) إلا بحكمه .

وفي سادس صفر خلع على التاج بن سعيد الدولة ، واستقر مشيراً^(٤) وناظراً على الوزارة وسائر النظائر مصرأ وشامأ ، ومنفرداً بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالاستدارية ونظر الصحبة ونظر الجيوش ، وكتب له توقيع لم يكتب لمتعمم مثله . وصار يجلس بجانب الأمير سلار نائب السلطنة ، فوق كل متعمم من الكتاب ، ونفذ حكمه ومضى قلبه في سائر أمور الدولة ، (٢٣٩ ب) . فألان الوزير جانبه له وخفف^(٥) جناحه بكل ممكن . واستقر عز الدين أيدهم الخطيرى أستاذاراً عوضاً عن سنجر الجاولي .

وفيها قدم الرسل الذين توجهوا إلى الملك طقاي^(٦) صاحب بلاد الشمال ، وهم الأمير بلجبان الصرخدى ورفقته ، ومعهم نامون^(٧) رسول طقاي بهدية سنية ، وكتاب يتضمن أن عسكر مصر تسيّر إلى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان ، ويكون لكل منهما ما يصل إليه من البلاد . فأكرم الرسول وجهزت له الهدايا ، وأجيب بأن الصالح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه ، فإن حدث غير ذلك عمل

(١) في ف « اللشاي » . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 134) .

(٢) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، كشف الألفاظ الاصطلاحية) .

(٣) في ف « امرا » .

(٤) يضح بما يلي أن هذه الوظيفة كانت من مستحبات ذاك العام ، على أنه كان من مصطلح دولة المماليك أن يلقب الوزير بلقب « مشير الدولة » ، أو « مشير السلطنة » أو « مشير الملوك والسلطانين » . انظر الفلشندي (صبح الأعشى ، ج ٦ ص ٧٠) .

(٥) في ف « حفظ » ، والرسم المثلث هنا ب (٣٠٨ ب) .

(٦) في ف « طقاي » ، والرسم هنا مما سبق وروده بصفحة ٧ ؛ وسيدأب النشر على هذا الرسم فيما يلي بمر إشارة أو تعليق .

(٧) كذا في ف ، وفي ابن أبي الفضائل (كتاب التهيج السديد ، ج ٣ ، ص ١١٧) .

بمقتضاه ؛ وسير إليه الأمير بدر الدين بكش^(١) الظاهري ، ونفر الدين أياز الشمسي أمير آخور ، وسنقر (١٢٤٠) الأشقر ، وأحد مقدى الحلقة .

وفيها نقل شهاب الدين غازي بن أحمد بن الواسطي من نظر الدولة ، ومعه^(٢) تاج الدين عبد الرحيم بن السهوري ، إلى نظر حلب . وسبب ذلك أنه كان يعادى التاج بن سعيد الدولة ، بحيث إنه كان سبياً في ضرب سنقر الأعسر له بالمقارع أيام وزارته حتى أسلم . وكان طويل اللسان ، يعرف بالتركي ، ويدخل الأمراء ، فإذا دخل ابن سعيد الدولة إلى بيت أمير وهو هناك لا يقوم له ولا يلتفت إليه . فلما تحدث [ابن سعيد الدولة] في أمور المملكة ثقل عليه ابن الواسطي ، وما زال بالأمير يبهرس إلى أن كتب توقيعه بنظر حلب ، وبُعث إليه . فقام^(٣) لما جاءه التوقيع . وقال : « واثقه لقد كنت قانعا بجهنم عوضاً (٢٤٠) » عن موافقة ابن تقيس الدولة ، « وسار إليها .

وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي من شد الدواوين بدمشق إلى الحجوية ، على عادته^(٤) في ثامن ذي الحجة ، واستقر عوضه في الشد الأمير جمال الدين أقوش الرستمي والى القاهرة بالصفة القبلية ، بعدما ألزم بثمانمائة ألف درهم في أربع سنين .

وفيها قدم البريد من دمشق بقدم رجل من بلاد التتر يقال له الشيخ بُراق ، في تاسع جمادى الأولى ، ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة : لهم هيئة عجيبة ، وعلى رؤوسهم كلاًوت^(٥) لباد مقصصة بعائم فوقها ، وفيها قرون من لباد شبه قرون الجاموس فيها أجراس ، ولحام محلاة دون شواربهم ، ولبسهم لبايد بيضاء ، وقد تقلدوا (١٢٤١) بحبال منظومة بكعاب البقر ، وكل منهم مكسور الثنية العليا ، وشيخهم من أبناء الأربعين سنة ، وفيه لإقدام وجرأة وقوة نفس وله صولة ، ومعه طبائخا ناه تدق له نوبة ، وله محتسب على جماعته

(١) في ف « بكش » . انظر (Zetterstéen : Cit. p. 155) .

(٢) في ف « رفته » .

(٣) في ف « فقال » .

(٤) لعل المقصود بذلك أنه ظل على إقطاعه القديم وراتبه .

(٥) في ف « كلاًوت » ، وهو أحد جوع لفظ كاوتة . انظر المقرئ : « كتاب السلوك » ج ١ ،

ص ٤٩٣ ، ٨٣٠) ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

يؤدب كل من ترك شيئاً من سنته بضرب عشرين عصاً تحت رجله ، وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة ؛ وأنه قيل له عن زيه ، فقال : « أردت أن أكون مسخرة الفقراء » ؛ وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبعا ضاريا ، فركب على ظهر السبع ومشى به ، فجُلَّ في عين غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار ؛ وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه ، وكان هناك نعامه قد تفاقم شرها ولم يقدر أحد على (٢٤١ب) الدنو منها ، فأمر النائب بإرسالها عليه ، فتوجهت نحوه فوثب عليها وركبها ، فطارت به في الميدان قدر خمسين ذراعاً في الهواء حتى دنا من النائب فقال له : « أطيّر بها إلى فوق شيئاً آخر ؟ » ، قال : « لا ، » ، وأنه أنعم عليه وهاداه الناس . فكُتِبَ بمنعه من القدوم إلى مصر ، فسار إلى القدس ورجع إلى بلاده ؛ وفيهم يقول السراج من موشحة (١) طويلة أولها :

جنتنا عجم من جئوا الروم صور تحير فيها الافكار
لهم قرون مثل الشيران إبليس يصيح منهم زهار

وفيها عاد الأمير طقّصها ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص ، بعد غيبتهم تسعة أشهر ، ومقاساة أهوال في محاربة السودان وقلة الزاد .

وفيها منع الأميران بيبرس (١٢٤٢) وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحكاكي خارج القاهرة ، لكثرة ما كان يحصل من الفساد والنظاير بالمنكرات ، وتبرج (١) النساء في المراكب وجلسن مع الرجال مكشوفات الوجوه بكوافي الذهب على رؤوسهن ، وتعاطين الخمر ، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك ، وتقتل القنلى العديدة . فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر ، وأمامها مراكب النزهة فامتنعت ، وعد ذلك من أحسن الأفعال .

وفيها كملت عمارة الجامع الذي أنشأه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بسفح جبل

(١) ليس ما يلي من الموشحات ، وإنما هو من الموالى ، لأن الموشحات ينظم فيها اللفظ العربي الصحيح ، والموالى لا تتطلب ذلك ، كما بالمتن هنا .

(٢) في ف « تبرج » ، والصحيح ما أثبت بالمتن ، وهو لإظهار النساء زينتهن للرجال . (قاموس المحيط ، على أن لفظ التبرج قد جرى في استعمال المتأخرين بهذا المعنى أيضا ، وفي Quatremère : Op. Cit. II. 2. p. 269, N. 59) أمثلة كثيرة على ذلك .

قاسيون ، وخطب به القاضي شمس الدين بن العز الحنفى ، يوم الجمعة رابع عشرى شوال .
وفيهما ولى قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن (٢٤٢ ب) على بن الشيخ
صفي الدين أبي القاسم محمد البصروى ، فى تاسع عشرى ذى القعدة ، عوضاً عن
شهاب الدين أحمد الأذرعى .

وفيهما قدمت رسل صاحب سيس بالحل ، بعد ما أطلق مائتين وسبعين أسيراً من
المسلمين ، قدموا حلب .

وفيهما ولى جلال الدين محمد القزوينى خطابة دمشق ، بعد وفاة شمس الدين محمد
ابن أحمد [بن (١) عثمان] الخلاطى فى شوال .

وفيهما أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية فى آخر يوم
من رمضان ، بعد ما جمع القضاة والفقهاء ، وبعثوا إليه ليحضر من الاعتقال فامتنع ،
وترددت إليه الرسل مراراً فلم يحضر ، وانفضوا من عند سلار . فاستدعى بأخويه
شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن (٢٤٣) ، وجرى بينهما وبين القاضي
[زين (٢) الدين بن مخلوف] الممالكى كلام كثير . ثم اجتمع شرف الدين والممالكى
ثانياً عند الأمير سلار ، وحضر ابن عدلان ، وتفرقوا عن غير شيء .

ومات فى هذه السنة من له ذكر شهاب الدين أحمد بن عبد الكافى بن عبد الوهاب
البُليّنى (٣) الشافعى ، أحد نواب القضاة الشافعية خارج القاهرة ، وكان صالحاً ديناً فاضلاً .
ومات الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا الأذرعى الحنفى الدمشقى ، محتسب
دمشق ووزيرها . ومات الأمير عز الدين أيبك الطويل الخازن دار المنصورى ، فى حادى عشر
ربيع الأول بدمشق ؛ وكان كثير البر ديناً . ومات الأمير بدر الدين بك تاش الفخرى أمير
سلاح الصالحى النجمى (٢٤٣ ب) ؛ أصله من ألبك الأمير نحر الدين يوسف بن شيخ
الشيوخ ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فترقى فى الخدم حتى صار من أكابر

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن العاد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٤) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين مما تقدم بالمتن . (انظر ص ١٨) .

(٣) بغير ضبط فى ف ، وهو وارد فى ب (٣٠٩ ب) برسم « البلى » ، والنسبة إلى بلدة البلىنا
التابعة لمديرية جرجا الحالية . (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٨٢) . انظر أيضاً الأدفوى (الطالع
السعيد ، ص ٤٥) ، حيث توجد ترجمة قصيرة لهذا الشيخ .

الأمراء ؛ وخرج إلى الغزاة غير مرة ، وعُرف بالخبر وعلو الهمة وسداد الرأي وكثرة المعروف ؛ ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى ، وأشار بعود الناصر محمد بن قلاوون^(١) فأعيد ، ومات — بعد ما استرجع^(٢) إقطاعه — بالقاهرة في ربيع الأول ، عن ثمانين سنة ، وهو آخر الصالحية ، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة . ومات الأمير سيف الدين بَلَسْبَان الجُؤ كندار المنصوري ؛ ولى نيابة قلعة صفد وشد الدواوين بدمشق ثم نيابة قلعتها ، ومات وهو نائب حصنها (١٢٤٤) ؛ وكان خيرا . ومات الشيخ سيف الدين الرجيجي^(٣) بن سابق بن هلال بن الشيخ يونس اليونسي شيخ الفقهاء اليونسية^(٤) ؛ قدم من العراق ، فصارت له حرمة وافرقة في الأيام المنصورية قلاوون حتى مات ، وله أتباع كثيرة ؛ فخلفه ابنه حسام الدين فضل . ومات الطواشي شمس الدين صواب السهيلي بالكرك عن مائة سنة ، وكان له برٌّ ومعروف . ومات

(١) لم ترد هذه الحقيقة في موضعها بهذا الوضوح بالجزء الأول من هذا الكتاب ، (ج ١ ، ص ٨٦٩ ، وما بعدها) .

(٢) المقصود بذلك أنه ترك الإمرة وتكاليفها وإقطاعها ، وكان ذلك بسبب مرضه . انظر ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٤) . وهذه الحقيقة توجب الالتفات في نظم الحكم المملوكية ، إذ المسروف أن الإقطاع لا يرتفع إلا بموت شاغله أو عزله ، وكان لذلك ديوان خاص اسمه ديوان المرتجعات . انظر القلة شندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣) .

(٣) في « رجعى » فقط . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٨٠) .
(٤) عرف القرينى (المواظف والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٤٥) هذه الطائفة بأنها من الروافض ، وأن مؤسسها يونس بن عبد الرحمن القمى ؛ ثم تعرض للوضوح مرة ثانية عند ذكر الزونية اليونسية خارج القاهرة قرب اللوق ، حيث كانت تنزل تلك الطائفة (نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٣٥) ، فقال ما نصه : « ويونس المنسوب إليه الطائفة اليونسية غير واحد ، فهم يونس بن عبد الرحمن القمى مولى آل يقطين ، وهو الذى يزعم أن معبوده على عرشه تحمله ملائكته ، وإن كان هو أقوى منها ، كالكركي تحمله رجلاه وهو أقوى منهما ، وقد زعم من زعم ذلك ، إن الله تعالى هو الذى يحمل العرش وحملته ؛ وهذه الطائفة اليونسية من غلاة الشيعة ، واليونسية أيضا فرقة من المرجئة ، ينتمون إلى يونس السموى ، وكان يزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له ، وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له ، فن اجتمعت فيه هذه الخلال فهو مؤمن ؛ وزعم أن إبليس كان عارفا بالله ، غير أنه كفر باستكباره عليه . ومنهم . يونس بن يونس مساعد الشيباني ثم المخارق شيخ الفقهاء اليونسية ، شيخ صالح له كرامات مشهورة ، ولم يكن له شيخ ، بل كان مجذوبا ، جذب إلى طريق الخير ، توفى بأعمال دارا في سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وقد ناهز تسعين سنة ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، وإليه تنسب هذه الطائفة اليونسية » . هذا ويوجد في الأسفرايينى (كتاب التبصير في الدين ، ص ٥٩ - ٦٠) فرقة يونسية أخرى ، تنسب إلى يونس بن عون ، والرأى عندها : « أن الإيمان في القلب وفي اللسان ، وحقيقته المعرفة لله سبحانه والمحبة له والخضوع له والتصديق لرسوله وكتبه » .

ضياء الدين عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي الشافعي ، بدمشق في تاسع عشر جمادى الأولى ؛ وله شرح الحارثي في الفقه ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، ودرس مدة بدمشق . ومات بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجكسي (١) العمرى ، أخو كاتب السر شرف (٢٤٤ب) الدين عبد الوهاب ومحيي الدين يحيى ، وقد جاوز سبعين سنة . ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى خطيب دمشق ، فجأة في ثامن شوال ؛ وكان صالحا معتقدا . ومات محمد بن عبد العظيم بن علي بن سالم القاضى جمال الدين أبو بكر بن السفطى الشافعي ؛ ولد سنة ثمان عشرة وستائة ، وناب في الحكم بالقاهرة أربعين سنة ، ثم تعفف عن الحكم ، ومات بالقاهرة ليلة الاثنين جمادى عشر شعبان . ومات الأمير فارس الدين أصلم الرادى في رابع ذى القعدة بدمشق . وفي نصف ذى القعدة مات الأمير سيف الدين كاوركا المنصورى . ومات الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى (١٢٤٥) بالقاهرة ، في سابع عشر ذى الحجة . ومات الطواشى عز الدين دينار العزى الخازندار الظاهرى ، يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول ؛ وكان خيرا دينا محبا لأهل الخير ، وكان درادار الملك الناصر (٢) وناظر أوقاف الملك الظاهر . ومات ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيى بن أبى بكر بن حمادة ؛ وثب عليه سعادة الخصى أحد مواليه في بعض حجره ، وقد خضب رجله بالخناء وهو مستلق على قفاه ، فطعن طعنات قطع بها أمعاءه ، وخرج فادرك وقتل ؛ فمات السلطان آخر يوم الأربعاء سابع ذى القعدة ، وأقيم بعده أبوثابت عامر ابن الأمير ابن عامر بن (٢٤٥ب) السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة .

* * *

سنة سبع وسبعائة . فيها ورد الخبر بأن الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن كثرت ظلمة الانجار ، وأخذ أموالهم ، وترك إرسال الهدية إلى مصر على العادة بعد أن عزم

(١) في ف « محلى » . انظر ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٤) .

(٢) يظهر أن هنا غلطا ، فليس بين سلاطين المالك من لقبه الناصر قبل السلطان محمد بن قلاوون ، وهو لاحق للسلطان الظاهر بعبس المنسوب إليه ذلك الطواشى ؛ هذا وليس بين المراجع المتداولة في هذه الجواشى من كان اسمه دينار بن درادارية السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى تلك السنة ..

على تجهيزها ، وقصد أن يبعث الأموال إلى مكة ليقدّم اسمه على اسم سلطان مصر في الدعاء . فكُتِبَ إليه من قبل السلطان ومن قبل الخليفة أبي الربيع سليمان بالإنداز والإرهاب ، وَجُمِّزَا على يد نجاب ورُسمَ لِسْكَل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال لها جَلْبَنَة^(١) ، وعمارة قياسية^(٢) لطيفة يقال لها (١٢٤٦) فلو^(٣) برسم حمل الأزواد وغيرها ، وتسفير ذلك إلى الطور على الظهور ليرى على بحر القلزم ، ونزو بلاد اليمن . فاشترك كل أمير مقدم ألف ومضافيه في عمل جلبة وفلوة ، ونَدِبَ لعملها الأمير عز الدين أيك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين ، وسافر إلى قوص . . .

وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه ، ومنعه من التصرف ، وضيق يده ؛ وشكا ذلك لخاصكته . واستدعى الأميرَ بكتمر الجوكندار أمير جاندار في خفية ، وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين ، فقرر [الأمير] أن القلعة إذا أغلقت في الليل ، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة ، [و] لبست عماليك (٢٤٦ ب) السلطان السلاح ، وركبت الخيول من الإسطبل ، وسارت إلى إسطبلات الأمراء ، ودُقَّتْ كوسات السلطان بالقلعة دقا حريياً ليجتمع تحت القلعة من هو في طاعة السلطان ، ويهجم بكتمر الجوكندار في عسدة على بيتي بيبرس وسلار بالقلعة ، ويأخذونهما^(٤) . وكان لِسْكَل من بيبرس وسلار أعين عند السلطان ، فبلغهما ذلك فاحترسا ، وأمر الأمير سيف الدين بكتبان الدمشقي وإلى القلعة — وكان خصيصاً بهما — أن يوم أنه أغلق باب القلعة ، ويُطَرَّف^(٥) أقفالها ، ويعبر بالمفاتيح على العادة ، ففعل ذلك . وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم ، وانتظروا بكتمر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم (١٢٤٧) يحضر ، وبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار ، قد حلف لها على القيام معهم . فلما طلع النهار ظلَّ السلطان أن بكتمر قد غدر به ، وترقَّبَ المكروه من الأمراء .

(١) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧) .

(٢) القياسة — والجمع قياسيس — سفينة تستعمل للإبحار في المياه القليلة العمق ، كشلوى البحار . وتكون عادة عريضة المساحة ، قليلة الارتفاع ، بطيئة السير . انظر (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

(٣) انظر تعريف هذا النوع من السفن في ابن أبي الفضائل (كتاب التهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ٢٧٠) .

(٤) في ف « ياخذوها » .
(٥) المعنى أنه لا يمكن إقفالها ، بأن يجعل ألسنة الأقفال في الطرف فقط : (انظر محيط المحيط) .
(١ - ٤)

وأما بكتمر فإن بيبرس وسلاسلما بلغهما الخبر خرجا إلى دار النيابة بالقلعة ، ود بيبرس أن يهجم على بكتمر ويقتله ، فمنعه سلاسلما كان عنده من التثبيت والتوثق وأشار بالإرسال إليه ليحضر حتى تبطل حركة السلطان . فلما أناه الرسول تحير والامتناع ، واستبس ممالكه السلاح . ثم منعهم وخرج ، فمستغه سلاسلما على مائة فأنكر وحلف لهم على أنه معهم ، وأقام إلى الصباح ، ودخل مع الأمراء إلى الخدمة الأمير سلاسل . ووقف أزام (٢٤٧ ب) بيبرس وسلاسل على خيولهم بباب الإسمترقين خروج الممالك السلطانية ، ولم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطان وتشاوروا . وقد أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان ، وأخرجاه الكوك ، فلم تفتح الأسواق ، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة . وبقي الأتباعهم مجتمعين ، وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفا من نزوله من باب السر . وأعدة ممالك ، وأوقفهم مع الأمير سيف الدين سمسك^(٢) أخى سلاسل على باب الإسم فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطنبول حرس وحركة من قيام إلى السلطانية ولبسهم السلاح ، لينزلوا بالسلطان على حمية (١٢٤٨) من الإسطنبول وتوقعوا الحرب ، فمنعهم السلطان من ذلك ؛ وأراد سمسك^(٣) إقامة الحرمة ، بالنشاب وضرب الطبل ، فرقع سهم بالررف^(٤) السلطاني . واستمر الحال على إلى أذان العصر من الغد ، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول : « ما سبب الركوب باب إسطنبول ؟ إن كان غرضكم في الملك فهل^(٥) أنا متطلع إليه ؟ فنخذه وابعثوا موضع أردتم » . فردوا إليه الجواب مع الأمير بيبرس والدوا دار والأمير عن

(١) في ف « يريدون قتل السلطان وأخراجه . . . » ، وصيغة النتيجة هنا من ب (١١)

(٢) كذا في ف بغير ضبط ، انظر ما يلي ص ٣٥ ، حاشية ٢

(٣) في ف « سمسك » . انظر الحاشية السابقة .

(٤) الررف السلطاني موضع بطرف القلعة الجنوبي على ما يظهر مما يلي ، إذ عمره السلطان خليل بن قلاوون ، وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها . وكان قد يبضه ، وصور فيه أمرا وخوامصها ، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها ، وجعله مجلسا يجلس فيه ؛ واستمر جلوس به حتى هذه السلطان الناصر محمد سنة ٧١٢ هـ ، وعمل مكانه برجا بجوار الإسطنبول السلطاني ، والممالك السلطانية ، وهو المعروف باسم برج الررف . المقرئ : المواعظ والاعتبار ، ج ٢١٢ — ٢١٣ .

(٥) في ف « ما ابا » .

أيك الخازن دار والامير برأى الأشرفى ، بأن « السبب هو مَنْ عند السلطان من الممالك الذين يحرضونه على الأمراء » ؛ فعتبهم على ما هو فيه ، وأنكر أن يكون أحد^(١) من ممالكك ذكر له شيئاً عن الأمراء .

وفى عودهم من عند السلطان (٢٤٨ ب) وقعت ضجة بالقلعة : سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر ، فلما رأوا السلطان قد وقف بالرفرف ، وحواشى يبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرين ، حنقوا من هذا وصرخوا ، ثم حلوا يداً واحدة على الأمراء يباب الإسطبل ، وهم يقولون : « يا ناصر ! يا منصور ! » . فأراد سُمك^(٢) قتلهم ، فنهض مَنْ معه من الأمراء . وبلغ ذلك يبرس وسلار ، فأركبا الأمير [سيف الدين] بتُخاص^(٣) المنصورى فى عدة ممالك إلى العامة ، فضر بهم بالدبابيس ليتفرقوا ؛ فاشتد صياحهم ؛ « يا ناصر ! يا منصور ! » ، وتكاثر جمعهم ودعاهم للسلطان ، وصاروا يقولون : « الله بخون من يخون بن قلاون » ؛ وحملت^(٤) طائفة منهم على بتخاص ورجته^(٥) طائفة أخرى ، فجرّد السيف ليضعه (١٢٤٩) فيهم ؛ ثم خشي العاقبة وأخذ يلاطفهم ، وقال : « طيبوا خواطركم ، فإن السلطان قد طاب خاطره على الأمراء » ، وما زال بهم حتى تفرقوا وعاد .

فبعث الأمراء ثانياً إلى السلطان بأنهم ممالك وفى طاعته ، ولا بد من إخراج الشباب^(٦) الذين يرمون الفتن ؛ فامتنع من ذلك واشتد ، فما زال به يبرس الدوادار وبرلى حتى أخرج بهم إلى الأمراء ، وهم يلبّون بالترجمان وأيدمر المرقبي وخاص ترك . فهددهم يبرس وسلار وبخام^(٧) وقصدا^(٨) تقيدهم ؛ فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية

(١) فى « احدا » .

(٢) هذا الاسم مضبوط فى ف بصم السين فقط ، وفى (Zetterstéen : Op. Cit. P. 152) من

اسمه سموك .

(٣) فى ف « بدخاض » بغير ضبط ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 40) ،

وابن تدرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣) ، ومنها أيضاً أضيف باين المحاصرين ، وسيدأب التاشر على تصحيح هذا الاسم بتلك الصيغة فيما لا يغير تعليق .

(٤) فى ف « وحل » .

(٥) فى ف « ورجه » .

(٦) سمي المقيزى أولئك الشباب فيما لا بهذه الصفحة .

(٧) فى ف « بوخهم » .

(٨) فى ف « وقصدوا » .

لخاطر السلطان ، وأُخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد . ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبّلوا الأرض ، ثم قبلوا يده ، فأبيضت عليهم الخلع ، وعلى الأمير (٢٤٩ ب) بيبرس وسلار في ثأله .

ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب في أمرائه إلى الجبل الأحمر ، حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة خمدت ، فأجاب وخرجوا . وبات السلطان في قلق زائد وركب عظيم لإخراج ممالكه ، وركب من الغد بالأمراء إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر ، وعاد بعد ما قال لبيبرس وسلار : « إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار » ؛ وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس وحادثه ، فتذكر غدره به ، وشق عليه ذلك . فتلففوا به في أمره فقال : « والله ما بقيت لي عين تنظر إليه ، ومتى أقام في مصر لا جلست على كرسي الملك أبداً » ؛ فأخرج من وقته إلى قلعة الصيفية في خامس عشره ، واستقر عوضه أمير (١٢٥٠) جاندار^(١) بدر الدين بكتوت الفتاح ، فلما مات سنقر شاه نائب صفد استقر عوضه بكتمر الجوكندار . وتوجه الأمير كراي المنصوري إلى بلدة أدفو بالصعيد ، وهو حنق على الأمير بيبرس الجاشنكير . وفيها عمّر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برجة باب العيد من القاهرة ، ووقف عليها أوقافاً جليلة ، مات قبل فتحها ، وأغلقها الملك الناصر مدة ، ثم أمر بفتحها ففتحت ، ورُتب فيها عدة من الصوفية . وبنى بيبرس أيضاً تربة بها ، فاستمرت مغلقة^(٢) إلى آخر سنة خمس وعشرين [وسبعائة] . وأنشأ الأمير عز الدين أيك الأفرم نائب دمشق جامعاً بصالحية دمشق ، وبعث (٢٥٠ ب) يسأل في أرض يوقفها عليه ، فأجيب بأنه يعيّن ما يختار .

وقدم البريد من حلب بوصول الأمير فتح الدين بن صبرة ، وقد خلص من بلاد التتار ، ومعه جماعة^(٣) من أسرى الأجناد في نوبة سيديس ؛ فأعيد له إقطاعه على عادته . وورد كتاب الأمير كراي المنصوري بالشكوى من وإلى توّص ؛ ومن غده قدم

(١) عبارة « واستقر عوضه أمير جاندار » مكررة في ف ، وهذا من غلط الناسخ .

(٢) في ف « مغلوته » .

(٣) في ف « حماد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣١٢) .

كتاب متولى قوص بأن كراى ظلم فلاحيه بأدفو ، وأخذ دواهم ، وعمل زاداً كبيراً ليتوجه إلى بلاد السودان ؛ فكتب لكرای بالحضور سريعاً ، وكتب لوالى قوص بالاحتراس على كراى وأخذ الطرقات من كل جانب .

وفيها أحضرت خاصكية السلطان من القدس ، وذلك أن الأمير أقوش الأفرم نائب الشام (١٢٥١) بعث إلى الأميرين بيبرس وسلار يلومهما على ما وقع من نفي خاصكية السلطان ويشير بردهم ، وأنه متى لم يرسم بردهم حضر^(١) بنفسه وأعادهم . فلم يسعهما إلا إحضارهم ، وأنعم على كل من يلبغا التركاني وألطنبغا الصالحى وبلجان الزراق بإمرة عشرة . واستقر شهاب الدين أحمد بن علي بن عبادة في نظر المارستان المنصورى . وقدم الأمير كراى من الضعيف قمارض في بيته ، ولم يطأ سع إلى القلعة ، ثم سأل الإعفاء من الإمرة ، وأن يقيم بالقدس بطالاً^(٢) ، واعتذر بكثرة أمراضه ، فأجيب إلى ذلك ، وولى نظر القدس والخليل بحار يقوم بكفايته ، وتوجه من القاهرة ؛ فأنعم بإقطاعه على الأمير سيف الدين بتخاص المنصورى .

(٢٥١ ب) وفيها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن ، وعزل الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه : وذلك أنه خشى من أن السلطان يدبر عليه حيلة أخرى ، وقد لا يتهيأ له إفسادها فيؤخذ ؛ ومع ذلك فإنه شق عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خوشداشيتته البرجية ، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء ، واشتدت شوكة بيبرس بهم ، وعظمت مهايته وانبسطت يده في التحكم ، بحيث إنه أخرج الجاولى بغير اختيار سلار ، وانفرد بالركوب في جمع عظيم . و [قد] قصد البرجية في نوبة بكتمر الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك ، ويسلطن بيبرس لولا ما كان من صنع^(٣) سلار (١٢٥٢) بسياسة وتدبير

(١) في ف « والا حذر نفسه » .

(٢) البطال لفظ جرى في مصطلح دولة المماليك للدلالة على الأمير الذى يزول عنه إقطاعه بعزله عن وظيفته ونفيه ؛ وهناك أيضا لفظ « طرخان » ، ومناه الأمير المتقاعد دون أن يكون منضوبا عليه ، وكان لمثل هذا النوع الثانى من الأمراء أن يقيم حيث يشاء . راجع (Poliak: Op. Cit. p. 32) (N.7 ، وما به من المراجع .

(٣) في ف « منع » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣١٢ ب) ، وهى أبلغ وأحسن لأداء المعنى المراد .

حتى وقع الصلح مع السلطان . فخاف [سلا] عواقب الأمور مع السلطان ومع
بيبرس ، وتحيّل في الخلاص من ذلك بأنه يحجّ في جماعة من أزمه وأتباعه ، ثم يسير
إلى اليمن ويتملكها ويتمنّع^(١) بها . فظن بيبرس بهذا ، ودسّ إليه من الأمراء من
ثني^(٢) عزمه عن ذلك . وشرع في الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجّزت ، وجّهزت
الأسلحة والأمتعة ؛ ثم اقتضى الرأي تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن ،
فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض ، وما زال منقطعاً بداره حتى مات ،
وعيّن الأمير سيف الدين نوغاي القبجاق أمير الركب ، وخرج بالحاج على العادة .
وقدم البريد من حلب (٢٥٢ ب) بقتل هيتوم^(٣) ممتلك سويس على يد بعض
أمراء المغل : وذلك أن هيتوم كان يحمل القطيعة إلى المغل كما يحملها إلى مصر ، ويحضر
إليه كل سنة أمير من أمرائهم حتى يقسم الحمل ؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا ،
وقد أسلم وحسن إسلامه ، فعزم على بناء جامع بسويس يعلن فيه بالأذان ، كما تجهر
هناك النصراني بضرب النواقيس . فشقّ ذلك على هيتوم ، وكتب إلى خربندا بأن
برلغوا^(٤) يريد إلحاق بأهل مصر ، وبناء جامع بسويس . فبعث [خربندا] بالإنكار
على برلغوا ، وتهدّده وألزمه بالحضور ؛ فغضب [برلغوا] من هيتوم ، وصنع طعاماً
ودعاه ، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا ، فحضر وهو
آمن في جماعة من أكابر (١٢٥٣) الأثر من وأخوان له . فعندما مدوا أيديهم إلى
الطعام أخذتهم السيوف من كل جانب ، فقتلوا عن^(٥) آخرهم ؛ ولم ينج سوى أخوه
ليفون في نفر قليل ، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه ؛
وقدم عليه أيضاً برلغوا ، فقتله بقتله هيتوم ؛ ووّلى ليفون مملّكة سويس وسيره إليها .

(١) كذا في ف ، والمعنى أن يحتسب بها . (محيط المحيط) .

(٢) في ف « اثني » .

(٣) في ف « هيتوم » ، بالنون ، سيدأب النثر على هذا الصحيح فيما يلى بغير تعليق . انظر
المقريزي (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥١٠ ، حاشية ١) ، وغير ذلك من الصفحات المينة بكشاف
الأسماء هناك .

(٤) في « براني » ، وقد روى لميراد هذا الاسم حسبما ورد سابقاً بهذه الصفحة حتى لا تختلط
العبارة على القاري .

(٥) في ف « من عند آخرهم » ، وهو تعبير غريب .

وفيها بعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة ، مع الأمير علاء الدين أيدغدى شقير مملوك منكوتر ، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير ، ثم بالأمير بهادر آص .

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً وإحدى وعشرين إصباعاً . وهب في برميات الموافق لشوال من جهة الغرب (٢٥٣ ب) ريح عند إدراك الغلال ، فهافت^(١) وجف أكثرها ، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير ، ومنها ما كان أقل من بذاره . فتميز سعر الغلة ، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهماً ، ثم انحط .

وفيها استقر الأمير بيبرس العلائي الحاجب في نيابة غزة ، عوضاً عن الأمير أقجبار . وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدغدى الشقيرى ، والأمير سيف الدين قطلوبك^(٢) [والأمير] بهادر [آص]^(٣) .

وفي العشرين من رجب توجه الأمير جمال الدين أفوش نائب الشام لزيارة القدس ، ومعه جماعة من أعيان دمشق ، وعاد في تاسع شعبان .

وفي سابع عشرين رجب توجه ركب العُصار إلى مكة ، صحبة الأمير عز الدين الكوكندى (١٢٥٤) ، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود ، والشيخ نجم الدين بن الرفعة . وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركمانى والأمير بدر الدين بيلىك المحسنى إلى برقا^(٤) في شوال .

وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى ، فأكرمه السلطان وأخلع عليه ؛ فتحدثت في خلاص شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية فأجيب ، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه . ونزل [ابن تيمية]^(٥) بدار الأمير سلالر النائب ، وعقد له

(١) في ف «هافت» .

(٢) في ف « قطلبك » . انظر ص ٣٨ ، ولاحظ أن كلا من الصيغتين صحيح ، وذلك حسبما ورد في (Zettersteden : Op . Cit . pp.54, 57 etc .) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرين مما سبق .

(٤) كذا في ف ، فإذا كان المقصود بذلك بلدة « برقاء » من قرى الصعيد الأتى قرب ألسنا وجبت كتابتها بهزة في آخرها ، أما إذا كان المقصود إقليم برقة المعروف - وهو الراجح - فيلزم تعديلها إلى ذلك الرسم بناءً مربوطة . انظر ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، وما بعدها) . (٥) أضيف ما بين الحاصرين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٤٥) ، وكان الأمير سلالر ينتصر لابن تيمية ، وربما كان ذلك لجرد أن غريمه الأمير بيبرس كان متمصباً عليه .

مجلس حضره ابن الرفعة والتاجي^(١) وابن عدلان والنراوى وجماعة الفقهاء ، ولم تحضر القضاة ؛ وناظروا ابن تيمية ثم انفضوا ، ثم عُقد له بعد سفر منها بن عيسى مجلس آخر بالصالحية . ثم قام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم (٢٥٤ ب) بن عطاء ، وشيخ سعيد السعداء ، وجمعوا فوق الخمسةائة رجل ، وساروا إلى القلعة وتبعهم العامة ، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم في مشايخ الطريقة ؛ فرد أمرهم إلى القاضي الشافعي ، فدفعه عنه إلى تقي الدين على بن الزواوى المالكي ، فحكم بسفر ابن تيمية إلى الشام ، فصار على البريد وحُبس بها .

وفيها بنى الأمير أسبندُمر نائب طرابلس قلعةً مكان حصن صنجيل^(٢) ، وابن الأمير قراستقر نائب حلب قلعة حارم التي خربها هولاكو . ومات في هذه السنة الأمير عز الدين أيدهُمر السناني بدمشق ، وله شعر جيد

ومعرفة بتعبير المناجات ، ومن شعره :

تَخذُ النسيم إلى الحبيب رسولا دنق حكاة رقةً ونحوها
تجرى العيون من العيون صباة فيسيل في أثر الغريق سيولا
ويقول من حسد له ياليتني كنت اتخذت مع الرسول سيلا

ومات الأمير سيف الدين يَبُغُ الناصري [في شعبان]^(٣) ، وترك مالا كبيرا . ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالقي^(٤) المعجمي أحد البرجية^(٥) الصالحية ، [و] كبير الأمراء

(١) في ف « التاجي » .

(٢) في ف « منعل » ، وفي ب (٣١٢ أ) « منجيل » ، والرسم المثبت هنا من : (Quatremère) Op. Cit. II, 2, p. 281 وهذا الموضع هو الذي بناه الكونت راييموند الصليبي المعروف باسم الصنجيل (St. gilles) ، سنة ١١٠٤ م (٤٨٧ هـ) على مقربة من طرابلس ، وسماه باسم تل الحجاج (Mons peregrinus) ، وقد زحف منه يريد الاستيلاء على طرابلس نفسها سنة ١١٠٥ م . انظر (Le Strange : palestine Under The Moslems. pp. 350, 538 ; Stevenson : The Crusaders In The East. p. 54, et Seq.)

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣١٣ ب) .

(٤) شرح ابن عمري بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٧) ، هذا اللفظ التركي بالآتي : « والجالقي باللغة التركية اسم للفارس الحاد المزاج الكثير اللعب » .

(٥) عبارة (البرجية الصالحية) توجب الالتفات ، لفظ الصالحية نسبة إلى الملك الصالح أيوب ، آخر سلاطين الأيوبيين بمصر لإلا واحداً ، ولاشك في هذه النسبة لأنه لا يوجد من بين سلاطين مصر من بعده حتى عهد الناصر بن قلاوون من لقبه الصالح غيره ، كما أنه لا شك أيضاً في أن الأمير ركن الدين بيبرس الجالقي المذكور هنا - وقد عاش نحو ثمانين سنة - قد حضر عهد السلطان الصالح أيوب ، وكانت من مماليكه . لكن المعروف أن لفظ (البرجية) من اختراع السلطان قلاوون ، إذ التواتر في الكتب =

بدمشق ، عن نحو الثمانين سنة ، في نصف جمادى الأولى ، بمدينة الرملة ، وكان ديناً له ثروة وفيه خير : كان يقرض الأجناد عند تجردهم ، ويمهلهم حتى يتيسر لهم ، فعدم له في ذلك مال كبير . ومات شمس الدين خضر بن الحلبي المعروف بشمس الحُرّة^(١) ، وإلى القاهرة ، وكان أبوه خازن دار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق ؛ وقدم الخضر (٢٥٥ ب) إلى القاهرة ، واستقر في ولايتها في الأيام الظاهرية بيبرس والأيام المنصورية^(٢) قلاون ، ثم نقله الأشرف خليل بن قلاون إلى شد الدواوين ؛ وكان ناهضاً أميناً في جميع ما يليه ، مع المعرفة والديانة والمروءة ؛ وكان إذا أراد أن يضرب أحداً قال « شلحوه » ، فعرف بذلك . ومات خطلو شاه نائب التتر ؛ وكان مقدمهم يوم شقحب ؛ وكان كافراً فاجراً . ومات الأمير علاء الدين مغلطاى البيسرى^(٣) ، أحد أمراء دمشق ، ليلة الاثنين ثانی جمادى الأولى ؛ وكانت له مروءة وشجاعة . ومات الطواشي شهاب الدين فاخر المنصوري مقدم الممالك ؛ وكانت له سطوة ومهابة^(٤) . ومات الشيخ عمر بن يعقوب (٢٥٦ ا) بن أحمد السعودي ، في يوم الأربعاء ثانی رجب ؛ وكان رجلاً صالحاً معتقداً . ومات الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب نغر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن

٢٠ كالقريري مثلاً (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥٦) أنه كان قد أفرد من مشترياته من الممالك ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآس والجركس ، جعلهم في أبراج القلعة وسامم البرجية ، فإذا صح أن لفظ الصالحية هنا نسبة إلى الملك الصالح أيوب - وليس لدينا ما ينقض ذلك - فإن لفظ البرجية يرجع أصله إلى ما قبل عهد قلاوت ، وبنى عليه أت ما تواضع عليه المؤرخون من تسمية دولة الممالك الثانية باسم البرجية ، نسبة إلى ممالك قلاون المعروفين بذلك الاسم ، ليس بنجوة من الشك والتجريح . على أنه من الواجب العلم أن يذكر هنا أن ابن تفرى بردي (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٧) وقد ذكر في وفاة هذا الأمير أنه « كان أحد البحرية » ، غير أن ذلك لا يقطع بخطأ المقريري أو ناسخه ، « تقرير تلك المسألة كلها موقوف على مراجعة جميع النسخ الخطية من هذا الكتاب ، وكتاب السلوك المقريري وغيرها من الكتب أيضاً ، ولا سيما كتب المعاصرين لأوائل القرن الثامن الهجري .

(١) انظر مايلي بهذه الصفحة سطر ٨ .

(٢) في ف « الأيام والقلاونية » والصفة المثبتة هنا من ب (٣١٣ ب) وهي أحسن لانضمامها بقية العبارة . (٣) في ف « البشيري » وهو في ب (٣١٣ ب) يرسم « انتري » والصفة المثبتة هنا من ابن حجر (الدور السكينة ج ٤ ص ٣٥٥) ، حيث وردت ترجمة قصيرة لهذا الأمير .

(٤) وصف ابن تفرى بردي (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٢٨) هذا الطواشي وصفاً يدل على شيء من أساليب تربية الممالك السلطانية ونصه : « وكانت له سطوة ومهابة على الممالك السلطانية : بحيث أنه كان لا يستجري أحد أن يمر من بين يديه كائناً من كان ، بحاجة أو بغير حاجة ، وحيثما وقع بصره عليه أمر بضربه » .

رحنا (١) — ومولده في تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة ، وجدّه لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزى — ، في يوم السبت خامس جمادى الآخرة . ومات شرف الدين محمد بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القيسرانى ، أحد موقعى الإنشاء بالقاهرة ، في أول شعبان . ومات أبو عبد الله بن مطرف الأندلسى ، بمكة في رمضان عن نيف وتسعين سنة ؛ وقد جاور بها ستين سنة ، وحصار شيخ الحرم ، لحمل الشريف حميضة نعشه . ومات الشيخ (٢٥٦ ب) عثمان بن جوشن السعودى . ومات الشيخ عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ظافر الشيرازى المصرى ، في خامس ربيع الأول ؛ ومولده في ذى الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة . ومات أقصى القضاة جمال الدين أبو بكر محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم بن السقطى الشافعى ، في ليلة الاثنين حادى عشر شعبان ؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة ؛ وأخرج له التقي الأسعدى مشيخة .

* * *

سنة ثمان وسبعائة . في أولها قدم مبشرو الحاج بأن الأمير نوغاي حارب العبيد بمكة : وذلك أنهم كثر تحطّتهم أموال التجار ، وأخذهم من الناس (٢٥٧ ا) بالنصب ما أرادوا ؛ فلما وقف بعضهم على تاجر ليأخذ قماشه منه ؛ فضربه ضرباً مبرحاً ، فثار الناس وتصايحوا . فبعث نوغاي مالىكه إلى العبيد ، فأمسكوا بعضهم وفرّ باقيهم بعد ما جرحوا ؛ فركب الشريف حميضة بالأشراف والعبيد للحرب ، وركب نوغاي بمن معه ، ونادى ألا يخرج أحد من الحاج وليحفظ متاعه ، وساق فإذا طائفة من السّرويين (٢) قد فروا من الخوف إلى الجبل ، فقتل منهم جماعة ظننا أنهم من العبيد ، فكف حميضة عن القتال ؛ وما زال الناس بنوغاي حتى أمسك عن الشر . وقدم البريد من حلب بأن طائفة من المغل قدموا إلى الفرات ، فخرج العسكر إليهم ؛ فلما ساروا سقط الطائر من (٢٥٧ ب) قلعة كركر بنزل المغل عليها ونهب التركان وأخذهم ؛ فكتب إلى العسكر المجرد بنجدتهم ، فكبسوا المغل في الليل وقتلوه ، وأستردوا ما أخذوه

(١) ضبط هنا الاسم من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٢٨) .

(٢) المتصود بالسرويين هنا أهل قرية سرو ، وهى قرية كبيرة مما بلى مكة ، وكذلك أهل غيرها من السروات أو الجهات الجبلية المحيطة بمكة ؛ وكانوا يحضرون في موسم الحاج — على ما يظهر — لحمل الدرة فجلبها ، وهم حسباً جاء في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٦ — ٨٧) قوم غم بالوحش أشبه .

من كركر ، وأسروا منهم ستين رجلا ، وغنموا عدة خيول .
 وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج
 بالقلعة ، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأقرم بمصر ، في ربيع الأول .
 وفي ثالث ربيع الآخر فوِّضت الخطابة بجامع قلعة الجبل لقاضي القضاة
 بدر الدين محمد بن جماعة ، عوضاً عن الشيخ شمس الدين محمد الجزري .
 وفيها وصلت رسل سيس بالحمل على العادة ، ومن جملة طشت ذهباً مرصع
 (١٢٥٨) بالجواهر .

وفيها عدّى السلطان إلى رّ الجيزة ، وأقام يتصيد نحو عشرين يوماً ؛ وعاد وقد
 ضاق صدره واشتد حنقه ، وصار في غاية الحصر من [تحكّم] ^(١) بيبرس وسلار
 عليه ، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهي أكله لقلة
 المرتب ، فلولا ما كان يتحصل له من أرقاف أبيه لما وجد سيلاً إلى بلوغ بعض
 أغراضه . فأخذ في العمل لنفسه ، وأظهر أنه يريد الحج بعياله ، وحدث بيبرس
 وسلار في ذلك يوم النصف من رمضان ، فوافقاه عليه . وأعجب البرجية
 سفره لينالوا أغراضهم ، وشرعوا في تجهيزه ، وكتبوا إلى دمشق والسكر وغيره
 برّعى الإقامات ، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير ، فتهياً ذلك . وأحضر الأمراء
 (٢٥٨ ب) تقادهم وتأنقوا فيها ، فقبلها [السلطان] وشكرهم على ذلك ؛ وركب
 في خامس عشر رمضان يريد السفر ، ونزل من القلعة ومعه الأمراء ؛ وخرج
 العامة وتباكوا حوله ، وتأسفوا على فراقه ، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج .
 وتعيّن للسفر معه من الأمراء عز الدين أيّدمر الخطيرى الأستاذار عوضاً عن الجاولي ،
 وسيف الدين آل ملك الجوكندار ، وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس ، وسيف
 الدين بلبان أمير جاندار ، وعز الدين أيّبك الرومي السلاح دار ، وركن الدين بيبرس
 الأحمدى ، وعلم الدين سنجر الجندار ، وسيف الدين يقطاي الساقى ، وشمس الدين
 سنقر السعدى النقيب ؛ ومن الممالك خمسة وسبعون نفرأ . وودّعه (١٢٥٩) بيبرس
 وسلار فيمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجّلوا له ، وعاد الأمراء .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣١٤) ب .

ورحل [السلطان] من ليلته ، وعرج إلى جهة الصالحية وعيّد بها ، وسار إلى الكرك ومعه رحل الخاص مائة وخمسون فرساً ، فقدّمها يوم الأحد عاشر شوال . فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرف في المعروف بنائب الكرك بقدمه ، وقام بما يليق به ، وزيّن القلعة والمدينة ، وفتح باب السرومدّ الجسر ، وكان له مدة لم يعد ، وقد سار خشبته ، فلما عبرت الدواب عليه ، وأتى السلطان في آخرهم انكسر الجسر تحت رجلى فرسه بعد ما تعدى يديه الجسر ، فكاد يسقط إلى الخندق لولا أنهم جبدوا الأعنان حتى خرج من الجسر وهو سالم ، وسقط (٢٥٩ ب) الأمير بلبان طرنا أمير جانداز ، وجماعة لم يمت منهم سوى رجل واحد .

وعند ما استقر السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح خاطره ، فشقّ عليهم ذلك ، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه في ترك هذا الخاطر ، وكشفوا رؤسهم فلم يرجع إليهم ؛ وقال [السلطان] للخطيرى : « قد أخذ بيبرس الجاشنكير السلطنة ولا بد » ، ثم استدعى علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير ، وكان قد توجه معه ، وكتب إلى الأمراء بالسلام عليهم ، وأنه رجع عن الحج وأقام بالكرك وترك السلطنة ، ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك ، وأعطاه للأمراء (٢٦٠) وأمرهم بالعود ، وأعطاهم الهجن — وعدتها خمسمائة هجين — والجمال والمال الذي قدمه له الأمراء ، فساروا إلى القاهرة .

واستولى السلطان على ما كان في الكرك من المال ، وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار ، وقيل بل وجد سبعة وعشرين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم . واستدعى أهل الكرك ، خلّصهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك ، وأمرهم فحملوا له أحجاراً كثيرة إلى القلعة ، فلم يبق أحد حتى حمل إليه الحجارة من الوادى . فلما حصل نائب الكرك والناس في الوادى لنقل الحجارة ، بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك ، و [بين له] أن أهل القلعة لا سبيل (٢٦٠ ب) إلى مجاورتهم له بها ولا لإقامتهم بالمدينة ، « فإنى أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنتاى ، وقد مكنت حريمهم وأولادهم من النزول إليهم » . فامتثل النائب الأمر وأخذ حريمه ، وقدم للسلطان ما كان له من الغلال وهي شيء كثير فقبلها ، وأخذ أهل القلعة حريمهم وتفرّقوا في البلاد .

وأقام [السلطان] الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي في نيابة قلعة الكرك ،
فصار هو وأخوه الحاج أرقطاي وأرغون الدوادار مقيمين على علو القلعة ؛ وبعث
إلى عرب الشوبك بأن يكونوا في الخدمة برسم الصيد . وكان حريم السلطان قد توجه
إلى الحجاز من القاهرة في سابع عشر شوال ، فلما دخل السلطان إلى (١٢٦١)
الكرك بعث في طلبهم ، فأدركهم وهم على عقبة أيلة مع الأمير جمال الدين خضر بن
نوكه ، فقدم بهم إلى الكرك .

ووصل الأمراء إلى قلعة الجبل في يوم الجمعة ثاني عشرى شوال ، واجتمعوا عند
الأمير سلار النائب بدار النياية من القلعة ، وقرئ كتاب السلطان عليهم فبهتوا ،
ثم اشتوروا فيمن يقوم بالملك ، فاخترأ كابر الأمراء سلار لعقله وتودده ، واختار
البرجية بيبرس ؛ فلم يجب سلار إلى ذلك ، وخاف البرجية لثلايجيب ، فقاموا وانفض
المجلس . وخلا كل من أصحاب بيبرس وسلار بصاحبه ؛ وحسن له القيام بالسلطنة ،
وخوفه عاقبة تركها ، وأنه متى ولي غيره لا يوافقوه بل يقا تلوه . وبات البرجية تغلي
مراجلهم (٢٦١ ب) خوفا من ولاية سلار ، وسعى بعضهم إلى بعض ، وكانوا أكثر
جمعا من أصحاب سلار ؛ وأعدوا السلاح وتأهبوا للحرب ، فبلغ ذلك سلار فحشى
سوء العاقبة ، واستدعى الأمراء إخوته وحفدته ومن ينتمى إليه ، وقرر مع عقلاهم سرا
موافقته على ما يشير به - وكان مطاعا فيهم - فأجابوه ؛ ثم خرج إلى شباك النياية (١) .

السلطان الملك المظفر

ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري

جلس على تخت الملك في يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعائة ؛
وذلك أنه لما أصبح يوم السبت جلس الأمير سلار النائب (١٢٦٢) بشباك دار
النياية ؛ [و] حضر بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلي السلطنة .
فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدواداري والأمير أيلك الخازندار ،

(١) هنا ينتهي مآرجه (Quatremère) من كتاب السلوك للمقرزي ، باسم (Histoire des Sultans Mamlouks) ، وقد اعتمد الناشر على تلك الترجمة في إخراج ما تقدم من ذلك الكتاب
اعتماداً تنبيءه الحواشي ، ولا أقل هنا من الاعتراف بأنه لولا تلك الترجمة لا استطاع أن يصل إلى هذه
المرحلة من عمله الطويل .

وهم أكابر المنصورية : « ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع ، ؛ فخرج
الطلب لهم وحضروا ، فقرأ عليهم كتاب السلطان ، وشهد عند قاضى القضاة زين
الدين على بن مخلوف [المالكى]^(١) الأميران عز الدين الخطيرى والحاج آل ملك ،
ومن كان معهم من الأمراء ، بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر
والشام ، فأنبت ذلك . وأعيد الكلام فيمن يصلح ، فإشار الأمير الأكبر بالأمير
سلار (٢٦٢ ب) ، فقال : « نعم ! على شرط أن كل ما أشير به لا يخالفوه ، وأحضر
المصحف وحلفهم على موافقته ، وألا يخالفوه في شيء . فقلق البرجية ولم تبق إلا
إقامتهم الفتنة ، فكفّهم الله عن ذلك وانقضى الحلف . فقال سلار : « والله يا أمراء
أنا ما أصلح للملك ، ولا يصلح له إلا أخى هذا » ؛ وأشار إلى بيبرس الجاشنكير ،
ونفض قائماً إليه ؛ فتسارع البرجية وقالوا بأجمعهم : « صدق الأمير ، وأخذوا بيد
بيبرس وأقاموه كرهما ، وصاحوا بالجاشية فصرخوا باسمه . وكان فرس النوبة عند
الشباك ، فألبسوه تشريف الخلافة : وهى فرجية أطلس أسود وطرحة ، وتقلد بسيوفين
على العادة . ومشى سلار والناس بين يديه^(٢) من دار النيابة (٢٦٣) بعد العصر حتى
ركب ، وعبر من باب القلة إلى الإيوان ؛ وجلس على التخت ؛ ولُقب بالملك المظفر ،
وصار يبكى بحيث يراه الناس . ثم قام إلى القصر ، وتفرق الناس بعد ما ظنوا كل
ظن من وقوع الحرب بين السالارية والبيبرسية . فكانت مدة سلطنة الملك الناصر
هذه عشر سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً .

ولما استقر الملك المظفر في مملكة مصر اجتمع الأمراء بالخدمة على العادة في يوم
الاثنين خامس عشره ؛ فأظهر التغمم بما صار إليه ، وخلع على الأمير سلار خلة
النيابة على عادته ، بعد ما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء ، حتى قال له :
« إن لم تكن أنت نائباً فلا أعمل »^(٣) أنا السلطنة ، وقامت عليه (٢٦٣ ب) الأمراء .
ثم كتب إلى الأعمال باستقرار الملك المظفر في السلطنة ، وتوجه الأمير بيبرس
الأحمدي إلى حلب ، والأمير بلاط إلى حماة ، والأمير عز الدين أيبك البغدادي وزير

(١) انظر ص ٣٠ ، سطر ١٣ .

(٢) الضمير عائد على بيبرس .

(٣) كذا في ف ، انظر أيضاً ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٣٥) .

بغداد وسيف الدين ساطي^(١) إلى دمشق على البريد .
 وطلب التاج بن سعيد الدولة ، وعرضت عليه الوزارة ؛ فامتنع منها وصمم ،
 وأشار باستمرار صاحب ضياء الدين النشائي ، فخلع عليه وعلى التاج . واستمر
 [ابن سعيد الدولة] في نظر الجيش ، والإشارة في أمر الوزارة والتوقيع ، ونزلا .
 وقد عظم أمر التاج حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب ، ولا يكتب السلطان
 على شيء ما لم ير خطه ؛ فشوق ذلك على شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب
 السر ، وخيّل السلطان من حدوث الفساد بسبب ذلك ، فمنعه من الوقوف
 على الأجوبة والكتابة عليها ، وأمنى له ما عدا ذلك .

وكتب إلى الملك الناصر تقليد بناية الكرك ومنشور بإقطاع مائة فارس ، وجوز إليه
 وقرن^(٢) بهما كتاب الملك المظفر : « بأنى أجبته سؤالك فيما اخترته ، وقد حكم
 الأمراء على فلم يمكن مخالفتهم ، وأنا نائبك ، ؛ وخرج بها^(٣) » الأمير الحاج آل ملك
 فلما وصل إليه أظهر البشر ، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر ، وخطب
 له يوم الجمعة أيضاً على منبر الكرك ، وأنعم على البريدي وأعادته ؛ فسرّ المظفر بذلك .
 وقدم البريدي من ممالك الشام بالطاعة وحلفهم ، ماعدا الأفرم نائب (٢٦٤ ب)
 دمشق ، فإنه لما قدم عليه وزير بغداد بالخبر قال : « بئس والله ما فعله الملك الناصر
 بنفسه ! ، وبئس ما فعله بيبرس ! وأنا لا أحلف لبيبرس — وقد حلفت الملك
 الناصر — ، حتى أبعث إلى الناصر ، ؛ ثم سيرة جماعة إلى الكرك على البريد بكتابه ،
 فأعاد [الناصر] الجواب بالشكر والثناء ، وأنه قد ترك الملك ، فليحلف لمن يؤسّونه^(٤) ؛
 وقدم [البريدي] بذلك إلى دمشق [في يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة ، فاجتمع
 الناس من الغد بالجامع وقرئ تقليد الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام
 على عادته ، وخلع على يحيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر ، وأنعم على الأمير
 برلغى بإقطاع السلطان قبل سلطنته ، وأنعم بإقطاع برلغى على بتخاص ، (٢٦٥ أ)
 وبإقطاع بتخاص على الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك . وخطب للملك

(١) كذا في ف ، وكذلك في ابن أبي الفاضل (كتاب التهجد السديد ، ج ٣ ، ص ١٤٤ ، حاشية
 ١ ، ص ١٤٥) ، وهو في ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ ، وحاشية ١ بنفس
 الصفحة) برسم « شادى » .

(٢) في ف « وقرينه » ، وهو تعبير صحيح ، على أن الصيغة المعدلة بالمتن أوضح .

(٣) الضمير عائد على التقليد والمنشور وكتاب السلطان بيبرس . (٤) في ف « يولوه » .

المظفر ، ونودى بدمشق فزينت ؛ وعاد وزير بغداد وساطى ^(١) إلى القاهرة .
فركب الملك المظفر بشعار السلطنة بعد ما جُددت له الولاية بالسلطنة من
الخليفة ، وخلع على أرباب الدولة ما بين صاحب سيف ورب قلم ، فبلغت عدة
الخلع إلى ألف ومائتي خلعة . وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء علاء الدين على بن
عبد الظاهر ، ونزل من قلعة الجبل بكرة يوم السبت سابع عشره ، وسير بالميدان
الأسود ومعه الأمراء وعليه القشريف : وهو فرجية سوداء بطرز ذهب وشاش
أسود ملمع بقطع ذهب ونفسته مدورة ، والسيفان على (٢٦٥ ب) عاتقيه ، والوزير
حنياه الدين قدامه على فرس ، والتقليد على رأسه في كيس حرير أسود ، بعد ما قرى
بالقلعة ^(٢) على الأمراء .

وورد الخبر بأن متملك قبرس ^(٣) اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين
قطعة لغزو دياط ، فجمع السلطان الأمراء وشاورهم ، فاتفقوا على عمل جسر ماء من
القاهرة إلى دمياط خوفاً من نزول الفرنج أيام النيل ؛ وتنب لذلك الأمير جمال الدين أقوش
الرومي الحسامي ، وأمر ألا يراعى أحداً من الأمراء في تأخير رجال بلاده ؛ ورسم الأمراء
أن يخرج كل منهم الرجال والأبقار ؛ وكتب إلى الولاة بالمساعدة ^(٤) والعمل ، وأن يخرج

(١) في ف « شاطى » ؛ انظر ص ٤٧ ، حاشية ١ .

(٢) يلاحظ القارى أن هذا وصف دقيق لموكب السلطان المملوكى غذاء تقليده السلطنة . انظر أيضاً

وصف حفلة انتخابه وإعلانه سلطاناً في ص ٤٦ .

(٣) كان ملك قبرس تلك السنة هنرى الثانى لوسيجنان (Henry II, Lusignan, 1285-1324 A.D.) وهو ممن هرب من وقعة عسكا سنة ١٢٩١ م (٦٩٢ هـ) ، التى انتهت بها دولة الصليبيين من الشام ، على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون . وقد أخذ هنرى الثانى وغيره من ملوك أوربة ، وبابواتها وأصحاب الرأى فيها ، يدعون من بعد تلك الوقعة الحاسمة إلى معاودة الحرب ضد سلاطين المماليك لإعادة الدولة الصليبية إلى مكانها القديم . وكتبت من أجل ذلك تقارير ، وجهزت مشاريع حرية ، ومنها مشروع (Jaques Molay) رئيس الداوية (Grand Master of the Templars) ، وهو المصروع الذى قدم إلى البابا كلمنت الخامس (Clement V) بمدينة أفنيون (Avignon) سنة ١٣٠٧ م (٧٠٧ هـ) ، أى السنة السابقة لما ورد بالمئن هنا من خبر بصدد الخطر الصليبي ؛ ومن تلك المشاريع أيضاً ما قدمه هنرى الثانى نفسه للمجلس الدينى المنعقد في فين (Vienne) سنة ١٣١١ م : (٧١١ هـ) ، أى بعد الخبر الوارد هنا بوضع ستين . غير أنه لا يوجد بالمراجع الأوربية المعروفة ما يدل على أن شيئاً من تلك المشاريع الصليبية كان في حيز التنفيذ حوالى ذلك الوقت ، فالراجح أن أخبار تلك المشاريع كانت تصل إلى القاهرة كأنها حوادث توشك أن تقع بالبلاد .

(A.S.Atiya : The Crusade In The Later Middle Ages. PP.29-73) ، انظر أيضاً (Lang : Cyprus. P. 177)

(٤) في ف « الساعده » .

كل وال برجاله . وكان أقوش (١٢٦٦) مهاباً عبوساً قليل الكلام ، له حرمة في قلوب الناس ؛ فلم يصل إلى فارس كورحتى وجد ولاية العمل قد نصبوا الخيم وأحضروا الرجال ، فاستدعى المهندسين ورتب العمل . فاستقر الحال على ثلاثمائة جرأفة^(١) بستمائة رأس بقمر وثلاثين ألف راجل ، وأُحضر إليه نواب جميع الأمراء . فكان يركب دائماً لتفقد العمل واستحثاث الرجال ، بحيث إنه فقد بعض الأيام شاد الأمير بدر الدين الفتاح ورجاله ، فلما أتاه بعد طلبه ضربه نحو الخمسمائة عصاة . فلم يغب عنه بعد ذلك أحد ؛ ونسكتل بكثير من مشايخ العربان ، وضربهم بالمقارع وخزم آناقهم وقطع آذانهم ، ولم يكذب يسلم منه أحد من أجناد (٢٦٦ ب) الأمراء ومشدتي البلاد ؛ وما زال يجتهد في العمل حتى نجح في أقل من شهر ؛ و [كان] ابتدأه من قلوب وآخره بدمياط ، يسير عليه الراكب يومين ، وعرضه من أعلاه أربع قصبات ، ومن أسفله ست قصبات ، يمشى ستة^(٢) فرسان صفواً واحداً . وعم النفع به ، فإن النيل كان في أيام الزيادة يعلو حتى تنقطع الطرقات ويمتنع الوصول إلى دمياط . وحضر بعد فراغه الأمير أقوش [إلى القاهرة] ، وخُلع عليه وشُكرت همته .

ووقع الاتفاق على عمل جسر آخر بطريق الإسكندرية ، وندب لعمله الأمير سيف الدين الحرمي ، فعمر قناطر الجيزة إلى آخر الرمل [تحت الهرمين]^(٣) ، وكانت تهدمت ، فعم النفع بهمارتها .

وردد الخبر بأن الخوارزمي (١٢٦٧) والتليي عادا من بلاد المغرب بهدية جليلة ، وركب معهم الحاج ، فخرج عليهم العربان وأخذوا سائر ما معهم حتى صاروا عراة . فخرج جماعة من الأجناد والماليك إلى الإسكندرية ليتلقوا الرسل والحجاج ، وساروا ومعهم نائب الإسكندرية إلى سوسة^(٤) ، فلقوهم بها ، وأحسنوا إليهم وإلى الحاج ، وساروا بهم إلى القاهرة .

(١) ترجم (Dozx : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ ترجمة غامضة ، ونسبها : (nettoyage des canaux, travail du serf) ، أى تطهير الترغ وعمل السخرة .

(٢) في ف « ست » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من بيبس المنصوري (زبدة الفكرة ، ج ، ص ١٢٦٤) .

(٤) بغير ضبط في ف ، وهي بلدة شمالي القبروان بتونس ، على مسافة ستة وثلاثين ميلاً منها .

(يأتوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، وما بعدها) .

وفيهما كثرت مرافعة أهل الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء في شيخهم كريم الدين عبد الكريم الأملی ، فقام عليه الشيخ نصر المنبجی^(١) قياما عظيما حتى صُرف بقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة .

وفيهما أطلقت حماة لنائبها الأمير سيف الدين فبجق ، فعزل وولى . وفيها (٢٦٧ ب) صُرف أمين الدين أبو بكر بن الرقاق من نظر دمشق ، وعاد إلى القاهرة .

ومات في هذه السنة علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبي الوحش بن أبي حليقة^(٢) ، رئيس الأطباء بمصر والشام ؛ وترك مائتي ألف دينار ، وقيل ثلاثمائة ألف . ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ظافر البراسى ناظر بيت المال ، في خامس صفر بالقاهرة ؛ وولى ناظر بيت المال عوضه نور الدين الزواوى النائب المالكى . ومات يحيى الدين أحمد بن أبى الفتح بن باتكين^(٣) ؛ وكان يعانى الخدم الديوانية ، وله شعر حسن وفضيلة ، وعنده مفاكهة ومحاضرة جميلة ؛ ومولده سنة أربع عشرة وستائة ؛ وعمى قبل موته ، ومات بالقاهرة . ومات الشهاب (٢٦٨ أ) أحمد بن محمد بن صادق القوصى ، في حادى عشر صفر بقوص ؛ وكان فقيها شافعيّا يوقع عن قاضى قوص ، وفيه تحرّز وعنده يقظة . ومات الشيخ عبدالغفار بن نوح القوصى ، في ليلة الجمعة سابع ذى القعدة ؛ وقد حمل من قوص [إلى القاهرة] ، بسبب قيامه في هدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاثة عشرة كنيسة ، فعوّق بالمسجد أياماً ثم خلى عنه ، فأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات ؛ وبيعت ثيابه التى مات فيها بخمسين ديناراً ؛ تفرّقا أهل الزوايا . ومات عثمان الحلجوى الصعدي ببرزة خارج دمشق ؛ وكانت له أحوال ومكاشفات . ومات شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ابن شامة الطائى السوادى ، في (٢٦٨ ب) يوم الثلاثاء رابع عشرى ذى القعدة عن سبع وأربعين سنة ؛ ودفن بالقرافة . ومات ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد أبى السرور بن

(١) فى « المسعى » ، بغير نقط البتة ؛ انظر ص ٢٦ ، حاشية ١ .

(٢) فى « حليفه » ، والرسم المثلث هنا بضبطه من القرزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص

٧٢٢ ، ٧٢٩) . انظر أيضا ابن أبى الفضائل (كتاب التهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٤٥) .

(٣) كذا فى ف بغير نقط تقريبا ، وفى ب (٣١٧ ب) « ما يكن » ، وليس فى المراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يساعد على تحرير هذا الاسم ، وامل الرسم المثلث هنا قريب من الصحيح .

أبى النصر السامري الدمشقي ؛ أسلم في الأيام المنصورية قلاون ، وتنقّل في الخدم الديوانية حتى ولي نظير الجيش بدمشق ، ثم انقطع في داره حتى مات في حادى عشرى رمضان ؛ ومولده سنة اثنتين وعشرين وستمائة ؛ وكان جميلاً ليناً متواضعاً محباً لأهل الخير ، مواظباً على الصلوات بمجامع بنى أمية ، فيه برّ وصداقات مع العفة . ومات شهاب الدين بن على الحسيني ؛ حدث بمصر عن ابن المقير وابن رواج والشاوي^(١) ، ومات بها . ومات الأمير عز الدين (٢٦٩) أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدراوين ، في محرم بمصر ، ومات الأمير علاء الدين الطبرس^(٢) المنصورى والى باب القلعة الملقب بالمجنون ، المنسوب إليه العمارة فوق قنطرة^(٣) المجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة ؛ وكان عفيفاً ديناً ، له أحكام قراقوشية مع تسلط على اللساء ، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن ، [فامتنعن من^(٤)] الخروج في زمانه إلا لأمر مهم ، مثل الحمام وغيره . ومات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس ، في خامس رجب بمصر ؛ ومات ولده قبله بيوم . ومات الشيخ المعتقد أحمد بن أبى القاسم المراغى ، في ليلة السبت ثانى المحرم بمصر . ومات الأمير عز الدين أيدمر الرشيدى أستاذار النائب (٢٦٩ ب) سلار ، في تاسع عشر شوال ؛ وكان عاقلاً له ثراء واسع وجاه عريض . ومات ملك المغرب أبو ثابت عامر بن الأمير أبى عامر ابن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، في ثامن صفر ؛ فبويع أخوه الريسع بن أبى عامر .

سنة تسع وسبعمائة : فيها قدم علاء الدين النليلى وأيد غدى من بلاد المغرب ، ومعهما الشيخ أبو زكريا اللحيانى متولى طرابلس الغرب وأبو إدريس عبد الحق المرينى

(١) كذا فى ت .

(٢) فى ف « الطبرس » ، والرسم المثبت هنا من بيبرس المنصورى (زبدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ١٢٦٥) .

(٣) ذكر المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦٢) أن هذه القنطرة عرفت قديماً وحديثاً بهذا الاسم ، ولكنه لم يعل تسميتها به .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى برده (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٣٠) .

يريدان الحج ؛ فكانت غيبة النليلى ورقيقه ثلاث سنين وثلاثة أشهر فنزل اللحيان بمنظر الكباش ورتب له ما يليق به .

وفيها بنى الأمير برغلي على ابنة السلطان ، (١٢٧٠) وعمل مهم عظيم خلع فيه على سائر الأمراء . وعزل الأمير بيبرس العلاني من نيابة غزة ، واستقر عوضه بلبان البدرى . وكُتِبَ إلى دمشق بإبطال المقرر ^(١) على الخور بساحل الشام ، وإراقتهما وتعويض الجند بدلها . وقدم شمس الدين محمد بن عدلان من اليمن ، وقد مات رفيقه سنقر السعدى .

وقدم الخبر بأن الملك الناصر كثير الركوب للعهد ببلاد الكرك في ممالكه ، فتخيّل الملك المظفر من ذلك وخشى عاقبته . واتفق أنه قدم الخبر أيضاً بحركة خربندار للسير إلى بلاد الشام ، فكُتِبَ إلى الملك الناصر بحركة خربندار ، وقد دعت الحاجة إلى المال فیرسل ما أخذه معه من مال مصر ، وما استولى (٢٧٠ ب) عليه من حاصل الكرك ، ومن عنده من الممالك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة ، ويرسل الخيول التي قادها من مصر ، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه . ورأى [الناصر] أن المغالطة أولى ، وكُتِبَ الجواب : د المملوك ^(٢) محمد بن قلاون يقبّل الأرض ، وينهى أنه ما قصد الإقامة لإطلبها للسلامة ^(٣) ؛ وإن مولانا السلطان هو الذى ربانى ، وما أعرف لى والدأ غيره ، وكل ما أنا فيه فته وعلى يديه ، والقدر الذى أخذته من الكرك لأجل ما لا بدلى فيه من الكلف والنفقة . وقد امتثلت المرسوم

(١) هذا اللفظ من مصطلح الإدارة المالية في عهد المماليك ، ومنه المكس أو الضريبة ، وقد شرح القرينى (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٨ - ٨٩) مظان هذه المقررات التي ضربت على أهل مصر - ولا بد من أشباهها كانت مفروضة بالشام أيضاً - ؛ غير أنه لم يذكر مقرر الخور من بينها ، ولعل سبب ذلك أنه كان مقرراً عارضاً غير دائم ، بعكس غيره من المقررات التي ظلت قائمة حتى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

(٢) كان سلاطين الدولة المملوكية - والأمراء أيضاً - ينعنون أنفسهم بهذا اللفظ في كتبهم إلى ملوك الدول الإسلامية فقط ، وإلى زملائهم الأقدمين من كبار الأمراء في الدولة . (راجع مقالتي : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك بمصر ، ص ٨٩ ، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية) . غير أن الجديد هنا أن ينعن الناصر محمد نفسه بهذا النعت ، وهو لم يحسه الرق أبنة ، وفي هذا دليل واضح على أن ذلك اللفظ قد فقد معناه الحرفي ، وأنه قد صار نعتاً للتواضع والطاعة .

(٣) في ف « طلب السلامة » .

الشریف وأرسلت نصف المبلغ الذى تأخر عندى امتثالاً لأمر مولانا السلطان ؛ وأما الخيل فقد مات بعضها ، (١٢٧١) ولم يبق إلا ما أركبه ؛ والماليك فلم أترك عندى إلا من اختار أن يقيم معى ، من هو مقطوع العلائق من الأهل والولد ، فكيف يحلّ لى أن أخرجهم ؟ وما بقى إلا إحسان مولانا السلطان . . وكتب [الناصر] بأعلى الكتاب : « الملكى المظفرى » ، وخلع على مغلطى ودفع إليه الكتاب ، وحمل معه مائتى ألف درهم ، وأعاده وقد سملته مشافهة بمعنى جوابه ؛ فقتنع السلطان [المظفر بيبرس] بذلك .

وفى قديم السلطان البرجية وأتمم منهم جماعة كبيرة ، وأراد أن يؤمّر جماعة الأمير سلار فلم يوافق على ذلك ، وحلف بأيمان مغلفة أنه لا يمكن أحداً منهم أن يتأمر .

وفى تفاوض^(١) كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله والتاج بن سعيد الدولة : وسبب ذلك (٢٧١ ب) أن التاج تزايد تحكّمه^(٢) فى الدولة ، بحيث إنه لم يكتب لأحد توقيع برزقه أو براتب أو استخدام فى وظيفة حتى يكتب عليه ؛ ثم شارك كاتب السر فى معرفة أجوبة النواب وغيرهم ، فامتنع ابن فضل الله من ذلك ، وردّ عليه الجواب ، وفى « ولاكرامة أن يكون مطلعاً على أسرار المملكة » . ثم حدث [ابن فضل الله] الأمير سلار النائب فى ذلك ، وقبّح عنده أن يطلع رجل قبضى على أسرار المملكة وأخبار العدو ، وأنه لا يوافق على ذلك بوجه . فشقّ على سلار ما قصد التاج ، وقام فى مساعدة ابن فضل الله ، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الاطلاع على شىء من أمر ديوان الإنشاء ؛ فاشتدّ غضبه وبأى ابن فضل الله .

وقدم (١٢٧٢) البريد بإبطال سائر الختارات ، فسر السلطان بهذا ، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديار مصر . وندب [لذلك] الأمير سيف الدين الشينى أحد البرجية ، وتقدم إليه ألا يراعى أحداً من خشداشيته ، ولا يدع بيتاً بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمراً إلا ويكبسه ويكسر ما فيه . وكان الشينى فيه شدة وقوة

(١) المعنى أن هذين الأميرين تناقشا أو تجادلا فى عملهما المشترك . (انظر قاموس المحيط) .

(٢) فى « حكمه » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣١٨ ب) ، وهو أدق وأبلغ للمعنى المراد .

نفس ، فطلب إلى القاهرة ومقدميها وأصحاب^(١) الأرباع ، [وسألمهم عن^(٢) مواضع الخنز فلم يجيبوه] ، وأخفوا سائر المواضع ؛ وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على من كعصر العنب أو من عنده خمر ، وكتب أسماءهم ، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار ؛ وأخذ في كبس البيوت : فكان الرجل لا يشعر إلا به (٢٧٢ ب) في ماله ، وقد هجم عليه ومعه النجارون^(٣) والبناءون لتفقد مطامير^(٤) الخنز وإخراجها ، فإذا ظفر بها كسرت سائر ما فيها . فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد ، وافتضح كثير من المستورين ، ونهب من بيوتهم أشياء ، لكثرة ما كان يجتمع من العامة ، ولفرار صاحب البيت خوفاً على نفسه ؛ وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم . وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض ، وتشقى^(٥) جماعة من أعاديهم بذلك . وكسبت أيضاً دور اليهود والنصارى ، وأريق ما فيها من الخمر . وتعدى الأمر دون الأمراء ، فكسبت دور من عرف بشرب الخمر منهم ، ومنها^(٦) دار الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي أحد أمراء الألوفا من البرجية . فأزال الله بذلك (١٢٧٣) فساداً كبيراً ، ووقع أيضاً بسببه من نهب الأموال فساد كبير ؛ فلما اشتد الأمر تجمع^(٧) الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكشف عنه .

وفي ربيع الأول خسف جميع جرم القمر . وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر ، فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية . وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي في قضاء الخنا بة بالقاهرة ، بعد موت القاضي شرف الدين عبد الغني ابن عبد الله الحراني ، في ثالث ربيع الآخر .

(١) الأرباع جمع ربع ، وهو هنا أقسام البلد الأعملة بالسكان ، والمقصود بأصحاب الأرباع ، حسبما ورد في (Dozy : Supp. Dict. Ar.) خفراء الليل في تلك الأقسام (Quartiniers)
étaient les gardes de nuit .

(٢) أضاف الناشر ما بين الحاصرتين من عنده ، فإن العبارة تتطلبها ، وليس بالمراجع المتداول بهذه الحواشي شيء عن هذه الحوادث .

(٣) في ف « النجارين والبنائين » .

(٤) المطامير جمع مطمورة وهي الحفيرة تحت الأرض . (قاموس المحيط) .

(٥) في ف « فشقى » .

(٦) في ف « منهم » .

(٧) في ف « تجمعوا » .

وفيهما فشما بالناس أمراض حادة ، وعمّ الوباء ؛ وطُلِبَت الأدوية والأطباء ، وعزّ سائر ما يحتاج إليه المرضى ، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم ، والرطل البطيخ بدرهم ؛ وكان (٢٧٣ ب) الرجل الواحد من العطارين يبيع في كل يوم بثلاثمائة درهم إلى مائتي درهم .

وفيهما توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى ، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهماً ، والأردب الشعير والفول بعشرين درهماً . ومنع الأمراء البيع من شؤونهم إلا الأمير عز الدين أيدير الخطيرى الأستاذار ، فإنه تقدّم إلى مباشره ألا يتركوا عنده سوى مباشرة سنة ، وباع ما عداه قليلاً قليلاً . وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا ، وخرج بهم الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن بن على القسطلاني فاستسقى ، وكان يوماً مشهوداً . فنودى من الغد بثلاثة أصابع ، ثم (٢٧٤ ا) توقف . وانتهت زيادة النيل في سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصباعاً ، واتفق أنه نقص في أيام النسيء ، وجاء النوروز ولم يوفّ النيل ستة عشر ذراعاً ؛ وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت ، وهو ثامن عشرى ربيع الأول . وذكر بعضهم أنه لم يوفّ إلى تاسع عشر بابه ، وهو يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى ، وذلك بعد اليأس منه . وانحطّ مع ذلك السعر بعد الوفاء ، وغنّت عامة مصر : « سلطاننا رُكِن »^(١) ، و« نائبتنا دُقِن »^(٢) ، يجمينا الماء متين . جيبوا لنا الأعرج^(٣) ، يجمي الماء ويدّ حرج^(٤) .

وفيهما قدم البريد من حلب بأن الأمير سوتاي استنابه المملك خرّ بئنداً بديار بكر ، وأنه (٢٧٤ ب) حارب طقطاي^(٥) ؛ فقتل طقطاي^(٦) ، وعزم على المسير إلى حاب . فخرج الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير وعدة من الطبلخاناه والعشراوات في ألني فارس ، وساروا في جمادى الأولى

(١ ، ٢ ، ٣) المقصود بلفظ (ركِن) السلطات وكن الدين بيبرس الجاشنكير ، وبلفظ (دقِن) الأمير سلاّر النائب ، فإنه كان أجرد وليس بليته وشاربه سوى شعرات نيلية ، وأما الأعرج فهو الناصر محمد بن تالون . راجع بن لياس (بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٥٠) .

(٤) كتب ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٤) تنقيهاً على هذه الحوادث ، من غلاء وعدم وفاء النيل ، ما نصه : « وتشاءم الناس بطلمة الملك المظفر بيبرس . . . ومن يومئذ وقعت الوحشة بين المظفر وبين عامة مصر ، وأخذت دولة المظفر بيبرس في اضطراب » .

(٦ ، ٥) في ف « تقطاي » .

إلى حلب . وكتب الأمير سلار للأمير جمال الدين أقوش بأربعة آلاف غرارة [من القمح ؟] وثمانين ألف درهم من ماله بدمشق ، معونة له ولما معه .
وفيها ابتداء اضطراب دولة السلطان الملك المظفر : وذلك أنه كثر توهّمه من الملك الناصر ، [وخيّله الأمراء] وحذروا السلطان منه . وحسّنوا له القبض عليه ، فجبن [لبيبرس] عن ذلك ؛ ثم ما زالوا به حتى بعث الأمير مغطاي إلى الملك الناصر ، ليأخذ منه الخيل (٢٧٥) والماليك [التي عنده] . وتغلّظ^(١) [مغطاي] في القول ، فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً ، وقال له : « أنا خلّيت ملك مصر والشام لبيبرس ، وما يكفبه حتى ضاقت عينه على فرس عندي أو مملوك لي ، ويكرر الطلب ؟ ارجع إليه ، وقل له والله أئن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتر ، وأعلمتهم أني قد تركت ملك أبي وأخي وملكي لمملوكي ، وهو يتبعني ويطلب مني ما أخذته » . فجأه مغطاي وخشّن في القول ، بحيث اشتدّ غضب الملك الناصر وصاح به : « ويلك ! وصلنا إلى هنا ؟ وأمر أن يجرّ ويرمي من سور القلعة . فثار به الماليك يسبونه^(٢) ويلعنونه ، وأخرجوه إلى السور ؛ فلم يزل الأمير أرغون الدودار والأمير طغاي إلى (٢٧٥) أن عفا عنه [الناصر] وحبسه ، ثم أخرجه ماشياً إلى الغور ؛ وامتنع [مغطاي] عند ذلك مما حلّ به .

وكتب [الناصر] لمطافات^(٣) إلى نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد ، وإلى أمراء مصر بمن يثق به ، بما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحرمة ، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر ، وقنع بالإقامة في السكر ، وأن السلطان الملك المظفر في كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيل ثم بالماليك ، وقال لهم : « أتم ماليك أبي وريثموني . فإما [أن] تردوه عني وإلا أسير إلى بلاد التتار ، ؛ وتلطّف في مخاطبتهم غاية التلطّف ، وسيّر إليهم العربان بها فأوصلوها إلى أربابها . وكتب الأمير قبجق المنصوري نائب حماة الجواب : « بأنّي مع الأمير قراسنقر (٢٧٦) نائب حلب » ؛ وكتب الأمير قراسنقر الجواب : « بأنّي مملوك السلطان في كل ما يرسم

(١) في (يغلط) ، والرسم المثبت هنا من ابن تدرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٤) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصفحة .

(٢) في « يسبوه ويلعنوه » .

(٣) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٩٢ ، ٨٩٩) .

به ، ، وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية ؛ فبعث [الناصر^(١) مملوكه] أيتمش المحمدى ، وكتب معه ملطفاً إلى الأمير سيف الدين قتلوبك المنصورى ، والأمير بكتمر الحسامى الحاجب ، بدمشق . وأما بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد القاصد ولم يجتمع به .

وقدم أيتمش دمشق فى خفية ، ونزل عند بعض مماليك الأمير قتلوبك ، ودفع إليه الملتطف . فلما أوصله إلى قتلوبك أنكر عليه ، وأمره بالاحتفاظ على أيتمش ليوصله إلى الأفرم نائب الشام ، ويتقرب إليه بذلك . فترك أيتمش راحلته التى قدم عليها عند ما (٢٧٦ ب) بلغه ذلك ، ومضى إلى دار الأمير سيف الدين بهادر آص فى الليل واستأذن عليه فأذن له ؛ فعرفه ما كان من الأمير قتلوبك ، فطمئن خاطره وأنزله عنده وقام بحقه ، وأركبه من الغد معه إلى الموكب . وقد سبق قتلوبك وعرف النائب قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهربه ليلاً ، فقلق الأفرم من ذلك ، وألزم وإلى المدينة بتحصيل المملوك ، فقال بهادر آص : « هذا المملوك عندي » ، وأشار إليه ، فنزل عن الفرس وسلم على الأفرم وسار معه فى الموكب إلى دار السعادة ، وقال بحضرة الأمراء : السلطان الملك الناصر يسلم عليكم ، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه ، وما منكم إلا من (٢٧٧) إنعامه عليه . وأنتم تربية الشهيد والده ، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها . فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرفوه . فلم يتم هذا القول حتى صاح [عز الدين أيدير] الكوكندى^(٢) الزقاق أحد أمراء دمشق وابن أستاذاه ، وبكى . فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه ، ثم قال لأيتمش : « قل له — يغنى الملك الناصر — كيف تجيء إلى الشام ، أو إلى غير الشام ، كمان الشام ومصر الآن تحت حكمك ؟ أنا لما أرسل إلينا السلطان الملك المظفر أن أحلف له ما حلفت حتى سيّرت أقول له : كيف يكون ذلك وابن أستاذنا باق ؟ فأرسل يقول : أنا ما تقدّمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه ، وكتب خطه وأشهد عليه بنزوله عن الملك ، فعند ذلك حلفت له . (٢٧٧ ب) ثم فى هذا الوقت تقول من يردنى عن الشام ؟ »^(٣) ، وأمر به

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة) ، ج ٨ ، ص ٢١٥ .

(٢) فى (السكرند) ، والرسم المثلث هنا من (Zetterstéen:Op. Cit.p. 151 etc) ،

ومنه أيضاً ما أضيف بين الحاصرتين .

(٣) (٤٣) نص ما بين الرقبن مضطرب فى ف ، وهو كالأق : « أنا لما أرسل إلينا السلطان الملك =

فَسَمَّيْنَاهُ إِلَى أَسْتاداره الطنقش . فلما كان الليل استدعاه ، ودفع إليه خمسين ديناراً وقال له : « قل له (١) لا يذكر الخروج من الكرك ، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والماليك ، ، وخلّني عنه ليعود إلى الكرك . فقدم [أيتمش] على الملك الناصر وحدثه بما جرى له . فأعاده على البرية ومعه أركتمس وعثمان الهجان ، ليجتمع بقرا سنقر نائب حلب ، ويواعده على المسير إلى دمشق . وسار الملك الناصر من الكرك إلى بركة زيزاء (٢) .

وأما الملك المظفر فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس الأمير [علاء الدين] مغلطاي أَيْتَمَشَ (٣) [المقدم ذكره] قلق ، واستدعى الأمير سلار النائب (١٢٧٨) ، وعرفه ذلك . وكانت البرجية قد أغروا المظفر بسلار ، واتهموه بأنه قد باطن الملك الناصر ، وأشاروا عليه بقبضه وخوضه منه . فبلغ ذلك سلار ، فخاف من البرجية لكثرتهم وقوتهم ، وأخذ في مداراتهم . وكان أشدهم عليه الأمير سيف الدين بيكور (٤) ، فبعث إليه - و [كان] قد شكاه من انكسار خراج - ستة آلاف أردب غلة وألف دينار مصرية ، فكف عنه ؛ وهادى (٥) خواص السلطان ، وأنعم عليهم بإنعامات كثيرة طلباً للسلامة منهم . [ثم حضر سلار عند المظفر وتكلم بما فيهم فيه] ، فاقضى الرأى تجهيز قاصد للملك الناصر بتهديده ليفرج عن أيتمش . وبينما هم في ذلك قدم البريد من [عند نائب] دمشق بأن الملك الناصر سار من

المظفر أن احلف ما حلفت حتى سيرت أقول له لا تخلي (كذا) ملكك ولا تخذك ، فاجابني أني ما بقيت لي رغبة في السلطنة وكتب خطه واشهد عليه بنزوله عن الملك حتى حلفت فملك المظفر « ؛ وقد عدلت العبارة كلها الى الصيغة المثبتة بالثمن من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٦) .

(١) الضمير عائد على الناصر محمد بن قلاوون .

(٢) في ف « زيزه » . انظر المهریزی (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٥٢ ، وغيرها) .

(٣) في ف « اسفل » ، بغير ضبط ، والرسم المثبت هنا من (Ztterstéen: Op. Cit. p. 140.)

ومنه أضيف ما بين الحاصرتين ؛ انظر أيضاً ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٧) .

(٤) كذا في ف بغير نقط ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٧) ، حيث ورد أيضاً أن هذا الاسم « بشكور » في إحدى النسخ الخطية لذلك الكتاب .

(٥) في ف « حادى » ، والرسم المثبت هنا من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٧) ، حيث العبارة كلها أوضح بكثير مما هنا ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصيغة من

ذلك المرجع .

الكرك إلى البرج^(١) الأبيض ، (٢٧٨ ب) ولم يُعرف مقصده ؛ فكُتِبَ إليه بالكشف عن مقصده ، وحفظ الطرقات عليه .

هذا وقد اشتهر بالقاهرة حركة الملك الناصر وخروجه من الكرك ؛ فتحرك الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقى - وكان شجاعاً مقداماً حاد المزاج قوى النفس ، ومن ألاميرالار النائب - ، وواعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان [الملك المظفر^(٢) بيبرس] إذا ركب ويقتله . فلما نزل إلى بركة الجب استجمع نوغاي بمن وافقه يريدون الفتك بالسلطان فى عودته من البركة ، وتقرب نوغاي من السلطان قليلاً قليلاً ، وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر ؛ ففطن به خواص السلطان وتحلقوا (٢٧٩ ا) حوله ، فلم يجد نوغاي^(٣) سيلاً إلى ما عزم عليه .

وعاد السلطان إلى القلعة ، فعرفه ألاميرالار ما فهموه عن نوغاي^(٤) ، وحسّنوا له القبض عليه وتقريره على من معه . فاستدعى [السلطان] الأمير سلال وأعلمه الخبر - وكان قد باطن نوغاي أيضاً - فحذره من ذلك ، وخوفه عاقبة الأخذ بالظن ، وأن فيه فساد قلوب الجميع ، وليس إلا الإغضاء فقط ، وقام عنه ، فأخذ البرجية فى الإغراء بسلار ، وأنه ولا بدّ قد باطن نوغاي ، ومتى لم يقبض عليه فسد الحال . فبلغ نوغاي ما هم فيه من الحديث فى القبض عليه ، فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر ؛ وخرج هو والأمير علاء الدين مغلطاي القازاني^(٥) ، والأمير سيف الدين طقطاي^(٦) الساقى ، ونحو سستين مملوكاً ، (٢٧٩ ب) وقت المغرب عند غلق باب القلعة من ليليلة الخميس خامس عشرى جمادى الآخرة .

(١) ذكر (Zetterstéen: Op. Cit. p. 141) هذا الموضع بأنه من « أعمال البلقاء » ، ولى بيبرس المصورى (ربدة الفكرة ، ج ٩ ، ص ٢٦٩) أنه بالقرب من « طفس » ، وهى حسبما جاء فى القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٨٠) مراكز الطريق البريدى بين غزة ودمشق . انظر أيضاً (Demombynes: Op. Cit. pp. 243, 253)

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٨) .
(٣) (٤ ، ٣) ما بين الرقین غير وارد فى ب (١٣٢١) ، وهو دليل على أن تلك النسخة ، برغم ما فيها من قلة لا جميع المتن هنا ، أقل من نسخة ف التى اعتدلت أصلاً للنشر .
(٤) فى ف « الفارغانى » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٢١) ، وابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٤٨) ، و (Zetterstéen: Op. Cit. P. 138) .
(٥) فى ف « يقطاي » ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen: Op. Cit. p. 136) .

وعرف السلطان بذلك من الإسطبل ، ففتح باب القلعة ، وطلب الأمير سلاور وشاروره ؛ فأشار بتجهيز الأمراء في طلبهم ، وعيّن أخاه علاء الدين سملك وقطر بن الفارقاني في عدة من حاشيته وخمسمائة مملوك ، وساروا من وقتهم غير مُجَدِّدين في طلبهم ؛ وصار بين الفريقين مرحلة واحدة ، إذا رحل هؤلاء نزل هؤلاء . فلما وصل نوغاي إلى قطيا وجد الحمل قد تجهز إلى القاهرة ، وهو مبلغ عشرين ألف درهم ؛ فأخذه وأخذ خيل الوالي وخيول العرب ، وسار إلى غزة ومضى إلى الكرك ؛ فنزل الأمراء (١٢٨٠) بعده غزة ، وعادوا إلى القاهرة . وقد اشتد خوف الملك المظفر وكثر خياله ^(١) ، فقبض على جماعة تزيد عدتهم على ثلاثمائة مملوك ، وأخرج أخبارهم وأخبار المتوجهين إلى الكرك للمالكة .

و بلغ الملك الناصر قدوم نوغاي ومن معه وهوفي الصيد ، فأمر بإحضارهم فأتوه ، وقبّلوا له الأرض وهنأوه بالعافية ، فسرّ بهم . وساروا معه إلى زيزاء ^(٢) ، ومضى إلى زُرْع ^(٣) يريد دمشق ، ثم رجع إلى الكرك . فشقّ على الملك المظفر ذلك ، ودار به البرجية وشوَّشوا فكره بكثرة إيهامهم وتخيلهم له بمخاطرة العسكر عليه ؛ وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار ^(٤) ، والأمير صارم ^(٥) الدين الجرملكي ؛ في عدة من الأمراء بجردين ؛ (٢٨٠ ب) وأخرج الأمير أقوش الرومي بجماعته إلى طريق السويس ، لينع من عسائه يتوجه من الأمراء والمالكة إلى الملك الناصر ؛ وقبض على أحد عشر مملوكا ، وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير سيف الدين أيطر ^(٦) وفروا ، فأدركه الأمير

(١) الخيال - والجمع أخيلة - ، والخيالة أيضاً ، ما تشبه للشخص في اليقظة والحلم من صورة (قاموس المحيط) ؛ على أن المقصود هنا هو أن السلطان قد كثرت تخيله أي تروحه وسوء ظنه عن حوله .

(٢) في ف « زيزه » .

(٣) كذا في ف بنير ضبط ، وهو أحد أعمال حوران ، واسمه الصحيح زُرْءا ، والرسم الوارد هنا تحريف عامي له . ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٢١ ؛ ج ٢ ، ص ٩٢١) . انظر أيضاً (Demombynes : Op. Cit p. 69) .

(٤) في ف « بينجار » ، والرسم المثبت هنا من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٥) ، وسيدأب الناشر على تصحيحه بهذه الصفحة من غير تعليق فيما يلي .

(٥) في ف « ناصر » والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. 165 etc) ، وكذلك ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٥) .

(٦) كذا في ف ، وهو في ب (٣٢١ ب) بالزاي بدل الراء ، وفي ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٥٥) بالياء بدل الباء .

جركمتر بن بهادر رأس نوبة ، وأحضره فخبس ؛ وعند إحضاره طلع الأمير سيف الدين الدكر السلاح دار [بملطف] ^(١) من الملك الناصر يتضمن استجلابه إليه ، فكثُر قلق الملك المظفر ، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والماليك ، وخشوا على أنفسهم ؛ واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويرانية ، وتواعدوا على الحرب ، وخرج (٢٨١) منهم مائة وعشرون فارساً بالسلاح ، وساروا إلى الملك الناصر . فخرج إليهم الأمير ينشجار والصارم الجر مكي ، فقاتلهم الماليك ، وجرح الجر مكي بسيف في فخذه سقط إلى الأرض ، ومضى الماليك على سحبة إلى الكرك . فعظم الخطب على السلطان ، واجتمع إليه البرجية ، وقالوا له : « هذا الفساد كله من الأمير سلاور ، ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك » ، فلم يوافق على ذلك ؛ واتفق الرأي على تجريد العساكر .

وفي يوم السبت ثاني رجب مات التاج بن سعيد الدولة ؛ واستقر [ابن أخته] ^(٢) كريم الدين أكرم الكبير في وظائفه ، وتكبر ^(٣) على الأمراء واستقرت فيه الأحوال ^(٤) ، حتى كتب على ما يعرف وما لا يعرف .

(٢٨١ب) وأما أيتمش المحمدي فإنه سار إلى حماة ، واجتمع بالأمير قبجق [نائبها] ، فأحال [قبجق] ^(٥) الأمر [على] الأمير [قراسنقر] [نائب حلب] ، وأنه معه حيث كان . فسار [أيتمش] إلى حلب ، واجتمع بقراسنقر ، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر ، ودخل في طاعته ، ووعد على المسير إلى دمشق أول شعبان . وكتب [قراسنقر] إلى الأقرم نائب دمشق يحثه على طاعة الملك الناصر ويرغبه ، وأشار ^(٦) بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكمتر الجوكندار نائب صفد ، والأمير كراي المنصوري بالقدس ، ونائب طرابلس ؛ وأعاد أيتمش ومن معه إلى الملك الناصر ، فسر بذلك .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٦) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن أبي الفاضل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٧٥) .

(٣) (٤) ما بين الرقین؛ وأرد في ف ، وكذلك في ب (١٣٢١) ، كالأق : « وكبر عليه الامرا واسمر

فه الأحوال » .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين . بهذه الفقرة من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٨) .

(٦) عبارة ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٨) هنا أكثر وضوحا ، ونصها :

« وأشار قرا سنقر على الملك الناصر أنه يكاتب الأمير بكمتر الجوكندار ... » .

وكان نوغاي منذ قدم لا يبرح يحرضه^(١) على المسير إلى دمشق ، فلما قدم عليه خبر قرا سنقر (٢٨٢) اشتد بأسه وقوى عزمه على الحركة ، إلا أنه ثقل عليه أمر نوغاي من مخاشنته له في المخاطبة ، وجفاه القول بحيث إنه قال له : « ليس لك حاجة ! ارجع إلى حيث شئت ! » ؛ فترك [نوغاي] الخدمة وانقطع إلى أن قدم [أيتمش]^(٢) من حلب ، فدخل بينه وبين السلطان حتى أزال ما بينهما ؛ وأسر له السلطان ذلك حتى قتله بعد عوده إلى الملك ، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ثم إن الملك الناصر بعث أيتمش أيضاً إلى صفد ، فتلطّف حتى اجتمع بناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد ، وجمع بينه وبين أبيه ليلاً في مقابر صفد ، فعبه أيتمش على ما كان من رده قاصد الملك (٢٨٢ ب) الناصر ، فاعتذر بالخوف من يبرس وسلار ، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط . فلما عرّفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة ، وأنه على ميعاد النواب [إلى المضي^(٣) إلى الشام] ؛ فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسرّ به .

وسار من القاهرة عشرة من الأمراء المقدمين في يوم السبت تاسع رجب منهم : الأمير سيف الدين برلغى الأشرقي . والأمير جمال الدين أقوش الأشرقي نائب السكر ، والأمير عز الدين أيك البغدادى ، والأمير سيف الدين طغرل الإيغاني ، والأمير سيف الدين تناكر^(٤) ، ومعهم نحو ثلاثين أميراً من الطبلخاناه ، بعد ما أنفق^(٥) فيهم [السلطان الملك المظفر] ؛ فأخذ برلغى عشرة آلاف دينار ، وكلٌّ من المقدمين (٢٨٣) ألفي^(٦) دينار ، وكلٌّ من الطبلخاناه ألف دينار ، وكلٌّ من مقدمي الحلقة

(١) ضمير الهاء عائد على الملك الناصر .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣٢) .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين في ف عبارة « ومضى » فقط ، والإضافة المعدلة من ابن تفرى بردى

(النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥٩) .

(٤) في ب « ساكر » بغير نقط ، والرسم المثبت هنا مما يلي ، ص ٧١ .

(٥) في ف « نفق » ، وقد صحح وأضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ،

ج ١ ، ص ٢٦٠) .

(٦) في ف « الف » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٣٢) ، وابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ،

ج ٨ ، ص ٢٦٠) .

ألف درهم، وكلٌّ من أجناد الكرك خمسمائة درهم، ونزلوا اتجاه مسجد^(١) تبر خارج القاهرة، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة، ولورود الخبر بعود الملك الناصر إلى الكرك. ثم ورد الخبر ثانياً بمسيره، فتجهّز العسكر في أربعة آلاف فارس، وخرج برلغى ونائب الكرك ومن تقدّم ذكره، وساروا في العشرين من شعبان إلى العباسية. فورد البريد من [عند الأفرم نائب] دمشق بقدم أيتمش الحمدي [عليه] من قبل الملك الناصر، وبما^(٢) شافه به من الجواب؛ وأنه بعث الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامي والأمير سيف الدين جوبان لكشف الأخبار، وأشار بتأخير سفر العسكر؛ فكُتِبَ (٢٨٣ ب) بإقامتهم على العباسية. فقدم أيدغدى شقير وجوبان على الملك الناصر، وعرفاه أنهما قدّما لكشف حاله، وحلفا له على القيام بنصرته؛ ورجعا إلى دمشق، فعرفّا الأفرم أن الناصر مقيم ليتصيد؛ فخاف أن يطرق دمشق بغتة، فجرد إليه ثمانية أمراء بمضافيهم: منهم الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري، والأمير سيف الدين الحاج^(٣) بهادر الحلبي الحاجب، والأمير سيف الدين^(٤) جوبان، والأمير كجكن، والأمير علم الدين الجاولي، ليقيموا على الطرقات لحفظها على من يخرج إلى الملك الناصر. وكُتِبَ [الأفرم] إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصري، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر، وأنه قد جدد اليمين له، (٢٨٤ أ) وحلّف أمراء دمشق أنهم لا يخونون^(٥) الملك المظفر ولا ينصرون^(٦) الملك الناصر، وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا في طاعة الملك الناصر. فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه.

فورد [كتاب^(٧)] الأمير برلغى من العباسية بأن ممالك الأمير جمال الدين أقوش الرومي

(١) انظر المقرئ (كتاب السلوك، ج ١، ص ٦٨٤ حاشية ٣).

(٢) في «ما»، وقد أضيفت الباء، وكذلك ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٦٠).

(٣) (٤) ليس لما بين الرقين وجود في ب (٣٢٢ ب)، وهذا مثل آخر للدلالة على قص هذه النسخة بالنسبة إلى ف.

(٥) في «يخونوا».

(٦) في «ينصروا».

(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٦٢).

تجتمعوا عليه وقتلوه ، وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر ، وأنهم لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه في جماعة من ممالك الأمراء ؛ وقد فسد الحال ، والرأى أن يخرج السلطان بنفسه . فأخرج [المظفر] تجريدة أخرى فيها عدة من الأمراء ، وهم بشاش وبكستوت الفتاح وكثير من البرجية ؛ وبعث إلى برلغى ألفى دينار ، ووعدته بأنه عازم على التوجه إليه (٢٨٤ ب) بنفسه . [فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك ، وبقدوم التجريدة إليه] عزم^(١) على الرحيل من الغد إلى جهة السرك . فلما كان الليل رحل كثير من معه يريدون الملك الناصر ، فكتب إلى السلطان بأن نصف العسكر قد صار عليه ، وحرضه على الخروج بنفسه . فلم يطلع الفجر إلا والأمير سيف الدين بهادر جكي^(٢) قد وصل بكتاب الأمير برلغى على البريد إلى السلطان ، فلما قضى صلاة الصبح تقدم إليه وأعلمه برحيل أكثر العسكر إلى الملك الناصر ، وناولته الكتاب ، فلما قرأه تبسم وقال : « سلم على برلغى ، وقل له لا تخش من شيء ، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية ، وجدد لنا عهداً ، وقد قرى على المنابر ، وجددنا اليمين على الأمراء ، وما بقى أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين ، (١٢٨٥) فإنه قد أكد في كتابة العقد . ثم دفع [المظفر] إليه العهد الخلفي ، وقال : « امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند ، ثم يرسله لي ، فإذا فرغ من قراءته يرسل بالعساكر إلى الشام » ، وجهز له أيضاً ألفى دينار أخرى ، وكتب جوابه بنظير المشاهدة . فعاد بهادر إلى برلغى ، فلما قرى عليه الكتاب وانتهى إلى قوله : « وإن أمير المؤمنين ولائى تولية جديدة ، وكتب لي عهداً ، وجدد لي بيعة ثانية » ، فتح [برلغى] العهد فإذا أوله : « إنه من سليمان » ، فقال : « وسليمان الريح » ، ثم التفت إلى بهادر وقال له : « قل له يا بارد الذقن ! والله ما معى أحد يلتفت إلى الخليفة » ، ثم قام وهو مغضب .

وكان سبب تجديد العهد أن نائب دمشق لما ورد كتابه بأنه حلف أمراء الشام ثانياً ،

(١) في ف « فزم » ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦١) .

(٢) كذا في ف ، وهو في ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ٢٦٢) ، برسم « جك » .

وبعث (٢٨٥ ب) صدر الدين محمد [بن عمر بن مكي بن عبد الصمد الشهير] بابن (١) المرحل برسالة إلى السلطان ، صار [حيدر الدين] يجتمع عنده هو وابن عدلان ، ويشغل السلطان وقته بهما . فأشارا عليه بتجديد البيعة ، وكتابة عهد يقرأ على المنابر ، وتحليف الأمراء ، فإن ذلك يثبت قواعد الملك ؛ ففعل ذلك وحلف الأمراء بحضرة الخليفة ، وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبي الربيع ، ونسخته : **وَلَمَّا نَهْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَلَمَّا نَهْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .** من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين أبي الربيع سليمان بن أحمد العباسي لأمراء المسلمين وجيوشها . **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ؛** ولما رضيتم لكم بعهد (٢) الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائباً عنى الملك الديار (١٢٨٦) المصرية والبلاد الشامية ، وأقامته مقام نفسه لدينه وكفايته وأهليته ، ورضيته للؤمنين ، وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك ، ورأيت ذلك متعيناً على ، وحكمت بذلك الحكم الأربعة (٣) . واعلموا وحكم الله أن الملك عقيم (٤) ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر . وقد استخرت الله تعالى ؛ ووليت

(١) في « ابن » ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصفحة من ابن تقي بردي (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ٢٦٢) .

(٢) في « نصبت لكم بعد الله تعالى ... » ، وقد صححت العبارة من ابن تقي بردي (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٣) .

(٣) في « الأربع » .

(٤) تحمل هذه العبارة التصيرة في طياتها تفسيراً شافياً لكثير من حوادث التاريخ الإسلامي ، بل لأنها تفرح معظم حوادث التاريخ العام ، قبل أن يصبح مبدأ الوراثة الملكية لابن الأكبر (Primogeniture) مبدأً متفأعليه في الممالك الخنافة بالشرق والغرب . وقد شرح صاحب تاج العروس (ج ٨ ، ص ٢٠٣) عبارة « الملك عقيم » شرحاً فقهياً انزياحاً ، ونصه : « الملك عقيم ، أى لا ينفع فيه نسب ، كما في الساس ؛ وقيل لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق ؛ أو لأن الأب يقتل ابنه إذا خافه على الملك ، وهذا نقله الجوهري ؛ أو لأنه يُقتل في طلبه الأب والولد والأخ والعمة ، قاله ثعلب » . وفي لسان العرب : « ويقال للملك عقيم ، لا يقع فيه نسب ، لأن الأب يقتل ابنه على الملك ؛ وقال ثعلب ، مناه أنه يقتل أباه وأخاه وعمة في ذلك » . على أن المقصود بعبارة « الملك عقيم » هنا أنه لا يورث ، كما تدل عبارة المتن في وضوح ، وليس في الشرع ما ينس على توريث الملك البتة ؛ ولا غرابة بعد هذا أن يظل مبدأ التوريث المالكى مقنناً غير مقبول أجيالاً عديدة في الدول الإسلامية كلها ، ومنها دولة المماليك التي لا بد وأن تكون قد تأثرت بنظرية عقم الملك هذه ، فضلاً عما كان في صميم ظروفها ونظمها من عوامل أخرى ، كالنشأة الحربية والاعتماد على القوة والعنف والسيكدة وكثرة الأنصار ، مما هو متواتر في جميع المؤلفات الخاصة بمصر المماليك في مصر .

عليكم الملك المظفر ؛ فن أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى أبا القاسم ابن عمي عليه السلام . وبلغني أن الملك الناصر بن الملك المنصور شقّ العصا على المسلمين ، وفرّق كلمتهم وشتت شملهم ، وأطمع عدوهم فيهم ، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبي (٢٨٦ ب) الحريم والأولاد وسفك الدماء ، وتلك دماء قد صانها الله من ذلك . وأنا خارجٌ إليه ومحاربُه إن استمر على ذلك ، وأدفع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم ، وأقاتله حتى ينيء إلى أمر الله تعالى . وقد أوجبتُ عليكم يامعاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوأى - اللواء الشريف ، فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعه وقتاله إن استمر على ذلك ، وأنا مستصحب معي لذلك السلطان الملك المظفر ، فجهّزوا أرواحكم والسلام . وقد قرىء على منابر الجوامع بالقاهرة في الجامع الأزهر وجامع الحاكم ، وقت الخطبة في يوم الجمعة ؛ فلما بلغ القارئ إلى ذكر الملك الناصر صاحوا : « لا إله إلا الله » ، (٢٨٧) ووقع في القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك .

وفيه قدم الأمير بهادر آص من دمشق على البريدي بحث السلطان على الخروج بنفسه ، فإن النواب قد مالوا كلهم مع الملك الناصر ؛ فأجاب بأنه لا يخرج ، واحتج بـ « كراهيته » (١) للفتنة وسفك الدماء ، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر ، فإن قبلوا وإلا ترك الملك . ثم قدم الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغى أن جميع من خرج من أمراء الطبائخانة لحقوا بالملك الناصر ، وتبعهم خلق كثير ، ولم يتأخر غير برلغى وجمال الدين أقوش نائب السكر وأبيك البغدادى وتناكر (٢) والفتاح لا غير ، وذلك لأنهم خواص السلاطين .

وأما الملك الناصر فإنه سار في (٢٧٨ ب) أول شعبان بمن معه يريد دمشق ، فدخل في طاعته (٣) الأمير قطلوبك الحاج بهادر الحلبي وبكتمر الحاجب والجاولى ، وكتبوا إليه بذلك ، وأنه يتأثني في المسير إلى دمشق من غير سرعة حتى يتبين ما عند بقية أمراء دمشق . ثم كتبوا إلى الأقرم نائب دمشق بأنه لا سبيل إلى محاربة الملك

(١) في « بكبر » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٤) .

(٢) في « ساكر » . انظر ص ٧١ ، ويلاحظ أن اسم هذا الأمير « الذكن » في ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٦٤) .

(٣) في « طاعه » .

الناصر ، وأرادوا بذلك إما أن يخرج [الأفرم] إليهم فيقبضوه ، أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فتأتيهم بقية الجيش . وكان كذلك : فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس سيرُ الملك الناصر من الكرك ، فنارت العوام وصاحوا : « نصره الله » . وركب الأجناد إلى النائب ، فاستدعى من بقى من الأمراء والقضاة ، ونادى : « معاشر أهل الشام ! مالكم (١٢٨٨) سلطان إلا الملك المظفر » ؛ فصرخ الناس بأسرهم : « لا ! لا ! ما لنا سلطان إلا الملك الناصر » .

وتسلل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر ، وانفرط الأمر من الأفرم . فاجتمع الأمير بيبرس العلائي والأمير بيبرس المنجوني بمن معهما على الوثوب بالأفرم وقبضه ، فلم يثبت عندما بلغه ذلك ؛ واستدعى علاء الدين علي بن صُبح وكان من خواصه ، وتوجه ليلاً إلى جهة الشقيف . فركب الأمير قطلوبك والأمير الحاج بهادر عند ماسما الخبر ، وتوجها إلى الملك الناصر فُسِّرَ بهما ، وأنعم على كل منهما بعشرة آلاف درهم . ثم قدم إليه أيضاً الجاولي وجوبان ، وسار بمن معه حتى نزل الكسوة ، فخرج إليه (٢٨٨ ب) بقية الأمراء والأجناد ، وقد عمل له سائر شعار السلطنة من الصناجق الخليفية والساطانية والعصائب والجتر والغاشية . فخلّف العساكر ، وسار في يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان من الكسوة يريد المدينة ، فدخلها بعدما زُيّنت زينة عظيمة . وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار المكاتب ، فبلغ كراء البيت من البيوت التي من ميدان الحصا إلى القاعة للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم . وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة ، وحمل الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري الغاشية ، وحمل الأمير الحاج بهادر الجتر . وترجل الأمراء (١٢٨٩) والعساكر بأجمعهم ، حتى [إذا] وصل باب القلعة خرج متولى القلعة وقبّل الأرض ؛ فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان . وكان عليه عند دخوله عباءة بيضاء فيها خطوط سود ، تحتها فرو سنجاب .

وفي وقت نزوله قدم مملوك قراسنقر من حلب لكشف الخبر ، و [ذكر] أن قراسنقر خرج من حلب ، وقبجق خرج من حماة ؛ فخلع عليه ، وكتب [إليهما] بسرعة القدوم . وكتب إلى الأفرم أمان ، وتوجه به علم الدين الجاولي ؛ فلم يثق

بذلك ، وطلب يمين السلطان له ، خلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحيحة الأمير الحاج أرتقاي الجمدار ، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح ، فركب السلطان إلى لغائه ، حتى [إذا] قرب (٢٨٩ ب) منه نزل كل منهما عن فرسه . فأعظم الأفرم نزول السلطان له ، وقبّل الأرض ، وكان قد أبس كاملية^(١) وشدّ وسطه وتوشّح بتصفية^(٢) ، يعني أنه حضر بهيئة البطل^(٣) من الإمرة ، وكفنه^(٤) تحت إبطه . وعند ما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد : يا مولانا السلطان ! بتربة والدك الشهيد لا تؤذيه^(٥) ، ولا تغيّر عليه ! ، فبكى سائر من حضر . وبالحق السلطان في إكرامه ، وخلع عليه وأركبه ، وأقرّه على نيابة دمشق ، فكثّر الدعاء له ؛ وسار [الناصر] إلى القصر . فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلاً وجالاً وثياباً بماتى ألف درهم ، مقدمة للسلطان .

وفي يوم الجمعة ثاني عشره خطب (١٢٩٠) بدمشق للملك الناصر ، وصليت الجمعة بالميدان ، فكان يوماً مشهوداً .

وفيه قدم الأمير قراسنقر نائب حلب ، والأمير قبيجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجي نائب طرابلس ، وتمر الساق نائب حمص . فركب السلطان إلى لقائهم في ثامن عشره ، وترجّل لقراسنقر وعانقه ، وشكر الأمراء وأثنى عليهم . ثم قدم الأمير كراي المنصوري من القدس ، وبكتمر الجوكندار نائب صمد . وتقدّم كل من

(١) وصف (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الكاملية - والجمع كوال - بالآتي : espèce de robe أي نوع من الملابس الخارجية كالعباءة . انظر الحاشية التالية .

(٢) النصفية - وجهها نصافي - حسب ما ورد في (Dozy : Supp. Dict. Ar.) : قاش من نسج الحرير والكثان . انظر أيضاً ابن إياس (بدائع الزهور - طبعة استانبول ، ج ٤ ، ص ٤٥) . وهناك أيضاً النصافي الحزبي ، نسبة إلى حزة قرب إربل ، وهي ثياب من القطن الخشن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣) . ويظهر أن المعنى الثاني هو المقصود هنا ، إذ كان الأمير المذكور هنا حريصاً على أن يظهر أمام السلطان بملابس الأمير البطل الذي زال عنه إقطاعه (انظر ص ٣٧ ، حاشية ٢) ، وليس من المقول أن يتشح بالحرير . على أن الجدير بالملاحظة أن عبارة القرزبي هنا تنص على أن هذا النوع من الثياب - بما فيه من كالمية ونصفية ووسط مشدود ، كان من ملابس المنضوب عليهم من الأسراء في دولة المماليك .

(٣) انظر ص ٣٧ ، حاشية ٢ .

(٤) في ف « كفه » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٧) .

(٥) في ف « لا يؤذيه » :

النواب والأمراء تقدمه على قدر حاله ، ما بين ثياب أطلس وحوائص ذهب وكلفتاه زركش ، وخيول مسرجة وغير مسرجة ، وأصناف الجواهر والخلع والأقنية والتشريف . وكان أجلهم (٢٩٠ ب) مقدمة الأمير قطلوبك المنصوري ، فإنه قدم عشرة أرؤس خيل مسرجة ملجمة ، عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه ملوك ، وأربع قطر بغال ، وعدة بخاتي ، وغير ذلك .

وشرع الملك الناصر في النفقة على الأمراء والعساكر الواردة مع النواب ، فلما انتهى أمر النفقة قدم [السلطان ^(١)] بين يديه الأمير كراي المنصوري على عسكر [ليسير] إلى غزة ، فسار إليها ، وصار [كراي] يمد في كل يوم سمطاء عظيماً للمقيمين والواردين ، وأنفق في ذلك أموالاً جزيلة من حاصله . واجتمع عليه بغزة عالم كبير ، وهو يقوم بكفهم ويعدم عن السلطان بما يرضيهم .

وقدم الخبر إلى القاهرة في خامس (٢٩١ ا) عشرى شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال ؛ فقلق الملك المظفر ، واضطربت الدولة ، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد اللحاق بالملك الناصر ، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه وأزواجه . ولم يتأخر عند الأمير برغى من الأمراء والأجناد سوى خواص الملك المظفر ، [فتشاور مع جماعته ^(٢)] ، فافتضى رأيه ورأى الأمير أقوش نائب السرك اللحاق بالملك الناصر أيضاً ؛ فلم يوافق على ذلك البرجية ، وعاد الأمير أبيك الغدادى وبكتوت الفتاح وقبحار وبقية البرجية إلى القاهرة ، وصاروا مع الملك المظفر . وسار برغى ونائب السرك إلى الملك الناصر فيمن بقي من الأمراء والعساكر ، (٢٩١ ب) فاضطربت القاهرة .

وكان الملك المظفر قد أمّر في مستهل رمضان سبعة وعشرين أميراً ، ما بين طبلخاناه وعشراوات : منهم من مالىكة صنيقجي ^(٣) وصديق وطومان ، وقرمان ، وغرلوا ^(٤) وبهادر وطر نطاي المحمدى ، وبكتمر الاساقى وقراجا الحسامى وبهادر

(١) أضيف ١٠ بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٦٨) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٦٨) .

(٣) في ف «صفحي» والرسم المثبت هنا من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٦٩) .

(٤) في ف «عروا» ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 219) .

قبجق ، ولاجين أيتغلي^(١) وانكبار^(٢) وطاشتمر أخو بتخاص ، ومن الزامه جر كتمر بن بهادر رأس نوبة وحسن بن الردادى ؛ وشقوا القاهرة على العادة ، فصاحت بهم العامة : « يا فرحة لا تَمَتَّ » .

أخرج [المظفر] أيضاً عدة من الممالك إلى بلاد الصعيد ، وظن أن ينشئ له دولة . فلما بلغه مسير برلقى وذهب السكر إلى الملك الناصر سقط في يده ، وعلم (١٢٩٢) زوال أمره ؛ فإن برلقى كان زوج ابنته ومن خواصه ، بحيث أنعم عليه في هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار . وقيل سبعين ألف دينار . وظهر عليه اختلال الحال ، وأخذ خواصه في تعنيفه على إبقاء سلار النائب ، وأن جميع هذا الفساد منه . وكان كذلك : فإنه لما فاتته السلطنة ، وقام فيها بيبرس ، حسده ودبر عليه ، وبيبرس في غفلة عنه ، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه .

وقبض في ليلة الجمعة ثاني عشره على جماعة من العوام ، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسب الملك المظفر ، فما زادم ذلك إلا طغياناً ؛ وفي كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور إلى الأمير سلار . فلما (٢٩٢ ب) أكثر البرجية من الإغراء بسلار قال لهم [المظفر] : « إن كان في خاطركم شيء فدوكم وإياه إذا جاء إلى الخدمة ، وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط » ؛ فأجمعوا على قبض سلار إذا عبر يوم الاثنين خامس عشره إلى الخدمة . فبلغه ذلك فتأخر عن حضور الخدمة ، واحترس على نفسه وأظهر أنه قد وعك ؛ فبعث الملك المظفر يسلم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيته ؛ فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها .

فلما كان من الغد يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان ، استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم ، واستشارهم فيما يفعل . فأشار الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بنزوله عن الملك ، والإشهاد بذلك كما فعل الملك الناصر ، (٢٩٣ أ) « وتسير إليه تستعطفه ، وتخرج إلى الإطمينجية بمن تثق به ، وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر » . فأعجبه ذلك ، وقام ليجهز أمره وبعث ركن الدين بيبرس الدودارى إلى

(١) في ف « اسعلى » ؛ والرسم اثبت هنا مما سبق ، ص ٥٨ ، سطر ٨ .

(٢) في ف « الحار » ، وف ب (١٣٢٥) « اكبار » ، والرسم اثبت هنا من ابن تترى برى

(النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٦٩) .

إلى الملك الناصر يسأله لإحدى ثلاث : إما الكرك وأعمالها ، أو حماة وبلادها ، أو صهيون ومضافاتها .

ثم اضطرب [المظفر] آخر النهار ، ودخل الخوان ، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب ، وخرج في يومه من باب الإسطبل في مائتيك وعدتهم سبع مائة فارس ، ومعه الأمير عز الدين أيدير الخطيرى الأستاذار ، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح ، والأمير سيف الدين قهاس ، والأمير سيف الدين تناكر (١) ، في بقية الزامه من البرجية . (٢٩٣ ب) وكأنا نودى في الناس بأنه قد خرج هارباً ، فاجتمع الناس وقد برز من باب الإسطبل ، وصاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه ، وزادوا في الصياح حتى خرجوا عن الحد ، ورماه بعضهم بالحجارة . فمضى ذلك على مائتيك ، وهمّوا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم ؛ فنعهم من ذلك ، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم ؛ فأخرج كل من المائتيك حفنة مال ونثرها . فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه ، وأخذوا في العدو خلف العسكر ، وهم يسبون ويصيحون ؛ فشر المائتيك حينئذ سيوفهم ، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم . وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء (١٢٩٤) سابع عشره يصيحون (٢) باسم الملك الناصر ، بإشارة الأمير سلا ، فإنه أقام بالقلعة .

وفي يوم الجمعة تاسع عشره خطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر ، وأسقط اسم الملك المظفر ، فكانت أيامه في السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، فكان كما قيل :

أعجلتها النوى فما نلت منها طائلا غير نظرة من بعيد (٣)

(١) كذا في ف . انظر أيضا ص ٦٦ ، سطر ١٨ .

(٢) في ف « صيحوا » .

(٣) يتلو هذا البيت في ف العبارة الآتية ، ونصها « تم الجزء الثالث من السلوك لمعرفة دول الملوك ، يتلو في الجزء الرابع إن شاء الله تعالى عود السلطان الناصر ، وذلك على يد الفقير إلى الله تعالى أبي الفضل الأعرج ، في تاسع عشر ربيع الأول عام ٨٨٠ هـ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . ويتضح من هذه العبارة أن نسخة ف كتبت بعد وفاة مؤلفها بنحو خمس وثلاثين فقط ، وهذا مما يميزها عن كثير من النسخ الأخرى ، كنسخة ب المتداول ذكرها بالحواشى . أما أبو الفضل الأعرج ، وهو كاتب هذه النسخة من كتاب السلوك ، فسيأتى التعرف به في آخر الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(١ ب) عود السلطان^(١) الملك الناصر ناصر الدين أبي المعالي

محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك مرة ثالثة

وذلك أنه لما عزم على المسير إلى ديار مصر ، خرج من دمشق في الثانية من
نهار يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان - وهي الساعة التي خلع فيها الملك المظفر
يبرس نفسه من الملك - ، وسار يريد مصر .

وعندما فرّ المظفر يبرس جلس الأمير سلاّر في شبّاك النياية ، وجمع من بقى
من الأمراء ؛ واهتم بحفظ القلعة ، وأفرج عن المحاييس بها . وركب [سلاّر]
ونادى في الناس : « ادعوا لسلطانكم الملك الناصر » ، (١٢) وكتب إلى الملك الناصر
بنزول يبرس عن الساطنة وفراره ، وسير بذلك أصلم الدوادار وبهادر آص إلى الملك
الناصر برسالة المظفر أنه قد نزل عن الساطنة ، ويسأل إما السكرك أو حماة أو
صهيون . فاتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضاً ، وقدوم الأمير
سيف الدين ساطى السلاح دار في طائفة من الأمراء ، وقدوم العربان والتركان .
وقدم الأمير مهنا بجماعة من غرب آل فضل ، فركب السلطان إلى اقائه ؛ وقدم برانغى
ونائب السكرك . فسرّ السلطان بذلك سروراً كبيراً . وكتب [الناصر] إلى المظفر
أماناً مع يبرس الدودار وبهادر آص ، وقدما في حادى عشرى رمضان إلى الأمير
سلاّر ، فجهز الأمان إلى المظفر .

ولما تكاملت (٢ ب) العساكر بغزة سار [الناصر] يريد مصر ، فقدم أصلم
مملوك سلاّر بالنجاة^(٣) ؛ ووصل أرسلان^(٤) الدوادار ، فسرّ بذلك . ولم يزل
[الناصر] سائراً إلى أن نزل بركة الحاج ، وقد جهز إليه الأمير سلاّر الطلب
السلطانى والأمراء والعساكر سليخ رمضان ؛ وخرج الأمير سلاّر إلى لقائه . وصلى
السلطان صلاة العيد بالدهليز في يوم الأربعاء مستهل شوال ، وأنشد الشعرا
مدائحهم ، فن ذلك ما أنشدته شمس الدين محمد بن على بن موسى الراعى أحياناً منها :

(١) هذا بدء الجزء الرابع من السلوك ، حسب تقسيم نسخة ف ، ورقه ٤٣٨٣ فاتح .

(٢) في ف « قدم » .

(٣) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٥٧) .

(٤) في ف « أرسلان » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٩) .

الملك عاد إلى حماه كما بدا ومحمد بن النصر سر محمد
ولبابه كالسيف عاد لغمده ومعه كألورد عاوده الندى
الحق مرتجع إلى أربابه من كف غاصبه وإن طال المدا

وعمل الأمير [سلار] سماطا عظيما بلغت النفقة عليه (١٣) اثني عشر ألف درهم، جلس عليه السلطان. فلما انقضى [السماط] عزم [السلطان] على المبيت والركوب بكرة يوم الخميس، فبلغه أن الأمير برلغى والأمير أقوش نائب السكر قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله، فبعث إلى الأمراء يعلمهم بما بلغه، ويأمرهم بالركوب فركبوا، وركب في مماليكه وذقت الكوسات. وسار [الناصر] وقت الظهر من يوم الأربعاء، وقد احتفت به مماليكه كي لا يصل إليه أحد من الأمراء، وسار إلى القلعة، وخرج الناس بأجمعهم لمشاهدته. فلما بلغ بين العروستين (١) ترجل سلار وسائر الأمراء، ومشوا إلى باب السر من القلعة، وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان من الباب إلى القلعة، وأمر (٣ ب) الأمراء بالانصراف إلى منازلهم. وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل، فباتوا على ذلك.

وأصبح [الناصر] من الغد يوم الخميس ثانيه جالسا على تخت الملك وسرير السلطنة، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء، فقرأ محمد بن علي بن موسى الراعي: « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ (٢) وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، يَدُوكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »، ثم دعا. ولما تقدم الخليفة وسلم، نظر إليه السلطان وقال له: « كيف تحضر تسلم على خارجي، هل كنت أنا خارجيا ويبرس كان من سلالة بني العباس؟ »، فتغير وجه الخليفة ولم ينطق. ثم التفت السلطان إلى القاضي

(١) أطلق هذا الاسم على خط من الأخطاط الراقمة في طريق الواصل إلى قلعة الجبل من القاهرة في العصور الوسطى، وكان به حسبا أورد ابن الزيات (الكواكب السائرة في ترتيب الزيادة، ص ٢٧٨) مقابر بعض الأولياء، قد حده محمد رمزي بك بالموضع الذي توجد به دار المحفوظات المصرية الحالية، غير أن المراجع المتداولة في هذه الحواشي لا تنبئ بشيء، عن أصل تلك التسمية.

(٢) على هذا لفظ « الآية »، دلالة على أن النسخ - أو المقرئ نفسه - اكتفى بأول الآية وترك

البقية للقارئ، وقد كتبت هنا.

علاء الدين على بن عبد الظاهر الموقّع ، وكان (١١٤) هو الذي كتب عهد المظفر عن الخليفة ، وقال له : « يا أسود الوجه » ، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف : « يا خوند اأبلى خير من أسود ؟ » ، فقال السلطان : « ويملك ا حتى ألا تترك (١) » رنكه أيضاً ، يعنى أن ابن عبد الظاهر بمن ينتمى إلى الأمير سلا ، وكان رنك سلا أبيض وأسود ، ثم التفت السلطان إلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وقال : « يا قاضى ا كنت تفتى المسلمين بقتالى ؟ » فقال : « معاذ الله ا إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتى » . ثم حضر صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل ، وقبل يد السلطان فقال له كنت تقول « ما للصبي وما للملك يكفله ؟ » ، خلف بالله ما قال هذا ، وإنما الأعداء أرادوا إتلافه فزادوا في قصيدته هذا البيت ، (٤ ب) والعفو من شيم الملوك ، فمعا عنه ؛ وكان ابن المرحل قد مدح المظفر ببيرس بقصيدة عرض فيها بالناصر ، من جملتها :

ما للصبي وما للملك يكفله شأن الصبي انير الملك مألوف

ثم استأذن شمس الدين محمد بن عـلان ، فقال السلطان للدوادار : « قل له أنت أفتيت أنه خارجي وقاتله جائز ، مالك عنده دخول ؛ ولكن عرفه هو وابن المرحل [أنه] يكفيهما ما قال الشارمساحى فيهما » . وكان من خبر ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة عرض فيها بهجو الملك المظفر ببيرس وصحبته لابن عدلان وابن المرحل ، منها :

وَلَى الْمَظْفَرِ لِمَا فَاتَهُ الظَّفَرُ وناصر الحق وافي وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا كادت على عصبة الإسلام تلتثر
فقل لبيرس إن الدهر ألبسه أثواب عارية في طولها قصر
لما تولى تولى الخير عن أمم لم يحمدا أمرهم فيها ولا شكروا
وكيف تمشى به الأحوال في زمن لا النيل وفسى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته وابن المرحل قل لى كيف ينتصر

وكان المطر لم يقع في هذه السنة ، وتصر النيل ، رارتفع السعر .

وانفق في يوم جلوس السلطان ، أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشد يقال له مسعود أحضره معه من دمشق ، فقام وأنشد أبياتاً لبعض عوام القاهرة ، قالها عند توجه الملك الناصر من مصر إلى السكر ، منها :

(ه ب) أجبة قلبي إنني لوحيد وأريد لقاكم والمزار بعيد
كفى حزناً أني مقبم بيلدة ومن شَفَّ^(١) قلبي بالفراق فريد
أجول بطرفي في الديار فلا أرى وجوه أحبائي الذين أريد

فتواجد الأفرم وبكى ، وحسر عن رأسه ، ووضع الكفتاه على الأرض ؛ فأنكر الأمراء ذلك ، وتناول الأمير قراسنقر الكفتاه بيده ووضعها على رأسه . وخرج السلطان فقام الجميع ، وصرخت الجاويشية ، فقبل الحاضرون الأرض . وفيه قدم الأمير سلاّر من المماليك والخيول وتعاين القماش ما قيمته مائتا ألف درهم ، فقبل السلطان شيئاً وردّ الباقي . وسأل سلاّر الإعفاء [من نيابة السلطنة^(٢)] ، وأن ينعم عليه بالشوبك ؛ فأجيب إلى ذلك . وحلف [سلاّر] أنه متى طُلب حضر ، وخلع عليه ، (١٦) ، وخرج عصر يوم الجمعة ثالثه مسافراً ؛ فكانت نيابته إحدى عشرة سنة ؛ وتوجه معه الأمير نظام الدين آدم ؛ واستقر ابنه عليّ بالقاهرة ، وأنعم عليه بأمره عشرة .

وفي خامسه قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان . وفيه استقر قراسنقر في نيابة دمشق عوضاً عن الأفرم ، وقبجق في نيابة حلب ، والحاج بهادر الحلبي في نيابة طرابلس عوضاً عن أسندمر كرجي ، وقطلوبك المنصوري في نيابة صفد عوضاً بكتمر الجوكندار ، وأسندمر كرجي في نيابة حلب حماة عوضاً عن قبجق ، وسنقر السكالي حاجب الحجاب بديار مصر على عادته ، وقرأ لاجين أمير مجلس علي (٦ ب) عادته ، ويبرس الدودار على عادته - وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس - في خامس ذي القعدة ؛ واستقر الأفرم في نيابة صرخد بمائة فارس . وطلب

(١) في ف « مرشف » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٢٧) .

(٢) أضيف ، بين الحاصرتين للتوضيح ، على أن الوارد في ف (Zetterstéen : op. Cit. p. 131)

الأمير سلاّر « عزل من نيابة السلطنة » :

(هـ) أثبت الناشر صفة هذه الأسماء كلها حسما ورد في ف ، وضبط ما هو مضبوط هنا فقط .

وَجَبَاً أَخو سَلار ، وطَر نطاي البَغدادى ، وأيدغدى التليلى ، وبهادر الحوى ، وبلبان
الدمشقى ، (١٨) وأيدغدى الزَّرَّاق ، وكهرداش الزَّرَّاق ، وبكتمر الأستار ،
وأيدمر الإسماعيلى ، وأقطاي الجمدار ، وبوزبا الساقى^(١) ، وييرس الشجاعى ، وكورى
السلاح دار ، وأقطوان الأشرفى ، وبهادر الجوكندار ، وبلبان الشمسى ، وعدة من أمراء
العشراوات ؛ فلما وصلوا إلى حلب رُسم بإقامة ستة من أمراء الطبليخاناه وعود البقية .
وفى ثالث عشره استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصورى فى نيابة
السلطنة بديار مصر ، عوضاً عن سَلار .

وفى خامس عشره أحضر الأمير ييرس الدودار الأموال من عند الملك المظفر
ييرس . وفيه أمر السلطان اثنين وثلاثين أميراً من ماليكه (٨ ب) : منهم تنكز
الحسامى ، وطغاي ، وكستاي ، وقجلىس ، وخاص ترك ، وخالط قرا ، وأركتمر ،
وأيدمر الشينخى ، وأيدمر الساقى ، وييرس أمير آخور ، وطالجار ، وخضر بن نوكاى ،
وبهادر قججق ، والهاج رقطاي ، وأخوه أيتمس المحمدى ، وأرغون الدرادار الذى
صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر ، وسنقر المرزوقى ، وبلبان الجاشنكير ، واسنغا ،
ويديغا الملىكى ، وأمير على بن قطلوبك ، ونوروز أخو جنكلى ، والجاى الحسامى ،
وطيغنا حاجى ، ومغلطاي العزى صهر نوغاي ، وقرمشى الزينى ، وبكتمر قججق ،
ويغرا^(٢) الصالحى ، ومغلطاي البهائى ، وسنقر السلاح دار ، ومنكلى بغا . وركبوا
جميعاً بالشرايش ، وشقوا القاهرة ؛ وقد (١٩) أوقدت الخوانيت كلها إلى
الرميلة وسوق الخيل ، ورُصّت المغانى وأرباب الملاهى فى عدة أماكن ، ونُثرت
عليهم الدراهم ، فكان يوماً مشهوداً . وكان المذكورون منهم أمراء طبليخاناه ،
ومنهم أمراء عشراوات .

وفيه قبض على الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار ، والأمير بدر الدين بكوت
الفتاح أمير جاندار ، بعدما حضرا من عند الملك المظفر ومُخلع عليهما . وفيه كُتب إلى

(١) فى ف « بورنا » وفى ب (١٣٢٨) ، « بوزبا » . انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ،

ص ٤٦٧) .

(٢) فى ف « تينوا » ، والرسم المثلث هنا من (Zetterstéen : Op. cit. P. 183) .

ولادة الأعمال بالحوطة على موجود الأمراء المقبوض عليهم ، وطلب [السلطان] مباشرتهم . وفيه سُفّر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية ، وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها ، وهم : الأقوش المنصوري قاتل الشجاعى ، والشيخ على التترى (٩٦) ، ومنكلى التترى ، وشاورشى [بن] (١) قنغر الذى أثار فتنة الشجاعى ، وكتبغا ، وغازى وموسى أخوا (٢) حمدان (٣) بن صلغاي ؛ فلما حضروا مُخلع عليهم ، وأنعم عليهم بإمرات فى الشام وأحضر شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان ، فبالغ فى إكرامه .

وأما المظفر بيبرس فإنه لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح يومين ، واتفق رأيه ورأى أيدمر الخطيرى وبكتوت الفتاح على المسير إلى برقة والإقامة بها ؛ فلما بلغ المماليك هذا عزموا على مفارقتهم ، فلما رحلوا من إطفيح رجع المماليك شيئا بعد شيء إلى القاهرة ، فابلى الملك المظفر إلى إخمى حتى فارقه أكثر من كان معه ؛ فأنثنى رأيه عن برقة . وتركه الخطيرى (١٠٠) والفتاح وعادا إلى القاهرة ، فتبعهما كثير من المماليك المظفرية وهو يراهم . و [بينما هو سائر] قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر آص [من عند (٤) الملك الناصر] ليتوجه إلى صهيون ، بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس ؛ فسار به (٥) [بيبرس] فى النيل ، وقدم بهادر آص فى البر بالمظفر ومعه (٦) كاتبه كريم الدين أكرم . وسأل [المظفر] يمين السلطان مع من يثق به ، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء ؛ وبعث إليه بذلك مع أيتمش الحمدي ؛ فلما قدم عليه أيتمش بالغ فى إكرامه ، وتحير فيما يفعله ، وكتب الجواب بالطاعة ، وأنه يتوجه إليه بأحماية السويس ، وأن كريم الدين يحضر بالخزانة والحواصل التى أخذها فلم يعجب السلطان ذلك ، وعزم على

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٦٨) .

(٢) فى ف « أخوى » .

(٣) فى ف « جدار » ، والرسم المثبت هنا من ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٦٩) . انظر أيضا المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٩) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين ببقية هذه الصفحة من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٢) .

(٥) الضمير عائد على المال .

(٦) فى ف « ومكاتبته » ، والهيئة المثبتة هنا من ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٢) .

لإخراج تجريدة إلى غزة ليردّوه (١٠ ب) ، وأطلع على ذلك بكتمر الجوكندار النائب وقراسنقر نائب دمشق والحاج بهادر نائب طرابلس .

فلما كان يوم الخميس الذي قبض فيه على الأمراء جلس بعض المماليك الأشرفية ، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال [أولئك الأشرفية] : د وأى ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم ، وهذا الذي قتل أستاذنا الملك الأشرف ، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره ، [قد صار^(١) اليوم] حاكم المملكة ؟ - يعنى قراسنقر . فنقل هذا لقراسنقر ، تخاف على نفسه ، وأخذ في التعمّل على الخلاص [من مصر^(٢)] ؛ والنزم [للسلطان] أنه [يتوجه و] يحصل المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج التجريدة ، فإنّ في بعث الأمراء لذلك شناعة ؛ فحشى ذلك على السلطان ، ورسم بسفرهما . فخرج [قراسنقر] هو وسائر (١١١) النواب إلى ممالكهم ، فعوّق [السلطان] أسندمر كرجى نائب حماة عن السفر ، وسار البقية .

ثم جهز السلطان أسندمر كرجى لإحضار المظفر مقيداً ، فاتفق دخول قراسنقر والأمراء إلى غزة قبل المظفر ، فلما بلغهم قرب ركب قراسنقر وسائر النواب والأمراء واقفوا شرقي غزة ، وقد بقي معه عدة من مماليكه وقد تأهبوا للحرب ، فلبس الأمراء السلاح ليقاؤهم . فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال ، وقال : د أنا كنت ملسكا وحولى أضما فكم ، ولى عصابة كثيرة من الأمراء ، وما اخترت سفك الدماء ، وما زال حتى كفوا عن القتال ؛ وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء ، وأسلم نفسه إليهم ، فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة ، (١١ ب) وأخذوا سلاح مماليكه ووكّلوا بهم من يحفظهم ، وأصبحوا من الغد عاندين به معهم إلى مصر . فأدرّهم أسندمر كرجى بالخطارة^(٣) ، فأنزل في الوقت المظفر عن

(١) ما بين الحاصرتين وارد في ب (١٣٢٩) فقط .

(٢) أنضيف ما بين الحاصرتين ببقية هذه الصفحة بعد مراجعة ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة ،

ج ٨ ، ص ٢٧٣) .

(٣) الخطارة إحدى مراكز البريد بين مصر والشام في العصور الوسطى ، وموتها بين السعيدية

والصالحية الحالية . (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٤ ص ٣٧٧ ، المقرئى : كتاب السلوك ، ج ١ ،

ص ٣٧٤ ، ٥٧١) . وقد عين محمد رمزى بك في ابن تفرى بردى (كتاب النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٥١

حاشية ٥) موضع الخطارة الحالية - واسمها الخطارة الصغرى - بمركز فاقوس من مديرية الشرقية .

فرسه وقيّده بقيد أحضره معه ، فبكى وتحذّرت دموعه على شيبته . فشقّ ذلك على قراسنقر وألقى الكلفته عن رأسه إلى الأرض ، وقال : « لعن الله الدنيا ! فيا ليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم » . فترجّست الأمراء ، وأخذوا كلوتته^(١) ووضعوها على رأسه . هذا مع أن قراسنقر كان أكبر الأسباب في زوال دولة المظفر ، وهو الذي حسّن للملك الناصر حتى كان ما كان .

ثم عاد قراسنقر والحاج بهادر إلى جهة الشام ، وأخذ بهادر يلوم^(٢) [قراسنقر] على مخالفة رأيه ، فإنه كان قد أشار على قراسنقر في الليل (١١٢) بعد القبض على المظفر بأن يخلى عنه حتى يصل إلى صهيون ، ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته ، [ويخيفاً]^(٣) الناصر بأنه^(٤) متى تغيّر عما كان قد وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك . فلم يوافق قراسنقر على ذلك ، وظنّ أن الملك الناصر لا يستحيل^(٥) عليه ولا على المظفر ؛ فلما رأى ما حلّ بالمظفر ندم على مخالفة بهادر . وبيناهما في ذلك إذ بعث أسندمر كرجى إلى^(٦) [قراسنقر] بمرسوم السلطان أن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة ، وكان عزمه^(٧) أن يقبض عليه أيضاً ؛ ففطن [قراسنقر] بذلك وامتنع من التوجه إلى مصر ، واعتذر بأن العشير قد جمعوا ويخاف على دمشق منهم ، وجدّ في المسير ؛ وعرف أنه قد ترك الرأي في مخالفة بهادر .

وقدم أسندمر بالملك المظفر في (١٢ ب) ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة ؛ فلما مثل المظفر بين يدي السلطان قبّل الأرض ، فأجلسه وعنّفه بما فعل به ، وذكره بما كان منه وعدّ ذنوبه ، وقال : « تذكر وقد صحّحت على وقت كذا بسبب فلان ، ورددت شفاعتي

(١) الكلوتة هي الكلفته . انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، ٨٣٠) .

(٢) في ف « يلومه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين بياض في ف « والإضافة من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٨ ،

ص ٢٨٤) .

(٤) في ف « فانه » .

(٥) كذا في ف .

(٦) في ف « اليه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٧) الضمير عائد على السلطان الناصر .

في حقّ فلان، واستدعيتُ نفقة في وقت كذا من الخزانة فنتعتها، وطلبتُ في وقت حلوى بلوز وسكر فنتعتني. ويلك! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي، والمظفر ساكت. فلما فرغ كلام السلطان قال له: «يا مولانا السلطان! كلُّ ماقلتَ فعلته، ولم تبق إلا مراحم السلطان. وإيش يقول المملوك لأستاذه». فقال له: «يا ركن الدين! أنا اليوم أستاذك، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوى إيش يعمل بالأوز (١٣)»، الأكل هو عشرون مرة في النهار؟. ثم أمر [السلطان] به إلى مكان، وكان ذلك ليلة الخميس، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة. ثم جاء السلطان وأمر به فقتل (١)، وأنزل على جنوبية (٢) إلى الإسطبل، وغُسل به في ليلة الجمعة خامس عشرة، ودفن خلف القلعة.

وقدم كريم الدين (٣) أكرم بن العلمين السيد كاتب الملك المظفر بالمال والحواصل، فقرر به السلطان وأدناه وأثنى عليه، ووعد به بكل جميل إن أظروا على ذخائر بيبرس، ونزل إلى داره. فبذل [كريم الدين] جهده في تتبع أموال بيبرس، وخدم طغاي وكستاي وأرغون الدوادار، وبذل لهم مالا كثيرا حتى صاروا أكبر أعوانه وأنصاره، لا يبرحون في الثناء عليه مع السلطان. وقدم من كان مع بيبرس (١٣ب) من الممالك وعدتهم ثلاثمائة، ومعهم الخيل [والهجن (٤)] والسلاح، ومبلغ مائتي ألف درهم وعشرين ألف دينار، وستون (٥) بقجة من أنواع الثياب. فقبض السلطان الجميع، وفرّق الممالك على الأمراء، واختص منهم بكتمر الساقى الآتي ذكره وما صار إليه، واختص أيضا طوغان الساقى

(١) أفاض ابن تفرى بردى (النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٧٥) في وصف مقتل المظفر بيبرس، ومنه: «ثم جاء السلطان الملك الناصر بن تغلق [المظفر] بين يديه بوتر حتى كاد يتلف، ثم سيده به حتى أفاق، وعنفه وزاد في شتمه، ثم خنقه ثانيا حتى مات...».

(٢) انظر القرزى (كتاب السلوك، ج ١، ص ٧٥٧، ٨٤٠).

(٣) لهذا الرجل شأن وأمر كبير في عهد السلطات الناصر محمد كما سيلي، ولا بأس هنا من التعريف به في عبارة مختصرة، فهو كريم الدين أكرم بن هبة الله القبطي الأصلي، وكانت على وظيفة ناظر الحاسن مدة طويلة، وهو أول من تولى تلك الوظيفة التي أبتدعها الناصر في أوائل سلالته، وكانت وفاته سنة ٧٢٦ هـ. انظر ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٠١ - ٤٠٤)، وكذلك (Wiet : Les Biographies du Manhal Saffi p. 75).

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣٠).

(٥) في «ستين».

وقبائمه وُبلِك (١) في آخرين . واستدعى [السلطان] القضاة ، وأقام عندهم البيعة بأن جمع بمالك بيبرس وسلار وسائر ما وقفاه من الضياع والأمالك اشترى من مال بيت المال . فلما ثبت ذلك ندب السلطان الأمير جمال الدين أقوش نائب السكر وكريم الدين أكرم لبيع تركة بيبرس ، ولحضر نصف ما يتحصل فإنه للسلطان ، ودفع النصف الآخر لابنة بيبرس (١٤١) - امرأة الأمير برلغى الأشرقي - ، فإنه لم يترك سواها . فشدّد كريم الدين الطلب على امرأة بيبرس (٢) حتى أخذ منها جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة جدا ، وحمل منها إلى السلطان ، وأهدى إلى الأمراء الخاصكية القائمين بأمره (٣) والعناية به ، وادّخر لنفسه . وباع موجود بيبرس ، وكان شيئا كثيرا : فوجّده ثمانين بذلة (٤) ثياب ، ما بين أقبية وبغالطيق (٥) للبس ، وستين سروالا ، وثمانين قميصا . وصار كريم الدين يتردّد إلى بيت شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان المتحدّث في أملاكه ، وهو حينئذ عظيم الدولة المتحدّث في سائر أمور المملكة ، ويقرب إليه بما يجب . وطلب الصاحب نضر الدين عمر بن الخليلي مباشرة (١٤١ ب) الأمراء المقبوض عليهم ، وطالبهم بالأموال .

وأما قراسنقر والنواب فإنه سُقط في أيديهم ، ودخل كلا (٦) منهم الخوف على نفسه من السلطان ؛ وانفقوا على ألا يحضر أحد منهم إلى السلطان إن استدعاه ، فلم يقدم ذلك . وكان من خبرهم ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ولما فات السلطان قراسنقر لم ير القبض على أسندمر كرجي ، وخلع عليه وولاه نبابة حماة ، وسار إليها . وندب الأمير علم الدين سنجر الخازن لمساعدة الصاحب نضر الدين على حوطات الأمراء .

(١) بغير نقط أو ضبط في ف ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 237)

(٢) في ف « على امرأة سرس وعلى ابنته ... » ، وقد حذف الجزء الثاني من هذه العبارة بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٤٠٢) .

(٣) هنا تعريف موجز لفرقة الخاصكية ، وهي إحدى فرق الممالك السلطانية .

(٤) في ف « بدله » .

(٥) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٤ ، ٨٢٠)

(٦) في ف « كل » .

ثم ركب السلطان إلى الميدان في موكب عظيم ، واجتمع الناس لرؤيته ، واستأجروا الخواريث والدور بمال كبير ، فكان يوماً مشهوداً .

وفي أول ذي الحجة دخل (١١٥) الأمير قراسنقر دمشق . وفيه سار الأمير أرغون الدوادار على البريد إلى الشوبك بقشريف الأمير سلاّر ، وأنعم عليه بمائة فارس ، وأخرجت له بلاد من خاص السكر زيادة على ما بيده من الشوبك ، وكتب له به منشور .

وفيه وُسطت تحت القلعة سبعة من المالك أقوش الرومي ، بسبب أنهم تولوا قتله وأخذوا ماله ، وصاروا إلى السكر كما تقدم .

وفيه مُنع الأيوبيّ من الدخول إلى الخدمة السلطانية : وسببه أنهم كانوا مستخدمين عند الأمراء ، فلما خامروا على أستاذيهم وفروا إلى السلطان بالسكر ظنوا أنهم قد اتخذوا عنده بذلك يداً ، فصاروا بعد عوده إلى السلطنة يمشون في خدمة السلطان (١٥ ب) ويقفون فوق الممالك السلطانية ؛ فشقّ ذلك على الممالك ، وأغروا السلطان بهم حتى تنكّس لهم ، وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم بكونهم خامروا على أستاذيهم وأنهم لا خير فيهم ، إلى أن منعهم [السلطان] .

وفيه كتب لقراسنقر نائب دمشق بمحاربة العشير وقتلهم ، وكانت بنو هلال وبنو أسد قد كثرت حروبهم وعظم فسادهم لاختلال أمر^(١) الدولة ؛ فبعث إليهم [قراسنقر] تجريدة أحضرت^(٢) رؤساءهم ، وقرر عليهم ثلاثمائة ألف درهم ، وحبس رهائهم ، وبعث يسأل الإنعام عليه بالمبلغ ، فأنعم عليه . وأعيد الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأمل إلى مشيخة سعيد السعداء ، وعزل [عنها] بدر الدين محمد بن جماعة ، واستقر (١١٦) عوضه جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين علي بن القسطلاني في خطابة القلعة ، و[كان قد] عُزل منها ابن جماعة أيضاً لتغير السلطان عليه . وأنعم على الأمير نوغاي القبيجاقي بإمرة دمشق عوضاً عن قتلوك المنصوري ، وسار إليها . وكتب بقطع خبز الأمير قتلوك الأوشاقي والطنقش أستاذ دار الأفرم وعلاء الدين علي بن صبيح مقدمي الجبلية

(١) في ف « امرا » .

(٢) في ف « احضروا » .

وحملهم إلى مصر . وفيه قبض على الأمير برلني الأشرفي وطلق السلاح دار ومغلطاي الفارقاني ؛ وكُتِبَ لقراسنقر بالقبض على نوغاي ويبرس العلي ، فقبض عليهما وسجنا بقلعة دمشق . وأحيط بسائر ما لهما .

وفيهما كانت حرب (١٦ ب) بالمدينة النبوية : وذلك أن الشريف مقبل بن حماد بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور ، فتركه وقدم إلى القاهرة ، فولاه الملك المظفر نصف الإمرة بنجد ، واستخلف ابنه كيشة . ففر كيشة عنها وملكها مقبل ، فعاد كيشة بجمع كبير وحاربه وقتله ، واستقر منصور بمفرده .

ومات في هذه السنة من له ذكر ضياء الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخاري ، القرطبي المحتد ، القناني المولد والوفاة ، في رابع ذي العقدة ؛ وكان رئيساً ببلده . ومات الشيخ الصالح المعمر أبو العباس أحمد ابن أبي طالب الحماني البغدادي ، بمكة في جمادى (١١٧) الآخرة . ومات نبيه الدين حسن بن حسين بن جبريل ابن نصر الأنصاري الأسعدي ، بالقاهرة في أول جمادى الآخرة ؛ ولي حسبة القاهرة ، لما استقر ضياء الدين أبو بكر النشائي ووزيراً تولى هو نظر الدولة ؛ مات بمصر عن سبع وسبعين سنة . ومات شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلبي الفقيه الحنبلي ، في المحرم بمصر ؛ وكان بارعاً في الفقه والنحو . ومات الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري في ربيع الأول ؛ ودفن خارج باب النصر ، بعد ما استعفى من الإمرة ولزم دازه حتى مات . ومات الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس القمُولي^(١) الشافعي ، بقوص في جمادى الأولى ؛ وكان (١٧ ب) صالحاً عالماً بالفقه والتفسير والحديث . ومات قاضي القضاة شرف الدين عبد الغني بن يحيى ابن محمد بن عبد الله بن نصر بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثي الحنبلي ، ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأول ؛ ودفن بالقرافة ، ومولده بجران سنة خمس وأربعين وستمائة . ومات الأمير سيف الدين طغرل الإيغاني ، بالقاهرة في عاشر رمضان . ومات الأمير عز الدين أيك الخازندار ، بالقاهرة في سابع رمضان . ومات الأمير

(١) القمُولى نسبة إلى بلدة قولاً ، وقد أطلق هذا الاسم على كثير من قرى مديرية قنا الحالية ، ومن هذه القرى ما هو تابع لمركز قوص ، ومنها ما هو تابع لمركز الأقصر . ابن تقي بردي (الجموع الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ ، حاشية ٢) ؛ انظر أيضاً مبارك (المخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ١١٩) .

عز الدين عبد العزيز بن شرف الدين محمد القيسراني ، كاتب الدرج ومدرس المدرسة الفخرية بالقاهرة ، يوم الخميس عاشر صفر . ومات الأمير سيف الدين قيران شاد الدواوين بدمشق ، بعد عزله . (١١٨) ومات الأمير علاء الدين أقطوان الدواداري [بدمشق ^(١) أيضاً] . ومات الأمير علاء الدين علي بن معين الدين سليمان البرواناه نائب دار العدل ، بقلعة الجبل ؛ وقدمت أخته بعد موته فشاهدته ميتاً ، ثم دفن . ومات الأمير جمال الدين أقوش الرستمى شاد الدواوين ، بدمشق في يوم الأحد ثاني عشرى جمادى الأولى . ومات متملك تونس الأمير أبو عبد الله المعروف بأبي عصيدة بن يحيى الوائلي بن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ، في عاشر ربيع الآخر ؛ وكانت مدته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ؛ وولى بعده الأمير أبو بكر ابن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الواحد (١٨ ب) المدعو بالشهيد ، لأنه قتل ظلماً بعد ستة عشر يوماً ؛ وبويع [بعده أيضاً ^(٢)] الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم . ومات التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة ، في يوم السبت ثاني رجب ؛ وكان عند المظفر يبرس بمكانة عظيمة : قرّره مشيراً ، فكانت تحمل إليه فوط ^(٣)

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣١) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ٢٧٩) .

(٣) تقدّمت الإشارة إلى هذين اللفظين منفردين في المقرئى (كتاب السلوك ، ١ ، ص ٣٤٤ ، ٩٦٩ ،) ، غير أن ورودها هنا معا يتطلب شرحاً إضافياً ، لما لذلك من أهمية في الديبلوماسية الإسلامية (Diplomatics) وتفاصيل الإدارة في مصر في العصور الوسطى . وربما كان من الضروري أن يرجع القارئ أولاً لما أورده القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٤ ، ٤٨٨) بصدد الإجراءات المتبعة في توقيع الأوراق الرسمية زمن الفاطميين ، حيث كانت الطريقة أن يوقع الخليفة بخط يده على الأوراق المقدمة له بعبارة مؤذنة للوزير مثلاً بدء التنفيذ ، وهذا هو التوقيع ، فإذا أتمت أدوار التنفيذ أعيدت الأوراق إلى الخليفة ثانية للمصادقة النهائية ، فيكتب « يعتمد » ، وهذه هي العلامة ؛ وكانت تكتب في مكان معين ، كما كان للتوقيع مكان خاص أيضاً . والراجع أن الأيوبيين والمماليك في مصر قد اتبعوا ما يشبه تلك الإجراءات الإدارية ، غير أن المعروف أن سلاطين المماليك اتخذوا لأنفسهم علامات دينية ، فكانت علامة المنز أليك « حسي الله » ، والظاهر يبرس « المستعين بالله » ، والناصر محمد بن تولاو « الله أمل » . انظر (Poliak : Op. Cit. pp. 30 - 31) وما به من المراجع . أما فوط العلامة ، فقد وصفها (Quatremère : Op. Cit. I. I. p.218. N. 98) وشرح استخدامها في نص طويل ، ومنه : « وطريقة ذلك أن يفرش فوط من الحرير الإسكندري ، أحد طرفيها معقود ، ... وأول ما يوضع فيها أكبر ما يكون من قطع الورق ، ثم يجعل فوطه مادونه في القطع ... ولا تختلط المكاتبات كي لا تشبه على الملك في العلامة ... ولا يوضع في الفوط لاخذ الخط الشريف ورق ملون ولا دنس ولا مشق ولا خشن ، كي لا يعثر قلم العلامة فيه ، ولا خفيف كي لا ينفذ منه المداد ، ولا موصول ولا منقوب في بيت العلامة ، ولا يكون ضيقاً على العلامة ، ولا ما يقصر في العرض والطول عن وسع الخط . »

العلامة ، فيمضى منها ما يختاره ويكتب عليه معرض ، فإذا رأى السلطان خطه علم وإلا فلا ؛ وكذلك كتب البريد ؛ ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأفرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه ، فامتنع ؛ وكان مشهوراً بالأمانة والعفة ، مهيباً له حرمة ، لا يخاطب أحداً ولا يقبل هدية .

* * *

سنة عشر وسبع مائة أهل الحرم ، فوردت رسل سيس يهدية : منها طشت (١١٩) ذهب وإبريق بلور مرصع بالجواهر ، وكتاب يتضمن الهدايا بالعود إلى الملك ، فأجيب بالشكر .

ومصرف قاضي القضاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الشافعي ، وولى بعده القضاء بديار مصر جمال الدين أبو الربيع سليمان بن محمد الدين أبي حفص عمر بن شرف الدين أبي الغنائم سالم بن عمرو بن عثمان الأذري الشهير بالزرعي الشافعي (١) ، في يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر .

وعزل قاضي القضاء شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي في ربيع الأول ، فأقام بعد عزله ستة أيام ومات واستدعى شمس الدين محمد بن عثمان ابن أبي الحسن بن عبد الوهاب بن أبي عمر الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الحريري الحنفي من دمشق إلى القاهرة ، (١١٩ ب) واستقر في قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر في ربيع ربيع الآخر .

وعزل الأمير علاء الدين كشتغدي البهادرى من شد الدراوين ، واستقر عوضه بلبان المحسنى ؛ ثم عزل [بلبان] بعد أيام بعلم الدين سنجر الخازن . واستقر شمس الدين غبريال في نظر الدراوين ؛ وعزل شاورشى بن قنغر من ولاية القاهرة . وفي ربيع الأول قبض السلطان على إخوة سلا وحاشيته ، فقُبض علاء الدين مسدك وجُبا وداود وأمير على وساطى (٢) . وقبض على الأمير طشتمر الجوكندار

(١) صيغة هذا الاسم في « جمال الدين أبو داود سليمان بن المجد أبي حفص عمر بن الشريف أبي الغنائم سالم بن عمر بن عثمان الزرعي الشافعي » ، وقد صحح إلى الرسم الوارد هنا من ابن حبيب (درة الأسلاك في دولة الأتراك ، ج ١ ، ص ١٨٤) .

(٢) تقدمت أسماء أولئك الإخوة في مواضع شتى من المتن هنا (انظر ص ٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٦٠) ، وقد ضبط اسم مسدك من ابن أبي القضايل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٧٩) .

وكورى السلاح دار وسيف الدين الطشلاقى وقلغاي ، وتمتة ستة عشر أميراً . وكتب إلى نائب دمشق ونائب طرابلس بالقبض على الأمراء الذين أفرج عنهم (٢٠) عندما قدم [السلطان] من الكرك : وهم الطنبغا وأشقةتمر وعبد الله والأقوش المنصورى والشيخ على التترى ويندجار^(١) التترى وموسى وغازى وأخوا حمدان بن صلغاي وطر نطاي المحمدى وأقطوان الأشرفى ، فقُبض عليهم خوفاً من شرهم وإقامتهم الفتن . وكتب إلى نائب حلب بالقبض على نحر الدين أياز نائب قلعة الروم ، فقُبض عليه ، وأخذ ماله فكان ألف ألف درهم ، حملت إلى السلطان .

واستقر نجم الدين محمد بن عثمان البصرى فى وزارة دمشق ، وسار من القاهرة فى سابع صفر . واستقر الأمير بكتمر الحسامى الحاجب فى نيا بة غزة ، عوضاً عن بلبان البدرى ، وسار فى سابع عشرى المحرم . وتُدب الأمير بدر الدين القرمانى لكشف (٢٠ ب) القلاع الشامية ، فسار ومعه أمين الدين عبد الله بن الغنام . وقبض [السلطان] على قطقطوا والشيخ على وضروط^(٢) مالك سلار ، وأمر جماعة من المماليك منهم بيغا الأشرفى ونسيف الدين جغتاي وطيبغا الشمسى وبكتمر قبجق وبهادر السعيدى الكركرى وطشتمر أخو بتخاص والعمرى وقطلوبغا وأزدمر وملكتمر الشمسى وفردز^(٣) السكمالى وييدوا وقرأ وأيدمر الدوادار وبهادر النقيب .

وفىها قدم الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب فى جمادى الأولى ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ؛ فسأل فى أشياء : منها ولاية حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على ، فأجابته [السلطان] إلى ذلك ، ووعدته بمحابة عوضاً عن أسندمر كرجى ؛ (٢١) ومنها الشفاعة فى عز الدين أيدمر الشيخى ، فمفا عنه [السلطان] وأخرجه إلى قوص ؛ ومنها الشفاعة فى الأمير برلغى الأشرفى ، - وكان فى الأصل قد كسبه مهنا من التتر ، وأهداه

(١) بغير نقط فى ف ، انظر ص ٦٠ ، حاشية ١ .

(٢) كذا فى ف ، وقد أورد المقرزى (المواظظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٨) أميراً مملوكياً

بهذا الاسم ، ووصفه بأنه كانت حاجباً فى سلطان لم يذكره .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٢٣٢) بالنون بدل الزاى .

للملك المنصور قلاوون ، فرتبه عند ابنه الملك الأشرف خليل - ، فعدّد السلطان ذنوبه ، وما زال به منها حتى خفف عن برلغى ، وأذن للناس فى الدخول عليه ، ووعدّه بالإفراج عنه بعد شهر ، فرضى [منا] بذلك ؛ وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء .

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار ، فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخرى ، وكتب على يده كتاباً بحضوره ؛ فاعتذر عن الحضور بوجع فى فؤاده ، وأنه يحضر إذا زال (٢١ ب) عنه . فتخيّل السلطان من تأخره ، وخاف أن يتوجه إلى التتر ؛ فكتب إلى قراسنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب طرابلس بأخذ الطريق على سلار لئلا يتوجه إلى التتر ؛ وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولى إلى سلار ، وأكدهما فى إحضاره ، وأن يضمنا له على السلطان أنه يريد إقامته عنده ليستشيره فى أمور المملكة ؛ فهدما عليه وبلغاه عن السلطان ما قال ، فوعد بأنه يحضر ، وكتب الجواب بذلك ؛ فلما رجعا اشتدّ قلق السلطان وكثر خياله .

وأما سلار فإنه تحير فى أمره ، واستشار أصحابه فاختلفوا عليه : فممنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان ، وممنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار ، إما (٢٢ أ) إلى التتر أو إلى اليمن أو برقة . فعول [سلار] على المسير إلى اليمن ؛ ثم أجمع على الحضور إلى السلطان ، وخرج من الشوبك وعنده من سافر معه من مصر أربع مائة وستون فارساً ، وسار إلى القاهرة ؛ فقدم وقبض عليه فى سلخ ربيع الآخر ، وسجن بالقلعة .

وفىها عول صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل من وظائفه بدمشق ، من أجل أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر وفيها ضيق على الأمير برلغى بعد سفر الأمير منها ، وأخرج حريمه من عنده ومنع من الوصول إليه ، و [من] أن يُدخّل إليه بأكل أو شرب فلما أشفى [برلغى] على الموت مُقتل ، بعد ما يستع أعضاءه وخرس لسانه من شدة الجوع ؛ ومات ليلة الأربعاء (٢٢ ب) ثانى رجب .

وفىها مُقتل الأمير سلار أيضاً بقلعة الجبل ، فى رابع عشر جمادى الأولى ؛ وأحيط بماله وكان شيئاً كثيراً . ولما وصل مُطلبه مُفرقه السلطان على الأمراء ، ثم ماتت أمه بعد أيام .

وكان [سلار] عاقلا له رأى وحزم ، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون^(١) من النتر .
وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب ؛ وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه
التقليد بنياية حماة سار إليها من دمشق . ففنه أسندمر كرجى ، فأقام بين حماة وحمص
يلتظمر رسوم السلطان . فاتفق موت قبجق ، فسار أسندمر من حماة إلى حلب ، وكتب
يسأل السلطان نيايتها ؛ فغضب السلطان من أسندمر ، وأسر ذلك في نفسه .
وفيها عُزل الأمير بكتمر (١٢٣) الحاجب عن نياية غزة ، وأحضر إلى القاهرة ؛
وولى نياية غزة الأمير قطلمتمر .

وفيها عزل صاحب نغر الدين عمر بن الخليلي من الوزارة ، والأمير علم الدين سنجر
الخازن من شد الدواوين ؛ واستقر الأمير بكتمر الحاجب في الوزارة في حادى عشر رمضان ،
واستقر نغر الدين أياز أستاذار سنقر الأعمر في شد الدواوين . واتفق أن أياز هذا استخدمه
الأمير سلار النائب أستاذارَه بعد موت عز الدين أيدير الرشيدى ، فلم يزل حتى قبض على
سلار وأحيط بماله ، ورُسم على أياز مع سائر مباشريه ، وسلوا لعلم الدين سنجر الخازن
مشد الدواوين في المصادرة ، ليستخرج منهم المال ؛ فحمل أياز للخازن ألف دينار ،

(١) أورد ابن المهاد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٩) وصفا لشخص الأمير سلار ، واصله أنه
« كان مُغليا ، أسمر [اللون] ، سهل الحدين ، وليس بالطول ، ذا هيئة » . وقد ذكر ابن أبى الفضائل
(كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٧) بعدد موت سلار ما نصه : « أن السلطان رسم بحمسه في بعض
الدور ، » ثم أحضره شيء يأكل ، فخرم ولم يأكل شيئا ، فأعلموا السلطان بذلك ، فأمر ألا يطعم شيئا ،
فأقام ثم هلك بالجوع ومات ؛ وقيل عنه إنه أكل بعض سولقه من الجوع » . وهذا أقل تفصيلا مما أورده
ابن تفرى ردى (النجوم الزاهرة ، مخطوطة بدار السكتب المصرية ، رقم ٥٦١٦ تاريخ ، ج ٤ ، ص
١٧٩ - ب) ، ونصه : « ثم إن السلطان طلبه ، وأمر أن تبنى عليه أربع حيطان في محاسنه ، وأمر
ألا يطعم ولا يسقى . وقيل إنه لما أبض عليه ، وجسه بقلعة الجبل ، أحضر إليه طعاما ، فأنى سلار أن
يأكل وأظهر الغضب . فطولع السلطان بذلك ، فأمر ألا يرسل إليه طعام بعد هذا ، فبقى سبعة أيام
لا يطعم ولا يسقى ، وهو يستغيث [من] الجوع . فأرسل إليه السلطان ثلاثة أطباق منطاة بسفر الطعام ،
فما أحضرها بين يديه فرح فرحا شديدا ، وظن أن فيها أطعمة يأكل منها (٧٩ ب) ، فكشفوها وإذا
هى في طبق ذهب ، وفي الآخر فضة ، وفي الآخر لؤلؤ وجواهر ؛ فعلم سلار أنه ما أرسل إليه هذه
الأطباق إلا ليقابله عل ما كان فعله معه ، فقل سلار الحمد لله الذى جعلنى من أهل المقابلة فى الدنيا . وبقى
(سلار) على هذه الحالة اثني عشر يوما ومات ، فأعلموا الملك الناصر بموته ؛ فخاوا إليه فوجدوه قد أكل
ساق حقه (كذا ولراجع أنه يعنى السواق) ؛ وأخذ السرموجة (كذا) وحطها في فيه ؛ وقد
عض عليها بأسنانه ، وهو ميت ، وقيل لأنهم دخلوا عليه قبل موته ، وقالوا السلطان قد عفا عنك ؛
فقام من الفرح ومشى خطوات ، ثم خر ميتا » .

(٢٣ ب) وللصاحب نحر الدين ألف دينار؛ فردّ الخازن المال وقبلة صاحب . فلم يمض سوى أيام حتى عزل صاحب الخازن ، وسلبا لأياز ليستخرج المال منهما ؛ فبعث إليه الخازن ألف دينار فردّها ، وقال لقاصده : « سلم عليه ، وقل له مالنا عنده شيء ، وطيب خاطره » ، وبعث إليه صاحب نحر الدين ألف دينار فأخذها ، وقال لقاصده : « عرفه أني أخذت وديعتي التي كان أخذها مني ، ثم إن الأمير بكتسر الجوكندار شفع فيهما ، فأفرج السلطان عنهما .

و [فيها] قدم ملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة بعد خروج أسندمر منها . وقدم رسول الأشكري ورسول ملك الكرج بهدايا سنية في رجب ، (٢٤ أ) وسألوا فتح الكنيسة^(١) المصلبة بالقدس . فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غُلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر ، وبني فيها مسجد ، ولا يمكن نقض ذلك ؛ ورسم أن تُفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التي بالقاهرة وكنيسة اليهود ، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء^(٢)

و [فيها] كتب بعزل نجم الدين البصري عن وزارة دمشق ، وولاية شرف الدين حمزة القلانسي عوضه . وقدم البريد ب وفاة الحاج بهادر الحلي نائب طرابلس ، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخدا إلى نيابة طرابلس ، فسار إليها . وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحاً زائداً ، فإنه كان يخشاه ويخشى شره .

والتفت [السلطان] إلى (٢٤ ب) أسندمر كرجي [نائب حلب] ، وأخرج تجريدة من القاهرة : فيها من الأمراء كراي المنصوري وهو مقدم العسكر ، وسنقر السكالي حاجب الحجاب ، وأبيك الرومي ، ودينجار ، وكجكن ، وبهادر آص ، وفي عدة من مضافيهم أمراء الطبليخاناه والعشراوات ومقدمي الحلقة ؛ وأظهر أنهم قد توجهوا

(١) تقدمت الإشارة إلى مثل هذه السفارة وتعليماتها في ص ١٧ ، ويظهر أن السلطات لم يستجب وقت ذاك إلى ما طلبه السفراء ، بعكس ما قرر المقرري هناك ، وهذا بدليل وصول السفارة المذكورة هنا تكرار الرجاء فيما طلبته في المرة السابقة . وكيفما كان الأمر فقد أورد ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٥) ، في ذلك الصدد أن هذه السفارة كانت تحمل رجاءات أخرى فضلا عن الوا.د هنا ، وأن السلطان قد سمع بإعادة تلك الكنيسة — وليس فتحها فقط — إلى أصحابها ، وأنه قد وافق أيضاً على «إجراء أهل اللذمة بالديار المصرية على عادتهم ، وفج كنائسهم ففتحت ، ورسم لهم بالاستواء في الركوب ، وكانوا قبل ذلك ركبون عرضاً من جهة واحدة» .

(٢) انظر الحاشية السابقة . .

لغزو سويس . وكتب [السلطان] لآسندمر كرجى بتجهيز آلات الحصار على العادة ، والاهتمام في هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر ؛ وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر . وسار الأمير كراى من القاهرة مستهل ذى القعدة ، بعد ما أخلع عليه ؛ وأسر إليه السلطان ما يعتمد في أمر كرجى .

وفيهما عدى السلطان النيل إلى الجيزة ، ونزل تحت (٢٥) الأهرام [ليتصيد] (١) . فمات ولده على بن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه ، وله من العمر ست سنين ، في ليلة الأحد حادى عشر رجب ؛ ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين ، بعد ما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولى لتجهيزه . واشتد حزن أمه عليه ، ووقفت على القبة ما خضها من إرث الملك الأشرف (٢) خليل ، ورتبت عند قبره القراء .

وفيهما عظم شأن شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان ، وضرب أكابر العنبريين (٣) بالمقارع ، مثل عز الدين بن حالومة وشمس الدين بن الحكيم : وسبب ذلك أن السلطان كان قد وهبه قبل توجهه إلى الكرك بملوكا جميل الصورة ، فصار يشتمل على المذكورين ويعاشرهم على ما (٢٥) لا ينبغي ؛ فحنق ابن عبادة من ذلك وأوقع بهم . وضرب [ابن عبادة] أيضاً شهاب الدين أحمد النويرى صاحب التاريخ بالمقارع : وذلك أنه كان استنابه في المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرهما ، وجعله يدخل على السلطان ويطالعه بالأمور ، فاغتر بذلك وبسط القول في ابن عبادة . فلم يعجب السلطان منه وفيعته في ابن عبادة ، وعرف ابن عبادة ما قاله في حقه ، وسلمه إليه ومكثته منه ، فضربه بالمقارع ضرباً مبرحاً وصادره ؛ فلم يشكر النويرى أحداً على ما كان منه . وفيها توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب الساطنة بمصر من السلطان ، وخاف منه ؛ واتفق [بكتمر] مع الأمير بتخاص المنصورى على إقامة الأمير (٢٦) مظفر

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود في ف ؛ ولكنه في ب (٣٣٣) ؛ وفي هذا دليل على أهمية نسخة ب في تكميل ما ينقص المتن أحياناً .

(٢) كانت الخاتون أردوكين زوجة للسلطان الأشرف خليل ، وقد توفي عنها ٧٩٣ هـ ، ونالها من إرثه حسب قانون الموارث الشرعية ، ثم تزوجها أخوه السلطان الملك الناصر محمد ٧٠٠ هـ . انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٧١٧ ، ٩١٧) .

(٣) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الحلى ، وكان لهم سوق بالقاهرة ؛ أسسه السلطان قلاون على أفاض سجن المونة المشهور . (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣) .

الدين موسى ابن الملك الصالح على بن قلاون في السلطنة ، والاستعانة بالمظفرية ؛ وبعثوا إليه بذلك فوافقهم . وشرع النائب في استمالة الأمراء ، ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء ، على [أن] كل طائفة تقبض على الأمير التي هي بخدمته في يوم عيَّنه لهم ، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة ، وقد نزل هناك الأمير موسى . فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر ، ولم يبق إلا وقوعه ؛ فأراد^(١) يبيرس الجدار أحد المظفرية الذين انتظموا في سلك هذا العقد أن يتخذ يداً عند السلطان ، وعرفه خوفاً شديداً شيته قيامه الخاصكى بما وقع الاتفاق عليه ، فباغ الخبر إلى السلطان ، وكان في الليل ، فلم يتمهل [السلطان] ، وطلب (٢٦ ب) أمير موسى إلى عنده ، وكان يسكن بالقاهرة ، فلما نزل إليه الطلب هرب . واستدعى [السلطان] الأمير بكتمر النائب ، وبعث أيضاً في طلب بتخاص ، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة ؛ فلما دخل إليه بكتمر أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص ؛ فسقط في يد بكتمر ، وعلم بأنه قد هلك ، فقيّد بتخاص وسجن ، وأقام السلطان في انتظار أمير موسى ، فعاد إليه الجارلى ونائب السكر وأخبراه بقراره ، فاشتد غضبه عنهما . وما طلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء ، وعرفهم ما كان قد تقرّر من إقامة أمير موسى وموافقة بتخاص له ، ولم يذكر بكتمر النائب . والزم [السلطان] الأمير كشتغدى البهادرى (٢٧ ا) وإلى القاهرة بالنداء عليه ، ومن أحضره من الجند فله إمرته ، وإن كان من العامة أخذ ألف دينار . فنزل [كشتغدى] ومعه الأمير نحر الدين أياز شاد الدواوين وأيدغدى شقير وسودى وعدة من المماليك ، وألزم سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية حتى يظهر أمير موسى ، وقبض على حواشى موسى وجماعته وعاقب كثيراً منهم . فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة ، [ثم] قبض عليه من بيت أستاذار الفارقانى من حارة نوزيرية بالقاهرة ، [وحمل إلى القلعة] فسجن بها . ونزل الأمراء إلى دورهم ، وخلي عن الأمير بكتمر النائب أيضاً ، ورسم بتسمير أستاذار الفارقانى ، ثم عفى عنه وسار إلى داره .

وتابع السلطان المماليك المظفرية (٢٧ ب) فقبض عليهم ، وفيهم يبيرس الذى نّم عليهم وعملوا في الحديد . وأنزلوا ليسمروا تحت القلعة ، وقد حضر نساؤهم وأولادهم . وجاء

(١) في ف « أراد » .

الناس من كل موضع ؛ فكثرت البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم ، والسلطان ينظر ، فأخذته الرحمة وعفا عنهم ، فتركوا ولم يُقتل أحد منهم .

وأما العسكر فإنه لما وصل إلى حصص أقام بها على ما قرره السلطان مع الأمير كراي ، حتى قدم عليه الأمير منكوتمر الطباخي بكتب السلطان لكراي ولكرجي [نائب حلب] بما يعتدانه^(١) من المراسيم . وقد كتب السلطان معه أيضاً مطلقات^(٢) إلى أمراء حلب بقبض كرجي ، وحمله مشافهات لكراي وغيره ؛ ففضى [منكوتمر] شغله من كراي بحمص ، وسار إلى حلب . فرحل كراي في أثره ، (١٢٨) وجد في السير إلى حلب جريدة من غير أثقال ، فقطع من حصص إلى حلب [في] يوم ونصف ، ووقف بمن معه تحت قلعتها عند ثلث الليل الأخير ، وصاح « يال على » ، وهي الإشارة التي رتبها السلطان بينه وبين نائب القلعة . فنزل [النائب] عند ذلك من القلعة بجميع رجالها ، وقد استعدوا للحرب ؛ وزحف ومعه الأمير كراي على دار النياحة ، ولحق بهم أمراء حلب وعسكرها . فسلم كرجي ولم يقاتل ، فأخذ وقيد وسجن بالقلعة ، وأحيط بموجوده ؛ وسار منكوتمر الطباخي على البريد بذلك إلى السلطان . ثم حمل أسندمركرجي إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأبيك الرومي ؛ فخاف قراستقر [عند ذلك] على نفسه ، وسأل أن ينقل من دمشق (٢٨ ب) إلى نياحة حلب ، ليعمد عن السلطان ؛ فأجيب إلى ذلك ، وكتب تقليده وجهز إليه في أخريات ذي الحجة . وفيها استقر كريم الدين وأبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد ابن أخت الناج بن سعيد الدولة [في] نظر الخاص ووكالة السلطان ، بعد موت شهاب الدين أحمد بن عبادة ، في يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى .

(١) في 'ف' « يعتداه » .

(٢) المطلقات جمع مطلق ، وهي ما يرسله السلطات من رسائل طامة إلى نوابه بمصر ونيابات الشام وقد تكون في سر يكتُم ولا يراد إظهاره إلا عند الوتوف عليه ، فتصدر والحالة هذه محتومة . وقد شرح القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٧ ص ٢١٨ - ٢٣١) أنواعها ومصطلحها وترتيبها وقطع الورق اللازم لكتابتها ، فذكر أنها ثلاثة أنواع : وهي المطلقات المسكبة ، والمصفرة ، والبرالغ - مفردة برلغ ؛ وكانت العادة أن يصدر هذا النوع الثالث من المطلقات إذا كانت الأمر متعلقا بما يجب عمله نحو قادم عظيم من البلاد الإسلامية المجاورة ؛ هذا ويلاحظ أن المطلقات غير المطلقات التي تقدم التعريف بها . انظر القرينزي (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٥٢ ، ٨٩٩ ؛ ج ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ؛ ٦١ ؛ وكذلك القلقشندي (ضوء الصبح المسفر ، ص ٤٦) ؛ والعمرى (التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٨١ - ٨٣) .

و [فيها] قدم أسندمر كرجى ، فاعتقل بالقلعة ؛ وبعث يسأل السلطان عن ذنبه عنده ، فأعاد جوابه : «مالك ذنب إلا أنك قلت لما ودعتك عند سفرك ، أوصيك يا خوند لا تترك في دولتك كبشاً كبيراً ، وأنشئ ماليكك ! ، ولم يبق عندي كبش كبير غيرك .»

وفيها قبض على طوغان نائب البيرة ؛ (١٢٩) وحمل إلى السلطان لحبسه أياماً ، ثم ولّاه شد الدواوين بدمشق . وخرج الأمير أرغون الدوادار على البريد بتقليد قراسنقر حلب ، وأسّر إليه القبض عليه إن أمكن ذلك .

وفيها قدم الشريف منصور [أحمد] ^(١) بن جاز من المدينة النبوية بتقادم ، فأُنعِم عليه بإعادة ماخرج لأخيه مقبل . وفيها استعفى الطواشي شهاب الدين مرشد الخازندار من الإمرة ، فأعفى .

واتفق في هذه السنة أمر غريب قدامعهد مثله : وهو موت سلطان مصر ، وقاضياها إمام الحنفية في عصره ، ومفسرها ، والمتكلم على القلوب ، وواعظها ، وشيخ شيوخها ، وإمام الشافعية وعالمهم ، ومحتسبها ، وناظر جيوشها ، وأديبها - : فقتل السلطان الملك (٢٩ ب) المظفر بيبرس في ذى القعدة . وتوفي قاضي القضاة إمام الحنفية في عصره شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجي المصرى ، عن ثلاث وسبعين سنة ، في يوم الخميس ثالث عشرى رجب ؛ ومولده سنة سبع - وقيل سنة تسع - وثلاثين وستمائة ؛ وأخذ الفقه عن صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب وغيره ، ودفن بالقرافة ؛ وله على كتاب الهداية شرح جليل لكنه لم يكمل ، وله اعتراضات على التقي بن تيمية . ومات الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن علي ابن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس الأنصارى البخارى المعروف بابن الرفعة الفقيه الشافعى المصرى ، في ليلة الجمعة ثامن (١٣٠) عشر رجب ، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة . وتوفي الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمرارى ، في تاسع ذى القعدة . ومات الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الراقى الفائق ، في ثالث عشر جمادى الآخرة . ومات شيخ الوعاظ نجم الدين العنبرى ، في سادس شعبان ، ومات شيخ الشيوخ

(١) ليس لما بين الحامرتين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (١٢٣٥) .

بخانكاه سعيد السعداء كريم الدين أبو القاسم عبد الكريم بن الحسين بن أبي بكر الأملی الطبری ، فی تاسع شوال ؛ وولی بعده علاء الدین علی بن إسماعیل القونوی . ومات القاضي بدر الدین حسن بن نصر الأسعردی المحتسب ، فی مستهل جمادی الآخرة . (٣٠ ب) ومات القاضي بهاء الدین أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علی بن المظفر بن الحلی ناظر الجبوش ، فی ليلة العاشر من شوال . ومات الأديب البارع شمس الدین محمد بن دانیال بن یوسف بن معتوق الخزاعي الموصلی فی ثامن عشری جمادی الآخرة ؛ ومولده بالموصل سنة سبع وأربعین وستمائة ؛ وكان كثير المجون والشعر البديع ، وله كتاب طيف الخيال ، لم یصنّف مثله فی معناه . ومات ملك المغرب صاحب قاس أبو الریبع بن أبي عامر بن السلطان أبي یعقوب بن یوسف بن یعقوب بن عبد الحق ابن محیو بن أبي بكر بن عبد الحق المرینی ، فی آخر جمادی الآخرة ؛ وبويع بعده أبو سعید (٣٠ مكرر) عثمان بن یعقوب بن عبد الحق . ومات شهاب الدین حمد ابن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن راضی العوازی التاجر ، عن بضع وسبعین سنة بالقاهرة فی تاسع عشری المحرم ؛ وله دیوان شعر كبير . ومات نضر الدین إسماعیل بن عبد القوی بن الحسن بن حیدرة الحیری الإسنائی ، المعروف بالإمام الفقيه الشافعی ، بعدما كفّ بصره ، بمدينة قوص . ومات شهاب الدین أحمد ابن علی بن عبادة وكبل الخاص ، فی ليلة الأحد سادس عشر جمادی الأولى بالقاهرة ؛ [ودفن^(١) بالقرافة] ؛ وولی بعده كريم الدین أكرم . ومات أمين الدین أبو بكر ابن وجیه الدین عبد العظیم بن یوسف بن الرقاق ناظر الدواوين بديار مصر ، ليلة (٣٠ ب مكرر) الأحد ثالث عشری جمادی الأولى ؛ ودفن بالقرافة ؛ وكان ديّناً خبيراً كثير الإحسان ؛ ولی نظريّت المال ونظر البيوت ونظر الدولة بمصر والشام . ومات عز الدين الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجما بن حسن بن محمد من ولد الحارث بن مسكين ، أحد أعيان الفقهاء الشافعية ، بمصر ليلة السبت ثامن جمادی الأولى . ومات الشريف أبو عبد الله محمد بن علی بن أبي طالب ، عرف بالشريف عطوف الحسيني الموسی العطار ، ليلة الخميس خامس جمادی الآخرة ؛ ودفن خارج باب النصر ؛ وقلّ حديثه . ومات الأمير سيف الدين بلبان البیدغانی نائب

(١) ليس لما بين الحاصرين وجود فی ب ؛ ولكنه فی ب (٣٣٥ ب)

بغراس ، مقتولا بيد عماليكه . ومات الأمير سيف (١٣١) الدين الحاج بهادر (١)
 الحلبي نائب طرابلس ، في ربيع الآخر . ومات الشيخ الصالح عبد الله بن ربحان
 التقوى الشمسار (٢) بمصر ، حدث عن ابن المقير وابن (٣) رواح وغيره . ومات
 بهاء الدين علي بن الفقيه عيسى بن سليمان بن رمضان الشعلبي المصري ، الصدر المعمر
 المعروف بابن القيم ، في ذى القعدة ؛ وقد تعين للوزارة ؛ ومولده سنة ثلاث عشرة
 وستمائة ؛ وكان سليم العقل والحواس . ومات الأمير سيف الدين قبحق المنصوري
 نائب حلب ، في جمادى الأولى . ومات الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن
 عبد الرحمن بن خطاب التاجي ، في سادس ذى القعدة . ومات بدر الدين أبو البركات
 عبد اللطيف ابن فاضى (٣١ ب) القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي ،
 يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة بالقاهرة ؛ ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين
 وستمائة ؛ وولى قضاء العسكر . ومات الخطيب بهاء الدين عبد الرحمن بن عماد الدين
 علي بن السكري في حياة أبيه ، ليلة السبت حادى عشر رجب بمصر . ومات
 الأمير سيف الدين قشتمر الشمسى ، بدمشق . ومات الطواشى شهاب الدين
 مرشد الخازندار المنصوري ، بالقاهرة في ليلة الخميس ثالث ذى القعدة ؛ وكان خبيراً ،
 وانفرد بالرواية عن جماعة ؛ وولد سنة ثلاث عشر وستمائة ؛ ومات ولم تتغير
 حواسه . ومات الأمير جمال الدين أقوش قتال (١٣٢) السبع الموصلى أمير علم ،
 بمصر في تاسع رجب . ومات خضر بن الخليفة أبي الريح سليمان ، في ثالث
 عشر جمادى الأولى . ومات الأمير برلنى الأشرفى في سجن القلعة ، بعد ما يبست
 أعضاؤه وجفّ لسانه من الجوع ، في ليلة الأربعاء ثامن رجب . ومات الأمير
 حسام الدين طرطاي البغدادي . ومات الأمير علاء الدين الطنبغا الجدار . ومات
 الأمير سيف الدين أرغون الجقدار . ومات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح

(١) في ف « الأمير سيف الدين بلبات البيدغانى الحلبي » ، وهذا مكرر الوفاة السابقة ما عدا
 اللفظ الأخير ، ويظهر أنه غلط من الناسخ ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٣٥ ب)

(٢) كسنا في ف ، والشمسار - بالسين - الوسيط بين البائع والمشتري ، وفي محيط المحيط أنه
 فارسى معرب من لفظ « سيب سار » ، وبعض البلدان في مصر ينطقه كما بالثنى إلى الآن .

(٣) في ف « ابن القير وابن رواح » ، انظر ص ٥١ ، سطر ٥ .

الشيرازي صاحب التصانيف ، رمضان . ومات الأمير سيف الدين سكلار في ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى ؛ وكان من التتار الأويراتية ، وصار إلى الملك الصالح على ابن قلاون ، وبقي (٣٢ ب) بعد موته في خدمة الملك المنصور قلاون حتى مات ؛ ثم [دخل] في خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاون ، وحظي عنده ؛ فلما قُتِلَ خطي عند لاجين لمودة كانت بينهما ، وترقى إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر ؛ وكان من أخباره ما تقدم ذكره ، إلى أن قدم من الشوبك ، فَتَشَرَّكَ في السجن حتى مات جوعاً ؛ وتولى^(١) الأمير علم الدين سنجر الجاولي دفنه بتربته على جبل يشسُكر بجوار مناظر الكبش ؛ وكان [سلار] أسمر ، لطيف القد أسيل الخد ، لحيته في حنكه سوداء ، ظريفاً في لبسه ؛ اقترح أشياء نُسبت إليه^(٢) إلى اليوم ؛ وبلغ من السعادة إلى مبلغ عظيم : فكان يدخل إليه من أسجر أملاكه في كل يوم ألف دينار مصرية ، ومن إقطاعاته (٣٣ ١) وضماناته وحماياته تنمة مائة ألف درهم في اليوم ، عنها حينئذ زيادة على خمسة آلاف دينار مصرية ؛ وكان إقطاعه أربعين لمرّة طبلخاناه ؛ [وكان عاقلاً^(٣) متأنياً داهياً] قليل الظلم ؛ واشتملت تركته على ثلاثمائة ألف ألف دينار وزيادة ؛ فوُجد له في يومٍ ياقوت أحمر زنة رطلين ونصف ، [وبلخش زنة رطلين^(٤) ونصف] ، وزمرد تسعة عشر رطلا ، وستة صناديق فيها جواهر ، ومن الماس وعين الطرّ ثلاثمائة قطعة ، ولؤلؤ زنة ما بين مثقال كل حبة إلى درهم عدة ألف ومائة وخمسين حبة ، وذهب عين مصري مبلغ مائتي ألف [و] أربعة وأربعين ألف دينار ، وفضة دارهم مبلغ أربع مائة ألف [و] أحد وسبعين ألف درهم ؛ ووُجد له (٣٣ ب) أيضاً في يوم فصوص مختلفة زنة رطلين ، وذهب عين مصري مبلغ خمسة وخمسين ألف دينار ، ودرهم فضة ألف ألف درهم ، وحلى ذهب أربع قناطير ،

(١) في ف « وولى » .

(٢) ذكر المقرئ (الموعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٩) أن مما استجده الأمير سلار في عز أيامه القباء السلاوي ، وهو قباء بلا أكمام يلبس تحت الفرجية ، وكان معروفاً قبل عهد هذا الأمير باسم « بطلاق » . انظر (Dozy : Vêtements) ، وكذلك المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ٥٨٤ ، حاشية ١) .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين يباض في ف ، والإضافة من ب (٣٣٦ ب) .

(٤) ليس لما بين الحاصرتين وجود في ف ، ولكنه في ب (٣٣٦ ب) .

وآلات ما بين طاسات ونحوها ستة قناطير فضة ؛ ووُجد في يوم ذهب مصري مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار ، ودرهم فضة مبلغ ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف درهم ، وفضيات ثلاثة قناطير ؛ ووُجد في يوم ذهب عین ألف دينار ، وفضة ثلاثمائة ألف درهم ؛ ووُجد له ثلاثمائة قباء من حرير بفرو قاقشم^(١) ، وثلاثمائة قباء حرير بسنجاب^(٢) ، وأربعمائة قباء بغير فرو ، وسروج ذهب مائة سرج ؛ ووُجد له ثمانية صناديق لم يُعَلَّم ما فيها ، مُحمّلت مع ما تقدّم إلى السلطان ؛ ووُجد (١٣٤) له ألف تفصيلة ما بين طرد وحش^(٣) وعَمَلِ الدار^(٤) ؛ ووُجد له خام ست عشر نوبة^(٥) ؛ ووَصَلَ معه من الشوبك مبلغ خمسين ألف دينار ذهباً ، وأربع مائة ألف درهم وسبعين ألف درهم ، وثلاثمائة خلعة ملوّنة ونحوها^(٦) بغشاء حرير أحمر معدني^(٧) مبطن بحرير أزرق مَرَوِي^(٨) ، وستربابها زركش ؛ ووُجد له ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال ، وعشرون قطار جمال ، ومن الغنم والبقر والجواري والممالك والمعار شيء كثير جداً ؛ ووُجد له في موضع بين حائطين عدة أكياس لم يُدْرَ ما فيها ولا كم عدتها ؛ ووُجد له في المرحاض شبه فسقية ، كُشِفَ عنها فإذا هي مملوءة ذهباً ؛ (٣٤ ب) ووُجد له من القمح والشعير والبقول ونحوها ثلاثمائة ألف أردب ، وذلك

(١) القاقم - والققم أيضاً - حيوان برى يشبه الفأرة ، إلا أنه أطول منها ، وموطنه حجاب تخبر المعاجم الأوروبية بلاد الشمال ، واسمه في الإنجليزية (Ermine) ، وفي الفرنسية (Hermine) ؛ وله فروة تكون ناصعة البياض في الشتاء ، ولذا يكثر صيده في ذلك الفصل لفروته التي تستعمل للزينة عند الأغنياء ، كسلطين الممالك وأمرائهم وأشباهم من الأثرياء في مصر في المصور الوسطى ، وهو نما تزين به ملابس النبلاء في البلاط الإنجليزي حتى الآن .

(٢) السنباب حيوان يشبه البربوع ، ومن ذيله فروة نفيسة كانت تستعمل لتزيين الملابس كالقاقم ؛ واسمه في الإنجليزية (Squirrel) ، وفي الفرنسية (Petit - gris) .

(٣) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٨٨ ، حاشية ٢) .

(٤) لعل المقصود بلفظ الدار هنا دار الطراز التي شملت عدة مصانع لنسج الملابس السلطانية بتونس ودمياط والإسكندرية ، أو دار الديباج التي كانت بالقاهرة . انظر المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٦ - ١٨١ ، ٤٦٤) ، القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٢ ، ٤٩٠) ، وزكي حسن (كنوز الفاطميين ، ص ٣٥ ، ١١١) .

(٥) كذا في ف ، وكذلك ب (٣٣٦ ب) .

(٦) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٢) .

(٧) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٩٩) .

(٨) الحرير المروى هو المصنوع بمدينة مرو عاصمة خراسان ، وكان يطلق على جميع أنواع الأقمشة الخراسانية أيضاً . (Dozy : Supp. Dief. Ar)

سوى ما أخذ من إخوته ومباشرية وحواشيه وأسبابه^(١)، فإنهم صودروا^(٢) [جميعاً] حتى مُتَقَدِّم شَوْنِه وجُباة أملاكه؛ فاجتمع من ذلك ما لا يدخل تحت حصر لكثرتِه، والله يؤتي ملكه من يشاء.

* * *

سنة إحدى عشرة وسبع مائة. [في] مستهل المحرم وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق، فاحترس منه الأمير قراسنقر على نفسه، وبعث إليه عدة من المايكة يتلقونه ويمنعون أحداً من قدم معه أن ينفرد. مخافة أن يكون معه من المطلقات للأمراء ما فيه ضرر. ثم ركب إليه [قراسنقر] ولقيه بميدان الحصا ظاهر المدينة، وأنزله (١٣٥) عنده بدار السعادة، وكل بخدمته من ثقافته جماعة. فلما كان الغد أخرج له أرغون تقليد نيابة حلب، فقبَّله وقبل الأرض على العادة، وأخذ في التهيؤ للسفر؛ ولم يدع أرغون ينفرد عنه، بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه بنفسه حتى قضى أربه وعاد.

وكثير تحدث الناس بدمشق في مجيء أرغون، وأنه يريد قبض قراسنقر، وأن قراسنقر قد حضره، فهم الأمراء بالركوب على قراسنقر وأخذوه، ثم خشوا العاقبة، وأنه لم يصل إليهم مرسوم السلطان بذلك، فكفوا عنه. وصار الأمير بيبرس العلائي يركب بماليكة في الليل، ويطوف حول القلعة على هيئة الحرس. وبلغ ذلك (٣٥ ب) قراسنقر، فاستدعى الأمراء كلهم إلى عند الأمير أرغون، وقال لهم: «إنه قد بلغني أن بعض الأمراء يركب في الليل، ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هارباً، وما فعل هذا إلا برأيكم ولا بد أن يكون علمه عندك يا أمير أرغون. فإن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض عليّ فما يحتاج إلى فتنة، فإن طائع للسلطان، وهذا سيفي خنذه»، وحل سيفه. فقال له أرغون: «لم أحضر إلا بتقليد الأمير نيابة حلب حسب سؤالك، وحاش لله أن يكون السلطان يرى الأمير بهذه العين»، وأبكر [أرغون] أيضاً أن يكون عنده علم بركوب الأمير [بيبرس العلائي] في الليل حول

(١) الأسباب جمع سبب، ومضاهها هنا الخلاء والأصدقاء من المحيطين بشخص من الناس. انظر (Dozy: Supp. Dict. Ar.)، حيث توجد معان أخرى لهذا اللفظ.

(٢) في ف «فانه صودر»، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا للتوضيح.

السور ؛ فوعد قراستنقر أنه يتوجه غداً إلى حلب ، وانفضّ (١٣٦) المجلس .
ثم إن قراستنقر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته ،
واستعدّ وقدّم أثقاله أولاً في الليل . فلما أصبح ركب يوم الرابع من المحرم في مالهيكه
وعدتهم ستائة فارس ، وركب أرغون بجانبه وبهارد آص في جماعة قليلة . وسار
[قراستنقر] ، فقدم عليه الخبر أن الأمير سنقر الكمالى الحاجب قد تأخّر في حلب
بجماعة من عسكر مصر ، فمرّج عن الطريق حتى [إذا] قارب جلب نزل ، وقال
لأرغون : لا أدخل حلب وبها أحد من عسكر مصر ، فبعث [أرغون] إلى سنقر
الكمالى يأمره بالخروج من حلب . فلما رحّل عنها [سنقر الكمالى] دخل إليها
قراستنقر في نصف المحرم ، ولبس التشريف وقرى تقليده على العادة ؛ وأعاد الأمير
(٣٦ب) أرغون وقد أنعم عليه . فوصل [أرغون] إلى دمشق ، وقلّد الأمير سيف
الدين كراى المنصورى نياية دمشق في يوم الخميس حادى عشره ، وألبسه التشريف
على العادة ؛ وقرى تقليده ، وركب الموكب . ثم أنعم [كراى] على أرغون بألف
دينار سوى الخيل والخلعة وغير ذلك ، وأعاده إلى مصر ؛ فشكره السلطان على ما كان
من حسن تأنيبه وإخضاع الفتنة . وقدام الأمير سنقر الكمالى بالعسكر أيضاً ، فخُلِعَ
عليه وأجلس بالإيوان .

وفي صفر توجه الأمير طوغان المنصورى إلى دمشق متولياً شاد الدواوين ،
عوضاً عن نحر الدين أياز ؛ فقدمها في ثامن عشره ، وقبض على أياز وألزمه بثلاثمائة
ألف (١٣٧) درهم . وولى الأمير ركن الدين [بيبرس] (١) العلاقى نياية حمص .
و[فيها] عزّل الصاحب عز الدين حمزة القلانسى وزير دمشق ، وعوّق حتى
تحمل أربعين ألفاً انسأقت باقىاً (٢) على ضمان الجهات (٣) ؛ ثم أفرج عنه وقدم
القاهرة ، فأنعم عليه ورسم بإعادة ما تحمله ، فعاد إلى دمشق واستعاده .
وفيها عزّل الأمير بكتمر الحسامى عن الوزارة ، واستقرّ أمين الدين عبد الله بن الغنّام

(١) أنيف ماين الحاصرتين بد مراجعة (Zetterstéen : Op. Cit. pp.140,143) .

(٢) انظر القرىزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٥ ، ٧٥٩) .

(٣) انظر القرىزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، ٦٨٨) .

ناظر الدواوين عوضه في الوزارة . وأنعم على الأمير بكتمر يامرة ، عوضاً عن سنقر الكمالى ، وولى حاجباً ، وذلك في سادس ربيع الآخر .

وفي يوم الاثنين حادى عشره أعيد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى قضاء القضاة بديار مصر (٣٧ ب) ، وصُرف جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى . واستقرّ الزرعى في قضاء^(١) العسكر وتدرّس الجامع الماكنى ، ورُسم له أن يجلس بين الحنفى والحنبل بدار^(٢) العدل .

وفي مستهل جمادى الأولى استقرّ الأمير علم الدين سنجر الجاولى في نيابة غزة ، وقبض على الأمير قطلو قتمر نائب غزة .

وقدم الخبر من سيس بأن فرنج جزيرة^(٣) المصطكى أسروا رسل السلطان إلى

(١) يتضح مما هنا أن هذه الوظيفة كانت تسند إلى القضاة ، وليس لرجل من رجال السيف كما يبدو لأول وهلة ؛ وقد ذكر القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ٣٦ - ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ - ٤٥) أنها من مستعدّات السلطان صلاح الدين الأيوبي . وقد جرى العرف زمن المالك أن تكون تلك الوظيفة بيد ثلاثة من القضاة ، شافعى وحنفى ومالكى ، ولم يحدث أن تولّاها حنبلى . وكان المتبع أن يحضروا ثلاثهم مجلس السلطان بدار العدل بالقلعة ، ويجلسوا دون قضاة الأربعة ، عن يمين السلطان فيما يلى المالكى ، ويسافروا مع السلطان إذا سافر أيضاً . ويلاحظ أن حاجب الحجاب كان ممن ينظرون في أفضية العسكر كذلك ، غير أنه يظهر أن عمله اقتصّر على النظر فيما ينشب بين الجند والأمرء فقط ، فيحضر مجلس السلطان بدار العدل بمحكمة وظيفة الحجابة والقضاء .

(٢) انظر الماشية السابقة ، ويظهر أن جلوس القاضى جمال الدين على هذا الترتيب المخالف كان من أجل توليته قضاء القضاة الشافعية سابقاً .

(١) ذكر القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٧٢) هذه الجزيرة الواقعة في بحر الأرخبيل اليونانى (Aegean Sen) بأنها على مسافة قريبة من جزيرة النقرينت (Negropont Island) ، وبين (Blochet) في حاشية للترجمة الفرنسية لابن أبى الفضايل (كتاب التهج السديد ، ج ٣ ، ص ١٩٩) بأنها جزيرة خيوس (Chios) ، وقد عرفت باسم جزيرة المصطكى عند جغرافى العرب ، لشهرتها بذلك الصنع الذى كان يجلب منها ، كما سماها الترك باسم (Sakiz-adasi) ، أى الجزيرة التى تلبت المصطكى . انظر أيضاً (Heyd : Hist du Commerce du Levant etc. II. PP. 633-635) . إنما الذى يوجب الالتفات بسدد هذه الجزيرة أن صاحبها الجنوى (Genoese) ، اسمه (Paleologo Zaccaria) كان يعترف لدولة المالك بىء من السيادة ، ويقوم لسلطينها بخدمات معينة ، فوق ما كان هناك من علاقات اقتصادية بسبب المصطكى . وقد وصف العربى (التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٥٩ - ٦٠) الجزيرة وصاحبها ، وشرح علاقته بالدولة المملوكية كالآتى : « وهى جزيرة حقيرة صغيرة ، لا تبعد مدى من الإسكندرية ، وصاحبها صغير ، لا فى مال ولا رجال ، وجزيرته ذات قحط ، لا يطرّ شاربها بزروع ، ولا يدرّ حالبها بضرع ، إلا أنها تنبت هذه الشجرة ، فيحمل منها ويحلب ، وترسى السفن عليها بسببها وتطلب ، وفي ملكها خدمة لرسلنا إذا ركبوا ثبح البحر ، وتجهيز لهم إلى حيث أرادوا ، وتنجيز لهم إذا =

الملك طقطاي^(١)، وَمَنْ معهم مِنْ رسل طقطاي^(٢) وعدتهم ستون رجلاً، وأنه^(٣) بعث في فدائهم ستين ألف دينار ليتخذ بذلك يداً عند السلطان، فلم يمكنوه منهم. فكتب إلى الإسكندرية ودمياط بالحوطة على تجار الفرنج واعتقلهم كلهم، فأحيط بحواصلهم (١٣٨) وحبسوا بأجمعهم. وحضر أحد تجار الجنوية^(٤) فضمن إحضار الرسل وما معهم، فمكّن من السفر.

وفيها عزم السلطان على إنشاء جامع، فاستشار الفخر ناظر الجيش فأشار بعمارة على ساحل مصر؛ وتعين موضع الجامع الجديد، وكان يستأنأ يعرف بالحاج طبرس وشونا وغير ذلك، فاستبدل بالأرض على رأى الحنابلة، فإنها كانت وقفاً. ونزل السلطان حتى رتبته، وأقام الفخر على عمارته.

وفيها قبض على الأمير بكتمر^(٥) الجو كندار نائب السلطنة بديار مصر، في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى؛ وقبض معه على عدة أمراء: منهم صهره ألكتمر الجدار، وأيدغددي^(٦) العثماني، ومنكوتر الطباخي، وبدر الدين

= توجهوا وإذا عادوا». انظر أيضاً الخالدي (المقصود الرفيع المنشأ، ص ٢٨٦ ب). ولا كانت علاقة صاحب تلك الجزيرة بهذا التصور أو قريب منه (Heyd: Op. Cit. II. P. 290)، فليس من المحتمل أن يقوم رعيته من الفرنج بما ذكره القريري بالمتن هنا؛ والراجح أن الذي حدث، حسبما ورد في ابن أبي الفضائل (كتاب التهيج السديد، ج ٣، ص ١٩٨، حاشية ١ من الترجمة الفرنسية)، أن الجنوية في ثمر كافا (Caffa)، وهم أصحاب النفوذ وقت ذاك في البحر الأسود، هم الذين أسروا رسل السلطان ورسلك طقطاي، لا كان هناك من سوء العلاقة بين جمهورية جنوة والملك طقطاي، وقد ذهبوا بهم إلى طرابلس الشام وإلى ثمر آياس، أملا في بيعهم ببيع الرقيق، فلم يجرؤ على شرائهم أحد خوفاً من السلطان المملوكي ومن الملك طقطاي أيضاً، وجاءوا بهم أخيراً إلى جزيرة المصطكى، وربما كان صاحبها هو الذي سارع إلى إيصال خبرهم إلى القاهرة.

(٢١) في ف «يططاي». انظر ص ٢٧، حاشية ٦.

(٣) الضمير عائد على طقطاي.

(٤) اسم هذا التاجر الجنوي «سكران» (Sakran) في ابن أبي الفضائل (كتاب التهيج السديد، ج ٣، ص ١٩٩)، وهو رجل قديم الصلة السلطان الناصر محمد، وقد أهداه في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٣٣ م) هدية كبيرة. (Zetterstéen: Op. Cit. P. 130).

(٥) كان سبب القبض على هذا الأمير، حسبما ورد في ابن أبي الفضائل (كتاب التهيج السديد، ج ٣، ص ٢٠٠) أنه شرع في التديير لخلق السلطان الناصر، وأنه أراد السلطنة لنفسه. انظر أيضاً (Zetterstéen: Op. Cit. p. 155)، حيث توجد معظم الأسماء الواردة في هذه الفقرة مضبوطة.

(٦) في ف «وعلى ايدغددي».

أيدمر الشمسي ، وأيدمر الشيخى ؛ وسُجنوا إلا الطبأخي ، فإنه قُتل في (١) وقته . ثم استدعى السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار [المنصوري (٢)] ، وخلع عليه وولاه النيابة عوضاً عن بكتمر الجوكندار في يوم السبت ثامن عشره .

و [فيها] أمر أن يُجَرَّد السلطان الجلوس بدار العدل في كل اثنين ، فدار النقباء على القضاة وغيرهم من أهل الدولة . وجلس [السلطان] في يوم الاثنين عشريه ، ونودي في الناس من له ظلامة فليرفع قصته بدار العدل ؛ يخاف الأمراء وغيرهم ، وأدوا ما عليهم من الحقوق من غير شكوى ؛ ورفع الناس قصصهم فقرأها الموقعون على السلطان بدار العدل ، ورقّع عليها بين يديه ، وحكم بين الناس ، [وأنصف (٣) المظلوم] ؛ واستمر (١٣٩) الجلوس في كل يوم اثنين (٤) .

وفيها صرّف السلطان قاضي القضاة زين الدين أبا الحسن على بن مخلوف ، بسبب مفاوضة في مكتوب ؛ ثم أعاده بعد أيام في سادس رجب ، وخلع عليه .

وفيها استدعى السلطان القضاة ، وولى كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة بمحضورهم ، وخلع عليه . فكان أول سعادته أن السلطان اشترى من الفرنج جواهر وغيرها ، فبلغ [ثمنها] ستة عشر ألف دينار ، وأحاطهم بها على كريم الدين ؛ فذكر الفرنج أنهم بعد ثلاثة أيام يسافرون خلفه السلطان ألا يؤخرهم عن الثلاثة أيام ؛ فنزل إلى داره وهو محصور لعدم المال عنده ، واستشار الأمير علاء الدين بن (٢٩ ب) هلال الدولة والصالح الشراييشي ، فحسبنا له أخذ حاصل المارستان المنصوري والاقتراض من تجار الكارم (٥) بقية المبلغ — وكانت تجار الكارم بمصر حينئذ في عدة وافرة ، ولهم أموال عظيمة . ومضى من الأجل يومان ، وأصبح في اليوم الثالث آخر الأجل ، فأتاه الفرنج

(١) أصر السلطان الناصر بقتل هذا الأمير لوثته بسبب إقراره بالمشاركة في مؤامرة بكتمر ، ونفّوّهه بكلام قوى في حق السلطان ، انظر ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٠١) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرين من ب (١٣٣٨) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرين من ب (٣٣٨ ب) .

(٤) يه م من ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ص ٢٠١) أن السلطان الناصر قد استحدث داراً جديدة لجلوسه للظالم ، إذ يذكر أنه كان يجلس بالإيوان « الذي جدده السلطان في موضع الإيوان الكبير المنصوري ، واستمر جلوس السلطان بالإيوان المذكور إلى حين وفاته » .

(٥) انظر المقرئزي (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٣٩ ، ٨٩٩) .

وقت الظهر لقبض المال ، فاشتد قلقه وأبطأ عليه حضور الكارم . وبينما هو في ذلك إذ أتاه تجار الكارم ، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنج له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضاً ؛ فسأل التجار الفرنج عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين ، فقالوا : « لنا عليه حوالة من قبل السلطان بمال ، وقد وعدنا بقبضه اليوم ، فطالبهم الكارم بماله من مبلغ القراض ، (١٤٠) فوعده بأدائه . وبلغ ذلك كريم الدين ، فسر به سروراً ذاتداً وكتبه ؛ وأمر بالكارم والفرنج فدخلوا عليه ، فلم يعرف الكارم بشيء من أمره ، ولا أنه طلبهم ليقترض منهم مالا ؛ بل قال : ما بالكم مع الفرنج ؟ ، فعرّفوه أمر القراض الذي عند الإفرنجي ، فقال لهم : « مهما كان عند الإفرنجي هو عندي ، . ففرح الفرنج بذلك ، وأحالوا الكارم على كريم الدين بستة عشر ألف دينار ، [وهي] التي وجبت عليه بحوالة السلطان ، ودفعوا أربعة آلاف تمة عشرين ألف دينار للكارم . وقام الفرنج وقد خلص كريم الدين من تبعته بغير مال ، والتزم للكارم بالمبلغ ، فضى هو وبقيّة التجار من غير أن يقترض منهم [شيئاً^(١)] ، فعدّ هذا من غرائب الاتفاق .

وفيها قبض (٤٠ ب) على الأمير قطلوبك [نائب صفد]^(٢) . وأنعم على صاحب نجم الدين البصروي بإمرة .

وفيها قرّر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس ، وهي التي كانت تسمى مقرر الخيالة ؛ فلما ورد المرسوم بذلك على الأمير كراي نائب دمشق أعسف بالناس في الطلب ، وضرب جماعة وأخذ مالا كبيراً ؛ فتجمّع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزويني ، وكبروا ورفعوا المصاحف والأعلام ، ووقفوا للنائب ، فأمله بهم فضربوا وطرّدوا طرداً قبيحاً ، فكثّر عليه الدعاء ، فلم يمهّل بعدها غير تسعة أيام .

وقدم أرغون الدوادار من مصر إلى دمشق يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الأولى على البريد ، وعلى يده مراسيم للأمراء بالقبض على (١٤١) الأمير سيف الدين كراي ؛ ووصل أيضاً في هذا اليوم مملوك كراي ، وصحبته تشریف وحياسة وسيف لمخدومه ؛

(١) أنيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٣٩) .

(٢) أنيف ما بين الحاصرتين مما يلي بالصفحة التالية أيضا (Zetterstéen : Op. Cit. p. 156) .

واففق قدوم رسل التتر . فأوصل الأمير أروغون الكتب إلى الأمراء ؛ وأصبح كراى يوم الخميس فركب الموكب ، ونزل وقد احتفل لأجل لبس التشريف ، ولقدوم الرسل . فلما فرغ الأكل ، وانصرفت الرسل ، أحاط الأمراء بكراى وأخرجوا مرسوم السلطان بمسكه ، فقبض عليه وهو بتشريفه^(١) ؛ وحُمل مقيّداً إلى السكرك ، فسجن بها . وكان القبض عليه في يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الأولى ، وقبض في غده على قطاوبك نائب صفد ، وسجن بالسكرك . واستقر في نيابة دمشق عوض الأمير كراى الكبير جمال الدين أفوش نائب السكرك ، (٤١ ب) وخُلع عليه في مستهل جمادى الآخرة ، فقدمها في رابع عشره .

وفيه استقر الأمير سيف الدين بهادر آص في نيابة صفد ، وأرسل تشريفه صحبة الأمير جمال الدين أفوش ، وقد توجه إليها . ورسم للأمير بدر الدين بكتوت القرمانى بشد الدواوين بدمشق ، وكتب على يده مساححة بما قرره كراى . وتوجه [بكتوت] مع الأمير جمال الدين أفوش إلى دمشق ، فقدمها في رابع عشر جمادى الآخرة ؛ وقرئت المساححة على منبر الجامع ، فسُرَّ الناس بذلك . وقبض بدمشق على الأمير بكتوب الشجاعى ، وسيف الدين جنقار^(٢) الساقى ، وحمل إلى السكرك .

و [فيها] نقل الأمير بكتمر الجوكندار النائب والأمير أسندمر كرجى من سجن الإسكندرية إلى سجن السكرك ؛ (٤٢ أ) فاجتمع بالسكرك من الأمراء المعتقلين بكتمر الجوكندار ، وأسندمر كرجى ، وكراى المنصورى ، وقطاوبك المنصورى نائب صفد ، وبببرس العلانى ، في آخرين .

وفيه استقر الأمير سيف الدين يديغا الأشرفى في نيابة السكرك ، عوضاً عن الأمير أيتمش الحمدي ؛ وكان السلطان قد استنابه بها لما خرج منها إلى دمشق .

وفيه وصل الأمير سليمان بن مهنا إلى القاهرة ، ومعه عدة من التتر مقيدين ،

(١) ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب التهيج السديد ، ج ٣ ص ٢٠٣) أنه لما قرئ كتاب السلطان بالقبض على كراى امتثل الأمر ، وخلع ملابس التشرية ، وهى الشاس والكلوة ، « وتعمم بتخيفة » ، إشارة إلى أنه صار من المنضوب عليهم ، وهذا يضيف إلى ما سبقت الإشارة إليه بصد ملابس الأمراء الذين يزول عنهم رضى السلطان . (انظر ص ٦٨ ، حاشية ٢) .

(٢) فى ف « حنناد » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ص ٥٣٩) .

أسرم في الغارة على التتر ؛ فأنعم عليه بمائة ألف درهم .

و [فيها] قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه ، وقتل خواصه (١) .

وفيهما أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب ، أقامها له (٤٢ ب) الشيخ أبو يحيى زكريا [بن أحمد بن (٢) محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص عمر] اللّحنياني ، لما جهزه السلطان إليها بالصناجق وبعده من الأجناد ؛ وكان ذلك في شهر رجب ، [كان الأجناد] قد قدموا مع بيبرس ، بعد ما قدمها [أبو يحيى] من مصر في جمادى الأولى .

وفي ثامن عشر رمضان كتب باستقرار الأمير بلبان في نيابة قلعة دمشق ، عوضا عن بهادر السنجري . ورسم لبهادر بنيابة قلعة البيرة .

وفي سادس شوال قبض على الصاحب أمين الدين (٣) عبد الله بن الغنام ، وعلى التاج عبد الرحمن الطويل ؛ وقرّر عليهما مال ، لحملاه وهما معوّقان بالقلعة ، من غير أن يلي أحد . ثم أفرج عنهما يوم الخميس حادى عشره ، وخلع عليهما ، واستقرا على عادتهما . فمات التاج في ذى القعدة ، واستقر عوضه في نظر (٤٢ ا) الدولة تقي الدين

(١) اسم الوزير المقصود هنا سعد الدين الساوى - أو الساوجى - ، وكان في الحقيقة متوليا لبيت المال مشاركة مع رشيد الدين المؤرخ . ومن الذين اتلوا بأمر خربندا أيضا موسى الكودى الذى ادعى أنه المهدي المنتظر ، وتاج الدين الموجى الذى كان من غلاة الشيعة ، وقد قتل لمحاوئته إخراج خربندا من السنة إلى مذهب الشيعة ، على أن خربندا نفسه قد انقلب شيعيا في أواخر أيامه . انظر (Browne : Op. Cit. 51 - 50 . PP. III) واجمع أيضا ابن أبي الفاضل (كتاب التهيج السديد ، ج ٣ ، ص ٢١٤ - ٢١٥) ، حيث جاء أن السبب في قتل المذكورين من أعيان بغداد وغيرهم ، أنهم كانوا قد تأسروا على حياة خربندا . (٢) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤) ، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الأمير الحفصى الذى ساعد على امتداد دلة المماليك في عهد الناصر محمد إلى طرابلس . انظر أيضا (Zambaur : Op. Cit. pp. 75, 76) .

(٣) في ف « أمين الملك » وهو خطأ واضح ، إذ المعروف قلاعن ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢) أن ابن الغنام كان قد أسلم على يد الأمير بيبرس الجاشنكير ، وحيث أن المصطلح عليه في دولة المماليك ، حسبما ذكر القلة شندى (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٩٠ - ٤٩١) أن ألقاب رجال الدولة من القبط الذين أسلموا كانت تثير عند إسلامهم بإضافة الاسم الأصلي إلى لفظ الدين فيقال « شمس الدين » لمن اسمه « الشمس » وهكذا ، فالغالب أن المقريزى - أو ناسخه ، أو مرجهه الذى نقل منه - قد نسي هذه القاعدة ؛ وسيدأب الناشر على هذا التصحيح فيما يلي بغير تعليق .

أسعد بن أمين الملك (١) المعروف بكاتب برلغى ؛ وولى التاج لإسحاق والموفق
 هبة الله [وظيفة] (٢) مستوفى الدولة ، وكانا كتابا لسلار .
 وفيها توجه السلطان إلى بلاد الصعيد . ورُسِمَ بنقض الإيوان الأشرفى بقلعة
 الجبل ، فنقض وُجِدَّ ، فلما عاد [السلطان] جلس فيه على العادة .
 وفيها وصل كرئيس ملك النوبة بالقود المقرر (٣) عليه ، بعد قتل أخيه (٤) .
 وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك الين ، بهدية وماتى جمل وماتى
 جمال وخيول ووحوش وطيور ؛ ففرق ذلك على الأمراء الأكابر والأصاغر .
 وفيها استقر علاء الدين على بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتاب
 السر ، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن (٤٣ ب) فضل الله العمرى ، فى يوم
 الأحد سابع ذى الحجة ؛ ونقل شرف الدين إلى كتابة السر بدمشق ، عوضاً عن أخيه
 محيى الدين يحيى . وكان ابن الأثير قد توجه من مصر مع السلطان ، هو وجمال
 الدين إبراهيم بن المغربى ؛ فلما أقام بالسكر خسرهما ، فاختارا الإقامة عنده ؛ فلما عاد
 إلى ملك مصر رعى لهما ذلك ، وأقر ابن الأثير فى كتابة السر ، وابن المغربى فى
 رئاسة الأطباء .

وفيها أخذ الأمير قراسنقر فى التدبير لنفسه ، خوفاً من القبض عليه كما قبض على غيره ؛
 واصطنع العربان وهادآم ، وصحب سليمان بن مهنا وواخاه (٥) ، وأنعم عليه وعلى
 أخيه موسى ، حتى صار الجميع من أنصاره ؛ وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب ،
 (٤٤ ا) وأقام عنده أياما ، وأفضى إليه سره ، وأنه خائف من السلطان ،
 وأوقفه (٦) على كتاب السلطان بالقبض على مهنا ، وأنه لم يوافق على ذلك ؛ فغضب

(١) كذا فى ف ، وأمين الملك هذا غير ابن الفنام الذى تقدمت الإشارة إليه هنا بالصفحة السابقة .
 انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٥٩) .
 (٢) أضيف ما بين الحاصرتين للمستقيم العبارة ، وكانت العادة أن يتولى تلك الوظيفة اثنان على الأقل .
 انظر القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩ - ٣٠ ، ٣٤) ، وكذلك المقرئ (كتاب السلوك ،
 ج ١ ، ص ١٩٢) .

(٣) فى ف « بالمقرر عليه » ، وفى ب (٣٣٩ ب) « بالقود عليه » .
 (٤) تقدمت الإشارة إلى هذا الأثر ، واسمه « آيى » ، فى ص ٧ هنا ، وقد ذكر القلقشندى (صبح
 الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٧٦) أن آيى توفى سنة ٧١٦ هـ ، وأن كرئيس قد تولى النوبة بعده .
 (٥) كذا فى ف ، وهو فعل صحيح لغة ، على أنه ضعيف دليل الاستعمال ، والاحسن « آخاه » .
 (المحيط) .

(٦) فى ف « وواقه » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٠ ا) .

الأمير مهنا ، وأخذ يسكن ما بقراسنقر ، وانصرف وقد اشتد غضبه . وبعث قراسنقر يسأل السلطان في الإذن له بالسفر إلى الحج ، فأذن له في الحج ، وقدر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه ، وبعث إليه بالني دينار وخلعة . وكتب [السلطان] إلى الأمير مهنا يطلب منه فرساً عيسنه ، وأن يحضر إلى مصر لزيارته . وكان قد بلغه اجتماع مهنا بقراسنقر ، فدبر أمراً يعمله معه أيضاً ؛ فبعث مهنا الفرس وأعاد الجواب . وجهز قراسنقر حاله ، وخرج من حلب في نصف شوال ، ومعه أربع مائة (٤٤ ب) ملوك ؛ واستناب الأمير شهاب الدين قرطاي (١) ، وترك عدة من مماليكه بحلب لحفظ حواصله .

فلما قدم البريد بمسيره من حلب كتب لقرطاي بالاحتراس ، وألا يمكن قراسنقر من حلب إذا عاد ، ويحتج عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك ؛ وكتب إلى نائب دمشق ونائب غزة ونائب الكرك وإلى بني عقبة بأخذ الطريق على قراسنقر ؛ فقدم البريد بأنه سلك البرية على صرخد إلى زيزاء (٢) . ثم كثر وهمه واشتد خوفه من السلطان ، لورود الخبر من ثقائه بمصر بما عزم عليه السلطان ، وما كتب به ؛ فعاد من غير الطريق التي سلكها . فقات أهل الكرك القبض عليه ، وكتبوا بالخبر إلى السلطان ؛ فشق عليه [ذلك] ، وكتب (٤٥ ا) بكشف أخباره ، وكتب إلى حلب بمنعه منها ومنع مماليكه من الخروج إليه ، وإن وجدت فرصة تقبض (٢) عليه .

فقدم قراسنقر ظاهر حلب قبل قدوم ما كتب به السلطان ، فتمعه قرطاي من الدخول ، وعوق من بحلب من مماليكه عن الخروج إليه ، فسقط في يده ورحل ، وكتب إلى الأمير مهنا بما جرى له ؛ فكتب [مهنا] إلى قرطاي بأن يخرج حواصل قراسنقر إليه ؛ ولا يهجم على مدينة حلب وأخذ ماله قهراً . تخاف [قرطاي] من ذلك ؛ وجهز كتابه إلى السلطان في (٤١ ط) كتابه ، وبعث بشيء من حواصل قراسنقر إليه مع الأمير عز الدين

(١) ضبط هذا اللفظ على منطوته في ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٠٥) .

(٢) في ف « زره » . انظر ما سبق هنا ، ص ٥٨ .

(٣) أورد المقرئ هذه العبارة بتلك الضيغة على أنها من نص كتاب السلطان إلى مثل النيابة

بحلب ، وهو الأمير قرطاي .

(٤) في ف « على » والضيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٠ ب) .

فرج بن قراسنقر . [وانصرف قراسنقر عن حلب وقصد البرية ، ثم جهز ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية ، وكذلك جملة من أمواله]^(١) ؛ فقدم [فرج] وأخرا ذى الحجة ، وأنعم [السلطان] عليه بإمرة عشرة ، وأقام بالقاهرة مع أخيه علاء الدين (٤٥ ب) على بن قراسنقر .

وقدم سليمان بن مهنا إلى قراسنقر ، وأخذه حتى أنزله في بيت أمه ، واستجار بها من السلطان فأجارته . وأتاه الأمير مهنا وأولاده ، وقام له بما يليق به ؛ وكتب يعرف السلطان بنزول قراسنقر في أبياته^(٢) ، وأنه استجار بأم سليمان فأجارته ؛ وسأل العفو عنه ، وبعث بذلك أحد أولاده . فأجاب السلطان سؤاله ، وكتب إليه أن يخرج قراسنقر في بلد من البلاد حتى يوليه .

فلما سافر ابن مهنا من مصر أخرج السلطان تجريدة فيها من الأمراء حسام الدين قرا لاجين الأستاذار ، وحسام الدين لاجين الجاشنكير ، وعلاء الدين مغايطى المسعودى ، وشمس الدين الدكز^(٣) الأشرفى ، ولاجين العمرى ، في مضافيهم من الطلبة^(٤) (١٤٦) والعشراوات . ثم أردفهم [السلطان] بتجريدة أخرى ، [فيها] الأمير سيف الدين قلى^(٥) السلاح دار ، وسيف الدين وآل ملك ، وجنكلى بن البابا ، وأمير حسين بن جندر ، في جماعة من الخاصكية مثل أرغون الدوادار ، وأرقطاي ، وأيتمش ، وجنطاي ، والجاي الساقى ، وطقطاي الساقى . وكتب [السلطان] لنائب دمشق بتجريد كجكن وكتبغا الحاجب بمضافيها ؛ وجعل مقدّم هذه العساكر قرا لاجين الأستاذار ، وصاحب السرّ والمشورة أرغون الدوادار ؛ فساروا من دمشق يريدون جهة مهنا .

فاستعدّ قراسنقر ، [وكتب]^(٥) إلى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يستدعيه إليه ، فأجابه بالموافقة ، ووعدّه بالحنوز إليه . وكتب [الأفرم]^(٦)

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الصفحة بعد مراجعة ابن أبي الفاضل (كتاب النهج السيدى ج ٣ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧) .

(٢) كذا فى ف ، وهو جمع صحيح للفظ بيت ، بمعنى المسكن (المحيط) .

(٣) فى ف « الذكر » . انظر ص ١٧ ، حاشية ١ .

(٤) ضبط هذا الاسم من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 156 ect.)

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٤٠ ب) .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة أبي الفداء (المختصر فى أخبار البعر ، ج ٤ ، ص ٦٨) .

إلى صهره الأمير (٤٦ ب) عز الدين أيدمر الزردكاش بدمشق يأمره باستفساد من قدّر عليه ولحاقه به وبقراسنقر، وجهز إليه خمسة آلاف دينار ليفرّقها فيمن يستميله؛ ونزل العسكر [السلطاني] (١) حصص.

فأراد قراسنقر مخادعة السلطان ليتسع له المجال، وكتب إليه مع مملوكه؛ وكتب [إليه] منها مع ولده بالدعاء والشكر، وأن قراسنقر (٢) قد اختار صرخد؛ وسألا يمين السلطان بالوفاء، وإخراج ما لقراسنقر بحلب من المال وتمكينه منه. فرس ابن مهنا ومملوك قراسنقر على حصص، وعرفا الأمير قرالاجين وأرغون الدوادار بدخول قراسنقر في الطاعة، وأنه عيّن صرخد. ففشي ذلك عليهما، وكتبنا معهما إلى السلطان بمعنى ذلك. فانخدع السلطان أيضاً، (١٤٧) وكتب تقليد قراسنقر بلباية صرخد، ورسم أن يتوجه به إليه أيتمش الحمدي؛ وكتب لأيتمش بأن يوصل الملقط إلى مهنا سرّاً، وأن طقطاي (٣) يتوجه إلى حلب، ويخرج ما لقراسنقر بها من المال، ويسيره إليه. وأنعم [السلطان] على مملوك قراسنقر بألف دينار، ووعد أنه متى قام على أستاذه حتى يعود (٤) إلى الطاعة أنعم عليه بأمرة، وأخرجه على البريد هو وابن مهنا. فسارا إلى حصص، ودفعا كتب السلطان إلى الأمراء؛ وسارا بأيتمش إلى قراسنقر فسرّ به وأنزله، واحتج بأنه يتوجّه إلى صرخد حتى يأتيه ما له في حلب؛ فتحيّل أيتمش حتى أوصل ملطف السلطان إلى مهنا، فأطلع عليه قراسنقر.

وبيناهم في ذلك إذ قدمت أموال قراسنقر التي كانت (٤٧ ب) بحلب إليه، فإن طقطاي توجه إليها وبعث إلى قراسنقر بما كان له فيها. فها هو إلا أن وصل ماله بحلب، إذا بالأفرم قد قدم عليه أيضاً من الغد، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه وستة عشراوات في جماعة من التركان. وقدم الزردكاش، ومعه الأمير بلبان

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد، ج ٣،

ص ٢٠٨).

(٢) في « وأنه »، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم ليتضح المعنى.

(٣) كان هذا الأمير من رجال التجريدة السلطانية. (انظر الصفحة السابقة).

(٤) في « يقوم »، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٤١).

الدمشق وإلى القلعة، ويبرس الحسامي؛ فسر قرا سنقر بقدمهم. ولما استقر بهم المنزل استدعوا أيتمش، وعددوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر، وركبوا بأجمعهم. فعاد أيتمش إلى الأمراء بمحضر، وعرفهم الخبر، فركبوا عائدین إلى مصر بغير طائل؛ ووقعت الحوطة على أموال الأفرم ومن تبعه.

وفيها أفرج (١٤٨) عن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، وأنعم عليه بخبز الجارلى. وفيها ولي شمس الدين غبريال كاتب قرا سنقر نظر الجامع الأموى بدمشق والأوقاف، عوضاً عن شرف الدين ابن صصرى، وكان غبريال لما خرج قرا سنقر حلب قدم إلى مصر وسعى حتى ولي ذلك. وفي ثالث ذى الحجة قدمت مقدمة اليمن على العادة، فقبلت.

ومات في هذه السنة من له ذكر الأمير بدر الدين بكتوت الخازندارى^(١) - عُرف بأمير شكار - ، نائب الإسكندرية، [وكانت وفاته] بعد عزله، في ثامن عشر رجب بالقاهرة؛ وأصله من ممالك الأمير بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر في الأيام الظاهرية، وتنقل حتى اشتهر في الأيام العادلية كتبغا (٤٨ ب) وصار أمير شكار؛ ثم ولي الإسكندرية وكثر ماله، واختص بيبرس وسلار؛ فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة حضر وحسن السلطان حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيه دائماً، فندب معه الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى المعروف بابن الوزيرى، وقرض العمل على سائر الأمراء، فأخرج كل منهم أستاذاره ورجاله، وركب ولاية الأقاليم. - ووقع العمل من رجب سنة عشر وسبع مائة، فكان فيه نحو الأربعين ألف راجل تعمل، وقد قسم بالأقصاب على الأمراء والولاة، وحفر كل أحط ما حدر له؛ فكان قياس العمل من فم البحر إلى شبنار^(٢) ثمانية آلاف قصبة، ومثلها إلى الإسكندرية. وكال الخليج (١٤٩) الأصل من حد شبنار^(٣)

(١) في «الخازندار»، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤١ ب)، والنسبة إلى الأمير بيليك الخازندار، كما هنا سطر ١٣. انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٨٩)، حيث توجد ترجمة قصيرة لهذا الأمير المتوفى.

(٢، ٣) كذا في ف، وهو في ب «شبنار»، والمراجع من تحديد موقع هذا البلد بمقتضى المسافة بين فوهة هذه القناة الكبرى عند المطف الحاية ومنها عند الإسكندرية أن المقصود بذلك التسمية بلدة «شبرايا» الواردة في ابن الجيعان (النفحة السنية، ص ١٢٩)، وابن دقاق (الانتصار، ج ٥، ص ٩٣)، والمقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٧٠) وربما كان الرسم المثبت هنا تحريفاً لاسم ذلك البلد في عصر المقرئى أو ناسخه، أو عصر المرجع الذى نقلت منه تلك الأخبار. هذا ويقرر مجد رمزى بك أن موضع شبرايا هذه هو أبو حمس الحالية.

يدخل الماء ، فجعل فم هذا البحر يرمى ^(١) إليه ؛ وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثمانى قصبات . فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حُفر بمقدار الخليج المستجد ، وجعل بحراً واحداً ، وركب عليه القناطر . ووُجد في الخليج من الرصاص المبني تحت الصهاريج شيء كثير ، فأنعم به على بكتوت هذا . فلما فرغ أنشأ الناس عليه ^(٢) أراضى وسواقي ، واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية ^(٣) ؛ فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية ، وسارت فيه المراكب السكبار ، واستغنى أهل النفر عن حزن الماء في الصهاريج ؛ وعمر عليه نحو ألف غيط ، وعمرت به عدة بلاد ، وتحول الناس حتى سكنوا ما (٤٩ ب) عمر من الأراضى على الخليج ، فصار بعدما كان سباخا سواقي القصب والقلقاس والسهم وغيره . فلما تم ذلك أنشأ بكتوت من ماله جسرا ، أقام فيه نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحداً نحو الثلاثين قنطرة بناها بالججارة والكلّس ، وعمل أساسه رصاصا ^(٤) ؛ وأنشأ بجانبه خانا وحانوتا ، وعمل فيه خفراء ، وأجرى لهم رزقة ؛ فبلغت النفقة عليه نحو شتين ألف دينار . وأعانه على ذلك أنه هدم قصرا قديما خارج الإسكندرية وأخذ حجره ، ووجد في أساسه سربا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح ، فحصل منه جملة عظيمة من الرصاص ^(٥) . ثم إنه شجر ^(٦) ما بينه وبين صهره ، فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله ؛ وكتب أمين الدين (١٥٠) عبد الله بن الغنام — وهو مستوفى الدولة — عليه أوراقا بمبلغ له أربع مائة ألف دينار ، فطلب إلى القاهرة . ولما قرئت عليه الأوراق قال : دقّبوا الأرض بين يدى السلطان وعرفوه عن مملوكه أنه إن كان

(١) في ف « يرى » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤١ ب) .

(٢) الضير عائد على خليج الإسكندرية .

(٣) حقق محمد رمزى بك موضع هذه القرية من دفاتر الروزنامة القديمة بدار المحفوظات الملكية ، وقرر أن موضعها كفر نكلا الحالية ، بمركز المحمودية بمديرية البحيرة .

(٤) يلاحظ القارئ أن هنا وصفا لبناء الطرق الرئيسية في مصر في العصور الوسطى .

(٥) أفاض المترجم (الموعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، وما بعدها) في وصف قناة الإسكندرية ،

شرح ما قام به الأمير بكتوت بمثل ما أورده هنا تقريباً . وقد أورد الأمير غلوسوت (P. O.) .

(Toussoun : Les Anciennes Branches du Nil, pp. 169 et seq.) . فصلا خاصا بتاريخ

القناة وما حدث في مجراها من تعديل .

(٦) في ف « سجر » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٤٢) .

راضياً عنه فكل ما كتب كذب ، وإن كان غير راض فكل ما كتب صحيح .
وكان قد وعك في سفره من الإسكندرية ، فأت بعديال في ثامن عشر رجب وأخذ ،
له مال عظيم جداً ؛ وكان من أعيان الأمراء وكرمائهم وشجعانهم ، مع الذكاء
والمروءة والعصية ؛ وله مسجد خارج باب زويلة ، وله عدة أوقاف على جهات بر .

و [مات] الأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهري ، مات بدمشق . و [مات] الوزير
نفر الدين عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن الخليل (٥٠ ب) التيمي ، وهو معزول ،
ليلة عيد الفطر ، ودفن بالقرافة ؛ ومولد ، في سنة أربعين وستمائة ؛ وكان كريماً جواداً .
و [مات] مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن الخشاب المخرومي الشافعي ، وكيل بيت
المال ، في ثامن ربيع الأول بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ؛ وكان من أعيان الفقهاء ، وولى
الحسبة في الأيام المنصورية قلاون ، وصحب الشجاعى ؛ وأضاف له [قلاون] وكالة بيت
المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات ، فعظمت مهالبته ، وعيب عليه مجونه وعزله وكثرة
اجتماعه بالشجاعى ومعاشرته له ، وكان الوزير ابن الخليل يبكته بذلك ؛ و [كان]
لا يكتب في آخر كتبه سوى : « حسبنا الله » فقط ، من غير « ونعم الوكيل » ، وسئل
أن يكتب « ونعم الوكيل » ، (٥١ أ) فأبى . و [مات] قاضى القضاة سعد الدين مسعود
[بن أحمد بن مسعود]^(١) بن زيد الحارثى الحنبلى ، في يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة ،
ودفن بالقرافة ؛ وسمع وخرّج وصنف ، وصار من الأئمة الحفاظ ، وكتب على سنن أبى
داود قطعة . و [مات] الشيخ صالح محمد العربان ، في ثامن عشر رجب . و [مات] شرف
الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعى ، في يوم الثلاثاء سادس
عشر شعبان بالقاهرة ؛ وكان يكتب في التوقيع ، وله معرفة بالإنشاء ، وبلغ الغاية في
جودة الكتابة ، وانتفع الناس بالكتابة عليه ؛ وكان فاضلاً شجاعاً مقداماً (٥٢)
متكلماً ، يُرمى في دينه بالعظائم ، ويعرف عدة لغات ، وله نظم ونثر . و [مات] الطبيب
شرف الدين عبد الله بن أحمد بن أبى الحوافر رئيس الأطباء ، (٥١ ب) في ليلة

(١) أضيف ما بين الماصرتين من ب (١٣٤٢) ، انظر أيضاً ابن حبيب (درة الاسلاك ، ج ١
ص ١٩١) وهذا مثل آخر للدلالة عن أهمية نسخة ب
(٢) فى ف «لينا» ؛ والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٢ ب)

الجمعة ثالث عشرى شوال ، ودفن بالقرافة ؛ وكان ديتنا فاضلاً رضى الأخلاق ماهراً في علم الطب . و [مات] التاج عبد الرحمن الطويل القبطى الأسلى ، ناظر الدواوين ، في ثانى عشرى ذى القعدة ؛ وقد انتهت إليه معرفة الكتابة الديوانية ، وكان إسلامه في الأيام الأشرفية ، وله صدقات كثيرة ومات القاضي محيى الدين محمد بن قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي ، ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة ، وكان ينوب عن أخيه بالقاهرة في الحكم ، ورسم له باستقلال بوظيفة القضاء بعد أبيه ، مات في حياته ؛ وكان من النجباء . ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المسكرم (١٥٢) بن على ، في ثالث عشرى المحرم ، عن بضع وثمانين سنة ؛ ودفن بالقرافة ؛ وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ورؤساء القاهرة وأماثل كتاب الإنشاء ، ومن رواة الحديث . و [مات] شمس الدين محمد بن يوسف الجزرى الشافعى خطيب جامع ابن طولون ، وكان يعرف بالمحوجب ، وكان عارفاً بالفقه والأصول ، ودرس بالمعزية بمصر .

وفيها قُتل متملك تونس الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ، في جمادى الأولى ، فكانت مدته نحو عامين ؛ وقدم الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى من طرابلس (١) ، فملك تونس بعده .

سنة اثنتى عشرة وسبعمائة . فيها (٥٢ ب) انتهت عمارة الجامع الجديد الناصرى بساحل مصر ؛ فنزل السلطان إليه ، ورتب فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى خطيباً ، ورتب فيه أربعين صوفياً في سطحه ، وأربعين صوفياً بداخله ورتب لكل منهم الخبز واللحم في اليوم ، ومبلغ خمسة عشر درهماً في الشهر ؛ وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازى ووقف [السلطان] عليه (٢) قيسارية (٣) المنبر بالقاهرة ، وعمر له

(١) فى ف «من مصر» وهو خطأ ، فإن الأمير أبى يحيى سافر فى الحقيقة من مصر إلى طرابلس ، حيث أقام الخطبة بها لسلطان الناصر محمد كما تقدم (س ١٠٦) ؛ وقد ذهب إلى تونس من بعد ذلك ، وأقام بها مسلماً حتى سنة ٧١٧ هـ ؛ ثم رجع منها إلى طرابلس ، واستقر به المقام أخيراً بالإسكندرية حيث عاش زاهداً فى الملك ، وكانت وفاته بها سنة ٧٢٧ هـ أنظر بن حجر (الدور السكمانية ، ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤) ، وكذلك ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢٩ - ١٣٠) .

(٢) فى ف «عليها» ؛ وقد أصححت إلى الرسم الوارد بالمتن ، لأن الضمير عائد على الجامع .

(٣) تقدمت الإشارة إلى قيسارية المنبر والعنبرين فى ص ٩١ ؛ حاشية ٣ . أنظر أيضاً المقرئى

المواظ والاعتبار ؛ ج ٢ ، ص ٨٩)

رَبْعاً وحماماً ، [وأقام له ^(١) خطيباً] . وأول صلاة صَلَّيْتُ به ظهر يوم الخميس ثامن صفر ، بإمامة ^(٢) الفقيه تاج الدين أبي عبدالله محمد بن الشيخ مرهف ؛ وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة . فحسب الناس حوله ، وبنا الدور (١٥٣) وغيرها .

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء ^(٣) إلى بلاد التتر ، وأنهم بعثوا بأولادهم وحریمهم إلى مصر . وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى الرحبة انقطع كثير من تبعهم من المماليك والتركمان ، فبعث قرا سنقر ولده الأمير فرج ، وبعث الأفرم ولده موسى مع بعض من يوثق به ؛ وأمرنا بتقيل الأرض بين يدي السلطان ، وأن يبلغاه أن الأمراء ما حملهم على دخول بلاد العدو إلا الخوف ، وأن الأولاد والحریم ودعاءه ، فليفعل السلطان معهم ما يليق به ؛ فقدمنا إلى القاهرة ، وبقينا في الخدمة . وسار الأمراء إلى ماردين ، وكتبوا إلى خربندا بقدمهم ، فبعث أكبر المغل إلى لقائهم ، وتقدم إلى ولاية ^(٤) (٥٣هـ) الأعمال بخدمةهم والقيام لهم بما يليق بهم . فلما قاربوا الأرذو ^(٥) ركب خربندا وتلقاهم ، وترجل لهم لما ترجلوا له ، وبالح في إكرامهم وسار بهم إلى خيمه ، وأجلسهم معه على التخت ؛ وضرب لكل منهم خنركاه ، ورتب لهم الرواتب السنوية . ثم استدعاهم بعد يومين ، واختلا بقرا سنقر ، فحسب له عبور الشام ، وضمن له تسليم البلاد بغير قتال ؛ ثم خلا بالأفرم فحسب له أيضاً أخذ الشام ، إلا أنه خيَّله من قوة السلطان وكثرة عساكره . فأقطع [خربندا] مراغة لقرا سنقر ، وأقطع همذان ^(٦) للأفرم ، واستمروا هناك .

وفي يوم الأحد عاشر ربيع الأول قبض السلطان على القاضي شقر الدين محمد بن فضل الله

(١) موضع ما بين الحاصرتين في ف « وخطيباً فيه » ، وقد أبدلت إلى الصيغة الواردة بالمتن بعد مراجعة المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٤٠٣) ، حيث يوجد وصف دقيق لبهاء هذا الجامع .

(٢) في ف « بامة » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٤٣) .

(٣) في ف « الأموال » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٤٣) .

(٤) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٥٦٩ ، حاشية ٢) .

(٥) تقع بلدة مراغة ، حسبما ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٧٦) بإقليم آذربيجان ؛ وأما همذان فوقها ببلاد الجبل شمال نهاوند ؛ والناشر ينتهز هذه المناسبة لفكر السيد عبد الرزاق الحصان بيفداد لما أمده به من خرائط خطيطة لتعديد هذا البلد وضبطه وتصحيح الوارد بشأنه في الجزء الأول من كتاب السلوك ٤٠٧ ، ٤١٠) .

ناظر الجيش ، وعلى (١٤٥) ولده شمس الدين : وسبب ذلك مفاوضة حصلت بينه وبين فخر الدين أياز الشمسى مشد الدواوين ، اشتط فيها [القاضى] على الفخر [أياز الشمسى] وأهانته ؛ فاجتمع [أياز] بالدواوين وعرفهم^(١) ماله من الأموال والدوايب^(٢) فى أعمال مصر ، واجتمع بالسلطان وأغراه به ، والزم له أن يستخلص منه ألف درهم فأعجبه ذلك ومكّنه منه ، فاشتد بأسه حينئذ ، وجلس على باب القلعة ، وفتح مع الفخر باب "شر" ؛ وأغلظ فى القول بمحضرة الأمراء إلى أن قال له : دانت كسرت معاملات^(٣) السلطان وخربت بلاده ، وأخذت أراضى الخاص عملتها لك رزقا ، ثم نهض وقال : « أنا بالله وبالسلطان ، ودخل والفخر خلفه حتى وقفا بين يدى السلطان ، فبسط أياز لسانه ، (١٤٥ ب) وحاق الفخر على عدة فصول حتى غضب السلطان ، وقال له : « تسلمه وخذ مالى منه ، فأخذه إلى قاعة^(٤) » صاحب وكتب [أياز] إلى الأعمال بالحوطة على مواشيه وزراعاته وسواقى أقصابه وغير ذلك وأحيط بموجوده فى القاهرة ومصر ، وتبعت حواشيه ، فلم يطق الفخر ما هو فيه من البلاء مع أياز ، وبعث إلى طغاي وكستاي وإلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحدى أمير جاندار ؛ فتحدثوا فى أمره مع السلطان على أن ينقل إلى بيبرس الأحدى ، وأنه يحمل جميع ماله ولا يدع منه شيئا ؛ فتسلبه بيبرس أمير جاندار من أياز .

و [فيها] كتب بطلب قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق على البريد ، (١٥٥) فحضر واستقر عوضاً عن الفخر فى نظر الجيش . وتمكن أياز من حاشية الفخر ، وضرب جماعة منهم بالمقارع ، وأخذ سائر موجودهم ، وحمل

(١) فى ف «وعرف» ، وقد عدلت إلى الرسم المثبت هنا ، وأضيف ما بين الحاصرتين أيضا ، للتوضيح .
(٢) الدوايب جمع دولاب ؛ ومعناها هنا معاصر قصب السكر وأشباهاها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية ؛ كما ناع غزل الحرير والسواقى المائية . (Dozy : Supp. Dict. Ar.)
(٣) ربما كان المقصود بلفظ المعاملات هنا الأشغال التجارية (affaires de commerce) الخاصة بالسلطان ، أو هى النقود السلطانية (arhent monnayé) الجارية الاستعمال فى عهده .
والمعاملات أيضا المكوس والضرائب المستعدة ؛ وكانت تسمى الحقوق . انظر التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١) .

(٤) المقصود بقاعة الصاحب دار الوزارة ، والصاحب لفظ جرى فى عهد الأيوبيين بمعنى الدلالة على الوزير ؛ وقد سبقهم إلى استعماله بنو بويه من دون الدول الإسلامية المقدمة . (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٢٣) .

الفخر نحو الخمسمائة ألف درهم . ثم أفرج^(١) [السلطان] عنه وعن ولده وخلع عليهما ، في يوم الأربعاء خا س عشرى ربيع الآخر ؛ واستقر [الفخر] عوضا عن معين الدين هبة الله بن حشيش^(٢) صاحب ديوان الجيش . ولم يوفق^(٣) ابن شيخ السلامية وارتبك في المباشرة ، بحيث إن السلطان كان إذا سأله عن كشف بلد ليعرف حالها يتأخر قدر ساعة ، ثم يجيب بغير الغرض ؛ فتبين جهله بمعرفة جيش مصر .

وفي حادى عشرى ربيع الأول ولى قضاء^(٤) القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر تقي الدين أحمد بن عز الدين بن عبد الله المقدسى ، عوضا عن (٥٥ ب) سعد الدين مسعود الحارثى . وفي سادس ربيع الآخر أمّر السلطان بمن ماله ستة وأربعين أميرا : منهم طبلخاناه تسعة ، وعشراوات سبعة^(٥) عشر ، وألوف عشرون ؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش ، وكان يوما عظيما .

وفيها قدم العسكر المجرى إلى الشام في يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر ، وطلع الأمراء إلى القلعة ، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قراسنقر : منهم جمال الدين أقوش نائب الكرك - وكان قد حضر من دمشق ، وخلع عليه - ، ويبرس [المنصورى] نائب السلطنة بمصر ، وسنقر الكمالى ، ولأجين الجاشنكير ، ويينجار^(٦) ، والدكز^(٧) الأشرقى ، ومغلطاي المسعودى ، وسُجنوا^(٨) .

(١) فى ف «وافرج» ، وقد عدلت إلى الرسم الثبت هنا ، وأضيف ما بين الحاصرتين ، بعد مراجعة ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٣٢٠) .
(٢) ذكر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٠) أن جده معين الدين هذا كانت مملوكا للسلطان اعظم تورانشاه ابن الصالح نجم الدين أيوب .
(٣) فى ف « فلم يوافق » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٣ ب) ، مع إبدال فاء العطف بواو للتوضيح .
(٤) فى ف « ولى قاضى القضاة الحنابلة بمصر » والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٤٣ ب) . انظر أيضا ابن حبيب (درة الأسلاك ، ج ١ ، ص ١٩٤) .
(٥) فى ف « تسعة » ، والعدد الوارد هنا من ب (١٣٤٤) ، وهو أصح .
(٦) بنبر نقط فى ف ، وقد تقدمت الإشارة إلى محبة هذا الاسم فى ص ٦٠ ، ويلاحظ أنه وارد برسم «بانينجار» فى ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢١٩) ، غير أنه مكتوب برسم «بانينجار» فى ابن حجر (الدور الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٧١) .
(٧) فى ف « الذكر » . انظر ص ٦١ ، سطر ٢ ، وكذلك ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ج ٣ ، ص ٢٢٠) .

(٨) فى ف « وشينو » والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٤٤) ؛ وهى الأصح . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠) .

وفيهما استقر سودون الجدار نائبا بحلب في ربيع الأول ، (١٥٦) وتمر الساقى المنصورى فى نياطة طرابلس فى ربيع الآخر .
 [وفيها كتب]^(١) بطلب فضل أخى مهنا وولده أبى بكر ، وسير إليه تقليد الإمرة عوضا عن مهنا ، وأن مهنا لا يقيم بالبلاد ؛ وخرج بذلك الأمير بهاء الدين أرسلان^(٢) الدوادار .
 و [فيها] قبض أيضا فى ربيع ربيع الأول على بيبرس العلمى بمحمص ، وعلى الأمير بيبرس المجنون . والأمير علم الدين سنجر البروانى ، والأمير طوغان المنصورى ، وبيبرس التاجى ؛ وقبضوا وحملوا من دمشق إلى الكرك ، فسجنوا بها مايلهم مع قراستقر .
 وفيها استقر الأمير تنسكر الناصرى فى نياطة دمشق ، عوضا عن الأمير جمال الدين نائب الكرك ، مستهل ربيع الآخر ؛ وسار على البريد يوم الجمعة سابعه ، فدخلها (٥٦ ب) يوم الخميس عشرى ربيع الآخر ؛ ورسم له ألا يستبد بشىء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين أرقطاي ، والأمير حسام الدين طرنطاي بالشهمقدار^(٣) .
 وفى سادس عشر ربيع الآخر أمر السلطان فى يوم واحد ستة^٤ وأربعين أمير : منهم طبلخاناه تسعة وعشرون ، وعشرارات سبعة عشر ؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع .
 وفى يوم الاثنين أول جمادى الأولى استقر الأمير سيف الدين : أرغون الدرادار الناصرى نائب السلطنة ، عوضا عن بيبرس الدرادار المنصورى . ورسم بنياطة صفد لبليان طرنا أمير جاندار ، عوضا عن بهادر آص ، وأن يرجع بهادر إلى دمشق أميرا على عادته ، فسافر إليها .
 وفيه ركب السلطان (١٥٧) إلى بر الجزيرة ، وأمر طقتمر الدمشقى ، وقطلوبغا الفخرى المعروف بالقول المقشر ، وطشتمر البدرى حمص أخضر .
 وفيها هدم السلطان الرقرف الذى أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعى^(٤) .

١. ما بين الحاصرتين وجود فى ، ولكنه فى (١٣٤٤) .

(٢) فى «أين رسلان» والرسم المثلث هنا من ب (١٣٤٤) ، وهو الأصح . انظر أيضا ابن حجر (الدور الكائن ج ١ ص ١٤٩ ، حيث ورد أن هذا الأمير كان ثقة لدى الملك الناصر ، بسبب أنه هو الذى أنقذ له مؤامرة الأمراء للفتك به إبان دخوله القاهرة من دمشق . انظر ص ٧٣) .

(٣) فى «الشهمقدار» ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٤٤) . انظر الفريزى (كتاب السلوك

ج ١ ، ص ٤٠٢) .

(٤) انظر ص ٣٤ ، حاشية ٤ .

وفيهما ورد الخبر في أول رجب بحركة خربندا : وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه ، وإقامته عنده ، وتقوية عزمه على أخذ الشام . وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة ، فقوى عزمه على تجريد العساكر ، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان ، فعاد إلى القلعة ، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات . وعرض السلطان العسكر ، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب ، (٥٧ ب) وأنفق فيهم الأموال . وابتدأ العرض من خامس ربيع^(١) الآخر ، وكل في أول جمادى الأولى ؛ فكان [السلطان] يعرض في كل يوم أميرين بنفسه من قديم الألوف ، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد ؛ وترحلوا شيئاً بعد شيء . من أول رمضان إلى ثامن عشره ، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر .

وخرج السلطان في ثاني شوال ، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة ، ورحل في يوم الثلاثاء ثالثه ، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدي . فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشر رمضان من الرحبة ، وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان ؛ ففرق السلطان العساكر في قانون وعسقلان ، وعزم على الحج . ودخل [السلطان] دمشق (٥٨ ا) في تاسع عشره ، وخرج منها ثاني ذى القعدة إلى الكرك ، و [كان قد] أقام بدمشق أرغون النائب [للفقة على العساكر]^(٢) وغير ذلك من الأعمال ، و [كف] صاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال [اللازم] . ودخل^(٣) السلطان الكرك في ثامن ذى القعدة ، وتوجه إلى الحجاز في أربعين أميرا .

(١) يوجد بهامش الصفحة في ف العبارة الآتية : «وجد كذا بخط المؤلف على الحاشية . يوم الخميس مستهل رجب عزل صاحب ضياء الدين عبد الله اللشائى من تدريس الرواية بجامع عمرو بمصر ، واستقر عوضه صدر الدين بن المرحل ، ودرس في يوم الأربعاء سادسه . وفيها أحيط بدار الأمير قراسنقر بالقاهرة ، وأخذ منها مبلغ اثنين وثلاثين ألف دينار ذهباً ومائة ألف وخمسين ألف درهم ، وسروج ذهب وغير ذلك . تمت الحاشية . » ويلاحظ أن الجملة الأولى من هذا الحق تدل دلالة واضحة على أن نسخة ف التي اعتمدت هنا أصلاً للنشر مأخوذة من النسخة التي كتبها القرينى بيده ، ومع هذا فليست هذه النسخة بنجوة من الأخطاء ، كما تدل عليه التصحيحات الواردة بالحواشي السابقة واللاحقة ، وفي هذا دليل - إن كانت ثمة حاجة إلى دليل - أن النسخ من نسخة واحدة مهما كانت عملية غير مأمونة .

(٢) أضيف ما بين الحاضرتين بعد مراجعة ابن أبي الفضائل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٧) ، وكذلك (Zetterstéen : Op.Cit. P.159) ، ويلاحظ أن الأمير سيف الدين أرغون هذا كان نائب السلطنة بالقاهرة ، وأن صاحب أمين الدين كان الوزير ، وقد طلبه السلطان من القاهرة لمعاونة نائب السلطنة في عمله كما هنا .

(٣) في ف « ودخلها في ثامنه » ، وقبالة ذلك بهامش الصفحة « يعنى الكرك » وقد عدلت العبارة للتوضيح

و [فيها] خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال ، ودخل دمشق وأقام بها بعد تووجه السلطان ليحصل الأموال ؛ فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين ، وطالب محي الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراكا^(١) ، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده ؛ وتبسع حواشيه ؛ وصادر [أمين الدين] أكثر الناس .

وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نُقل من ولاية البهنسا إلى ولاية القاهرة ؛ وأقام الأمير أيتمش المحمدي (٥٨ ب) نائب الغيبة الحرمه ، ومنع الأكابر من الهجرة^(٢) وأنصف الضعفاء منهم . وحجّ بالركب المصري الأمير مظفر الدين قيّدان^(٣) الرومي .

وفيها استقر في نيابة قلعة دمشق عز الدين أيبك الجمالي ، عوضا عن بليان البديري ؛ ثم كُتب بأن يكون بليان شريكا له ، فباشرا جميعاً . وفيها قدمت هدية الأشكري^(٤) .

ومات في هذه السنة من لذكر ضياء الدين أحمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن القرشي الإسكاني المعروف بابن الخطيب - الفقيه الشافعي ؛^(٥) وكانت وفاته ببلدة أدفو في شوال ، وهو الطريق إلى الحج ، فحمل إلى إسنا فدفن بها^(٦) . و [مات] تاج الدين أحمد بن محمد بن أبي نصر الشيرازي ، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها ، في رجب عن

(١) الأوراق جمع ورقة ، ومعناها هنا ترجيعا ، وذلك بعد مراجعة (Dozy: Supp. Dict. Ar.) وما يكتبه شخص على نفسه كدين أو حارس على مال أو عقار . (reconnaissance, acet par lequel on se reconnaît redevable ou dépositaire) أو هو الإعلان الذي ينشر لإخبار العموم بأمر من الأمور (placard pour avertir le public)

(٢) في «التجوه» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٤٥)

(٣) في «ميدان» ، وهو في ب (١٣٤٥) «قيدار» ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen Op. Cit. p. 226)

(٤) شرح ابن أبي الفاضل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٩) تفاصيل تلك الهدية ، وذكر أن رسل الأشكري - أي إمبراطور الدولة البيزنطية أندرونيك الثاني (Andronicus II, Palaeologus) اجتمعوا بالسلطان في عاشر شعبان من هذه السنة ، وأنهم «أحضروا ما وصل معهم من التقادم على اثنين وأربعين جال (كذا) ، منها جوخ وأطلس وصقور وشواهين وغير ذلك» .

(٥ ، ٦) موضع ما بين الرقين في «في اثنا ليال من شوال» ، وقد عدلت إلى الصيغة الواردة هنا بعد مراجعة ابن حجر (الدور الكامنة ، ج ١ ، ص ١٧٦) .

بضع وخمسين سنة . و [مات] عماد الدين أبو العباس (١٥٩) أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الفقيه الحنبلي ، في جمادى الآخرة بمصر ؛ ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة . ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغيماري ^(١) الفقيه أبو محمد المالكي ؛ سبط زيادة بن عمران ؛ [وكانت وفاته] في شوال بمصر ؛ قرأ القرآن ، وكان خيراً فاضلاً . و [مات] نور الدين علي بن نصر الله بن عمر القرشي - المعروف بابن الصوّاف - الخطيب الفقيه الشافعي ، في رجب بمصر و [مات] أبو الحسن علي بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبي الدمشقي - قارى المواعيد - الفاضل الصالح ، في ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة ، ومات نور الدين أحمد بن الشيخ (٥٩٥هـ) شهاب الدين عبد الرحيم بن عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي بحماة ؛ وكان فاضلاً دينياً ، ومات الملك المنصور ^(٢) نجم غازي بن المنصور ناصر الدين أرتق ابن إيلغازي بن ألي بن تمر تاس بن إيلغازي بن أرتق الأرتقي ، صاحب ماردین ، في تاسع رجب ، وكانت إمرته نحو عشرين سنة ، وكان مهاباً ؛ فقام بعده ابنه الملك العادل علي ، وأقام سبعة عشر يوماً ؛ ثم ملك أخوه الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور . و [مات] الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، يوم الاثنين ثاني عشر رجب بالقاهرة ، عن نيف وسبعين سنة ؛ (١٦٠) وقد حدث ؛ ومات امرأته ابنة عمه الملك المغيث بعده ، فخرجت الجنازتان ^(٣) معاً ؛ وكان قد حج ، وقدم القاهرة من طريق القدس بعد ما زاره ؛ ومولده بالكرك في عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة ؛ وكان دينياً متواضعاً فاضلاً ، و [مات] الأمير علم الدين سنجر الصالحى أمير آخور بدمشق ، عن مال كبير جداً ، ومات شرف الدين

(١) كذا في ف ، وفي ابن حجر (الدور الكائنة ، ج ٢ ، ص ١٩) ، ولعل النسبة إلى غمار ، وهو واد ببند . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧١٠) .

(٢) في ف « ومات الملك منصور نجم الدين غازي بن المنصور ناصر الدين ... بن غازي بن تمر تاش ابن غازي بن أرتق الأرتقي صاحب ماردین » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حبيب (درة الأسلاك ، ج ١) ص ١٩٠ . انظر أيضاً (Zambaur : Op. p. 229) وكذلك ابن حجر (الدور الكائنة ، ج ٣ ، ص ٢١٧) حيث توجد بترجمة هذا الملك تفاصيل هامة بصدد علاماته بدولة المالك .

(٣) في ف « الجنازتين » .

محمد بن موسى بن محمد بن خليل القدسي في خامس عشر شعبان بالقاهرة ؛ وكان يباشر التوقيع في الإنشاء ، ويكتب الخط المليح ، ويقول الشعر ، ويغلب عليه الهجاء ، مع تفننه في علوم كثيرة . و [مات] تاج الدين عبد الرحيم بن تقي الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى ، في يوم الثلاثاء ، سابع عشر ربيع الآخر ؛ وباشر (٦٠ ب) نظر النظار بديار مصر ستين سنة ، وعرضت عليه الوزارة غير مرة فأبأها ؛ وكان أميناً كثير الخير ، ولم يُنكَب قط ؛ وعاش مائة وتسع سنين ، وعزل قبل موته . و [مات] قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرى الحنفى بدمشق ، وهو معزول . و [مات] الشيخ عمر بن الشيخ أبي عبد الله بن النعمان ، بمصر يوم الأربعاء خامس عشر رمضان . و [مات] شهاب الدين غازى بن أحمد الواسطى بحلب ، في ثامن عشر ربيع الآخر ؛ وولى نظر الدواوين بمصر مدة ، ثم نقل إلى نظر حلب ؛ وولى نظر دمشق ونظر الصحبة ، وكتب بديوان الإنشاء مدة . و [مات] الفقيه نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الفقيه جمال الدين عبد العزيز ابن (٦١ ا) [أحمد (١) بن] عمر بن جعفر بن اللبيب ، في خامس عشر جمادى الآخرة . ومات بطرابلس الأمير علاء الدين مغلطى البهائى ؛ وقد رسم بالقبض عليه ، فمات قبل وصول البريد بيوم .

* * *

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة : [في] أول المحرم قدم الأمير سيف الدين قجلىس من الحجاز إلى القاهرة مبشراً بعود السلطان . وفي يوم الثلاثاء حادى عشرة قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق ، بعد دخوله إلى المدينة النبوية ، وتوجهه^(٢) على الكرك وكان دخوله إلى دمشق يوماً مشهوداً ، بلغت فيه أجر البيوت مبلغاً زائداً ، حتى إن بيتاً أخذت أجرته للنظر إلى السلطان في مدة من بكرة النهار إلى الظهر ستمائة درهم . وعبر [السلطان] وهو على ناقة . وعليه شئت^(٣) من ملابس

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود في ف ، ولكنه في ب (٣٤٥ ب) .

(٢) في ف « توجه » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٤٥ ب) .

(٣) البيت - والبُشت أيضاً ، وجمه بشوت - العبادة من الصوف بلوة . الطبيعى .

العرب بلثام ، ويده (٦١ ب) حربة ؛ ولعب يوم السبت في الميدان بالكرة . [ثم أخذ في الإنعام على بعض رجال درلته] ، فولى شمس الدين عبد الله بن غبريال بن سعيد نظر دمشق على قاعدة الوزراء ، وكان ناظر البيوت ^(١) ؛ ونقل الأمير بدر الدين بكتوت القرماني من شد الدواوين بدمشق إلى نيابة الرحبة ، عوضاً عن بدر الدين موسى الأركشي . وخلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبته بالحجاز ، وعدتهم نحو الأربعين أميراً ؛ وأفرج عن المصادرين ، وأعاد الفخر إلى نظر الجيش بديار مصر ، وأعاد قطب الدين موسى بن شيخ السلامة إلى نظر الجيش بدمشق . وصار [السلطان] إلى مصر في سابع عشره ، بعد أن أقام ^(٢) بدمشق خمسة عشر يوماً ، وصلى بالجامع الأموي [الجمعة] ^(٣) مرتين . وقدم قلعة الجبل في يوم الجمعة ثاني عشر صفر (٦٢) ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها نقل الأمير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى التركماني من ولاية الجيزة إلى شد الدواوين ؛ واستقر فخر الدين أياز الشمسي في شد الدواوين بدمشق ، عوضاً عن القرماني ؛ واستقر كريم الدين أكرم بن الخطيري — كاتب الحميدي — المعروف بكريم الدين الصغير ، في نظر الدواوين ، رفيقاً لتقي الدين أسعد كاتب برلغى بن أمين الملك مستوفى ^(٤) الحاشية .

وفيها ابتداء السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة ، فاخطه ^(٥) من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة ؛ وزَّع عمله على الأمراء ، فنقلت جمالم الطين إليه حتى امتلأ ؛ وغُرس فيه النخل والأشجار ، وحفرت فيه الآبار ، وركبت عليها السواقي ، وأدير عليه سور ^(٦٢) ب) من حجر ، وبني خارجه حوض ماء للسيل . فلما فرغت عمارته لعب [السلطان] فيه مع الأمراء بالكرة ، وخلع عليهم وشملهم الإنعام الكثير .

(١) انظر ص ١٠ ، حاشية ٦ .

(٢) في ف « إقامته » ، وقد عدلت إلى السيفة المثبتة هنا لتنسجم مع بقية الجملة .

(٣) أضيف ما بين الحاضرتين من ب (١٣٤٦) .

(٤) ليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشي وظيفة بهذا الاسم ، ولعل المقصود بها « مستوفى الصعبة » ، الواردة في القلشندي (مصبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩) .

(٥) في ف « فاخطه » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٤٦) .

وفيهما اجتمع القضاة في حادى عشر ربيع الآخر بالمدارس الصالحية بين القصرين للنظر في الشهود ، وأقيم منهم جماعة .

وفيهما عمل [السلطان] أيضاً أربع سوافى على النيل تنقل الماء وترميمه على الماء الجارى من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة ، ورمّ السور وأزال شعثه ، فكثرت الماء بقلعة الجبل ؛ وزاد البرّ الظاهرى المجاور لزاوية تقى الدين رجب . بأن عمل عليه نقالة إلى برّ الإسطبل ؛ واهتم بعمل مصالح الجسور التى بالنواحي والترع .

وفيهما قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام فى يوم الخميس (١٦٣) سابع عشرى جمادى الأولى ، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم ؛ وذلك بسمى كريم الدين الكبير وبدر الدين بن التركمانى . وأغرق السلطان به ، و [قيل له] إنه أخذ مالا كثيراً من المصادرين بمصر والشام .

[وفيهما^(١)] أبطلت الوزارة ، فلم يل أحد بعد أمين الدين ؛ ونقل كريم الدين أكرم الصغير^(٢) من ديوان الجيش إلى نظر الدولة ، شريكاً للتقى [أسعد^(٣) بن أمين الملك] كاتب برلى كما تقدم ؛ واستقر شرف الدين الخيرى كاتب سلا ، والتاج إسحاق ، الموفق أخو الخيرى ، مستوفى^(٤) الدولة . فانفرد كريم الدين الكبير بالتمسك من السلطان ، وصارت الأمور كلها منوطة به ، وركب بجنبيين^(٥) ؛ وخاضع عليه أطلس بطر زركش ،

(١) موضع ما بين العاصرتين يابض فى ف .

(٢) يلاحظ القارى أن كريم الدين أكرم الصغير هذا ابن أخت لكريم الدين أكرم الكبير المتقدم هنا ، وقد تسمى كل منهما باسم عبد الكريم بعد إسلامه . انظر ص ٨١ ، سطر ١٠ ، ص ١٠٦ ، حاشية ٣ ، وكذلك بن حجر (الدور الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠ - ٤٠٤) ، حيث توجد ترجمة وافية لكل من هذين الرجلين .

(٣) أضيف ما بين العاصرتين مما تقدم هنا ، بالصفحة السابقة ، وكان هذا الرجل اليد اليمنى للسلطان الناصر أثناء الروك الناصرى المشهور سنة ٧١٥ هـ (١٣١٤ م) انظر مايل .

(٤) انظر ص ١٠٧ ، حاشية .

() مفرد هذا اللفظ «جنيب» . والجمع «جنائب» ، وهى الخيول المرحية التى كان من اللازم قيادتها وراء السلاطين خاصة فى المواقب والحروب ، لاحتمال الحاجة إليها ، انظر المقرئى «كتاب السلوك» ج ١ ، ص ٤٣١ ، « ، ويلاحظ أن هذا الوزير قد اتخذ لنفسه هذه الشهيرة وغيرها من الشعائر السلطانية ، كما سيلي .

وأشهد على السلطان أنه ولاء جميع ما ولاء الله تعالى (٦٣ ب) ، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان .

وفيها أخذ كريم الدين الكبير مع السلطان في العمل على الوزير ؛ وأغراه بالأسعد غبريال كاتب نائب السلطنة ، وأنه كثير الظلم ، و [أنه] نقل إلى أستاذه أمورا تضر الدولة ؛ وأغراه بالعلم كُتِبَ به (١) كاتب منكلى بغا . [وما زال كريم الدين الكبير بالسلطان] حتى سلم الأسعد إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة ، ليخلص منه المال ؛ وسلم العلم كيبيه إليه أيضاً ، وضرباً قدّام السلطان ، وضرب معهما أمين الدين بن الغنم بالعصى ، إلا غبريال فإنه ضرب بالمقارع . وأوقعت الحوطة على موجود [غبريال (٢)] ، وسلم هو وأمين الدين إلى شاد الدواوين ؛ ورسم لمجد الدين سالم أن يتولى بيع موجودهما وحمله إلى بيت المال ، (٦٤ أ) فأقام البيع نحو شهر . وحمل من أمين الدين نحو ثلاثمائة ألف درهم من ثمن المبيع ، ولم يوجد له نقد ألبتة ؛ ثم أفرج عنه . وأما غبريال فإن الخازن والى القاهرة عاقبه حتى هلك بعد أسبوع . وما زال أمين الدين ملازماً لداره إلى يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة ، فاستُدعى وأُخْلِيع عليه ، واستقر ناظر النظار عوضاً عن صاحب ضياء الدين النشائي ؛ ونقل النشائي إلى نظر الخزانة ، عوضاً عن سعد الدين الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسي بعد وفاته .

ولما استقر أمين الدين في نظر النظار ، ودخل عليه مجد الدين سالم لهيئته ، والمجلس خاص بالناس ، نظر [أمين الدين] إلى الحاضرين ، وقال : « هذا القاضي مجد الدين تفصل في حق . حيث كان يتولى أمرى في بيع حواصل ، (٦٤ ب) وباع حتى زبَادى المطبخ » . فالتفت إليه المجد على الفور ، وكان مقدماً جريئاً ، وقال له : « يا مولانا ! إني والله تفضلتُ عليك ، وأحسنتُ إليك غاية الإحسان ، وخدمتك أتم خدمة ، وبعثت من زبَادى ونحاس وفرش بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم ، وما تحددتُنا في ظهور درهم ولا دينار ، بل سكتنا ، ونحن سكوت إلى الآن » . فلم يجب أمين الدين سوى بقول « حسبنا الله » .

(١) مضبوط مكناً في ف .

(٢) في ف « موجوده » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح

وفيهما ولي السلطان الأمير بدر الدين محمد بن كندغدى^(١) بن الوزيري نيابة دار العدل وشد الأوقاف ، بسبب قصة رفعت في الأوقاف . وكان ابن الوزيري أمينا حاد الخلق عارفا بالأمور . فباشر الأوقاف في داره يوم الثامن من ربيع الأول .

وجلس [ابن الوزيري] بدار العدل (١٦٥) في يوم السبت خامس عشر ربيع الأول ؛ وجلس القضاة الأربعة بين يديه بدار العدل ؛ ورفعت إليه القصص ، وصرّف الأمور ؛ وطلب سائر مباشرى الأوقاف وألزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالأوقاف ؛ [وطلب] مواعيد^(٢) الحكم وتشدد عليهم . فقلق القضاة من ذلك ، وسألوه الإغضاء عن ذلك ؛ فتمادى في الطلب ، وأحرق بعدة من المباشرين ، وضرهم لفساد حسابهم . فقام قاضى بدر الدين محمد بن جماعة في العمل عليه - وكان عارفا بالسعى ، وله في ذلك أيام وتراتيب - ، ووافق رفاقه وصار إلى القاضى كريم الدين الكبير بنفسه ، وتراعى عليه ؛ ثم اجتمع بالفخر ناظر الجيش ، وبعلاء الدين كاتب السر ، وبعدة (٦٥ ب) من الخاصكية ؛ وما زال بهم حتى خيّلوا السلطان من ابن الوزيري أنه شرس الأخلاق ، وله أغراض فاسدة ، وقصدته إهانة القضاة ، وأهل العلم وحطّ أقدارهم ، وقد كثّر الدعاء على السلطان [بسيه] . فلما تكثر ذكر ذلك [لدى السلطان] ، وبلغه عدة حكايات عنه ، ومنعه من النحدث في الأوقاف ؛ ومن حينئذ بدت عدارة ابن جماعة لفتح الدين محمد بن سيد الناس ، واشتد الأمر بينهما إلى أن بلغ السلطان ذلك وتسلط الشهاب أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى الشاعر على ابن جماعة ، وهجاء بعدة قصائد بعضها إليه ، ورتّب هو وابن سيد الناس القصيدة التي أولها :

« ترى يسمع السلطان شكوى المدارس ، (٦٦ ب) ، وعدتها ستون بيتا ؛ فحبسه [ابن جماعة] بسببها ، لأنه أقذع فيها ، وشهرها في الناس إلى أن قرئت على السلطان ؛ فقام أيدغدى شقير في حقه ، وأخرجه من السجن .

(١) فى « كيدغدى » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٤٧) ، ومن المقرئى (كتاب السلوك ج ١ ، ص ٦٤٥ ، سطر ١٣) . واسم هذا الأمير فى النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ١٨٠ ، وغيره من المراجع المتذوّلة فى هذه الحواشى ، خال من هذا الاسم الأعجمى .

(٢) مفرد هذا اللفظ مودع ، وقد تقدم شرحه فى المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٦٤ ، حاشية ٣) .

[وفى] يوم السبت ثانى جمادى الأولى استقر صدر الدين بن المرحل فى تدريس الزاوية (١) المجدية بالجامع العتيق ؛ عوضا عن جلالى الدين على بن عبد الله العُسلوجى (٢) بحكم عزله .

وفى يوم الثلاثاء رابعه أوفى النيل ، وهو آخر أيام النسيء قبل المَعْفَرَد (٣) . ثمّ قدم المفرد بعد الوفاء فى يوم الخميس سادسه .

وفىها عمل الروك بالبلاد الشامية ؛ وندب له الأمير علم الدين سنجر الجاولى ؛ غزوة ، وابن معبد ، ومعين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام ، مع مباشرى ديوان الج و ش بمصر . فتوجه الجاولى (٦٦ ب) إلى دمشق ، وأقام مع الأمير تنسكى النائب إلى أن عُمِلت أوراق عبّرة البلاد ومنحصلها ، وما فيها من إقطاع ورقف وملك . وكل ذلك فى ذى الحجة ، ونُقِلت (٤) سنة اثنتى عشرة إلى سنة ثلاث عشرة ، وجهزت الأوراق إلى السلطان فقرئت عليه ؛ فكتب [السلطان] مثال [جديدة] لأمرأء دمشق وأجنادها ، ووفّر عدة إقطاعات وبلاد أدخلها فى ديوان الخاص ، وزاد إقطاع النيا ؛ وكتب بذلك مناشير سار بها على البريد الأمير سيف الدين قجلىس حتى فرقاها على أربابها وعاد .

(١) لم يذكر المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣٦) زاوية بهذا الاسم فى باب الزوايا ، غير أنه (نفس المرجع ، ج ٢ ص ٤٠٠) ذكر مدرسة اسمها المجدية الخليلية ، نسبة إلى منشئها الشيخ محمد الدين الخليلى الدارى ، والد الوزير نضر الدين عمر بن الخليل ، وربما كانت تلك المدرسة هى المقصودة هنا .

(٢) فى ف ، وفى ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ص ٧٥) ، برسم « العسلوجى » ، غير أنه لا يوجد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ص ٦٧٧) سوى بلدة عسلج ، وهى قرية ذات نخل وزرع ، ببلاد العرب ترجيحا ، وأصل تسميتها من لفظ عسلوج ، وهو ما لأن واخضر من قضبان الشجر ؛ هذا ويوجد فى المحيط لفظ عسلج ، وهو الرجل الموج الساق .

(٣) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٧٣ ، حاشية ٢) ؛ حيث فسر لفظ المفرد بمعنى «غاية ارتفاع النيل» ؛ غير أن مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ٩ ص ٣٥) شرحه شرحا مخالفاً ، ونصه : «ويطلق المفرد على الجندى أو المملوك ، يقال وصل مفرد من الصعيد» .

(٤) جرت الإدارة المالية فى دولة المماليك وغيرها من الدول فى مصر فى العصور الوسطى على التوفيق بين اسنة الخراجية القمرية والسنة الميلادية الشمسية بتقديم السنة القمرية سنة كلما اقتضت منها ثلاث وثلاثون سنة . وذلك لتنظيم الخراج ، ولهذا الموضوع حاشية وافية بالمقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٤٥ ، حاشية ١) وتوجد بالنويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ٨١) بصدد الروك الشامى عبارة تشرح مسألة نقل السنين تماما ، ونصها : « فلما انتهى العمل حولت سنة ثنى عشرة وسبعائة الخراجية إلى سنة ثلاث عشرة بحكم دوران السنين » .

وفيهما توجهت تجريدة إلى مكة صحبة الأمير سيف الدين طغتكشاى الناصرى وإلى قوص ،
وسيف الدين بيدوا ، وعلاء الدين أيدغدى الخوارزمى ، وصاروجا الحسامى ؛
و [توجهه] (من ٦٧ ا) دمشق سيف الدين بلبان البدرى مع الركب ، وأضيف إليهم
عدة من الأجناد ؛ (وذلك) بسبب حميضة بن أبى ندى ، فإنه كثر ظلمه .

وفيهما قبض على الأميرين عز الدين أيك الرومى (١) المنصورى ، وركن الدين
بيبرس الأحمدي أمير جانداز ، فى رابع عشرى رمضان . وسبب ذلك مفاوضة جرت
بين الأمير علاء الدين أيدغدى شقير وبين أيك الرومى بحضرة الأمراء على باب القلعة ،
فى انتقال [إقطاعات (٢)] بينهما خرجا فيها عن الحد . فخرج الأمير طغتكشاى وهما فى
ذلك — وكان يعنى بأيدغدى حتى قرّبه من السلطان — ، فشقّ عليه استطالة أيك
من أجل أنه من أمراء البرجية وشجعانهم ، ومن عرف بالعفة . فلما كانت خدمة
العصر (٣) بلغ السلطان ما كان بينهما ، فرسم بحملهما إلى ديوان (٦٧ ب) السلطان ،
ومن تعين عليه شيء قام به ، وأسرّ ما أغراه به طغتكشاى فى نفسه . ثم قبض [السلطان]
عليه (٤) وعلى الأحمدي ؛ وبعث إلى الأحمدي مع قجلىس « بأنك وخشداشك اتفقتما
على أنه يتسلطن » ، فبكى وسأل الله إن كان ما نُقل عنهما حقا أن يقضى قلب السلطان
عليهما ، وإن كان كذبا أن يحننه عليهما . فلما أعاد قجلىس هذا على السلطان
رقّ له ، وأمر به ففك قيده ، وأحضر وأعطى سيفه ، ونُخلع عليه من ساعته ، وذلك
فى رابع عشرى شوال .

وفيهما أرسل السلطان صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل على البريد إلى الأمير مهنا
ليردّه إلى الطاعة ، فإنه حصل منه حيف على التجار ، وقطّع أولاده وعربانه الطرقات .
فاجتمع به [ابن المرحل] قريبا من العراق ، وما زال به يعده بردّ إقطاعه (٦٨ ا) ويرغبه
إلى أن أذعن ، وبعث معه بابنه موسى ، وسجّهن القود على العادة صحبة ولده سليم . فقدم ابن
المرحل بموسى بن مهنا فى ربيع الآخر ، وأنزل موسى فى القاعة الأشرفية بالقلعة وأكرم

(١) فى « المروى » ، وهو خطأ يصححه ما يلى بهذه الصفحة ، وكذلك ب « ٣٤٧ ب » .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب « ٣٤٧ ب » .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى (١٣٤٨) برسم « القصر » .

(٤) الضمير عائد على الأمير عز الدين أيك الرومى .

لكراما زائدا ؛ ثم قدم القود ، [و] أعيدت الإمرة لمهنا ، وزيد لإقطاعه مبلغ مائتي ألف درهم ؛ وأعيد لإقطاع فضلٍ إليه على عادته قبل الإمرة .

وفيها توجه السلطان إلى الصعيد في ثامن عشر رجب ، ونزل تحت الأهرام بالجيزة ، وأظهر أنه يريد الصيد والقصد أخذُ العربان ؛ فإنه كثر قطعهم الطريق ، وكسروا الخراج . وبعث [السلطان] عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات ، فضبط البرين على العربان ؛ ثم رحل من منزلة الأهرام بالجيزة ، وسار إلى فرجوط^(١) . وعاد [السلطان] (٦٨ ب) إلى القلعة في يوم السبت عاشر رمضان ، وقد أخذ كثيراً من العربان ؛ وبعضهم مقيدون في المراكب إلى القاهرة ، فسيجنوا واستعملوا في الجسور ؛ وقبض على مقدار بن شماس — وكان قد عظم ماله حتى بلسخ عدد جواريه أربعائة جارية ، وعدة أولاده ثمانون ولداً — ، وقتل عدة كثيرة من العربان ، وعاد . فحبس (السلطان) مقداراً مدة ثم أفرج عنه ؛ وأنعم عليه بمال وغلال ، وكتب برّد أهله وأولاده وعبيده إليه ، وأنزله بالناصرية التي أنشأها خليج الإسكندرية ، فأقام [مقدار] هناك ، وأنشأ للبيوت والسواق والدواليب ، وعمر تلك الجهات ، وبقي عقبه من بعده بها .

وفيها ابتدئ بعمل القصر الأبلق على الإسطبل السلطاني في أول السنة ، فأكمل في سابع عشر رجب . وقصد [السلطان] أن يحاكي به (١٦٩) قصر الملك الظاهر بيبرس بظاهر دمشق ، واستدعى له الصناع من دمشق ، وجمع صناع مصر ، فأكمل ؛ وأنشأ بجانبه جنيينة . وعمل [السلطان] عند فراغه سماطاً للأمراء ، وخلع عليهم ، وحمل إلى كل أمير مائة ألف دينار ، وإلى كل أمير طبائخاناه عشرة آلاف درهم ، ولكل مقدّم حلقة خمسمائة درهم فكان جملة ما فرق في هذا المهم خمسمائة ألف^(٢) ألف وخمسمائة ألف درهم . وصار [السلطان] يجلس فيه سائر الأيام ، ما عدا يومى الاثنين والخميس فإنه يجلس فيهما بالإيوان .

(١) كذا في ف ، وكذلك في ب (١٣٤٨) ، والراجح أنها بلدة فرشوط — أو برشوط — التابعة لمركز نجع حمادى بمديرية تنا الحالية ، وأن الصفة المثبتة هنا بالمتن لهجة في نطق هذا الاسم ، انظر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٨٦) ، ومبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ٦٨) ، وكذلك (فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٢٨٨) .

(١٠ - ١)

(٢) كذا في ف ، وفي ب (٣٤٨ ب) .

وفيهما أخرج السلطان مناظر اللوق بالميدان الظاهري، وعملها بستاناً، وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات، واستدعى حولة الشام والمطعمين؛ فجاء من أبداع البساتين، وعرف أهل جزيرة الفيل منه صناعة تطعيم (٦٩ب) الشجر، واغتوا بها. وفيها ركب السلطان إلى الجزيرة، وندب الأمير بدر الدين [بن] التركماني لعمل جسورها وقناطرها، واستدعى المهندسين. فأنشأ [ابن التركماني (١)] لسلك بلد جسراً متقناً (٢)، وعمل جسراً من البحر إلى أم (٣) دنبار؛ وخرج العسكر جميعه والأمراء بمضافيهم للعمل في ذلك، فكان مهنهما عظيماً؛ وصار السلطان يركب إليه كل قليل حتى كمل، وعمرت القناطر من حجارة الهرم الصغير، ومن حجارة القناطر الظاهرة (٤) التي تعرف بالاربعين قنطرة.

وأكثر [السلطان] من العمار، وولى آقنقر أمير آخورشاد العمار؛ وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية، وأفرد للعمار ديواناً بلغ مصروفه في كل يوم اثني عشر ألف درهم إلى ثمانية آلاف، وهي أقل ما كان يصرف في (٧٠أ) اليوم الواحد. وأنشأ [السلطان] دار (٥) البقر التي كانت برسم بقر السواقي السلطانية، بباب القلعة بجوار إسطنبول الطويل؛ وندب لذلك كريم الدين الكبير، فأنفق عليها ما ينيف على ألف ألف درهم (٦).

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٤٨ ب)، والنويزي (نهاية الأرب، ج ٣٠، ص ٨٠).
(٢) في ف، «مقتنا»، وهو في ب (٤٨ ب) بصيغة «معينا». وربما كان الصحيح ما هنا.
(٣) تتبع هذه البلدة مركز إمبابة بمديرية الجزيرة الحالية، (فهرس مواقع الأمكنة، ص ٤١)، وقد ذكر مبارك (الخطط التوفيقية، ج ٨، ص ٨٥) أنها عند منتهى جسر يعرف بالجسر الاسود.
(٤) كذا في ف، ولعل المقصود بذلك قناطر الجزيرة التي عمرها قراوش أيام صلاح الدين، إذ كانت عدتها نفيًا وأربعين قنطرة؛ أم لعل المراد بها قناطر السباع التي يحتمل أن كان اسمها القناطر الظاهرية، نسبة إلى بانيها السلطان الظاهر بيبرس، وكانت من المعروف أن الناصر يتأذى من رؤية السباع الحجرية المنصوبة عليها رمزاً إلى بيبرس ورنكه، وقد أمر بهدمها وتوسيعها سنة ٧٣٥ هـ. (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٤٦ - ١٤٧، ١٥١ - ١٥٢).
(ه) انظر الحاشية التالية.

(٦) عبارة المقريزي (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٦٨) بصدد هذه المنشآت مخالفة قليلاً لما هنا، وهي تعين موضع دار البقر أيضاً، ونصها: «هذه الدار خارج القنطرة، فيما بين قامة الجبل وبركة الفيل، بالخط الذي يقال له اليوم حارة البقرة، كانت داراً للآبقار التي برسم السواقي السلطانية، ومنصرفاً للزبل، وفيه ساقية ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها داراً وإصطبلًا، وغرس به عدة أشجار؛ وتولى عمارتها القاضي كريم الدين عبد الكريم الكبير، فبلغ المصروف على عمارتها ألف ألف درهم؛ وعرفت بالأمير طقمير الدمشقي، ثم عرفت بدار الأمير طاش تمر حصن أخضر؛ وهذه الدار باقية إلى وقتنا هذا؛ ينزلها أسراء الدولة»

وأشأ داراً للأمير سيف الدين طاش تمر دحمص أخضر ، بحدرة البقر ، واشترى له بستان ابن المغربي بجزيرة الفيل بتسعين ألف درهم . فامتدت أيدي الناس إلى العمارة ، وكانما نودى في الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر ، وذلك أن (١) الناس على دين ملوكهم . وأنعم [السلطان] على الأمير سيف الدين طغاي بدار الملك المنصور قلاون بالقاهرة .

وفيهما ابتدأ الناس بعمارة ناحية اللوق [خارج المقس (٢)] ، وعمارة أراضي بستان الخشاب فيما بين اللوق [ومنشأة المهراني على النيل .

وفيهما قدم البريد بإجراء الأمير علم الدين سنجر الجاولي (٧٠ ب) عين ماء إلى الخليل ، و [أنه] عمر بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام عمائر حسنة وجعل عليها أوقافاً .

وفيهما تسحب علاء الدين على بن الأمير بدر الدين بن المحسن إلى بلاد الغرب في نحو المائتين ، وخرج الطلب خلفهم خمسة أيام فلم يدركوا .

وفيهما قدم البريد من حلب بقلة الماء بها ، وقد عين أهلها مواضع يساق فيها الماء حتى يرمى إلى نهر الساجور فيصير نهراً يجري في المدينة ، وأن قياسه من نهر قويق إلى الساجور أربعة وأربعون ألف ذراع طولاً في عمق ذراعين ، وأنه كتب تقدير المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم ؛ فأنعم من مال السلطان الخاص بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم ، ورسم لنائب حلب [سيف (٣) الدين سودي] أن يقوم من ماله بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم ؛ فوقع (١٧١) العمل في ذلك .

و [فيها] قدم البريد أيضاً بامتناع مهنا من الحضور . وذلك أن السلطان لما حضر ولداه سليمان وموسى أنعم عليهما إناهما كثيراً ، وبعث إليهما بعد مجيء القود بهدية ، واستدعاه وحلفه . وضمن سليمان وموسى إحضار أيهما إلى مصر ، وسافرا ؛ ثم خرج بعدهما الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار بكتاب ليحلفه ويعدده ويتلطف به

(١) في ف « ذلك وإن » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٤٩) .

(٢) أنيف مابين الحاصرتين من ب (١٣٤٩) ، وهذا مثل آخر للدلالة على قيمة هذه المخطوطة ، رغم تأخرها الزمني عن نسخة ف .

(٣) أنيف مابين الحاصرتين من ابن أبي الفاضل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٣٥) .

ليحضر ، فأوصله الكتاب ورغبه في الحضور ، فامتنع من اليمين والحضور . فاشتد حَسَقُ السلطان منه ، ورسم أن يخرج من عسكر مصر ألفا فارس مع الأمير قجليس ، ومن عسكر دمشق ألف فارس مع الأمير سيف الدين أرقطاي . واستدعى [السلطان] فضل بن عيسى ، وأعاد إليه الإمرة عوضاً عن منها ؛ وكتب إلى عرب بني كلاب وآل مرى وآل (٧١ ب) فضل وآل على بالكوب مع العساكر ، وأخذ منها وأولاده وإخراجهم^(١) من البلاد ؛ فوقع الشروع في التجهز للسفر .

وفيهما سَمَلُ السلطان عيني علاء الدين على بن سعد الدين الفارقي الموقَّع ، وكُحِّلا بسبب التزوير في المراسيم وأخذ على ذلك جملة من المال .

وفي سادس عشرى ذى القعدة قدمت رسل الملك أُرْبَك^(٢) صاحب سراى ، ورسلا الأشكرى^(٣) ، فأنزلوا بمناظر الكيش .

ومات في هذه السنة من له ذكر أبو بكر بن محمد - وقيل عمر - [بن^(٤)] تقي الدين المشيع^(٥) المَقَصَّاتى الجزرى ؛ ولد بجزيرة ابن عمر ، وعمل صناعة المقصَّات ، ثم ولى وظائف بدمشق ؛ ومات بدمشق عن بضع وثمانين سنة ، في ليلة السبت حادى عشرى جمادى الآخرة ؛ وقرأ الناس القراآت (١٧٢) بمصر والشام نحو خمسين سنة ، وقرأ على الشيخ عبد الصمد وغيره ، وروى عن ابن الكواشى تفسيره ، وكان عارفاً بالقراآت ديناً . و [مات] الأمير ركن الدين بيبرس المحمدي العديمى ، في ذى القعدة بحلب ؛ حدث عن^(٦) جماعة . و [مات] عز الدين عبد العزيز بن منصور التاجر الكولمى ، بالإسكندرية في رمضان ؛ كان أبوه يهودياً من حلب يعرف بالحوى ،

(١) لى ف « فى إخراجهم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٩ ب) .

(٢) مضبوط هكذا فى ف ، انظر أيضاً (Zambaur : Op. Cit. p. 224) . وقد تولى أُرْبَك خان هذا سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) ، وامتد عهده إلى سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) ، وقد ذكر ابن أبي الفاضل (كتاب التهيج السديد ، ج ٢ ، ص ٢٣٨) أن عدة رسله كانت نحو مائة وأربعة وسبعين قرأ .

(٣) كان الأشكرى — أى إمبراطور الدولة البيزنطية — تلك السنة أندريق الثانى باليولوج

(Andronicus II, Palaeologus)

(٤) أضيف ما بين الماضيتين من ب (٣٤٩ ب) ، وابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٢) .

(٥) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٣٤٩ ب) ، وابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٢) .

(٦) هذا الأمير من الأمثلة الدالة على اشتغال بعض أمراء المماليك بالعلم .

فأسلم وسافر ابنه عبد العزيز هذا بماله وهو نحو خمسمائة^(١) ألف درهم إلى بغداد ، وعبر الهند ، وقدم مصر سنة أربع وسبعمائة ببضاعة قيمتها أربعمائة ألف دينار ؛ وكان فيه خير وبر . وله صدقات^(٢) . و [مات] نضر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزري الحافظ ، بمكة في ربيع الآخر ؛ وكان إماماً في الحديث والقراءات ، (٧٢ ب) وجاوز عدة سنين . و [مات] عماد الدين أبو الحسن علي بن نضر الدين عبد العزيز بن قاضي القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكري الشافعي ، خطيب الجامع الحاكمي بالقاهرة ، ومدرس المشهد الحسيني بها ، في سادس عشرى صفر يوم الجمعة ؛ ومولده في خامس عشرى المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة ؛ وهو الذي توجه في الرسالة إلى غازان ؛ فولى خطابة الجامع الحاكمي وتدرّس منازل العز بعده القاضي تاج الدين المناوي الشافعي ؛ وولى تدريس المشهد [الحسيني] صدر الدين محمد بن عمر ابن المرحل . ومات مجد الدين محمد بن حمزة بن مَعَدَّ الفرجوطي بمدينة فرجوط ، وله شعر . و [مات] قطب الدين يوسف بن أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر العُوفي الأسمردي ، (١٧٣) خطيب جامع الصالح خارج . باب زويلة ، لُجأة ليلة السبت عشرى رجب ؛ واستقر عوضه الشيخ زين الدين عمر بن يونس السكتاني^(٣) .

(١) كذا في ف ، وهذا المبلغ في ب (٣٤٩ ب) « مخين ألف درهم » ، في النويري (نهاية الأدب ، ج ٣٠ ، ص ٨٢) « خمسة عشر ألف درهم أو دونها » .
(٢) ترجمة هذا التاجر في النويري (نهاية الأدب ، ج ٣٠ ، ص ٨٢) أطول مما هنا ، وهي تاقى ضوءاً كثيراً على سعة التجارة المصرية وطرقها في عصر المماليك ، وتدل على أن الرحالة ابن بطوطة - وقد سبقه هذا التاجر بخمسين سنة تقريباً - لم يكن الوحيد في الترحل البعيد ، ونصها : « وتوفى عز الدين عبد العزيز بن منصور السكولي التاجر السكاري ، بئر الإسكندرية في شهر رمضان . وكان والده من يهود حلب يعرف بالخموي ، وأسلم والده في أول الدولة الظاهرية [ببغداد] هو وأخوه ، وتوفى في أول الدولة المنصورية [تلون] . فجمع عز الدين هذا ما يملكه وتوجه إلى بغداد ، فيقال إن جملة ماسافر (٤) به خمسة عشر ألف درهم أو دونها ؛ وانحدر من بغداد إلى البصرة ، ثم توجه إلى كيش ، وركب منها ، وركب من هرمز (٤) إلى بلاد الصين ، فدخل وخرج منه خمس مرات ، ودخل إلى الهند . كان يحكى عجائب كثيرة يذكر أنه شاهدها ، لا يقبل بعضها العقل والقدرة سالمة (٤) ، أغضينا عن ذكرها ، وما كان يتهم بكذب . ثم عاد من الهند إلى عدن من بلاد اليمن في الرد (٤) الهندي ، وأخذ صاحب اليمن جملة من ماله وما أحضر من تحف الصين والصني ، زيادة على ما جرت عادتهم بأخذه . ثم وصل إلى الديار المصرية في سنة أربع وسبعمائة (يلاحظ أن ابن بطوطة ولد سنة ٧٠٣ هـ بطنجة) ونفذ معه ما قيمته أربعمائة ألف دينار عينا . ولما مات خلف تركه جليلاً ؛ وكانت كثير الصدقة والمعروف والبر ، رحمه الله تعالى » .
(٣) بغير نقط في ف ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٥٠) . انظر أيضاً ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ١١٧) .

ومات الشيخ تاج الدين محمد بن علي بن همام العسقلاني ، إمام جامع الصالح ، ليلة السبت حادى عشرى شعبان ؛ ومولده فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وستائة ؛ واستقر عوضه ابنه تقى الدين محمد . و [مات] الأمير جمال الدين آقوش الكنجى متولى قلاع الإسماعيلية بقلعة مصياب ؛ وكان قد وليها من الأيام الظاهرية ، وعزل فى الأيام المنصورية ، ثم أعيد (١) وعزل فى الأيام الأشرفية ، ثم أعيد ؛ وكان مطاعاً فيهم بحيث إنه إذا أمر أحداً بقتل نفسه يبادر لذلك . ومات صدر الدين محمد ابن البار نبارى (٢) ، (٧٣ ب) يوم الاثنين عشرى شعبان . ومات الشيخ نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين يحيى بن الرفعة ، مرّفع يوم الاثنين ثامن عشرى ربيع الآخر . ومات جمال الدين بن المجد مستوفى ديوان الممالك فى حادى عشرى الحجة ؛ واستقر عوضه أمين الدين بن الخطاب . و [مات] الشيخ أمين الدين بن الصعبي ، يوم الأحد عشرى ذى الحجة . و [مات] الفقيه زكى الدين البهنسى ، فى شهر رمضان . و [مات] الشيخ الرشيد ، فى سلخ رجب برباط الأفرم ، وكان يلى مشيخته .

* * *

سنة أربع عشرة وسبعائة . مستهل المحرم وافقه حادى عشرى برمودة . فيه اخضر ماء النيل ، وتغير لونه تغيراً زائداً عن العادة ، وتغير طعمه وربحه أيضاً ؛ وجرت العادة أن يكون فى (١٧٤) هذه الأيام (فى) غاية الصفاء (٣) .

(١) فى « تم عزل وأعيد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥٠) .
(٢) فى « البايارى » وفى ب (١٣٥٠) « البازينى » ، والراجع أن النسبة إلى بلدة بارنبار ، وهى حسباً ورد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٦٥) بلدة على بحر أشموم ، أى بمديرية الدهلية الحالية ، وصحة إسمها بيوربارة ، انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤١٥) . هذا ويوجد بالمقريزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٧١) بلدة اسمها بارنبار أيضاً ، وهى إحدى بلاد الواردة به فى صدد خليج الإسكندرية . ومن هذه التعريفات كلها يتبين أن المقصود هنا هو بلدة برمبال الحالية بمركز دكرلس بمديرية الدهلية ، أو برنبال بمركز قوة بمديرية الغربية .
(٣) عبارة المقريزى هنا مشابهة لما يقابلها فى التويرى (نهاية الأرب ج ٣٠ ، ص ٨٣) ، ويظهر أن المقريزى نقلها فى تصرف واختصار من ذلك المرجع ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، وهذا نص عبارة التويرى : « فى أول هذه السنة فى يوم الأربعاء مستهل محرم الموافق الحادى والعشرين من برمودة من شهور القبط ، تغير نهر النيل بمصر تنيراً ظاهراً مائلاً إلى الخضرة ، وتغير طعمه وربحه حتى شرب كثير من الناس من الآبار المعدنية والصحاريج التى ينحدر بها الماء ، والعادة أن يكون ماء النيل فى هذا الفضل فى غاية الصفاء ، وما علم سبب تغيره ، ثم عاد إلى صفوه بعد ذلك » :

وفي نصف المحرم اتفق أنه كان للنصارى مجتمع بالكنيسة المعلقة بمصر، واستعاروا من قناديل الجامع العتيق جملة . فقام في إنكار ذلك الشيخ نور الدين علي بن عبد الوارث البكرى، وجمع من البكرية وغيرهم خلائق، وتوجه إلى المعلقة وهجم على النصارى وهم في مجتمعهم وقناديلهم وشموعهم تزهروا، فأحرق بهم وأطفأ الشموع وأنزل القناديل . وعاد [البكرى] إلى الجامع، وقصد ضرب القوامة؛ فاحتجوا أن الخطيب القسطلاني هو الذي أمر بإرسال القناديل إلى الكنيسة، فأنكر على الخطيب [فعله] . وجمع [البكرى] الناس معه على ذلك، [وقصد الإخراق بالخطيب]، فاختم منه وتوجه إلى الفخر ناظر الجيش وعرفه بما وقع، وأن كريم الدين أكرم (٧٤ ب) هو الذي أشار بعارية القناديل فلم يسعه إلا موافقته . فلما كان الغد عرس الفخر السلطان بما كان؛ وعلم البكرى أن ذلك قد كان بإشارة كريم الدين، فسار بجمعه إلى القلعة واجتمع بالنائب وأكابر الأمراء، وشنع في القول وبالنسب في الإنكار؛ وطلب الاجتماع بالسلطان . فأحضر [السلطان] القضاة والفقهاء وطلب البكرى؛ فذكر [البكرى] من الآيات والأحاديث التي تتضمن معاداة النصارى، وأخذ يحط عليهم، ثم أشار إلى السلطان بكلام فيه جفاء وغلظة حتى غضب منه عند قوله: «أفضل المعروف كلبة حق عند سلطان جائر . وأنت وليت القبط المسألة، وحكمتهم في دولتك وفي المسلمين، وأضعت أموال المسلمين في العمار والإطلاقات التي لا تجوز»، إلى غير (١٧٥) ذلك . فقال [السلطان] له: «ويلك! أنا جائر؟» . فقال: «نعم! أنت سلطت الأقباط على المسلمين، وقويت دينهم» . فلم يمالك [السلطان] نفسه عند ذلك، وأخذ السيف وهم بضربه . فأمسك الأمير طغاي يده؛ فالتفت [السلطان] إلى قاضي القضاة زين الدين بن مخلوف، وقال: «هكذا يا قاضي يتجرأ على؟ أيش يجب أفعل به؟ قل لي!»، وصاح به . فقال له [ابن مخلوف]: «ما قال شيئاً يشكر عليه فيه، ولا يحجب عليه شيء، فإنه نقل حديثاً صحيحاً» . فصرخ [السلطان] فيه وقال: «قم عني!»، فقام من فورهِ وخرج . فقال صدر الدين بن المرحل — وكان حاضراً — لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي: «يامولانا! هذا الرجل نجراً على السلطان، وقد قال الله تعالى أمراً لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى» . (٧٥ ب) فقال ابن جماعة للسلطان: «قد تجرأ ولم تبق إلا مراحم مولانا

السلطان ، . فأنزعج [السلطان] انزعاجاً عظيماً ، ونهض عن الكرسي ، وقصد البكرى بالسيف ؛ فتقدم إليه طغاي وأرغون في بقية الأمراء ، وما زالوا به أمسك عنه ، وأمر بقطع لسانه . فأخرج (البكرى) إلى الرحبة ، وطُرد الأرض ، والأمير طغاي يشير إليه أن يستغيث ؛ فصرخ [البكرى] وقال : « جيرة رسول الله ، وكررها مراراً حتى رقت له الأمراء ، فأشار إليهم طغاي بالك فيه ، فنهضوا بأجمعهم وما زالوا بالسلطان حتى رسم بإطلاقه وخروجه من مـ . وأنكر الأمير أيدير الخطيرى كون البكرى قوسى نفسه أولاً في مخاطبة السلطان إنه ذل بعد ذلك ، ونُسب إلى أنه لم يكن قيامه خالصاً^(١) لله .

وفيه قدم الركب (١٧٦) من الحجاز ، وقد كثرت الشكوى من الأمير الشمسى أمير الركب ، وأنه كثير الطمع مفرط في أمر الحاج سيء السيرة ؛ فقبض . وفيه أفرج عن الأمير برلقى صهر المظفر بيبرس .

وفيه قدم البريد من دمشق بأنه قد اجتمع على الناس بواق^(٢) كثيرة من ضمه ومقررات على أهل البلاد ، وقد تضرروا منها . فكتب مثال^(٣) بمساحة أهل البواقى لاستقبال سنة ثمان وتسعين وستمائة وإلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبع ، وسُيِّر إلى دمشق فقرئ بها على منبر الجامع في يوم الجمعة عاشر المحرم ؛ وتلاه آخرى بإبطال المقرر على^(٤) السجون ، وإعفاء الفلاحين من السخر وإبطال ، مقر

(١) كان الشيخ نور الدين ، حسبما وصفه النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٣) من الأمر المعروف والنهى عن المنكر حسب من غير ولاية سلطانية ولا إذن حكيمى ، ورأى أن ما قام الاحتجاج قد تبين عليه .

(٢) انظر المقرئى كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٦٥ ، حاشية ٣ .

(٣) استعمال لفظ « مثال » هنا خطأ ، والصحيح في مصطلح دولة المماليك لفظ مرسوم ، لما يكتب من الأوراق الرسمية لإيذاناً بإعطاء المملوك إقطاعاً من الإقطاعات الحالية (المقرئى : كتاب ج ١ ، ص ٤٩٠ ، حاشية ٣) ، والمرسوم ما جرت العادة بكتابه للمساحة من المقررات واللوازم السا (القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٣) .

(٤) أفاض المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٨ ، وما بعدها) في شرح المقررات والم الخاصة بمصر ، ومى وردة مفروعة فيها من ص ١٥١ .

(٥) في ف « تقرر » والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥١) انظر شرح هذا المقرر فيما يلي

الأقصاب ، ومقرر ضمان^(١) القواسين ، (٧٦ ب) ورسوم الشد^(٢) والولاية .
فأبطل ذلك كله من جميع مالك البلاد الشامية بأسرها .

وفيه كتب لنواب^(٣) حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحدا منهم لا يكتب السلطان ، وإنما يكتب الأمير تنكر نائب الشام ، ويكون هو المكاتب في أمرهم^(٤) . للسلطان . فشق ذلك على النواب ، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك ؛ فكانت فيه تنكر [السلطان] حتى عزل في صفر ، واستقر عوضه الأمير بلبان البدرى ؛ وحمل طرنا في القيد إلى مصر ، وسجن بالقلعة .

وفيها استقر الأمير علاء الدين الطنبغا الحاجب في نيابة حلب ، بعد وفاة الأمير سيف الدين سودى فى نصف رجب . وقدم زين الدين (١٧٧) قراجا الخزندارى والخاص ترك من بلاد طقطاي ، وأخبرا بموته ؛ وهو طقطاي بن منكوتمر بن طغان بن باطو^(٥) [ابن جوجى] بن جنكزخان ملك التتار ببلاد الشمال ، أقام فى الملك مدة ثلاث وعشرين سنة ، وهلك عن ثلاثين سنة ، وكان يعبد الأصنام على دين البخشية^(٦) ؛ وملك بعده أربك خان بن طغرل بن منكوتمر بن طغان .

وفيها اهتم السلطان بعمارة جسور نواحي أرض مصر وترعاها^(٧) : وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى الشرقية ، والأمير علاء الدين أيدعدى شقير إلى البهنساوية ، والأمير شرف الدين حسين بن حيدر إلى أسوط ومنفلوط والأمير سيف الدين آقول^(٨)

(١) لا يوجد بالمقرىزى (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٨ ، وما بعدها) مقر بهذا الاسم .

(٢) هذا المكس مكان فيما يتعلق بمصر ، إذ كانت هناك ما يسمى شد الزعماء ، وما يعرف باسم رسوم الولاية . انظر ما يلى .

(٣) فى ف " نائب " .

(٤) يلاحظ أن هنا تقليد غريب فى نظام الحكم والإدارة فى عهد المماليك ، وأنت السلطان الناصر قد سمح به لملاطمة الشخصية بالأمير تنكر ، مع أنه كان معنيا بتركيز السلطات كلها فى يده .

(٥) صححت هذه الأسماء ، والتي تليها بشار هذه الفقرة ، بعد مراجعة (Ooworth : Op. Cit. II. ١. p. 148) وكذلك (Zambaur : Op. Cit. P. 244) .

(٦) البخشية لفظ مفول من أصل سانسكريتى ، ومعناه الكهنة البوذيون ، والمقصود به هنا طائفة تدين بالروحانية والفقر والسحر . انظر ابن أبى الفضائل (كتاب التهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ، حاشية ٢ من الترجمة الفرنسية) ، وكذلك (Ency. Isl. Art. Bakhshi)

(٧) فى ف " تراعاها " .

(٨) بشير ضبط أو نقط فى ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 147, 183)

الحاجب إلى الغريبة ، والأمير (٧٧ ب) سيف الدين قُلتى أمير سلاح إلى الطحاوية (١) وبلاد الأشمونين ، والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى القليوبية ، والأمير علاء الدين التليلي إلى البحيرة ، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسى إلى الفيوم ، والأمير سيف الدين بهادر المعزى (١) إلى إخميم ، والأمير بهاء الدين أصلم إلى قوص .

وفيهما قدم الأمراء المجردون إلى الحجاز : وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا صحبة الحاج من السنة الماضية فرَّ الشريف حميضة نحو اليمن ، وأقام بحلى بنى يعقوب ؛ فلما انقضى الموسم وخرج الحاج أقام الأمير طُفَّصبا (٢) [المغربى] بالمعسكر حتى رتبَّ الشريف أبا الغيث في إمارة مكة ، ولم يزل مقيماً معه مدة شهرين بعد انقضاء الحج . ولم تمطر [تلك السنة بمكة] ، وقُلَّ (١٧٨) الجلب ؛ فكثرت كلف المعسكر ، واحتاج [طقُصبا] إلى السفر ، فأشهد عليه (٤) أبو الغيث أنه أذن له في السفر ، وكتب بذلك إلى السلطان . فلم يكن بعد توجه المعسكر من مكة غير قايل حتى جمع حميضة وقدم ، ففرَّ منه أبو الغيث إلى [هذيل (٥)] بوادى [نخلة] ، وملاك (حميضة) منه مكة . وبعث (٦) [حميضة إلى السلطان] القوداثنى عشر فرسا وكتابا ، وهو يترفق ويبذل الطاعة ويعتذر ؛ فلم يُقبل منه العذر ، وحبس رسوله .

وفيهما توجه الأمير فجلس لقبض مال سودى نائب حلب وكشف أخبار مهنا ، فأشار تنكز نائب الشام بإخراج مهنا من البلاد وأن عسكر الشام يكفيه ، فبطل أمر التجريدة

(١) الطحاوية والأشمونين اسمان يطلقان على العمل الخامس من أعمال الصعيد في زمن القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥) ، وهو مديرية المنيا الحالية تقريباً .

(٢) في ف « المغربى » والرسم المثبت هنا من ب (٣٥١ ب) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op.

Cit. p. 157)

(٣) في ف « طقُصبا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٥١ ب) ، وقد ضبط هذا الاسم وأضيف ما بين الحاصرين من النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١) ، وكذلك (Zetterstéen : Op. Cit. p. 160)
(٤) في ف « عليهم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥١ ب) وهى الأصح ، إذ المعروف قللا عن النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١) أن الأمير أبا الفيث كان قد قصر في حق العسكر وضاق منهم ، وأنه كتب السلطان باستفنائهم عنهم .

(٩) أضيف ما بين الحاصرين من النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١) .

(٦) في ف « وبعث إلى القوداثنى عشر فرسا ٥٠٠ » ، وقد عدلت العبارة بالإضافة بين الحاصرين من

النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨١) .

من مصر . وجُرد من الشام الحاج أرقطاي وكجسكن^(١) ، ومن حماة ألف فارس مع
عسكر طرابلس وحلب ؛ وخرج مُطلب قجليس من القاهرة ليكون (٧٨ ب) مقدم
العساكر ، فاجتمعت عنده العساكر والعربان بحلب . وبلغ ذلك مهنا فأجمع على
الرحيل ، وسارت إليه العساكر ، فلما قاربته رحل وهي في إثره إلى عانة والحديثة من
العراق ؛ فخفلت أهل البلاد . وبلغ ذلك جوبان [نائب خربندا^(٢) ملك التتار] ،
فظن أن السلطان قد نقض الصلح ويريد أخذ العراق ، فانزعج لذلك إلى أن بلغه بجى -
العسكر بسبب العرب ، وأنه لم يتعد عانة [ولا تعرض^(٣) لزورع البلاد ولا كرومها ،
فسكن ما به . ورجع العسكر عن عانة] إلى ضيعة تعرف بالعنقاء من ضياع مهنا ، وأخذ
ما كان بها من المَـفـكـل ، وسار كذلك إلى ضياع مهنا حتى وصل الرحبة ، وقد حمل
الغلال إليها . فبعث السلطان إلى قجليس بعود العساكر إلى بلادها ، وإقامته على
سلبية إلى أن يخزن مقلتها بقلعة حلب ، فاعتمد ذلك وأقام حتى استغل سلبية ؛ وعاد
[قجليس] إلى القاهرة (١٧٩) فأخلع عليه .

وفيها خرج عسكر من القاهرة في أول ذى القعدة : فيه من الأمراء سيف الدين
بكتمُر البوبكرى السلاح دار - وإليه تقدمه العسكر - ، وقلى السلاح دار ،
وعلم الدين سنجر الجندار ، وركن الدين بيبرس الحاجب ، وبكتنمر^(٤) [البوبكرى]
الجنادر ، وبدر الدين محمد بن الوزير ، وأيتمش المحمدى ، بمضافيهم من الأمراء
ومقدمى الحلقة والأجناد . وكتب نائب الشام الأمير تنكز بالسير معهم بعسكر
دمشق ، وأن يكون المقدم على جميع العساكر ؛ وكتب بخروج عساكر حماة
وحلب وطرابلس ؛ وأشيع أن ذلك لغزو سويس . فوصل عسكر مصر إلى دمشق في
عشره ، وأقام بها حتى انقضت السنة .

وانفقت حادثة غريبة بالقاهرة : وهو أن رجلا من سكان الحسينية يقال له على

(١) في ف « كجكي » والرسم المثلث هنا من ب (٢٥١ ب) ، وابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٦٥) . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 190) ، حيث ورد من اسمه « سيف الدين كجلى » .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويرى (نهاية الأرب ؛ ج ٣٠ ، ص ٨٧) .

(٣) ليس لما بين الحاصرتين وجود في ف ، ولكنه في ب (٣٥٢) .

(٤) في ف « نكتنمر » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٥٢) ، وقد ضبط وأضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op.Cit, p. 162)

(٧٩ ب) بن الساق ركب في يوم الجمعة فرساً ويده سيفه ، وشقّ القاهرة فما وجد بها يهوديا ولا نصرانياً إلا ضربه ؛ فخرج جماعة ، وقطع أيدي جماعة ، وشجّ جماعة ؛ ثم أمسك خارج باب زويلة ، وضرب عنقه (١) .

ومات فيها من له ذكر رشيد الدين إسماعيل بن عثمان الدمشقي الحنفي ، بمصر في رجب عن إحدى وتسعين سنة ؛ أخذ الفرائد عن السخاوي ، وأفتى ودرس ؛ وقدم القاهرة من سنة سبع مائة في الجفّل (٢) . ومات بدمشق العدل نجم الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد — عُرف جده بالقابوني — السعدي الأنصاري الدمشقي ، في ليلة الجمعة أول محرم ؛ ومولده سنة ستين وستمائة ؛ وسمع من أبي اليسر في آخرين ، وحدث (٣) (١٨٠) عن أبي عبد الله بن أمين الدين (٤) سليمان الموصلی ؛ [و] روى عنه شيخنا العماد (٥) بن كثير ، وقال كان رجلاً جيداً يشهد على القضاة ، وباشر استيفاء الأوقاف . ومات الشريف أمين الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن عدلان بن الحسن الحسيني ، نقيب الأشراف بدمشق ، في ليلة الخميس ثالث رجب ؛ ومولده أول رجب سنة خمس وخمسين وستمائة ؛ وكان حسن السيرة عفيفاً ، وولى نظر الدواوين بدمشق أيضاً . ومات الأمير سودي (٦) نائب حلب في نصف رجب ، ووُجد له من الذهب العين مبلغ أربعين ألف دينار ؛ واشتملت تركته على ألف ألف درهم ، حُمِلت إلى القاهرة ؛ وكان كريماً

(١) ليس لهذه الفقرة كلها وجود في ب (١٣٥٢) ؛ وهذا دليل على أن هذه النسخة ، مع ما لها من أهمية في تصحيح المتن ها ، تقصر أحياناً عن نسخة ف التي اعتمدت أصلاً للنشر .

(٢) يشير المؤلف هنا إلى حقول أهل دمشق من جيوش إيلخان غازان تلك السنة والتي قبلها . انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٨٩ ، وما بعدها) .

(٣) يلى هذا في ف ، وفي ب (١٣٥٢) أيضاً العبارة الآتية : « بحر والى السكنى البلدى » ، وقد حذفت لعدم استطاعة الناشر تحقيقها أو تصحيحها .

(٤) في ف « أبى عبد الله بن البرهان سليمان الموصلی » ، وما هنا من ب (١٣٥٢)

(٥) في ف « العماد في كثير » ، والعينة المثبتة هنا من ب (١٥٥٢) ، وابن كثير المقصود هنا هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن الخطيب القرشي البصري ، المؤرخ الشهير ، صاحب كتاب « البداية النهاية » ، ويلاحظ أن المقرئ قد أشار إلى أن ابن كثير كان من مشايخه ، وهذه أول مرة يتحدث المقرئ فيها عن نفسه .

(٦) في ف « سودون » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٥٢) ، انظر ب ص ١٣١ .

حشما مشكور السيرة . ومات الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن (٨٠ ب) خطاب الباجي ^(١) ، بمصر ليلة الجمعة سادس ذى القعدة ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وكان من أئمة الفقهاء الشافعية ، درّس وصنف وأفتى . ومات جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية اللخمي الإسكندراني ، عن ثمانين سنة بالإسكندرية ، ومات شرف الدين يعقوب بن فخر الدين مظفر بن أحمد مزهر الحلبي ، ناظر حلب ودمشق ، في ثامن عشر شعبان ، عن ست وثمانين سنة بحلب ؛ ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ولم تبق مملكة بالشام إلا بأشهرها ، وكانت له مروءة . ومات الأمير سيف الدين كهرّ دأش ^(٢) المنصوري بدمشق . و [مات] عماد الدين إسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد (٨١ ا) العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، بجماعة في ثامن عشر ^(٣) ربيع الآخر . ومات الأمير سيف الدين ملك كهرّ دأش [الناصري ^(٤)] المعروف [بالدم الأسود بدمشق ؛ وكان ظالما . ومات الأمير فخر الدين أقجبا الظاهري بدمشق ؛ وكان خيرا ، ومات الشيخ تقي الدين رجب بن أشرك ^(٥) العجمي ، صاحب زاوية تقي الدين تحت قلعة الجبل ، في ثامن رجب ؛ وكان له أتباع ومريدون ، وله حرمة ووجاهة عند أهل الدولة ، ومات الشيخ شرف الدين أبو الهدى أحمد بن قطب الدين محمد بن أحمد بن القسطلاني بالقاهرة ؛ ومولده بمكة في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة ؛ وكان ورعا دينيا ، و [مات] الشيخ المعمر محمد ابن محمود بن الحسين بن الحسن المعروف (٨١ ب) بحيانك الله الموصلي ، في يوم الخميس تاسع ربيع الأول ، بزاولته من سوقة الريش خارج القاهرة ، عن مائة وستين

(١) في ف « التاجي » ، والرسم المثبت هنا من ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ص ٣٤) ، حيث ورد أت النسبة إلى مدينة باجة بالاندلس .

(٢) بنير ضبط في ف ، انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 108) حيث ورد هذا الاسم برسم « كهركاش » . وكان هذا الأمير قائدا للحملة المملوكية التي استولت على جزيرة أرواد (Rhodes) ، سنة ٧٠٢ هـ (٣٠٢ م) .

(٣) ذكر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٥ - ٨٦) أن هذا الأمير الأيوبي كان منصرفا لعلم الحديث .

(٤) في ف « ملكتمر الدم الأسود » ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين من النويري (نهاية الأرب ج ٣٠ ، ص ٨٦) .

(٥) في ف (أشرك) ، وما هنا من ابن حجر (الدور الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٠٧) .

سنة ؛ و [كان قد سئل ^(١) عن مولده ، فقال إنه] قدم إلى القاهرة في أيام المعز أيك ، وعمره (يومئذ) خمس وثمانون سنة ؛ ومات سليم الحواس جيد القوة ، ومات صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن الحشاش ، وكيل بيت المال ، يوم الاثنين ناسع شعبان ، وولى عوضه مجد الدين حرمي ^(٢) ، ومات القاضي سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد المجيد بن صفى الدين عبد الله الأقفهسي ، ناظر الخزانة ، يوم الجمعة ثامن عشرى ذى الحجة لحجاة ، واستقر عوضه الصاحب ضياء الدين النشائي ، ومات القاضي شمس الدين عبد الله بن الفخر ناظر الجيش ، يوم السبت ثالث عشر شعبان ، (١٨٢) ، وكان ناظر ديوان الممالك وأبوه غائب بالقدس ، فقدم بعد موته ليلة رابع عشرية ، فقررت جاهكته باسم ابنه ، واستقرب عنه ، ومات القاضي تقى الدين بن الفانزى ، ليلة الجمعة ثاني عشرى صفر ، ومات الشيخ عمر الدماميني ، في ثاني عشرى ذى القعدة وقتل بدمشق في يوم الجمعة ناسع عشرى رجب [موسى بن ^(٣) سمان النصراني ، كاتب الأمير قطلوبك الجاشنكير بحران ، وذلك أنه نصر مسلماً ، وكواه على يده مثال صليب ، فحكم قاضى القضاة جمال الدين المالكي بقتله ، فقتل] .

سنة خمس عشرة وسبع مائة . في أول المحرم سار العسكر من دمشق إلى حلب ، وعليه الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ، [وقد استصحب] معه [قاضى] القضاة ^(٤) [نجم الدين بن مصرى . وشرف الدين بن فضل الله ، وجماعة من الموقعين] ؛ و [كان تنكز] بزي الملوك من العصائب والكوسات ، ولم تجر عادة نائب قبله بذلك ؛ رتبته عسكر صفد وحمص وحماة وطرابلس . فلما مرَّ الأمير (٨٢ ب) تنكز بحماة أعرض عن صاحبها لكونه لم يلقه من بُعد ، ولم يأكل ما أعدَّ له من الطعام ؛ وصار (تنكز) إلى حلب فجرد منها الأمير قرطاي والأمير ملكشمر الجندار إلى ملطية ، وكان فى الظن أن المسير إلى سيبس .

-
- (١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٥) .
 (٢) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٣٥٣) « محمد بن المرحوم » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٨) .
 (٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٥٣) ، والنورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٥) .
 (٤) فى ف «ومعه القاضي وهو بزي الملوك...» ، وقد عدلت العبارة كلها إلى آخر هذه الفقرة بالإضافة بين الحاصرتين من النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٧) .

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل مصياب لقتل قرا سنقر ، فصار هناك رجل من الأكراد يقال له مندوه يدلّ على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة ؛ فشقّ ذلك على السلطان ، وأخذ في العمل عليه . فبلغه أنه صار يجبي خراج ملطية ، وكان نائبها من جهة جوبان يقال له بدر الدين ميزامير ^(١) بن نور الدين ، فخاف من مندوه أن يأخذ منه نيابة ملطية ، فما زال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميزامير ، وقرر معه أن يسلم البلد (١٨٣) لعساكره . لجهز [السلطان] العساكر ، وورّى أنها تقصد سيس حتى نزلت بحلب ؛ وسارت [العساكر] منها مع الأمير تنكز على عينتاب إلى أن وصل الدرنبد ، فألبس الجميع السلاح وسلك الدرنبد إلى أن نزل على ^(٢) ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشره ، وحاصرها ثلاثة ^(٣) أيام . فانفق الأمير ميزامير مع أعيان ملطية على تسليمها ، وخرج في عدة من الأعيان إلى الأمير تنكز ، فأمنهم وألبسهم التشارييف السلطانية المجهزة من القاهرة ، وأعطى الأمير ميزامير سنجقا سلطانيا ، ونودى في العسكر ألا يدخل أحد إلى المدينة . وسار الأمير ميزامير ومعه الأمير بيبرس الحاجب والأمير أرؤكتمّر حتى نزل بداده ؛ وقبض على مندوه السكردى وسلم إلى الأمير قلى ؛ وتكاثّر (٨٣ ب) العسكر ودخلوا إلى المدينة ونهبوا ، وقتلوا عدة من أهلها . فشقّ ذلك على الأمير تنكز ، وركب ومعه الأمراء ، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر ، ورحل من الغد وهو رابع عشرى المحرم بالعسكر ، وترك نائب حلب مقبلا عليها لهدم أسوارها . ففرّ مندوه قبل الدخول إلى الدرنبد . وفات أمره . فلما قطعوا الدرنبد أحضرت الأموال التي نهبته والأمري ، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله ، وأفرّد الأرمن .

[فلما فتحت ملطية] سار ^(٤) الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة ، فقدم يوم الخميس ثالث صفر ، ودقت البشائر بذلك . وتبعه ^(٥) الأمير تنكز بالعساكر - ومعه الأمير ميزامير

(١) كذا في ف .

(٢) في ف «وصل على ملطية» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥٣) .

(٣) في ف «مندوا» . انظر ما سبق يا الصفحة هنا .

(٤) في ف «فسار الأمير» ، وقد حذف الفاء وأضيف ما بين الحاصرتين من التويرى (نهاية

الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٧) ، حيث توجد تفاصيل كثيرة بصدد هذا الفتح .

(٥) في ف «ومعه» ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٣) .

وولده - حتى نزل عينتاب ثم دابق ؛ فوجد (١٨٤) بها تسعة عشر ألف نول تعمل الصوف ، وتُجلب كلها إلى حلب . ثم سار [تنكز] ، فقدم دمشق في سادس عشر ربيع الأول ، وسُير ميزامير وابنه في ثلاثين رجلا مع العسكر المصرى إلى القاهرة فقدموا في خامس ربيع الآخر .

وفيها قبض على الأميرين علاء الدين أيدغدى شقير ، وجمال الدين بكتمر الحسامى الحاجب ، في أول ربيع الآخر ، فقتل شقير من يومه لأنه اتهم بأنه يريد الفتك بالسلطان ، وأخذ لبكتمر الحاجب مائة ألف دينار ، وسجن . وكان قد قبض على الأمير بهادر المعزى في عاشر المحرم ، وقبض أيضا بعد القبض على شقير على الأمير طغاي ، وقبض على تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة (٨٤ ب) الجبل ، وقبض على الأمير بهادر آص وحمل إلى الكرك . واستقر الأمير سيف الدين كستائى^(١) الناصرى في نيابة طرابلس .

وأفرج في مستهل ربيع الآخر عن داود وجُبا أخوى الأمير سلار ، وأفرج عن الأمير سيف الدين قجماس المنصورى أحد البرجية . وأخرج الأمير بدر الدين محمد الوزيرى من مصر ليقم بدمشق ، في يوم السبت سلخ ربيع الآخر ، وأنعم عليه بما خُصَّ السلطان من خمس ملطية ، وهو نحو الخمسين ألف درهم .

وفي ثامن عشرى رجب أفرج عن الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، وخُلع عليه ، وأمّر في ثامن عشرى شهر رجب ، ثم أنعم عليه في ثالث عشر شعبان بإقطاع الأمير حسام الدين (١٨٥) لاجين أستاذار بعد موته .

و [فيه] قدم محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا ، واعتذر عن أخيه مهنا ، وقدم فرسا أصيلا للسلطان ؛ فقرّمت [الفرس للسلطان] في شعبان ، وعرف بـ «الكرتا»^(٢) ، بلغ ثمنها وكلفتها ستمائة ألف درهم . فكتب [السلطان] إلى مهنا بالرجوع إلى البلاد ، وخُلع على محمد بن عيسى ؛ ثم بعث إلى مهنا بأثنى عشر ألف دينار ؛ وأنعم عليه بما تى ألف درهم ؛ وكتب له بهضيعة من الخاص على سبيل الملك^(٣) .

(١) في ف « كستا » ؛ والرسم المثلث هنا من ب (١٣٥٤) . انظر أيضاً : Zetterstéen : op.

Cit. pp. 163,164

(٢) كذا في ف .

(٣) هنا إشارة إلى مثل من أمثلة إقطاع التملك (dominium eminens) الذى تقدم شرحه في

المقريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٠٩ ، حاشية ٢) .

وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الأولى - وتاسع عشرى مسرى - كان وفاة النيل ، وفتح الخليج على العادة .

وفي ثاني عشره عزل علاء الدين القطزى^(١) من ولاية مصر ؛ وولى بعده ابن أمير حاجب ، نقل إليها من ولاية الشرقية .

وفي ثالث (٨٥ ب) جمادى الآخرة حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة^(٢) رميته [ابن أبى ندى] ، من مكة فاراً من أخيه حميضة ؛ وأخبر أنه قطع اسم السلطان من الخطبة بمكة ، وخطب لصاحب اليمن . فجرد [السلطان] معه الأمير سيف الدين طيئدمر^(٣) ، والأمير نجم الدين ذمّر خان^(٤) بن قرمان ، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة وأجناد الأمراء .

و [فيها] قدم الأمير سيف الدين الخاص تركى وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاى ، ومعهم رسل الملك أربك القائم بعد طقطاى ، وأخبروا بإسلامه ومعهم هدية . فأكرم السلطان الرسل ، وكتب جوابه ، وسفرهم ؛ وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى بهدية .

و [فيها] قدم البريد من حلب بقدم والده صاحب ماردين تريد الحج ، (١٨٦) فرسم للنواب بخدمتها والقيام بما يليق بها .

و [فيها] قدم البريد بخروج سليمان بن مهنا عن الطاعة ، ونهيه القريةين ، وتوجهه نحو العراق من أجل خروج إقطاعه عنه . فكتب إلى مهنا فى ذلك ، فأجاب بأنه خارج عن طاعته .

و [فيها] قدمت رسل صاحب اليمن ، وهما بدر الدين حسن بن أبى المنجا ، والطواشى جمال الدين فيروز ؛ وقد خرج عليهما عرب صحراء عيذاب ، وأخذوا منهما الهدية . فجرد [السلطان] من الأمراء علاء الدين ملغشاى بن أمير مجلس ، وسيف الدين ساطى^(٥)

(١) فى « القطرى » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٥٤) .

(٢) فى ف « غرارة » ، وفى ب (١٣٥٤) « عرارة » ، والرسم المثلث هنا من النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٨٩) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرين للتوضيح .

(٣) (٤ ، ٣) ضبط هذات الاسماء بعد مراجعة (Zetterstéen : Op.Cit.p. 163) .

(٥) فى ف « ساطى » ، انظر ما تقدم هنا (ص ٤٧ ، حاشية ١ ، ص ٤٨ ، حاشية ١ ، ص ٧٢) .

(١١ - ١)

التلاح دار، وصارم الدين أربك الجرمكنى ، وعز الدين أيدمر الدوادار ، وعلاء الدين على بن قراستقر ، وعلم الدين سنجر الدينسرى ، فى عدة من الأجناد ومقدى الحلقة (٨٦ ب) ؛ وأمروا بالتوجه إلى دمقلة بالنوبة ، فساروا فى أول شوال .

وفى العشر الأخير من شعبان وقع الشروع فى روك^(١) أرض مصر^(٢) وسبب ذلك أن السلطان استكثر أخبار الممالك أصحاب يبرس الجاشنكير و سلا النائب وبقية البرجية ، وكان الخبز الواحد ما بين ألف مثقال فى السنة إلى ثمانمائة مثقال ، وخشى [السلطان] من وقوع الفتنة بأخذ أخبارهم . فقرر [السلطان] مع الفخر [محمد بن فضل الله] ناظر الجيش روك البلاد وإخراج الأمراء^(٣) إلى الأعمال : فتعين الأمير بدر الدين جنكلى بن

(١) الروك لفظ جرى فى مصطلح الإدارة المالية فى مصر والشام فى العصور الوسطى ، للدلالة على عملية قياس الأراضي ومسحها وتقسيم المقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة تقريباً ، وهو المعروف فى مصطلح الدواوين المصرية فى العصر الحاضر باسم « فك الزمام وتعديله » . انظر : (De Sacy : Droit de Propriété Territoriale en Egypte, II. p. 200, III. p. 229, Quatremère : Op. Cit. II.1. p. 132, II.2. p. 25) ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict. Ar) .

وهذا اللفظ مأخوذ من الكلمة القبطية « روش » ومعناها قياس الأرض بالجبل ، وقد وردت هذه الكلمة بالنسخة القبطية لكتاب العهد القديم (Old Testament) أكثر من مرة (سفر عاموس ، لإصحاح ٧ ، آية ١٧ ؛ وسفر ميخا ، لإصحاح ٢ ، آية ٤) ، وهى بدورها مشتقة من اللفظ الديمقراطى « روش » ، ومعناه تقسيم الأرض . (Crum : Coptic Dictionary) . والمعروف حتى الآن من حوادث الروك بمصر فى العصور الوسطى سبع : أولها حوالى سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) ، على يد ابن رفاعة والى مصر فى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموى ، وثانيها سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، على يد ابن الجباب عامل الخراج فى مصر ، زمن الخليفة هشام بن عبد الملك ؛ وثالثها حوالى سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) ، وقد تم فى أيام ابن المدبر عامل الخراج بمصر ، فى خلافة المعتز بالله العباسى ؛ ورابعها الروك الأفضل سنة ٥٠٩ هـ ، نسبة إلى الأفضل ابن أمير الجيوش ، فى عهد الخليفة الأمر الفاطمى ، وخامسها الروك الصلاحى ، نسبة إلى السلطان صلاح الدين يوسف الأيووبى وقد تم سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) ، وسادسها الروك الحسامى سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) ، وقد قام على عمله السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين الملوك ، فنسب إليه ؛ وسابعها الروك الناصر المذكور هنا بالثمن ، وقد كتب ابن الجيمان مؤلفه المعروف باسم التحفة السنية عن هذا الروك الأخير إذ كان مستوفى ديوان الجيش فى وقت من الأوقات فى عهد السلطان الناصر . انظر عمر طوسن (مالية مصر من عهد القراغتة إلى الآن ، ص ٢١٤ - ٢٦٨) ، وكذلك (De Caey : Op. Cit. III p. 213) ، والشيال (صفحة من الحياة الاقتصادية فى مصر الإسلامية ، مجلة الثقافة ، عدد ٩٧ ، ٩٩) .

(٢) أفرد المقرئ (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٧ ، وما بعدها) فصلاً خاصاً بهذا الروك ، وهو موجود بنسخة فى (Wiet) لنفس المراجع (ج ٢ ، ص ٢٣ ، وما بعدها) ، وسيعتمد الناشر على هذه الطبعة الأخرى فيما يلزم للثمن هنا بصدد الروك الناصر من إضافة يثير لإشارة إلى الطبعة مرة ثانية . انظر أيضاً عمر طوسن (مالية مصر من عهد القراغتة إلى الآن ، ص ٢٥١ ، وما بعدها) .

(٣) فى ف « الأموال » والرسم المثلث هنا من ب (٣٥٤) .

البابا للغربية ، ومعه آقول^(١) الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة ؛ وللشرقية الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى ، ومعه أيتمش الحمدي وأمين الدين قرموط ؛ وللنوفية والبحيرة بلبان الصرخدى والقلنجى وابن طرنتاى (١٨٧) ويبرس الجدار ، والمصعيد التليل والمرتينى^(٢) .

وفيهما توجه السلطان فى شعبان إلى بلاد المصعيد^(٣) ، وقدم فى يوم الخميس ثامن عشر شوال

وفيهما توجه من حلب ستائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين [قرطاي^(٤)] للغارة على بلاد ماردين ودنيسير ، لقلعة مراعاة صاحب ماردين لما يُرسم به . فشن [قرطاي] الغارة على بلاد ماردين يومين ، فصادف قراول^(٥) التتار^(٦) قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة^(٧) ، وهم فى ألقى فارس ؛ فحاربهم [قرطاي] وقتل منهم ستائة رجل ، وأسروا مائتين وستين ، وقدم بالروس والأسرى إلى حلب ، ومعهم عدة خيول . فلما قدم البريد بذلك سر السلطان سرورا زائدا ، وبعث بالتشريف لثائب حلب ولقرطاي .

وقدم الخبر من مكة (٨٧ ب) بقتل أبى الغيث فى حرب مع أخيه حميضة ، وأن المسكر المجرّد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه ، فانهزم [حميضة] وسار يريد بلاد خربندا ؛ فلتقاها خربندا وأكرمه ، وأقام [حميضة] عنده شهرا ، وحسن^(٨) له إرسال طائفة

(١) فى ف « آقول » ، انظر : (Zetterstéen : Op. Cit. p. 147) .

(٢) بغير قط فى ف ما عدا النون ، والرسم المثلث هنا من المقرئى (المواظ والاعتبار — Wiet — ج ٢ ، ص ٢٣ ، حاشية ٥) .

(٣) كان ذهاب السلطان إلى المصعيد تلك السنة بسبب الروك ، فقد ذكر النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١) أن الناصر توجه إلى المصيد الأعلى لذلك الغرض « ورتب الأمراء والكتاب فى أعمال الوجه القبلى فى مسيره ، وأظهر الاحتفال بذلك والاهتمام به » .

(٤) فى ف « شمس الدين » قط ، والاسم المثلث هنا من ب (٣٥٤ ب) . انظر أيضا : (Zetterstéen : Op. Cit. p. 164) .

(٥) تقدم هذا اللفظ برسم « قراغول » بالمقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٨٢) ، وقد شرح هناك .

(٦) فى ف « النار » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٥٤ ب) .

(٧) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥١ ، سطر ١٢ ذ من ٣٨٨ ، حاشية ١) .

(٨) فى ف « وحصل » والصيغة المثبتة هنا من (ب ١٣٥٥) .

من المغل إلى بلاد الحجاز ليمسكها ، ويخطب له على منابرها . وقدم العسكر المجرد إلى الحجاز في ثامن عشرى رجب ، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة منها ، فشن الغارات وأخذ جمال منها وطرده . فسار [مها] أيضاً إلى خربندا ، فسرّ به وأنعم عليه . وجرّد [خربندا] مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس ، رسار [حميضة] بهم في رجب يريد مكة . وأخذ خربندا في جمع المساكر لعبور بلاد الشام ، فقدّر الله موته ، فخاف منها من الإقامة بالعراق . (١٨٨) فسار من بغداد وبلغ محمد بن عيسى أخا (١) منها سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة ، فشقّ عليه استيلاؤهم على الحجاز ، فلما علم بموت خربندا ، وخروج أخيه منها من بغداد ، سار في عربانه وكبس عسكر حميضة ليلا ورضع (٢) فيهم السيف ، وهو يصيح باسم الملك الناصر ، فقتل أكثرهم . ونجا حميضة ، ووقع في الأسر من المغل أربعمائه رجل . وغنم العرب منهم مالا كثيراً وخيولاً وجمالاً . وكتب بذلك إلى السلطان فسرّ به ، وأعاد الإمرة إلى منها ، واستدعى محمد بن عيسى ، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شيء كثير .

وفيهما وصل إلى السلطان ماهرة تعرف بينت السكرنا (٣) ، كان قد بذل فيها نحو مائتي ألف وتسعين ألف درهم ، وضيعة من بلاد حماة ، ويقال إنها بلغت كلفها (٨٨ ب) على السلطان ستمائة ألف درهم .

وفيهما وعك السلطان أياماً ، ثلثا عوفى ودخل الحمام حلق رأسه كله ، فلم يبق أحد من الأمراء والماليك الناصرية حتى حلق رأسه . ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوايب الشعر ، واستمرّ إلى اليوم (٤) وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عافيته ، وأفرج عن أهل السجون ، وطلع الناس للهناء ، وفودى بزنة القاهرة ومصر ، فكان يوماً مشهوداً . وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان ، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذي بناه أبوه

(١) في ف «أخو» .

(٢) في ف «وقع» ، والصفة المثبتة هنا من ب (١٣٥٥)

(٣) تقدّمت الإشارة إلى هذه الماهرة في ص ١٤٤ باسم « بنت كزتا » ؛ وهي في التورى (نهاية الأرب ، ج ٣ ، ص ٩٠) باسم « بنت الكركا » ، ولعلها « بنت الكرواء » ، أى ذات السيقان الدقيقة. انظر المحيط وابن أبي الفاضل (كتاب النهج السديد ، ج ٣ ، ص ٢٥ ، حاشية ٤ من الترجمة الفرنسية) .

(٤) هنا إشارة إلى تغيير جديد في أزياء الناس بدولة المالك في مصر في العصور الوسطى .

الملك المصور ، وجدده أخوه الملك الأشرف ، ثم أنشأ لإيوانا جليلا ، وعمل به قبة عالية مقسعة ورسمه رخاماً عظيماً ، وجعل قدّامه دركاة ^(١) فسيحة ^(٢) ؛ لجاء من أجل المباني الملوكية وأعظمها .

وأما (١٨٩) الأمراء الذين توجهوا إلى روك أعمال مصر ، فإن كلا منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد ودُلّالها ^(٣) وقياسيها وعدوها ^(٤) وسجلات كل بلد ، وعرف متحصلها ومقدار فدانها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندى من العين والغلة والدجاج والخراف [والبرسيم] ^(٥) ، والكشك والعس والكعك ؛ ثم قاس تلك الناحية ، وكتب بذلك عدة نسخ ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله . وعادوا بعد خمسة وسبعين يوماً بالأوراق ، فتسلها الفخر ناظر الجيش ؛ ثم ^(٦) طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الأسعد بن

(١) الدركة - وجهه دركاوات - لفظ فارسي معناه القضاء أو الممر المؤدى لدخل بناء من الأبنية الكبرى (Dozy: Supp.Dict. Ar.) . انظر (contr devant un palais, vestibule, portique, porte).

(٢) في ف « فسحة » ، ولا يوجد بالحيط صفة بهذه الضيغة .

(٣) مفرد هذا اللفظ دليل ، وقد عرفه (De Sacy : Op. Cit. I. p.13) بأنه الشخص من أهل الناحية يقوم بتعيين أسماء المزارعين للأراضي المزروعة ، التي يحسبها موظفو السلطان من المساحين والقياسين وغيرهم ، (homme du pays, charger de leur indiquer le nom du cultivateur qui exploitait chaque portion de terre mesurée). هذا ويوجد في ابن ماتي (قوانين الدواوين ص ٧ - ١٠) ، في باب أسماء المستخدمين من حملة الأعلام ، تعريف أدق مما سبق لوظيفه الدليل ، ونصه : « (ص ١٠) الدليل يلزمه أن يعمل القناديق والقوانين والسجلات ، ويفصل الأرض ببقاعها وأصناف مزرعاتها وقطاعها ، وأسماء المزارعين ، ويكتب خطه أو يكتب عنه بالتزام الدرك في ذلك » .

(٤) تقدمت الإشارة (ص ٦ ، حاشية ٤) إلى مدلول هذا اللفظ في مصطلح الدولة الملوكية ، وقد وجد الناشر في عرنوس (تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٣١ - ١٣٥) شرحاً مكملًا لما سبق ، وخلصه أن وظيفة العدول كانت وظيفة دينية تابعة للقضاء ، وعملها أولاً تزكية الشهود الذين يشهدون لدى القاضي في المحصومات ، لأن القاضي إنما يحكم بالبينة المزكاة ، وليس له أن يلزم الشهود له بإحضار من يزكي ، وثانياً كتابة العقود بين الناس في معاملاتهم ، مستوفاة شروطها الشرعية . هذا وليس من الميسور تعيين أول قاض أوجد هذه الوظيفة بالدولة الإسلامية إطلاقاً . غير أنه عرف أن أول قاض بمصر اتخذ العدول ودون أسماءهم في ديوانه هو مالك أبو نعم إسحاق بن الفرات ، قاض مصر من قبل الخليفة هارون الرشيد ، سنة بضع وثمانين ومائة .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٥٥ ب) .

(٦) عبارة القرزى هنا غير مستقيمة ، ونصها : « وطلب التقى كاتب برلى وسائر مستوفيين (كنا) الدولة ليفردوا لحاس السلطان بلدا ، ويقرروا لكل أمير اقتطاعات ويضاف عليه ما كان يخصه من الفلاحين من الضيافة المقررة » ، وقد أبدلت بين الرقين من القرزى (المواعظ والاعتبار - Wiet ، ج ٢ ، ص ٢٤) .

أمين الملك - المعروف بكتاب برلغى - وسائر مستوفى الدولة ؛ وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخصاص السلطاني التي عيَّنها لهم ، وعلى إقطاعات الأمراء ؛ وأضاف على عبدة كل بلد ما كان فلاحيتها من الضيافة ^(١) المقررة ، وما في كل بلد من الجوالى - وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت (٨٩ ب) الروك ديواناً مفرداً يختص بالسلطان ، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها .

وأبطلت عدة جهات من المكوس ^(٢) : منها ساحل الغلة ، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربع مائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء ، ومتحصلها في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، وإقطاع الجندي منها من عشرة آلاف درهم في السنة إلى ثلاثة آلاف ، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف ؛ واقتنى منها المباشر من أموالا عظيمة ، فإنها أعظم الجهات الديوانية ، وأجل معاملات مصر ؛ وكان الناس منها في أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم ، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نواتية ^(٣) المراكب والكتيئين والمشدين والكتاب ؛ وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين [للسلطان] ، ويلحقه (١٩٠) نصف درهم آخر سوى ما ينهب وكان له ديوان في بولاق خارج المقس ، وقبله كان خص يعرف بخص السكيالة ، فلما ولي ابن الشينخي شد ^(٤) هذه الجهة - قبل أن يلي الوزارة - عمّر مكان الخصب ^(٥) مقعداً وجلس فيه ؛ وكان في هذه الجهة نحو الستين رجلاً ، ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جندياً ؛ وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه .

ومن ^(٦) [المكوس التي أبطلها السلطان الناصر أيضاً] نصف السمسرة الذي أحدثه

(١) انظر ما يلي .

(٢) أفرد المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ٨٨ - ٩٠) لهذه المكوس وإبطالها فصلاً طويلاً أيضاً ، وهو وارد في طبعة فيت (Wiet) لهذا الكتاب بالجزء الثاني (س ٢٤ - ٢٨) ، ويستند الناشر هنا على هذه الطبعة الأخرى لإضافة ما يتطلب الإضافة بين الحاصرتين بغير إشارة أو تعليق ، اجتنباً لتكرار اسم المرجع في غير ضرورة ، إلا إذا تطلبت الحاشية ذلك .

(٣) التواتية البحارة ، والواضح أن هذه الكلمة مأخوذة من اللفظ اللاتيني (naufa) ، وهو البحار

(٤) في ف « سد » ، والمراد أنه قام على وظيفة الشد بتلك الجهة .

(٥) في ف « عمر فكلت الحصن مقعد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥٦) .

(٦) في ف « ومنها » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح ، وكذلك أضيف ما بين

الحاصرتين .

ابن الشيخ في وذارته ؛ وهو أن من باع شيئاً فإن دلالة على كل مائة درهم درهين ،
يؤخذ منهما درهم ^(١) للسلطان ؛ فصار الدلال يحسب حسابه ، ويخلص درهمه قبل
درهم السلطان . ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية ، [وكانت جهة
تتعلق بالولاية والمقدمين] ، فيجيبها ^(٢) المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش ،
وعليها (٩٠ ب) جند مستقطعة وأمراء ؛ وكان فيها من الظلم والعسف والفساد
وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف . ومنها مقرر الحوائص والبغال ، وهي
تجبي من المدينة و [سائر معاملات مصر كلها] من الوجهين القبلي والبحري ؛ [فكان
على كل من الولاية والمقدمين مقرر] يحمل ^(٣) في كل قسط من أقساط السنة إلى بيت
المال عن ثمن حياصة ^(٤) ثلاثمائة درهم ، وعن ثمن بغل ^(٥) خمسمائة درهم ؛ و [كان]
عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل ، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم . ومنها مقرر السجون ،
وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يفرمه ، وعلى
هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمّان ، وكانت تجبي من سائر السجون ^(٦) . ومنها
مقرر طرح الفرايج ، ولها ضمّان في سائر نواحي الإقليم ، فنطرح على الناس في
النواحي الفرايج (١٩١) وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأراذل
والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه ، وعليها عدة مقطعين ومرتبات ، ولكل إقليم
ضامن مفرد ، ولا يقدر أحد أن يشتري فروجاً فافوقه إلا من الضامن . ومنها
مقرر الفرسان ، وهي شيء يستهديه الولاية والمقدمون من سائر الأقاليم ، فيجبي من
ذلك مال عظيم ، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظلم . ومنها مقرر الأقباص
والمعاصر ، وهو ما يجبي من مزارعي الأقباص وأرباب المعاصر ورجال المعصرة . ومنها

(١) في ف « درهما » .

(٢) في ف « وهي تجبي من عرفاء الأسواق » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرين من المقرري
(المواعظ والاعتبار - Wiet - ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٣) في ف (وتحمل) ، وقد حذف الواو ليستقيم الفعل مع الإضافة السابقة له ، وهي وغيرها
بهذه الفقرة من المقرري (المواعظ والاعتبار (Wiet) ؛ ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٤) في ف « الحياصة » .

(٥) في ف « البغل » .

(٦) عبارة المقرري (المواعظ والاعتبار - Wiet - ج ٢ ، ص ٢٦) بصدد جبين المقرر
أوضح مما هنا .

رسوم الأفراح ، [هى] تجبى من سائر البلاد ، وهى جهة بذاتها لا يعرف لها أصل .
ومنها حماية المراكب ، وهى تجبى من سائر المراكب الى فى النيل بتقرير معين على
كل مركب يقال له مقرر الحماية ، ويجبى من المسافرين فى (٩١ ب) المراكب سواء
إن كانوا أغنياء أو فقراء . ومنها [حقوق القينات ، وهى] ما كان يأخذه مهتار
الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان
تجيب (١) بمصر . و[منها] شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة ،
فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم فى الخانات ؛ وكانت جهة قبيحة
شنعوة . ومنها متوفر الجراريى ، [و] تجبى من المهندسين والولاة بشار الأقاليم ،
وعليها عدة من الأجناد . ومنها مقرر المشاعلية ، [وهى ما يؤخذ] عن (٢) تنظيف أسربة
البيوت والحمامات والمسائط وغيرها ، [وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى السكبان ،
فاذا امتلأ سرب (٣) مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر
أجرته بما يختار ، ففى لم يوافق صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويؤخذ له ما طلب . (١٩٢)
ومنها ثمن العبي (٤) [التي كانت تستأدى من البلاد] . و[منها] مقرر الأتبان [التي كانت
تؤخذ لمعاصر (٥) الاتصاب بغير ثمن] . ومنها زكاة الرجال [بالديار المصرية (٦)] .

(١) المقصود بهذا اللفظ خطة من خطط القسطنطينية ، كانت تكنها سلاطة تيلة تجبى الواردة فى المقرزى
(المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٩٧) ، وربما كان هذا الخط قد تحول سكناً لأهل المنكرات .
(٢) فى « فى » ، وقد غيرت التسمية العبارة بالإضافة اللازمة بين الحاصرتين .
(٣) فى « سرب » ، وهو خطأ . انظر المحيط .

(٤) الذى جمع على لفظ عبادة - أو عباية - والصحيح عباءات . (محيط المحيط) . هذا ولا يوجد
بالمقرزى (المواعظ والاعتبار - Wiet - ج ٢ ، ص ٢٠ ، وما بعدها) مقرر بهذا الاسم ، وربما
كان ذلك شبيهاً بمقرر الخواص المتقدم هنا ؛ وقد أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ،
ج ٣٠ ، ص ٩١) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١) للتعريف بمقرر الأتبان
هذا ؛ غير أنه يوجد بالمقرزى (المواعظ والاعتبار - Wiet - ج ٢ ، ص ٩٤ ، ١٠٨) ما يسمى
باسم « موظف الأتبان » ، وهو بلا شك أحد تلك المقررات ، وشرحه كالآتى : « وأما موظف الأتبان
فكان جميع تبين أرض مصر على ثلاثة أقسام ، قسم للديوان ، وقسم للقطع ، وقسم للعلاج ، فجبى التبن
على هذا الحسب من سائر الأقاليم ، ويؤخذ فى التبن عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار ، فيحصل
من ذلك مال كثير ؛ وقد بطل هذا أيضاً من الديوان » .

(٦) لم يذكر المقرزى (المواعظ والاعتبار - Wiet - ج ٢ ، ص ٢٠ ، وما بعدها) مقررأ
بهذا الاسم ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١) .

وأبطل [السلطان] أيضاً وظيفتي النظر والاستيفاء من سائر الأعمال — في كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين — ، فرسم ألا يُستخدَم أحد في إقليم لا يكون للسلطان فيه مال ، وما كان للسلطان فيه مال يكون في كل إقليم ناظر وأمين [حكم] (١) لا غير . ورفع [السلطان] سائر المباشرين . ورسم بالمساحة بالبواقي الديوانية والإقطاعية (٢) من سائر النواحي إلى آخر سنة أربع وسبع مائة . وجعل المال (٣) الهلالي لاستقبال صفر سنة ست عشرة ، والمال (٤) الخراجي لاستقبال مثلث مغل سنة خمس عشرة وسبع مائة .

وأفرد [السلطان] لخاصته الجيزية وأعمالها و [بلاد] (٥) هُؤْ والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص (٦) (٩٢ ب) وعدة بلاد . وأخرجت الجوالي من الخاص ، و [مُفرقت في البلاد] . وأفردت جهات المكس كلها ، وأضيف لوزارة . وأفردت للحاشية بلاد ، ولجوامك المباشرين بلاد ، ولأرباب الرواتب جهات . وأزجعت عدة بلاد كانت اشتريت ، وأدخلت في الإقطاعات . واعتُمد في سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح ، وحسب من جملة الإقطاع (٧) .

(١) ليس لما بين الحاصرتين وجود في ف ، ولكنه في ب (١٣٥٦) ، وقد عرف ابن ماضي (تواين الدواوين ، ص ٩) أمين الحكم — أو الأمين فقط — بما نصه : « الأمين هو جار مجرى النائب فيما شرح من حاله ، وفي بعض الخدم يكون حاله حال الشاهد » . انظر نفس المرجع والصفحة لتعريف النائب والشاهد .

(٢) في ف « الإقطاعات » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦ ب) . انظر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١) .

(٣) في ف « الزوك » .

(٤) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٣ ، حاشية ٤) ، وكذلك ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٤٩ ، ٩٩٦) .

(٥) المقصود بالخصوص هنا قرية من قرى مديرية القليوبية الحالية ، وهي شمال بلدة منية السرج ، على مسافة ميل تقريباً منها . هذا ويوجد أيضاً قرية بهذا الاسم بالصعيد الأوسط قبالة أسيوط ، بالبر المرقى للنيل (مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٠ ، ص ١٠٠) .

(٦) أورد النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩١) بهذا الموضوع كله ملاحظات كثيرة ، وهي تتم عن كثير مما كان في ذلك العصر بين موظفي الدولة ، فضلاً عن أنها تخبر بأن ما أحدثه الناصر من تعديل في النظام الإقطاعي لم يخل من النقد والتجريح ، ونصه : « فعند ذلك جلس السلطان لتفرقة الأمثلة بين يديه ، وجعل لكل أمير بلاداً معينة ، وأضاف إليه جميع ما في البلاد من الجيوش السلطانية والجوالي وغير ذلك ، فصارت البلاد يقطعها [السلطان] دريستا ، (انظر معنى هذا اللفظ في المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٤) ، وكذلك جهات الحلقة . وأفرد [السلطان] لخاصه بلاداً ولحاشيته بلاداً =

فلما فرغ العمل من ذلك فودى في الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات ، وكتبت المراسيم إلى النواحي به ؛ فسرّ الناس سرورا كبيرا . وجلس السلطان بالإيوان الذى أنشأ لتفرقة المثالات في يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة ، بعد ما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا (١٩٣) ، ورُسم أن يُفرّق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما . فكان المقدم يقف بمضافيه ؛ ويستدعى [السلطان] المقدمين^(١) كل أحد باسمه ، فإذا تقدم المطلوب سألّه السلطان : « من أين أنت ؟ وملكك من ؟ » ؛ حتى لا يخفى عليه شيء من أمره ؛ ثم يعطيه مثالا على ما قسم له من غير تأمل ؛ وأنبأ^(٢) [السلطان] في العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمرأه^(٣) الجيش .

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرهم بخدمة على العادة ، وإذا أخذوا في شكر جندى عا كسهم وأعطاه دون ما كان في أملهم له ، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد في

= مقررة مرصدة لجامكياتهم ، ولجامكيات نظار الدولة ومباشري الباب جهات مقررة لهم ، وكذلك أرباب الرواتب . وجعلت سائر المعاملات بمصر والقاهرة في جملة الخاص . وكانت هذا برأى تقي الدين فاضل النظر — المعروف بكتاب برلنى — ورتبه ، فأخرج عن الخاص الجوالى إلى ما زال الملوك يحسبونها مرصدة لما كسبهم لتحقيق حلها وجعلها في الإقطاع ، وأرصد لراتب السباط السلطانى وثققات البيوتات ودار الطرز ومشغرى الخزانة جهات المكس ، آلتى ما زال الملوك يحذرونها وأكثر المقطعين يتزهون عنها ويستغفون من أخذها ، والذى نحققنه من أمره وغرضه في هذا الترتيب أنه من مسألة القبط ممن أكره على الإسلام ، فأظهره وجرت عليه أحكامه ؛ وكانت ميله ورغبته واحتفاله بالنصارى ، فأراد تخفيف الجالية عنهم ؛ فجعلها في جملة الإقطاع ، فانتقل كثير من النصارى من بلد إلى أخرى ، فتعذر على مقطع بلده الذى انتقل منها طلبه من البلد الذى انتقل إليها ، وإذا طالبه مباشرة بالبلد الذى انتقل إليها اعتذر أنه ليس من أهل بلدهم ، وأنه ناقله إليها ؛ فضاعت الجوالى بسبب ذلك ، واحتاج مقطع كل جبه إلى مصالحة من بها من النصارى النواقل على بعض الجوالى ، فأخبرنى بعض العدول الثقات شهود الدواوين أنهم ينادون الجالية من النصارى أربعة دراهم ونحوها ، وكانت قبل ذلك ستة وخمسين درهما ، ولما كانت الجوالى جارية في الخاص السلطانى كانت الحشاش (انظر ابن ممانى ، قوانين الدواوين ، ص ١٠) تسافر إلى سائر البلاد ويستأدونها مذسوبة إلى جهاتها ، وإذا وجد نصرانى في ثغر دمياط وهو من أهل أسوان أو من أهل حلب أو عكس ذلك أخذت منه الجزية في البلد الذى يوجد به ، ويكتب المباشرون بها له وصولا ، فيعتد له ببلده ، ويأخذ من كل بلد مذسوبة إلى جهتها ، فانقرط ذلك النظام ، وهى الآن على تقريره ؛ ولعمري لو ملك هذا التقي المسلمانى البلاد ، وعليه جريان اسم الإسلام ؛ ما تمكنت أن يحسن إلى النصارى ويخفف عنهم بأكثر من هذا » .

(١) فى ف « تقدمته » ، وفى ب (١٣٥٧) « مقدميه »

(٢) فى ف « واما » ، وكذلك فى ب (٣٥٧ ب)

(٣) فى ف « الأجناد ومعرفة الجيش »

المجلس . فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر ، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جواباً له عما يسأل [السلطان] عنه منهم . وفعل في عرض الممالك مثل عرض الأجناد ، فكان (٩٣ ب) المملوك^(١) إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفرعه ، وكـم حضر [من] مصاف^(٢) ، وكـم رأى [بيكاراً^(٣)] ، وأى قطعة حاصر ؛ فإن أجابه بصدق أنصفه . و [كأن السلطان] يغير الشيخ المسنّ بين الإقطاع والرواتب ، فيعطيه ما يختار ، ولم يقطع في العرض العاجز عن الحركة ، [بل كان] يرتب^(٤) له ما يقوم به عوضاً عن إقطاعه .

واتفق له في العرض أشياء : منها أنه تقدّم إليه شاب تام الخلقة في وجهه أثر شبه ضربة سيف ، فأعجبه ونارله مثالا بإقطاع جيد ، وقال له : « في أى مصف^(٥) رقع في وجهك هذا السيف ؟ » . فقال لقلّة سعادته : « يا خوند ! هذا ما هو أثر سيف ، وإنما وقعتُ من سُلّسم . فصار في وجهي هذا الأثر » ، فتبسّم وتركه . فقال الفخر ناظر الجيش : « يا خوند ! ما بقى يصلح (١٩٢) له هذا الخبز ! » . فقال [السلطان] : « لا ! قد صدقني وقال الحق ، وأخذ رزقه ، فلو قال أصبتُ في المصف^(٦) الفلاني من الذى يكذبه ؟ » ؛ فدعت الأمراء له ، وانصرف الشاب بالمثال . وتقدم إليه رجل ذميم الشكل ، وله إقطاع ثقيل عبـرة ثمانمائة دينار . فأعطاه مثالا وانصرف . فإذا به عبـرة نصف ما كان معه . فعاد وقبل الأرض . فسأله السلطان عن حاجته . فقال : « الله يحفظ السلطان ! فإنه غلط في حقى ، فإن إقطاعى كانت عبـرته مائة دينار ، وهذا أربعمائة » . فقال [السلطان] : « بل الغلط كان في إقطاعك الأول » ؛ ففضى بما قُسم له . فلما انتهت تفرقة المثلالات في آخر المحرم سنة ست عشرة توفّر منها نحو مائتى مثال .

(١) في ف «الجندى» ، وما هنا من ب (٣٥٧ ب) .

(٢) في ف « مصافا » ، وقد عدلت العبارة كما بالمتن للتوضيح ؛ والمصاف جمع مصف ، وهو الموقف في الحرب وموضع الصف في القتال . (المحيط) .

(٣) ليس لما بين الحاصرتين وجود في ف ، ولكنه في ب (٣٥٧ ب) . انظر معنى هذا اللفظ في المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، حاشية ١ ، ص ٣٦٥ ، ص ٦١٦ ، حاشية ١) .

(٤) في ف « ولم يقطع في المرض أحداً إلا العاجز عن الحركة فرتب له ... » ، وقد عدلت الجلالة وأضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى .

(٥ ، ٦) في ف «مصاف» . انظر حاشية ٢ بهذه الصفحة .

ثم أخذ^(١) [السلطان] في عرض طباق^(٢) الممالك ، ووفر جوامك (٩٤ ب) عدة منهم ورواتبهم ، وأعطاهم الإقطاعات . وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد ، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم في السنة . وارتجع [السلطان] ما كانت البرجية قد اشترته^(٣) من أراضي الجيزة وغيرها ، وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغى والجوكتندار وغيرهم من المتاجر ، وأضاف ذلك للخصاص .

وبالغ [السلطان] في إقامة الحرمة أيام العرض . وعرف النائب وأكابر الأمراء أنه « من ردّ مثالا أو تضرّر أو شكّا مضرب وحسب وقطع خبزه ؛ وإن أحدا من الأمراء لا يتكلم مع السلطان في أمر جندي ولا ملوك ، ، فلم يجسر أحد [أن] يخالف ما رآه به .

وغثبن في [هذا العرض]^(٤) أكثر الأجناد : فإنهم أخذوا إقطاعات دون التي كانت معهم ؛ وقصد الأمراء التحدث (١٩٥) في ذلك مع السلطان ، والنائب أرغون ينهام عنه . فقدّر الله أن السلطان نزل إلى البركة لصيد السكركي ، وجلس في البستان المنصوري ليستريح ، فدخل بعض المرقدارية — وكان يقال له عزيز — ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه ، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس ، وهناك ساقية والساطان ينظر إليها . فتبادى [عزيز] لشوم بخته في الهزل إلى أن قال : « وجدت جندي من جند الروك الناصري وهو راكب لم كديش ، وأخرجه ومخللة فرسه ورمحه على كتفه ، وأراد [أن] يتم الكلام . فاشتد غضب السلطان ، وصاح في الممالك : « عروّه ثيابه ، فللحال خلعت عنه الثياب ، وربط مع قواديس الساقية ، وضربت (٩٥ ب) الأبقار حتى أسرعته^(٥) في الدوران ، وعزّز تارة ينغمر في الماء وتارة يظهر ، وهو يستغيث وقد عاين .

(١) في ف «أخذ» .

(٢) الطباق جمع طبقة ، وهي ثكنات الجيش المملوكي بالقاعة ، حيث كانت كل طبقة تضم أبناء المجلس الواحد من الممالك ؛ وقد وصف المقرئ (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤) تنظيم تلك الطباق وأدوار تربية الممالك بها وصفا ضافيا ، كما أنه ذكر أن السلطان الناصر جدّ تلك الطباق الكاتنة بساحة الإيوان من القلعة .

(٣) في ف « اشترته »

(٤) في ف « فيه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٥) في ف «حتى لسرعة الدوران» . انظر المقرئ (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٩١) ،

حيث وردت هذه القصة بمخالفاتها .

الموت ، والسلطان يزداد غضباً . فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين ، وانقطع حسه ؛ فتقدم إليه الأمير طغاي والأمير قطلوبغا الفخري وقالوا : « ياخوند ! هذا المسكين لم يُرد [أن] يضحك السلطان ، ويطيّب خاطره ، ولم يرد غير ذلك ، وما زال به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت ، ورُسم بنفيه من أرض مصر ، لحمد الله سبحانه وتعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة في تغيير مثالات الأجناد .

وفي هذه السنة ظهر ييلاد الصعيد فأرغمهم بخرج عن الإحصاء ، بحيث إن مباشرة ناحية أم القصور (١٩٦) من بلاد منفلوط قتلوا في أيام قلائل من الفار مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردبا ينقص ثلث أردب ، واعتبروا أردبا لجاء عدة ثمانية آلاف وأربع مائة فار ، وكل وية ألف وأربع مائة فار .

وفيها وقعت نار في البرج المنصوري من قلعة الجبل وطباق الجمدارية ، فأحرقت شيئاً كثيراً ، وذلك في تاسع عشر شعبان .

وفيها غُلِّقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها في مصر والقاهرة ، في يوم السبت سابع عشر شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى .

وفيها حج الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، مع الركب ؛ وكان أمير الركب عز الدين (٩٦ ب) أيدمر الكوكندى .

ومات في هذه السنة من ذكر شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمنى المعروف بابن الأسعد ، يوم الجمعة رابع عشر رمضان ؛ وكان فقيهاً شافعياً مشكوراً السيرة . و [مات] جلال الدين إسماعيل ^(١) بن أحمد بن إسماعيل بن بريق ابن برعس أبو الطاهر القوصى الفقيه الحنفى ، كان متصداً بجامع [أحمد] بن طولون ، وله فضيلة في الفقه والقراءات والعربية ، وصنف وحدث ، وله شعر منه :

أقول له ودمعى ليس يرقا ولى من عبرتى إحدى الوسائل
حُرمت الطيف منك ففاض دمعى وطرفى فيك محروم وسائل

(١) في ف « إسماعيل بن نون بن برعس ... » ، والصيغة المثبتة هنا من الأدفوى (الطالع السعيد ، ص ٨٠) . انظر أيضاً ابن حجر (الدور الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٦٤) .

ومات تقي الدين سليمان^(١) بن حمزة بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، قاضي الحنابلة ، بدمشق (١٩٧) في حادى عشرى ذى القعدة ، ومولده سنة ثمان وعشرين وستائة ؛ وكان فاضلاً واسع الرواية ، له معجم فى مجلدين ؛ وتخرج به جماعة من الفقهاء ، مع الدين والتواضع . ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي المالكي ، بالقاهرة ليلة الحادى والعشرين من صفر ؛ عن ست وتسعين سنة ؛ ودفن بالقرافة ؛ ومولده سنة تسع وثلاثين وستائة ؛ وناب فى الحكم بالحسنية خارج القاهرة ، ثم ولى قضاء الإسكندرية ، وهو أول من درّس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة . ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسن بن شرف الدين شاه الحسنى العلوى الأسترايادى ، عالم الموصل ومدرس الشافعية (٩٧ ب) ، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمتى ابن الحاجب والحاوى فى المذهب ؛ وله سبعون سنة ؛ وأخذ عن النصير الطوسى^(٢) ، وتقدم عند التتار ونوفرت حرمة ، وبرع فى علوم المعقولات ، و [كان] يجيد الفقه وغيره . ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسى التميمى الدمشقى ، فى ثانى عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستائة ؛ وكان أحد الأعيان الأخيار . ومات الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى — المعروف بالهندي الأرموى — الفقيه الشافعى ، فى تاسع عشرى صفر بدمشق ؛ ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستائة ، وله تصانيف مفيدة ؛ وقدم من الهند إلى مصر بعد حجه ، وسار إلى الروم فأقام (٩٨) بها إحدى عشرة سنة ؛ وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستائة وسمع بها ودرّس ، وكان إماماً عالماً ديناً . ومات شرف الدين محمد بن تميم الإسكندرانى كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها ، وكان إماماً فى الإنشاء ، وله نظم^(٣) . ومات عز الدين موسى بن على بن أبي طالب الشريف أبو الفتوح الموسوى^(٤)

(١) فى « سليمان بن حمزة عمر بن أحمد بن قدامة ... » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة » ج ٢ ، ص ١٤٦) .

(٢) فى « الطوائى » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة » ج ٢ ، ص ١٦) .

(٣) فى « وله نثر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٨ ب) ، فإنه لا معنى أن يقال إن له نثراً بعد العبارة السابقة . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة » ج ٣ ، ص ٤١٢) .

(٤) فى « المرسوى » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٥٨ ب) . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة » ج ٤ ، ص ٣٧٩) ، وكذلك ابن العاد (شذرات الذهب » ج ٦ ، ص ٣٨) .

الحنفى العدل ، فى سابىع ذى الحجة بمصر ؛ وانفرد بالرواية عن ابن الصلاح والسخاوى ، ورحل الناس إليه . ومات الأمير عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صبرة ، فى تاسع عشر رجب بطرابلس ؛ وولى حاجباً بدمشق مدة ، وكان مشكوراً . ومات الشريف أبو الغيث بن أبي ندى . و [مات] الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى ، أحد ممالك الملك (٩٨ ب) المنصور حسام الدين لاجين ؛ وكان شجاعاً مقداماً عجولاً ، أحرق متكرراً واسطة سوء ، قُتل فى أول ربيع الأول . ومات حسام الدين قرأ لاجين المنصورى الأستاذار ، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان ؛ وكان جواداً خيراً سليم الباطن ، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرقى ، وتوفرت الأستاذارية . ومات الأمير سيف الدين جبرجى (١) الخازن تحت العقوبة ؛ يوم السبت عاشر ربيع الآخر . ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أنى بكر محمد الأزكشى ، بدمشق فى ثامن شعبان ، وكان شجاعاً شهماً . و [مات] (٢) الملك خربندا بن أبغا بن أرغون فى سادس شوال ، وتسمى بمحمد ، وكان رافضياً ، (١٩٩) قُتل أهل السنة ، [وكان] منهمكاً فى شرب الخمر متشاغلاً باللهو ، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعده إليه ، وكان مُحَوَّلاً (٣) بإحدى عينيه ، عادلاً فى رعيته ، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهرراً . ومات الأمير سيف الدين كستائى الناصرى نائب طرابلس بها ، وكان جسوراً قوى النفس معجباً بنفسه شديد الكبر ، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين ، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها . ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث ، فى ثانى شعبان . و [مات] بهاء الدين بن المحلى ، فى خامس شعبان . ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدوى المالكي بمصر . ومات الفقيه شرف الدين بن محيى الدين بن الفقيه نجيب الدين ، فى تاسع رجب . و [مات] الشيخ ناصر الدين (٩٩ ب) أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب ، بدمشق فى سادس عشرى ذى الحجة ، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه (٤)

(١) فى ف « جرخين » ، وفى به (٣٥٨ ب) بالهاء بدل الخاء ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حجر (الدور السكينة ، ج ١ ، ص ٥٣٣) .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين يياض فى ف .

(٣) فى ف « محلا » .

(٤) فى ف « سماعه » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥٩)

من مؤلفه ابن الصلاح ، وبرواية الزهد لأحمد بن حنبل ، وشيوخه كثيرة^(١) ، ومولده في رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة . ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ مرهف ، إمام الجامع الجديد الناصري خارج مصر ، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب . ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصوائف ، المتصدر بجامع عمرو ، بمصر ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان . ومات الشيخ ابن أبي مفصلة^(٢) ، ليلة الأحد سادس عشر رمضان . ومات الشيخ زين الدين المهدي ، (١١٠٠) يوم الخميس تاسع رجب . ومات الطواشي شبل الدولة كافور الأقطواني الصالحى ، شاد الخزانة السلطانية ، ليلة الاثنين رابع عشر ذى القعدة . و [مات] فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام ، فى سابع عشرى ذى القعدة .

* * *

سنة ست عشرة وسبعمائة . فى المحرم قدم البريد من حلب بموت خربندا ، وجلس ولده أبى سعيد بعده .

وفى يوم السبت ثالث عشره سمع بالقاهرة هدة عظيمة شبه الصاعقه ، وتبعها رعد ومطر كثير وبرد ، وغرقت بلبس لكثرة المطر^(٣) .

وفى ثامن صفر استقر شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع فى قضاء الحنابلة بدمشق ، وجئز له توقيعه من القاهرة ، فلم (١٠٠ ب) يغير ذبه ، واستمر يحمل ما يشتره من السوق بنفسه ، ويجلس على ثوب يبسطه بيده فى مجلس الحكم ، ويحمل نعله بيده .

وفى أول ربيع الأول فوضت إمرة العرب بالشام إلى الأمير شجاع الدين فضل ابن عيسى بن مهنا .

و [فيه] قدم البريد بوقوع المطر فى قارا رحص وبعليك ، وفى بلاد حلب وإعزاز وحارم ، بخلاف المعهود ، وعقبه برد قدر النارج ، فيها مازنته ثلاث أواق دمشقية ، هلك بها من الناس والأغنام والدواب شئ كثير . وخربت عدة ضياع ، وتلف من التركمان

(١) فى ف « كثير » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٥٩) .

(٢) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٣٥٩) ، « ابن أبى غنم » .

(٣) عبارة القرزى هنا مشابهة لما جاء بمسدد هذا الحادث بالنورى (نهاية الأرب ، ج

وأهل الضياع خلق كثير . وغقبَ هذا المطر نزولُ سَمَكٍ كثير ما بين صغار وكبار بالحياة ، تناوله أهل الضياع واشتووه وأكلوه . وسقط بالمعرة وسمرين عقيب هذا المطر ضفادع كثيرة في (١١٠١) غاية السكبر ، منها ميت ومنها بالحياة ثم نزل ثلج عظيم طمَّ القرى وسدَّ الطرقات والأودية ، وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة بالمساحي^(١) ، وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات .

وفي سادس عشرى جمادى الأولى استقر قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى فى مشيخة الشيوخ بدمشق ، عوضاً عن شهاب الدين محمد بن عبيد الرحمن ابن عبد الله الكاشغرى .

[وفيها]^(٢) رأى السلطان أن يقدم^(٣) برشنبو^(٤) النوبى ، وهو ابن أخت داود ملك النوبة ؛ فجهز ضجته الأمير عز الدين أيبك على عسكر . فلما بلغ ذلك كرنبس ملك النوبة بعث ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر^(٥) بن فخر الدين مالك ابن السكز يسأل السلطان فى أمره ، فاعتقلَ كنز الدولة . ووصل العسكر إلى (١٠١١ ب) دمقلة ، وقد فرَّ كرنبس وأخوه أبرام ، فقبض عليهما وحملا إلى القاهرة ، فاعتقلا . وملك عبد الله برشنبو دمقلة ، ورجع العسكر فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة . وأفرج عن كنز الدولة ، فسار إلى دمقلة وجمع الناس وحارب برشنبو ، فخذله جماعته حتى قُتل ، وملك كنز الدولة . فلما بلغ السلطان ذلك أطلق أبرام وبعثه إلى النوبة ، ووعدته إن بعث إليه بكنز الدولة مقيداً أفرج عن أخيه كرنبس . فلما

(١) مفرد هذا اللفظ « مسحا » وهى آلة تستعمل فى سحى الطين وجرفه وإزالته من الطرق . انظر القاموس المحيط .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين بياض فى ف ، ولكنه فى ب (٣٥٩ ب)

(٣) فى ف « يعدم » والرسم المثبت هنا من ب (٣٥٩ ب) .

(٤) فى ف « برشنبوا » ، وهو فى ب (٣٥٩ ب) « ابن سنبوا » ، والرسم المثبت هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٥) ، حيث ورد أن اسم هذا الأمير النوبى سيف الدين عبد الله برشنبو ، وأنه كان مسلماً ، وقد ربي فى البيت السلطانى من جملة المماليك السطائية ، فرأى السلطان أن يقدمه فى ذلك الوقت على أهل بلاده ويملكه عليهم .

(٥) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٥) أن هذا الأمير النوبى كان مسلماً أيضاً .

وصل أبرام خرج إليه كنز الدولة طائفاً ، فقبض عليه ليرسله ، فبات أبرام بعد ثلاثة أيام من قبضه ، فاجتمع^(١) أهل النوبة على كنز الدولة وملّكوه البلاد .

[وفيها أخذ عرب برية عيذاب رُسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم] ، فبعث^(٢) السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس ، عليهم الأمير علاء الدين مغلاطى بن أمير مجلس ، فى العشرين من شوال ؛ (١٠٠٢) فساروا إلى قوص ، ومضوا منها فى أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب ، ومضوا إلى سواكن حتى التقوا بطائفة يقال لها حى الهلبكسة^(٣) ، وهم نحو الآلاف راكب على الهجن بحراب ومزاريق ، فى خلق من المشاة عرايا الأبدان ؛ فلم يثبتوا لدق الطبول وومى الشباب ، وانزموا بعد ما قتل منهم عدد كبير . وسار العسكر إلى ناحية الأبواب ، ثم مضوا إلى دمقلة ، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة ، وكانت غيبتهم^(٤) ثمانية أشهر . وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلاطى بن أمير مجلس مقدم عسكرهم ، فأخرج إلى دمشق .

وفىها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب ، ونهبوا إلى قرب قلعة كسختا^(٥) ، (١٠٠٢ب) فقاتلهم الزكيان وقتلوا كثيراً منهم ، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم ، وغنموا ما كان معهم ؛ فقدمت الأسرى إلى القاهرة فى صفر سنة سبع عشرة .

وفىها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وأسنا وأرمنت ، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال . ثم أمطرت السماء ، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير ؛ ودبّ الباء إلى الأشمونين .

وفىها أفبرج عن الأمير بكتمر الحسامى الحاجب ، ونُخلع عليه فى يوم الخميس

(١) فى ف « فاجتمعوا » ، وقد حذفت واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٦) . ويلاحظ أن ما أورده النورى بصدد هذه الحوادث أكثر تفصيلاً مما هنا .

(٢) فى ف « وبعث » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٦٠) .

(٣) كذا فى ف ، وهو فى ب (١٣٦٠) الكيكية من الحبشة .

(٤) عبارة النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٩٦ — ٩٨) بصدد ما وقع لهذه الحملة أكثر شرحاً وتفصيلاً مما هنا .

(٥) فى ف « كسختا » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٦٠) . انظر المقرئى (كتاب السلوك ،

ج ١ ، ص ٥٧٩ ، حاشية ٥) .

ثالث عشر شوال بناية صفد ، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم ؛ فسار على البريد ودخلها في آخر ذى الحجة . وكان [بكتمر] في مدة اعتقاله مكرّماً لم يفقد غير ركوب الخيل ، وبعث إليه السلطان (١١٠٣) بجارية حبلى منه في الاعتقال ، وولدت ولداً سماه ناصر الدين محمداً ؛ فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وإياما .

وفيها ولي الأمير سيف الدين أرقطاي نيابة حمص في تاسع رجب ، عوضاً عن شهاب الدين قرطاي بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس في جمادى الآخرة .

وفيها أخرجت قطيا عن الأجناد ، وأضيفت إلى الخاص ، وخرج إليها ناظر^١ وشاد . وعُوض الأجناد بمهمات في القاهرة بعد عرضهم على السلطان ، وأعطى كل^٢ منهم نظير ما كان له .

وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد . وفيها أفرج عن الأمير كراي المنصوري والأمير سنقر الكجالي من سجن الكرك ، وقدموا إلى القاهرة فسجنوا بالقلعة (١١٠٣ب) ومعهما نساؤهما .

وفيها قدمت رسل أزبك ، ورسل ملك الكرج ، ورسل طغاي قريب^(١) أزبك بهدايا ، فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا . فاجتمع في هذه السنة ثمانية رسل^(٢) : وهم

(١) في « فرتب » وقد صححت إلى الرسم المثلث هنا بعد مراجعة (Howorth: Op. Cit. II, pp. 200, 201, 1072) حيث ورد أن طغاي كان أميراً على إقليم بشدشه - أو بشتاو - من بلاد القفجاق ، على أنه لم يذكر قرابة هذا الأمير لأزبك خان .

(٢) تدل القائمة التالية على ما وصلت إليه دولة المماليك من مكانة رئيسية بين الدول بالشرق الأدنى والأوسط في هذا العصر ، كما تدل على ما كان لها من علاقات بالدول المجاورة ، فإن رسل جويان جاءوا في الغالب لمفاوضة السلطان في أمر ملطية وغيرها من بلاد الأطراف التي أغارت عليها جيوش الدولة المملوكية حديثاً (انظر ماسبق ، ص ١٤٣ ؛ وكذلك (Howorth: Op. Cit. III, p. 570) ؛ وقد جاءت رسل إيلخان أبي سعيد تخبر فيما يظهر بتوليته على دولة المغول بفارس ، بعد وفاة أبيه خربندا سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦ م) ؛ ولمثل ذلك الغرض أو ما يشبهه كان يحى رسل أزبك وطغاي كما تقدم . أما صاحب برشلونة ، والمقصود بذلك جاييم الثاني (Jayme II, 1291-1327) ملك أروغونة ، فقد حرص هذا الملك على تنمية العلاقات الاقتصادية والسياسية بينه وبين سلطنة المماليك ، ابتناء خدمة المصلحة الصليبية العامة ومصلحته الاقتصادية الخاصة في آن واحد ، وقد تبودلت بينه وبين السلطان الناصر في ذلك الصدد خطابات مخفولة أصولها العربية والإسبانية . (Atiya : Egypt And Aragon) ، وكذلك Heyd: Op. Cit. II, pp. 30.32 . وأما رسل صاحب إسطنبول ، والمراد بذلك أندرونيق الثاني (Andronicus II, ١٢٨١-١٣٢٨) ،

رسل جوبان ، وأبي سعيد ، وأzbek ، وطفای ، وصاحب برشلونة ، وصاحب
لاستنبول ، وصاحب النوبة ، وملك الكرج ، وكلهم يذل الطاعة ، ولم يتفق في
الدولة التركية مثل ذلك ، وأكثر ما اجتمع في الأيام الظاهرية خمسة رسل .

وفها سافر في الرسلية إلى بلاد أzbek الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمي ملوك
يازی^(١) ، ومعه حسين بن صاررا^(٢) أحد مقدمى الحلقة ، بالهدية في آخر المحرم : وهي
مائتا عدة كاملة ، مابين جوشن^(٣) وخوذة^(٤) (١٠٤) وبركستوان^(٥) ، وخلعة كاملة
التحتاني أطلس احمر مزركش ، وشاش كافورى^(٦) ، وبة لطاق^(٧) فوقاني مفرج^(٨) ،
مقصّب محقق^(٩) بطرز ذهب ، وكفتاه ذهب ، وحياصة ذهب ، وقرس مسرجة
ملجمة بذهب مرصع ، وجتر ، وسيف بحلية ذهب ، وسار معهم بطرك الملكية .
وفها قدمت أم الأمير بكشمر الساقى . وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين
طفای ، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه ، ثم رضى عنه وخلع عليه .

= (Palaeologus) ، فقد تقدمت الإشارة إلى سفاراته السابقة إلى القاهرة (ص ١٧ ، ١٢٠) ، وربما
كان غرض سفارته هذه السنة لا يخرج عما تقدم من أشباهها . وكان ملك النوبة تلك السنة كنز الدولة
الذى دانت له البلاد كما تقدم (ص ١٦١) ، والراجع أن رسوله جاء إلى القاهرة ليحصل من السلطان على
الاعتراف بملكه النوبة . وأما ملك الكرج تلك السنة فهو جورجى السادس (Giorgi VI, 1310-1318)
أو منافسه جورجى الخامس . انظر (Allen: History of the Georgian People, pp. 120, 121) ،
وكذلك (Howorth : Op. Cit. 111 . P . 587)

(١) غير لقط في ف ، والرسم المذهب هنا من ب (٣٦٠ ب) . انظر (Zetterstéen: Op. it. Cilt. P. 156. etc.)

(٢) كذا في ف ، انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 166) .

(٣) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦٣ ، حاشية ٤ ؛ ص ٨٩٧ ، حاشية ١) .

(٤) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، حاشية ٥) .

(٥) المقصود بالكافورى كل ما يشبه في بياضه خشب الكافور . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

(٦) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨٤ ، حاشية ١) .

(٧) في ف « مقترح » ، والصيغة المثبتة من القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٥٣) ،
حيث ورد « خلعة من الفرج المذهب » . وقد شرح (Dozy: Supp Dict. Ar.) الفرج من الخلع
ما كان مفتوحا (ouvert) ؛ أما إذا كان هذا اللفظ وصفاً لغطاء الرأس ، كالبنطاق الوارد هنا بالمتن ،
فمعناه ما يكون مكوبا في أعلاه (dont le carré et comprimé au milieu) .

(٨) الراجع أن المحقق هنا القماش المزدهم التحلية من خيوط الذهب أو الفضة ، وقد ترجم (Dozy:

Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ إلى (Compacte, serré . fermé) .

و [فيها] صُرف بهادر الإبراهيمي من نقابة^(١) الممالك ، وبقي على امرته ؛ وولى عوضه دقاق نقابة الممالك .

وفيه مرضت زوجة الأمير طغاي ، فعادها السلطان مراراً ؛ فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها ، وعمل كريم (١٠٤ ب) الدين لها مهماً عظيماً .

وفيه سار السلطان إلى الصيد في يوم الجمعة سابع شعبان ، وتوجه إلى بلاد الصعيد . وعاد إلى قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع عشر رمضان ، وأعطى الأمراء دستوراً ، ونزل تحت الأهرام .

وفيه توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعل ، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز ، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم .

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى - في ثامن عشر مسرى - بعد أن بلغ في يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعا من ستة عشر ذراعاً . فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين^(٢) بالجيزة ، فنقص عدة أصابع ؛ وُجِع لسدّه خلق كثير ، غرق منهم نحو ثلاثين رجلاً في ساعة (١٠٥) واحدة انطبق عليهم الجسر . ثم جُمع من مصر رجال كثيرة ، وكُتِفُوا وأُنزلوا في مركب وعدتهم سبعون رجلاً ، فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم في يوم السبت سابع عشره . ثم زاد [النيل] حتى أوفى .

وفيه قطعت أرزاق المرتزقة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم ، وعُوضوا^(٣) على جهات أجودها نَسْتِراوَة ، فصارت^(٤) سنتهم ثمانية أشهر . وتولى ذلك صاحب سعد الدين محمد بن عطايا ، والسعيد مستوفى الرواتب . ومنع شهر المحرم ، وصُوح

(١) ليس بالمراجع المتداولة في هذه الحواشي تعريف أو شرح لهذه الوظيفة ، وربما كان المقصود بها مقدمة الممالك الواردة بالقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١) ، فيكون موضوعها « التحدث على الممالك السلطانية والحكم فيهم » ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام ، والعادة أن تكون لإمرة طبلغاناه ، وله نائب أمير عشرة » .

(٢) تقدمت الإشارة إلى هذه القناطر في ص ١٣٠ هنا .

(٣) في ف « وعرضوا » ، والصفة المثبتة هنا من ب (١٣٦١) .

(٤) في ف « فصارت سنتهم ثمانية أشهر أجودها نَسْتِراوَة » ، وليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشي ما يساعد على توضيح العبارة ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا لتكون أقرب للفهم . انظر القرينى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ، حاشية ١) للتعريف بموقع نَسْتِراوَة .

من له راتب بثلك المدة — وهي شهران^(١) وثلاثا شهر — ؛ وأحيلوا على المطابخ ،
وتمننت عليهم قطارة^(٢) ، فحُصِّل من كل دينار سدسه . ونزل بالناس من ذلك
شدة ، وحصلت ذلة للحرم والأيتام ؛ وسميَهما^(٣) الناس سعد الذابح وسعد^(٤)
بُلَّسَع ، (١٠٥ ب) وشافهوهما بكل مكروه .

وفيهما قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة في تاسع عشر جمادى الأولى ،
ونزل بمنظر الكباش ؛ وكمل تقدمته في غده ، وسار في تاسع عشر جمادى الآخرة .
وفيهما لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة في يوم السبت ثامن جمادى
الآخرة ، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد [صاحب حماة]
وفيهما استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده في خامس عشر
رجب ، بعد موت التقي أسعد كاتب برلغى .

وفيهما سافر الفخر ناظر الجيش وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى
القدس ؛ وقدم ابن جماعة في تاسع عشر رمضان .
وفيه استقر العلم أبو شاكر بن سعيد الدولة في (١٠٦) نظر البيوت^(٥) ؛ واستقر
كريم الدين أكرم الصغير في نظر الدواوين ، شربكا لأمين الدين ، في يوم الأحد
أول ذى القعدة . وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز .

(١) في ف « شهرين » .

(٢) كذا بضبطه في ف ، وكذا في ب (١٣٦١) بغير ضبط ، وربما كان صوابه قطاره — بكسر
القاف — بمعنى متتابعة ، إذ يقال مرة قطارة جال ، أى جال متتابعة في نسق واحد . (أحمد أمين) .
(٣) في ف « وسميَها » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٦١ ب) ، والصغير عائد على الصاحب ابن
عطايا والسعيد مستوفى الرواتب .

(٤) سعد الذابح (Capricorni) اسم لكوكبين متقاربين غير نيرين ، وهما من منازل القمر في
برجى الجدى والدلو ، وقد سمي أحدهما ذابحاً لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به ، فكأنه مكب
عليه ليذبحه . أما بلغ (Aquarii) فهما نجمان نحو من سعد الذابح ، وهما من منازل القمر أيضاً ،
أحدهما خفي جدا وهو ماسمى بلغ لأنه كان يقرب صاحبه منه يكاد أن يستطره أو يبلعه . ابن منظور
(نثار الأزهار في الليل والنهار ، ص ١٣٨ ، ١٧٩) ؛ وشرح القاموس مادة سعد ، و: Samaha)

Arabic Names of Stars, pp. 6,10).

(٥) وصف القلقندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ٢٠ ، ٣١) صاحب الوظيفة — واسمها نظر
البيوت والمحاشية — بأنه كان يشارك الأستاذار في عمله ، أى أنه كان يعاونه في أمر بيوت السلطات
كلها من المطابخ والسرايخانة والمحاشية والفنان ، وغير ذلك من الاعمال المنوطة رسمياً بالأستاذار .

ومات في هذه السنة بمن له ذكر عز الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن ميسر المصري ، بدمشق في ليلة الاثنين أول رجب ؛ ومولده بمصر في حادى عشرى رمضان سنة تسع وثلاثين وستائة ؛ وكان فاضلاً جليل القدر ولى نظر الداوين بمصر ، وولى نظر الشام وطرابلس وإسكندرية ؛ ثم تغيرت حالته واحطت رتبته ، واستقر في نظر أوقاف دمشق مع الحسبة ؛ وكان عاقلاً خيراً بالولايات ، وفيه لين وسكون (١٠٦ ب) ومروءة وسماح لمن تحت يده من المباشرين . ومال صدر الدين أبو الفداء لإسماعيل بن يوسف بن أبي اليسر مكنوم بن أحمد القيسى السويدي الدمشقي ، في ليلة السبت ثالث عشرى شوال بدمشق ؛ كان فقيهاً مقرئاً محدثاً ، درّس وانفرد بالرواية عن جماعة . ومات الأمير جمال الدين أقوش الأفرم أحد عماليك المنصور قلاوون — و [كان] نائب دمشق ، في ثالث عشرى المحرم بهمذان . ومات الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفي^(١) البغدادي الحنبلي ، في رجب ببلد الخليل عليه السلام ؛ أقام بالقاهرة مدة ، وامتنح بها . ومات شمس الدين عبد القادر بن يوسف ابن مظفر الخطيرى الدمشقي ، في جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة ؛ حدث (١١٠٧) ، وولى نظر الخزانة بدمشق و [كذلك] نظر الجامع الأموى والمارستان النورى [بها] ؛ وكان ديناً صينياً . و [مات] الكاتب علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم السكندى — عرف بكاتب ابن وداعة — الأديب البارع المقرئ* . [ومات] الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكى — المعروف بابن المرحل^(٢) ، وبابن الوكيل — في يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة بالقاهرة ؛ ومولده بدمياط في شوال سنة خمس وستين وستائة ؛ واستقر بعده في تدريس الزاوية بجامع عمرو^(٣) شهاب الدين

(١) كذا في ف ، والنسبة إلى قرية طوف — أوطوا — القريبة من بغداد . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٥٤) ، حيث توجد ترجمة طويلة لهذا الشيخ الذى اتهم بالرفض في أيامه . انظر أيضاً ابن الهاد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٣٩) .
(٢) في ف « الموصلى » والصفة المثبتة هنا من ب (٣٦١ ب) . انظر أيضاً ابن العماد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٤٠ - ٤١) .

(٣) في ف « عمر » والصفة المثبتة هنا من ب (٣٦١ ب) ؛ غير أنه لا يوجد في ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١١٥ - ١٢٣) أن هذا الشيخ تولى تلك الوظيفة بمصر ، بل جاء في ترجمته الطويلة الوافية أنه تولى بها التدريس بالمشهد النفيسى وبالمدرسة الخشائية وبالناصرية الجديدة التى بين القصرين . هذا وما يوجب الالتفات بصدد هذا الشيخ أيضاً ، أنه كان ممن اتهم في دينه كالياجرقى والطوى اللذين تقدمت الإشارة إليهما هنا (ص ٤ ، ١٦٧) ، وأن آراءه في بعض المسائل كانت =

[ابن] الأنصاري ، وفي تدريس المجدية شس الدين محمد بن اللبان . وقتل بالكرك من الأمراء سيف الدين أسنمدر كرجي ، وسيف الدين ينجار^(١) المنصوري ، وبكتوت الشجاعى ، ويبرس العلمى ، ويبرس المجنون ، وقطلوبك (١٠٧ ب) الكبير ، وبكتمر الجوكندار نائب الساطنة ، وبلبان طرنا ؛ خنقوا فى ليلة واحدة . ومات بطرابلس نائبها الأمير سيف الدين كستاي الناصرى ، فى تاسع جمادى الآخرة ؛ واستقرّ عوضه الأمير شهاب الدين قرطاي الصالحى نائب حمص ؛ وولى حمص أرقطاي الجمدار . و[مات] الأمير سيف^(٢) الدين طقتمر الدمشقى طنبغا الشمسى ، أحد أمراء مصر ؛ وكان حشما عاقلا . و[مات] الصاحب ضياء الدين أبوبكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب النشأى ، وزير مصر ، فى يوم الاثنين تاسع عشرى رمضان ؛ وكان قد ولى التدريس^(٣) [بالمدرسة التى بجوار] الشافعى بالقرافة ، ومشيخة الميعاد بالجامع الطولونى ، ونظر (١٠٨) الأحباس ونظر الخزانة ؛ وكان مشكور السيرة ، فقيهاً فاضلاً إماماً فى الفرائض مشاركاً فى علم الحديث ، كثير الصدقة ؛ وقال [بعض الشعراء] يرثيه :

إن بكى الناس بالمدامع حمرا فموشىء يقال من حناء^(٤)
فاختمت الدست بالنشأى فإنى لأرى الختم دائماً بالنشأ

وكان فى وزارته غير نافذ الأمر ؛ [و] قال فيه أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى من أبيات :

مَزَّقُوا مِنْصَبَ الْوِزَارَةِ حَتَّى لَزَقَوْهَا فِى وَقْتِنَا بِالنَّشَاءِ

= مضادة لما لب لابن تيمية ، ومع هذا فقد قال فيه ابن تيمية عند سماعه بوفاته « أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين ! » . والحاصل أن هذه الشخصيات تفتىء بكثير عن الحياة العقلية فى مصر فى ذلك العصر ، ولبن شاء أن يكتب فى هذا الموضوع البكر أن يتنبه لمرأى تلك الشخصيات كل الانتباه . انظر أيضاً ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٨٠ - ٨١) ، وابن العماد (شذرات الذهب ، ٦ ، ص ٤٠ - ٤١) .

(١) فى ف « سعا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦١ ب) . انظر أيضاً ص ٦٠ ، حاشية ٤ .
(٢) فى ف « شهاب الدين » ، وما هنا من ب (١٣٦٢) . انظر أيضاً Zettersteen : Op. Cit. (P. 164)

(٣) فى ف « ولى تدريس الشافعى » ، وقد عدلت العبارة وأضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٤٤) .
(٤) فى ف « حناى » ، وفى ب (١٣٦٢) « حسناى » .

وولى بعده نظر الخزانة تقي الدين أحمد بن قاضى القضاة عز الدين عمر بن عبد الله الحنبلى . ومات تقي الدين أسعد الأحول بن أمين الملك - المعروف بكتاب برلغى - ناظر الدواوين ، فى ليلة الاثنين ثامن شهر رجب ؛ فاستقر بعده الصاحب أمين الدين (١٠٨ ب) بن الغنام ؛ والتقى هذا هو الذى كان سبب الروك ، بتحسينه عمل ذلك للسلطان ، و [هو الذى] أدخل جهات المكوس فى ديوان الوزارة وجعلها برسم المطبخ ، وفرّق جوالى الذمة فى الإقطاعات بعدما كانت قلدا مفردا ؛ فما زال (١) [رجال الدولة] بالسلطان حتى تنكر عليه وسبّه ولعنه وهدّده بالقتل ، فأثر فيه الخوف ولزم فراشه حتى مات ؛ وكان من الظلبة اللثام ، واستسليه (٢) الأمير برلغى ؛ ولم يوجد له بعد موته ، شىء سوى دواة وأثاث لم تبلغ قيمته مائتى درهم . ومات ناصر الدين أبوبكر بن عمر بن السلار (٣) - بتشديد اللام بعد السين المهملة - ، فى ليلة الثلاثاء الثانى عشر المحرم ؛ ومولده ليلة الاثنين تاسع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمئة بدمشق ؛ وكان أديبا بارعا بديع (١٠٩ ا) الكتابة ، وتفنن فى عدة فضائل ؛ وهو من بيت إمارة ، ومن شعره :

لعمرك ما مصرٌ بمصر وإنما هى الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثر
ومات الطواشى ظهير الدين مختار المنصورى - المعروف بالبليسى -
الخازندار ، بدمشق فى عاشر شعبان ؛ وكان يقرأ القرآن ، وفيه شجاعة وشهامة ؛ وفرّق ماله على عتقائه قبل موته ، ووقف أملاكه على تربته . و [مات] الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى بن الوزير ، بدمشق فى سادس عشر شعبان . و [ماتت]
المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمد ، [وتدعى (٤)] وزيرة ، ابنة عمر بن أسعد

(١) فى « فما زالوا » ، وقد عدت بالإضافة بين الحاصرين للتوضيح .

(٢) استسلم فلان لفلان انتقاد (المحيط) ، ولعل المقصود بهذا الفعل هنا أن الأمير برلغى هو الذى طلب إلى الأسعد تقي الدين أن يعتنق الإسلام ، غير أنه يوجد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن المستسلم رئيس كتاب الحسابات الخاصة بمسجد من المساجد (Le chef des câtibis ou écrivains qui règlent les comptes de la mosquée) ، فربما قصد المقرئ أن يقول تجوزا إن الأمير برلغى اتخذ تقي الدين هذا كاتبا .

(٣) هذا ضبط نهائى لا لبس فيه للفظ « سلا » ، وهواسم الأمير صاحب الحوادث الكبرى فى الأيام الأولى للسلطان الناصر محمد .

(٤) أضيف ما بين الحاصرين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٢٩) .

ابن المنجا التنوخية ، بدمشق في ثامن عشر شعبان ؛ ومولدها في سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وحدثت (١٠٩٠ ب) بصحيح البخارى في القاهرة ومصر وقلعة الجبل ، سنة خمس وسبعمائة . و [مات] القاضى فخر الدين على بن قاضى القضاة تقي الدين محمد ابن دقيق العيد ، في يوم الثلاثاء عشرى رمضان ؛ ومولده بقوص سنة تسع وخمسين وستمائة ؛ وانقطع بعد أبيه للاشغال ، ودرس بالكهارية^(١) من القاهرة . ومات الكاتب المجود نجم الدين موسى بن على بن محمد بن البصير الدمشقى ، بها في عاشر ذى القعدة ؛ وولد سنة إحدى وخمسين وستمائة ؛ وكان شيخ الكتابة بدمشق . ومات نجماد بن أحمد بن حجي أمير آل مرا ؛ وحضر^(٢) ثابت بن عساف^(٣) بن أحمد بن حجي إلى القاهرة ، واستقرّ عوضه . وقتل سيف الدين خاص بك ، في يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى ، ضربت عنقه ؛ وكان (١١٠) من فرّ إلى بلاد المغرب وقُبض عليه . ومات الشيخ نور الدين الكنانى المقرئ ، ليلة الأربعاء عشرى جمادى الأولى بروضة مصر . [مات] سراج الدين عمر الأسعدى ، في يوم الأربعاء ثالث رجب . و [مات] الطواشى شبل الدولة كافر الطبرسى — الشهير بالعاجى — يوم الخميس ثامن عشر رجب . و [مات] جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، يوم الثلاثاء رابع عشرى رجب . و [مات] شهاب الدين أحمد بن العسقلانى ، إمام جامع المنشأة^(٤) ، يوم الأربعاء سابع رجب . و [مات] شرف الدين محمد بن عبد الحميد — المتصدر بجامع عمرو — بمصر يوم الأحد تاسع عشر شعبان ؛ ومولده سنة أربع وعشرين وستمائة ، وكان معتقدا .

(١) في « الهكارية » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٦٢ ب) . انظر أيضاً المقرئى (المواقظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤١) ، حيث ورد أن هذه المدرسة السكهارية كانت بالدرب المعروف بذلك الاسم ، وأن موقع ذلك الدرب بجوار حارة الجودرية والقماجين .

(٢) في « خضر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٦٢ ب) .

(٣) كذا في ف وهو في ب (٣٦٢ ب) « غسان » .

(٤) في « المشاه » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٦٢ ب) ، إذ الواضح أن الجامع المقصود هنا جامع منشأة المهرانى الذى بناه الأمير سيف الدين بلبان المهرانى ، في عصر السلاطون الظاهرى بيبرس . (المقرئى : المواقظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، ج ٢ ، ص ٢٩٨) .

سنة سبع عشرة وسبعمائة . (١١٠ ب) أول المحرم قدم طيغنا الحموى مبشراً بسلامة الحاج ؛ ووصل القاضى كريم الدين ناظر الخصاص من القدس يوم الاثنين سادسه . وقدم الأمير سيف الدين أرغون النائب من الحجاز يوم الثلاثاء سابعه . وفيه مرضت امرأة الأمير سيف الدين طغاي ، وماتت (١) ، فأكثر زوجها من الصدقة ، وفرّق بداره التى كانت لذلك المنصور قلاون بالقاهرة مالا على الفقراء ، [و] هلك فى الزحام اثنا عشر شخصاً وبهية كانت تحت أحدهم .

وفى حادى عشرى صفر شنع الناس بموت القاضى كريم الدين ، فركب فى سادس عشرية وصعد إلى مصر ، فزُيّنت له وأوقدت الشموع .

و [فيه] قدم البريد بمحضر ثابت على قاضى بعلبك بنزول مطر فى يوم الثلاثاء سابع (١١١) صفر ببعلبك ، عَقِبَ سَبِيلَ عَظِيمٍ أَتْلَفَ شَيْئاً كَثِيراً ، وَهَدَمَ قِطْعَةً مِنَ السُّورِ ، وَغَرَّقَ الْمَدِينَةَ ، وَتْلَفَ بِهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَمَاتَ أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةٌ إِنْسَانٍ سِوَى مَنْ مَاتَ تَحْتَ الرِّدَمِ ؛ وَانْهَدَمَ مِنْهُ (٢) بَسْتَانَا ، وَثَلَاثَةُ عَشَرَ جَامِعاً وَمَدْرَسَةً وَمَسْجِداً ، وَسَبْعَةُ عَشَرَ فِرْنًا ، وَاحِدُ عَشَرَ طَاحُونًا ، وَهَدَمَ بَرْجًا مِنَ السُّورِ ارْتِفَاعُهُ ثَمَانِيَةٌ وَثَلَاثُونَ (٣) ذِرَاعًا وَدَوْرَهُ مِنْ أَسْفَلِهِ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذِرَاعًا ، كَذَهَبَ جَمِيعَهُ .

وفى ثالث عشر جمادى الأولى — وهو يوم السبت تاسع عشرى أيب — قدم المفرد إلى مصر وعلّق الستر ، فنقص النيل فى ليلة الأحد ثلاثة أصابع ؛ فخُلِّقَ المقياس يوم (١١١ ب) الأحد ، وَفُتِحَ الْخَلِيجُ مَعَ النِّقْصِ ؛ ثُمَّ رَدَّ [النيل] وَزَادَ لِصَبْمِينَ نَوْدَى بِهِمَا يَوْمَ الْارْبَعَاءِ ثَالِثَ مَسْرَى . واستمرت الزيادة ، فكان ينادى فى اليوم بتسعة أصابع وما دونها حتى بلغت الزيادة فى يوم الأحد رابع عشرى توت — وهو ثالث رجب — ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع ؛ وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور .

(١) ذكرت هذه الوفاة ضمن أخبار السنة الماضية فها سبق .

(٢) الضير عائد على المطر .

(٣) فى ف « واربين » .

(٤) فى ف « وثلاثين » .

وفي (١) بكرة يوم الخميس رابع جمادى الأولى سار السلطان ومعه خمسون أميراً، وكريم الدين الكبير ناظر الخاص، والفخر ناظر الجيش، وعلاء الدين بن الأنير كاتب السر، بعد ما فرسقى فى كل واحد فرساً مسرجاً وهجينين، وبعضهم ثلاثة هجن. وكتب [السلطان] إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة (١١٢) القدس؛ فتوجه إلى القدس، ودخل إلى الكرك، وعاد فى رابع جمادى الآخرة، فكانت غيبته أربعين يوماً.

وفى ثامن عشره قدم الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى ومعه الأمير سيف الدين بهادر آص، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، من سجن الكرك؛ فخلع [السلطان] عليهما، وأنعم على بهادر بإمرة فى دمشق؛ ولزم بيبرس داره، ثم أنعم عليه بتقديمه ألف على عادته.

و[فيه] صرف أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر الدواوين، ونزل بترتبته من القرافة؛ واستقر التساج إسحاق بن القهاط (٢) والموفق هبة الله مستوفى الأمير سلاط فى نظر الدواوين عوضه، نقلاً من استيفاء الدولة؛ واستقر كريم الدين أكبر الصغير فى نظر الكارم (٣) ودار (٤) القند فى (١١٢ ب) ثالث عشره؛ وخلص على الثلاثة فى يوم السبت خامس عشره.

(١) هذه الفقرة واردة فى ب (١٣٤) قبل الفقرة السابقة، وقد كان من الضرورى اتباع ترتيب نسخة ب بحافظة على التتابع الزمنى، لولا أنه يؤدى إلى اضطراب فى تصحيح نسخة ف التى هى أصل للنشر هنا.

(٢) كذا فى ف، وكذلك فى ب (١٣٤)، واسمه فى ابن حجر (الدور الكامنة، ج ١، ص ٣٥٣) إسحاق بن عبد الكريم القبطى.

(٣) انظر المقرئى (كتاب السلوك، ج ١، ص ٧٣٩، ٨٩٩، حاشية ١٢) لمرح لفظ الكارم؛ أما وظيفة نظر الكارم، وهى الوظيفة الثالثة عشرة فى باب الوظائف الديوانية الكبرى فى الدولة المملوكية، واسمها «نظر البهار والكارم»، فقد عرفها القلقشندى (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٢، بالآتي: «وموضوعها التحدث على واصل التجار الكارمية من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر، وهى وظيفة جليلة»، تارة تضاف إلى الوزارة وتعمل تبعاً لها، وتارة تضاف إلى الخاص وتعمل تبعاً له، وتارة تفرد عنهما تحسب ما يراه السلطان».

(٤) القند عسل قصب السكر (محيط المحيط)، وهو المعروف فى الإنجليزية بلفظ (treacle) أو (molasses)، وفى الفرنسية بلفظ (mélasse). وكان القند يرد من مصانع السكر ببلاد الصعيد مثل بلدة ملوى إلى دار خاصة به بالقسطنطين، وموقعها حسبما ورد فى ابن دقاق (الانتصار، ج ٤، ص ٦) خطة خارجة ابن حزامه الصغابى، غربى دار البركة؛ هذا وقد ذكر المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٤، ٢٠٤) أنه كان لهذه الدار مكس اسمه رسوم دار القند، وقد ألقاه صلاح الدين الأيوبي ضمن ما ألقاه من المكوس فى أوائل سلطته.

وفي رابع رجب تقطعت جسور منية الشيرج وقلوب ، وغرقت ليلة خامسه ؛ وفرّ أهلها وتلفت أموالهم وغلاهم . فركب متولى القاهرة وغلق سائر الخوانيت والأسواق ، وأخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقي من الجسور .

و [فيه] قدم الأمير محمد بن عيسى ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا ، فأنعم عليهما . وفي يوم الإثنين ثامن عشره صُرف قاضي القضاة شمس الدين الحريري الحنفى عن قضاء مصر خاصة ، واستقرَّ عوضه سراج الدين عمر بن محمود بن أبى بكر الحنفى قاضى الحسينية ؛ فجلس [سراج الدين] للحكم فى يوم الثلاثاء تاسع عشره ، ومات ليلة الثانى والعشرين (١١٣) من رمضان ، وعاد ابن الحريري إلى قضاء مصر . وكان سبب عزله أنه بالغ فى الخط على الكتاب من النصارى والمسلمة ، [وأخرق (١)] بجماعة منهم وضربهم ؛ و [كان] إذا رأى نصرا نيا راكبا أنزله وأهانته ، وإذا رأى عليه ثيابا سرية (٢) نكل به ؛ فضاق ذرعهم به ، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين الكبير . فلما أخذ السلطان دار الأمير سلار ودور أخوته وقطعة من الميدان ، وأنشأ الأمير سيف الدين بكتمر الساقى المظفرى قصرا فى موضع ذلك على بركة الفيل ، أراد [السلطان] أن يدخل فيه قطعة من أرض بركة الفيل ، وهى فى أوقاف الملك الظاهر بيبرس على أولاده ، فأراد استبدال ما يحتاج إليه منها بموضع آخر ، وأراد من ابن الحريري الحكم (١١٣ ب) بذلك كما هو مذهبه فأبى ، وجرت بينه وبين السلطان مفاوضة قال فيها : « لا سبيل إلى هذا ، ولا يجوز الاستبدال فى مذهبي » ، ونهض قائما ، وقد اشتد حنق السلطان منه . فسمى السراج عند كريم الدين الكبير فى قضاء مصر ، ووعد بأنه يحكم بذلك ، فأجيب وحكم بالاستبدال وصار ابن

(١) أنشأ ما بين الحاصرتين من ب (٣٦٤ ب) .

(٢) كذا فى ف ، وكذلك فى ب (٣١٣ ب) ، وليس بالمراجع المتداولة بهذه الحواشى ما يدل على وصف هذه الثياب ، ماعدا المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛ ج ٢ ، ص ٤٩٩) فإنه ذكر أن الثياب السرية كانت تصنع ببلدة تنيس . انظر أيضا نفس المرجع - Wiet - ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ج ٤ ، ص ٣٢٠) . غير أنه يلاحظ أن السرى بن الحكم ، والى مصر من قبل الخليفة المؤمن ، وكذلك ولديه محمد وعبيد الله من بعده ، كانوا يتمتعون أحيانا ببلدة تنيس أثناء الفتن الداخلية التى وقعت بمصر مدة ولاياتهم ، وربما لسبب تلك الثياب المصنوعة بتنيس إلى السرى بن الحكم أو أحد ولديه ، لكثرة ما أقاموا بها واعتدوا على أهلها فى أزمتهم . انظر المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٧٨ - ١٨١) .

الحريري على قضاء الخفية بالقاهرة فقط ، فرض السراج عقيبها إلى أن مات في ثالث عشرى رمضان ؛ فعُدَّ ذلك من بركة الحريري ، وأعيد إليه قضاء مصر .

وفي أواخر شعبان عدى جماعة من الططر الفرات ، وقدم دمشق في سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طايطاي في مائة فارس بنسائهم وأولادهم ، (١١٤) ودخلوا القاهرة في شوال .

وفي رمضان عادت الرسل من عند أذربك ، وهم أيدغدى الخوارزمي ومن معه ، وصحبته رسل لأذربك (١) .

وفيه قدم البريد بأنه ظهر في سابع عشر ذى القعدة رجل من أهل قرية قرطياوس (٢) من أعمال جبلة زعم أنه محمد بن [الحسن (٣)] المهدي ، وأنه بينا هو قائم بحرث إذ جاءه طائر أبيض فتقب جنبه وأخرج روحه وأدخل في جسده روح محمد بن الحسن ؛ فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية على بن أبي طالب نحو خمسة آلاف ، وأمرهم بالسجود له فسجدوا ، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات ، وصرَّح بأن لا إله إلا على ولا حجاب إلا محمد ، ورفع الرايات الحمر ، وشمعة كبيرة (١١٤ ب) تقد بالمهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه إبراهيم بن أدهم ، وأنه أحياء (٤) ، وسمى أخاه المقداد بن الأسود الكندي ، وسمى آخر جبريل ، وصار يقول له : « اطلع إليه وقل كذا وكذا » ، يشير إلى الباري سبحانه وتعالى ، وهو بزعمه على بن أبي طالب ، فيخرج المسمى جبريل ويغيب قليلا ، ثم يأتي ويقول : « افعل رأيك » . ثم [جمع هذا الدعي أصحابه و] هجم على جبلة يوم الجمعة العشرين منه ، فقتل وسبي وأعلن

(١) كانت هذه السفارة ، حسبما ذكر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٠٥) بسبب طلب السلطان الناصر إلى الملك أذربك أن يزوجه من إحدى بنات ملوك البيت الجنكزخاني ، وقد جاءت رسل أذربك تخبر بصروط الخطبة ، وهي « مائة طمان من الذهب - والطان عشرة آلاف دينار ، فيكون جملة ذلك ألف دينار - ، وألف ألف فرس ، وألف عدة كاملة للحرب ، وغير ذلك ؛ واشتروا أن تحضر لتسلمها جماعة من الأمراء ونسائهم وغير ذلك من الصروط التي لا تمكن الإجابة إليها . فنزل السلطان عن هذه الخطبة ، وعدل عنها إلى ماجرت به العادة من المكاتبات بينه وبين الملك أذربك . ثم كان من خبر لإرسال الخطوبة من غير استدعاء من السلطان » . انظر ما يلي .

(٢) كذا في ف بغير ضبط . انظر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٣ - ١١٤) ، حيث توجد قصة هذا الرجل بتفصيل ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها للتوضيح .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين مما يلي ، وهو بهذه الصيغة في ب (١٣٦٤) .

(٤) عبارة النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٤) هنا « وانه أخاه » .

بكفره ، وسبّ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . فجرد إليه نائب طرابلس [الأمير شهاب الدين قرطاي] الأمير بدر الدين يليك العثماني [المنصوري] على ألف فارس فقاتلهم إلى أن قُتل [الدعى] ؛ وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام (١) .

و [فيه] قدم كتاب المجدي إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلاحي (١١٥٠) ياذعان الملك أبي سعيد بن خربندا ، ووزيره خواخا على شاه ، والأمير جوبان ، والأمراء أكابر المغل للصالح ، ومعه هدية من جهة خواجا رشيد الدين . فجهزت إلى أبي سعيد هدية جليلة من جملتها فرس وسيف وقرقل (٢) .

و [فيه] أفرج عن الشريف منصور بن جهاز أمير المدينة النبوية ، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب ، وأعيد إلى ولايته عوضاً عن [أخيه] ودي (٣) [بن جهاز] ؛ وسار [منصور إلى المدينة] ومعه عز الدين أيمن السكوندي .

و [فيه] قدم البريد من حلب بخروج ريح في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول وقت العصر سوداء مظلمة تبادت تلك الليلة ، ومن الغد عقبها برق ورعد عظيم ومطر غزير وبرد كبير ؛ وجاء سيل لم يعهد مثله ، فأخذ كل ما مرّ به من شجر وغيره ؛ (١١٥٠ ب) وتكوّن عمود من نار متصل بالسماء اقتلع كنيسة كبيرة من عهد الروم ، ومشى بها رمية سهم ، ثم فرقها الريح حجراً حجراً .

و [فيه] قدم الخبر بعود حميضة من العراق إلى مكة ، ومعه نحو الخمسين من المغل ، فنعاه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان ، فكاتب بمنعته من ذلك ما لم يقدم إلى مصر .

(١) كان من أسباب تلك الثائرة روك نياية طرابلس ، الواقعة بها جبلة وغيرها من بلاد النصرية (انظر ما يلي لتعريف النصرية) ، إذ أعقب ذلك الروك توزيع جديد للإقطاعات ، وتعديل في الضرائب والمسكوس ، مما أدى إلى كسبر من القلق والسخط في النفوس بين الناس . وسيلحظ القارئ أن المقرئ قد أورد أخبار ذلك الروك فيما يلي هنا (ص ١٧٦) ، أي في غير ترتيبه الزمني ، كما أنه كرر خبر تلك الثائرة وشيئاً من أسبابها في ص ١٧٧ ؛ على أن المسألة كلها واردة بالنويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٠٥ ، وما بعدها) ، وهي منقولة منه في ملحق رقم ١ بآخر هذا الجزء من كتاب السلوك .

(٢) القرقل - والجمع قرقلات - نوع من الدروع المزودة (espèce de cuirasse) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وكذلك المقرئ (كتاب السلوك ، ١ ، ص ٧٤٧ ، حاشية ٤) .

(٣) ضبط هذا الاسم من القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠١) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرين للتوضيح .

و [فيه] قبض على الأمير أقبغا الحسنى ، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة ، من أجل أنه شرب الخمر ؛ ورُسِّط خازن داره ، وقُطعت ألسنة جماعة من أصحابه ، وكُحل جماعة منهم .

وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فاراً من أخيه حميضة ، وأنه ملك مكة وخطب لأبي سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار ؛ فرُسِّم بتجريد الأمير (١١٦) صارم الدين أذربك الجرمكنى ، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى ، فى ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء ، مع الركب إلى مكة .

وفيه عزل الأمير ركن الدين بيبرس أمير آخور من الحجوبية ، واستقرَّ عوضه الأمير سيف الدين ألماس ، وكان [ألماس] تركيا غتمياً لا يعرف باللسان العربى . وفيها أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدمر الدوادار ، وعلاء الدين على الساقى ، وعلاء الدين مغلطاي السنجرى ، وطغاي الطبأخى ، وشرف الدين قيران الحسامى أمير علم ، وأنعم عليهم يامريات وإقطاعات بها . وفيه قدم مندوه الكردى الفارّ من أسره بملطية بعدما أمّسن ، فأنعم عليه يامرة فى دمشق .

وفيه حاصر الأمير سنجر (١١٦ ب) الجاولى نائب غزة قلعة سلع ^(١) — ومعه نحو العشرة آلاف فارس — مدة عشرين يوماً إلى أن أخذها ، وقتل من أهلها ستين رجلاً من العرب المفسدين ، وغنم العسكر منها شيئاً كثيراً ؛ ورتب [الجاولى] بها رجلاً وعاد إلى غزة . وفى جمادى الأول استقرَّ نحر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندرى المالسكى فى قضاء المالكية بدمشق ، عوضاً عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر ^(٢) الزواوى بعد موته ، فسار [نحر الدين] إليها من القاهرة ، وقدمها فى عشره .

وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب ، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشرٍ وسبعائة الهلالي ، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة

(١) عرف ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١١٧) هذا الموضع بأنه حصن بوادى موسى عليه السلام ، قرب بيت المقدس . انظر أيضاً (Le Strange : Palest. Under Moslems P. 528).

(٢) فى ف « سويد » ، وكذلك فى ب (١٣٦) ، والرسم اثبت هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٤١٨) ، وابن العباد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٤٥) .

الجزء الثاني

١٧٧

سبع (١١١٧) عشرة . وتوفّر بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه ، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات ؛ وأبطل منها رسوم الأفراس ، ورسوم السجون^(١) ، وغير ذلك من المكوس التي كان مبلغها في كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم ؛ وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة .

وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي وحسين بن صارموا وبطرك الملكية من بلاد أذربك ، ومعهم عدة [من] رسل أذربك : وهم شرنك وبغراطاي وقرطقا وعمر القرمي ، ورسلا الأشكري صاحب قسطنطينية ، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشانوس وتادروس ، ومعهم^(٢) الهدايا : فهدية أذربك (١١٧ ب) ثلاث سنابر وستة ممالك وزردية وخوذة فولاذ وسيف ؛ فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرجي^(٣) والأمير سيف الدين يرم خجا ، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار .

وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة ، وأقام أياما وعاد . وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركاني النازل بالبركة إمرة .

وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي في كتابه السر بدمشق ، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري . واستقر الأمير سيف الدين ألباي^(٤) دوا داراً ، بعد موت بهاء الدين أرسلان .

وفيه طلق السلطان زوجته خوندأردركين^(٥) ابنة الأمير سيف الدين (١١١٨) نوكاي . وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى السلاح دار ، بعد موته . وحجّ بالركب الأمير سيف الدين قجليس ، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير حسين بن جندر وغرل سرا^(٦) الجوكندار ، وسيف الدين

(١) تقدم شرح هذه الرسوم وغيرها من أنواع المكوس ، فيما يخص مصر ، في ص ١٥٠ وما بعدها .

(٢) في ف « وم حاده » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٦٠) .

(٣) في ف « اطوحي » ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 169) .

(٤) مضبوط هكذا في ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 182) .

(٥) في ف « اردوكن » ، وفي ب (١٣٦٠) « اردوكن » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٧) ، والمقرزي (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧١٧ ، ٦١٧ ، ٩٥٢) ، حيث ورد هنا الاسم بغير واو .

(٦) في ف « عزلوا » . انظر ما سبق هنا ، ص ٦٩ .

أجلى الساق ، وسيف الدين طقصبًا الظاهري ، وشمس الدين سنقر المرزوقي ، وحجّ أيضاً الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد ، في عدّة من عرب آل ، فضل بلغت عدتهم نحو اثني عشر ألف راحلة .

وفيه تمزّقت جماعة الثائر^(١) بجبله ، وكان قد قام في النصيرية^(٢) وادعى أنه المهدي ، وأن دين النصيرية حق ، وأن الملائكة^(٣) تنصّره . فركب العسكر وقاتلوه فقتل ، ورُسّم أن يُبنى بقرى النصيرية في كل قرية مسجد ، وتُعمل (١١٨) له أرض لعمل مصالحه ، وأن يمنع النصيرية من الخطاب — وهو أن الصبي إذا بلغ الحلم عملت له ولحمه ، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبي أربعين يمينا على كتمان ما يودع من المذهب ، ثم يعلمونه^(٤) مذهبهم وهو إلهية على بن أبي طالب ، وأن الخمر حلال ، وأن تناسخ^(٥) الأرواح حق ، وأن العالم قديم ، والبعث بعد الموت باطل ، وإنكار الجنة والنار ، وأن الصلوات خمس^(٦) وهي إسماعيل وحسن وحسين . ومحسن وفاطمة ، ولا غُسُل من جنابة ، بل ذكر هذه الخمسة يغني عن الغسل وعن الوضوء ، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم في كتبهم ، وأن إلههم على بن أبي طالب خَلَقَ السموات والأرض (١١٩) ؛ وهو الربّ ؛ وأن محمداً هو الحجاب وسلمان هو الباب .

ومات في هذه السنة من له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن ابراهيم الأسدي الطيّبي^(٧) ؛ بطرابلس في سادس عشر رمضان ، عن تسع وستين سنة ؛ كان أديباً فاضلاً ؛ باشر الإنشاء مدة ، ونقل إلى طرابلس في توقيعها إلى أن مات ، ومن شعره :

هجرتُ الخمر لما صحّ عندي بأن الخمر آفة كل طاعة

(١) في « التايذ » ، وفي ب « العابر » .

(٢) النصيرية فئة من غلاة الشيعة ، وقد انتشر مذهبها في أوقات مختلفة بممالى الشام ومصر والأراضي الفراتية ، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن نصر النيرى العبدى ، وقد عرفت أيضاً باسم النيرية . (Ency Isl. Art. Nusairia)

(٣) في « الملكية » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٥) .

(٤) في « يعلموه » .

(٥) في « مانع الأدواح » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٥) .

(٦) في « الخمس » والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٥) .

(٧) بنير ضبط في ف ، ولعل النسبة إلى بلدة الطيب الواقعة بين واسط وخوزستان . ياقوت

(معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٦٦) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٣٦ ، ٣٤١ - ٣٤٤) .

ولم تر مقلتي في الخمر شيئاً سوى أن تجمع الأجاب ساعة

[ومات] الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري ؛ يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان ؛ فوجد له مال جزيل : منه أربعون حياصة ذهباً ، وأربعون كلفتاه زركش ، ومبلغ ثلاثين ألف دينار ؛ وإليه^(١) تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشأة المهراني . و [ومات] شرف الدين عبد الوهاب (١٩١ ب) بن فضل الله العمري كاتب السر ، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق ، ومولده سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، حدث عن ابن عبد السلام ، وبرع في الأدب ، وكان ديناً عاقلاً وقوراً ، ناهضاً ثقة أميناً مشكوراً ، مليح الخط جيد الإنشاء ، فولى بعده شهاب الدين أبو الشتاء محمود بن سليمان الحلبي أحد كتّاب الدرج بديار مصر ، نقل إليها من القاهرة ، فقدم دمشق ثامن عشرى شوال . و [ومات] نضر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل ، معيد^(٢) المدرسة المنصورية بين القصرين ؛ وكان فاضلاً ، حدث وروى وحصل وكتب وخرّج ؛ ومات عن اثنتين وخمسين سنة . و [ومات] علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدي ، أحد (١٢٠) أعيان كتاب الإنشاء ، يوم الخميس رابع رمضان ؛ وكان عالي الهمة صاحب مكارم ، وتمكن من الأمير سلاّر أيام نيابته ، فإنه كان موثقاً . و [ومات] زين الدين محمد بن سليمان ابن أحمد بن يوسف الصنهاجي المراكشي الإسكندرافي ، في أول يوم من ذى الحجة . و [ومات] جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الربيع سليمان بن سومر^(٣) الزواوي المالكي قاضي دمشق ، في تاسع جمادى الأولى بها ، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة ؛ وقدم الإسكندرية وهو شاب ، وتفقه بها حتى برع في مذهب مالك ؛ وأكثر من سماع الحديث ، فسمع من ابن رواج والسبسط وأبي عبد الله المريني وأبي العباس

(١) في « وانه » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٦٦) .

(٢) عرف القلقشندي (صحيح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٤) المعيد تعريفاً دقيقاً بالآتي : « وهو ثاني رتبة المدرس ... ، وأصل موضوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف ، أعاد [المعيد] للطلبة ما ألقاه ليفهموه ويحسنوه » . ويلاحظ أن وظيفة المدرس كانت أرق وظائف التعليم في مصطلح العصور الوسطى في مصر ، وشيئها وظيفة الأستاذ ذى الكرسى في المصطلح الجامعي الحديث ؛ وكان التعيين لوظيفة المدرس ومن قبل السلطان مباشرة . انظر القلقشندي (نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٣٩) . راجع أيضاً المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٠٠ ، حاشية ٣) .

(٣) في ف ، وكذلك ب (١٣٦٦) برسم « سويد » .

القرطبي وابن عبد السلام وأبي محمد بن برطلة ؛ وولى قضاء المالكية بدمشق (١٢٠ب) ثلاثين سنة ، بصرامة وقوة في الأحكام وشدة في إراقة دماء الملحدين والزنادقة والمخالفين ، إلى أن اعتلّ بالعرشة نحو عشرين سنة ؛ [وما زال بعلمته] إلى أن عجز عن الكلام ، فصُرف ومات بعد عزله بعشرين يوماً ، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام . ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجلال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن صصرى الدمشقي ، يوم الجمعة سابع ذى الحجة بمكة ، وعمره خمس وثلاثون سنة ، فدفن بالمعلاة ، وكان حسن الأخلاق . ومات بطرابلس عماد (١) الدين محمد بن صفى الدين محمد بن شرف الدين يعقوب النويرى ، صاحب ديوان طرابلس . و [مات] الأمير سيف الدين قلنسى السلاح دار . و [مات] الأمير شمس الدين الذكُور السلاح دار - صهر (١٢١ ا) علم الدين سنجر الشجاعى - ، وهو في الحبس . و [مات] الأمير سيف الدين الكُتُمر - صهر الجوكندار - بالحبس أيضاً . و [مات] الخطيب عماد الدين ابن بنت المخلص ، في حادى عشرى المحرم . و [مات] أفضى القضاة نجم الدين الحنفى المملطى ، يوم الإثنين رابع ربيع الأول . وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى ، أحمد بن محمد بن عبد الواحد ابن أبى حفص ملك تونس ، وولّى ابنه أبا عبد الله محمد المعروف بأبى صُرْبة (٢) فى آخر ربيع الآخر ؛ وكانت مدته ست سنين .

سنة ثمان عشرة وسبعائة : [فى] المحرم قدم الركب من الحجاز على العادة ، وصحبته المجردون ؛ فشكى الصارم أذربك الجرمنى من بهادر الإبراهيمى ، وأنه منعه من أخذ الشريف (١٢١ ب) حميضة ، و [أنه] تعاطى الخمور ؛ فقُض عليه وعلى رمضان المقدم وأهجبا وجماعة ، وسجنوا بالاسكندرية ؛ وأنعم على الأمير مغلطى الجمالى بنخب الإبراهيمى .

و [فيه] قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتورين ، وكثرة الوباء والموت بها ، وأن جزيرة ابن معمر تخلّت من الساكن ؛ ومياقارقين لم يوجد من يخطب بها فى جامعها .

(١) فى « علا الدين » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٦٦ ا) . انظر أيضا النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٤ ، حيث ورد أن عماد الدين هذا كان ابن خال أبى النويرى المؤرخ .
(٢) بنيد ضبط فى ف . انظر (Zambaur : Op. Cit. P. 75) .

وفي أول صفر توجه القاضي كريم الدين الكبير إلى دمشق ، فدخلها في سابعه ؛ وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة ، وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد وردّ البقية ، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا ، وعاد إلى القاهرة بعد أربعة أيام .

(١٢٣) وفي سابعه استقرّ كريم الدين أكرم الصغير في نظر الدواوين . وفي سادس عشره وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامي نائب صفد ، وأنعم عليه بتقدمة ألف في سادس عشره .

وفي سابع عشره سافر صاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظراً وسبب ذلك أنه لما طالعت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكري وحطّ على كريم الكبير ، وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها^(١) على ممالك للسلطان ليصانع بها عن نفسه . فعرفّ البوبكري السلطان عنه ما قال ، فأعلم به كريم الدين فقال : « هو ياخوند معذور ، فإنه قد بطل ، ولا بد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان » ؛ وعينه لنظر طرابلس . فبعث [السلطان] إليه في الحال (١٢٢ ب) بخلمة وبريدى ، وخرج لوقته .

وفي حادى عشره عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من شد الدواوين ، ونزل إلى داره . وفيه عوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وركب إلى القلعة ؛ وترك معلوم القضاء تنزهاً عنه ، فخلى عليه وباشر بغير معلوم .

وفي يوم الثلاثاء ثانى عشره خلع على الأمير سيف الدين طغاي الحسامي الكبير ، وسُفّر على خيل البريد لنيابة صفد عوضاً عن بكتمر الحاجب . وسبب ذلك كثرة دالّته على السلطان ، وتحكمه في الأمراء والممالك ، وقوة حرمة ، وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه . وخرج معه مغلطاى الجمالى ، فوصل صفد في تاسع عشر ربيع الأول ؛ وقدم الأمير بكتمر (١٢٣) الحاجب إلى القاهرة .

و [فيه] قدم البريد بأنه في يوم الأربعاء ثانى صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس ، ومرّت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها ، وصارت عموداً أغبر هيئة تنين متّصل بالسحاب ، ومرّت [ذلك العمود] على أبيات علاء الدين

(١) في ف « وينفقها » .

طوالى^(١) بن اليكى مقدم التركان ، وتلوّى يميناً وشمالاً ، فلم يترك هناك شيئاً حتى أهلكه ، وطوالى^(٢) يصيح : « يارب قد أخذت الرزق ، وتركت العيال بغير رزق ، فايش أطعمهم ؟ » ، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه ، وأهلكه وامرأته وأولاده وثلاثة عشر نفساً . وحملت الريح جملين حتى ارتفعا في السماء قدر عشرة أرماع ، وأتلفت القدور الحديد ؛ ومرّت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال (١٢٣ ب) حتى غابت عنهم في الجو ، ثم نزلت مقطعة . وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواقٍ دمشقية .

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمى الحلقة الشيوخ في أوقات المشورة مع الأمراء ، وسمع كلامهم^(٣) .

وفيه سأل النصارى^(٤) في رمّ جدران كنيسة بربرة بحارة الروم ، فأذن لهم السلطان في رمها . فاجتمع لهارتها جماعة كثيرة من النصارى ، وأحضر الأقباط لهم الآلات ، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين ، فجاءت كأحسن المباني . فشقّ ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين ، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش ، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير (١٢٤) وكريم الدين الصغير ، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل . فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص في الإنكار على بناء الكنيسة ، إلى أن رُسِمَ لمتولى القاهرة علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء ؛ فنزل إليها [علم الدين] ، واجتمع إليه^(٥) من الناس عدد لا يحصىه إلا الله ، وهدم ما جدد فيها ، ومضى لسبيله . فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذى هُدم محراباً ، وأذّنوا فيه أوقات الصلوات ، وصلوا وقرأوا هناك القرآن ، ولزموا الإقامة فيه . فحنق النصارى من ذلك ، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين ؛ فرفع [كريم الدين] ذلك للسلطان ، وأغراه بمن فعل ذلك ، وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم ، وشنع القول . فرسم (السلطان) للخازن بهدم المحراب (١٢٤ ب) وإعادة البناء ، وقبض أهل

(١) في ف « طراى بن البك » ، والرسم المثبت هنا من التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١١٩) .

(٢) في ف « طراى » . انظر الحاشية السابقة .

(٣) هنا إشارة عابرة لبعض ما أحدثه السلطان الناصر محمد من تعديل في نظم الحكم بمصر .

(٤) في ف « سيل السلطان في رم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٦) ، وهى أحسن .

(٥) في ف « الها » .

حارة الروم وعلمهم في الحديد ؛ فلما توجه (الخازن) لذلك اجتمع الناس وصاحوا به ، فساس الأمير وتركهم ، وأهمل ذلك الموضع حتى صار كوم تراب . وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان ، وفرق الخيول على جميع الأمراء واستجد ركوب الأوشاقية^(١) بكوافي زركش على صفة الطاسات^(٢) ، وهم [الذين عرفوا باسم] الجفتاوات^(٣) . واستجد النداء في البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحداً من ماليك السلطان في مركب يوم الميدان ، وشدّ الإنكار على الطواشي المقدم في غفلته عن المالك .

وفيه شدّ على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل ، وهم : طوغان نائب البيرة ، وعلم الدين سنجر البرواني ، ويبرس المجنون ، (١٢٥) وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم ، والحاج بيليك ، وسيف الدين طاجا ، والشيخ على مملوك سلار ، ومنع حرّيمهم من الإقامة عندهم .

وفيه خرج الأمير مغطاي الجملى على البريد إلى صفد بتقليد الأمير طغاي نيابة حلب ؛ وكتب إلى الأمير سيف الدين أرقطاي نائب حمص بديانة صفد عوضاً عن طغاي ، واستقرار الأمير بدر الدين بكنتوت القرمانى في نيابة حمص ؛ وأسر [السلطان] إلى^(٤) [الأمير مغطاي] القبض على طغاي . فتوجه [مغطاي] إلى صفد

(١) الأوشاقية - والأوجاقية أيضاً ، والمفرد أوشاق وأوجاق - فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للتسير والريضة . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤) . وقد ذكر (Quatremère : Op. Cit. I. 1 P. 180. N. 139) أن أوشاق لفظ فارسي معناه الغلام (page) . (٢) الطاسات جمع طاس وطاسة ، وقد شرح (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ بالآتي (Petite calotte qui ne couvre que le sommet de la tête) ، أى طاقية صغيرة تنطى قبة الرأس .

(٣) الجفتاوات جمع جفتاء ، وقد عرف (Dozy : Supp. Dict. Ar.) هذا اللفظ تعريفاً طويلاً ، ومنه (On donnait le nom de الجفتاء à deux pages roux, vêtus d'une robe de soie jaune, avec une bordure d'étoffe d'or, et un bonnet du même étoffe. Ils étaient montés sur des chevaux blancs, qui portaient un ornement de cou semblable à celui qui paraît le cheval du prince, et précédaient le sultan dans ses marches solennelles) أى أن لفظ الجفتاء كان يطلق على أزواج من الأوجاقية الشقر ، يلبس الواحد منهم قباء من الحرير الأصفر . بأطراف زركش وغطاء للرأس من القماش قصه ، وكانت يركبوت خيولاً بيضاء مزينة رقابها بفواشي مشابهة لفواشي فرس السلطان ، ويمشون قدام السلطان في المواكب والركبات . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 1. P. 135) انظر أيضاً القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٦) .

(٤) فى « اليه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

بعد اجتماعه بالأمير تنكر نائب الشام ، وقبض على طغاي ، وأحضر [ه] إلى قبة النصر خارج القاهرة ؛ فخرج إليه الأمير قجليس ، وصعد به إلى القلعة وهو مقيد في خامس عشر جمادى الأولى ، وأخرج به في ليلة الأربعاء تاسع عشر (١٢٥ ب) جمادى الأولى إلى الإسكندرية ، فكان آخر العهد به . وأخرج بهادر المعزى أيضاً إلى سجن الإسكندرية ؛ ووقعت الحوطة في يوم الخميس عشريه على موجوده ، وفترقت ماليكه على الأمراء . وفيه توجه الأمير قجليس إلى الشام .

وفيه ابتدئ في صفر بهدم المطبخ وهدم الخوانج خاناه والطشت خاناه والفرش خاناه وجامع القلعة ؛ وبني الجميع جامعاً ، فجاء على ماهو عليه الآن من أحسن المباني . ولما تم بناؤه ورخامه جلس فيه السلطان ، واستدعى سائر مؤذني القاهرة ومصر وقراءها وخطباءها وعرضوا عليه ، فاختر عشرين مؤذناً رتبهم فيه ، وقرر به درساً وقارئاً مصحف ، وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة .

وفيه تحدّد بدمشق ثلاثة جوامع بظاهرها : وهي (١٢٦ ا) جامع الأمير تنكر ، وجامع كريم الدين ، وجامع شمس الدين غريال بن سعد .

وفيه غرقت مركب في بحر الملح وهي متوجه إلى اليمن ، و [كان] فيها لكريم الدين متاجر بمبلغ مائة ألف دينار سوى ما لغيره ؛ فلم يسلم منها سبعة أنفس ، وغرق الجميع .

وفيه وقعت الفتنة بين المغل ، فقتل فيها نحو الثلاثين أميراً سوى الأجناد والأتباع ، وقتل من الخواتين سبع نسوة مع عالم عظيم ؛ وانتصر أبو (١) سعيد . فسر السلطان بذلك ، لما فيه من وقوع الوهن في المغل .

وفيه قبض على الأمير بدر الدين ميزامير بن الأمير نور الدين صاحب ملطية ؛ من أجل أنه كتب إلى مجو بان القائم بدولة أبي سعيد بن خربندا بالاردو أن يطلبه من السلطان ، (١٢٦ ب) وقبض أيضاً على مندوه الكردي بغزة .

(١) يعبر المقرئى هنا إلى المؤامرة التي دبرها رجال الجيش المغولي في فارس ضد جويان أمير الأمراء في بلاط أبي سعيد ، وقد هدم جويان تلك المؤامرة ورجلها بالقتل ، وكان ممن ذهبوا فيها الأميرة كجك حفيدتنا أبنا ، وقد اتخذ أبو سعيد نفسه من بعد تنبئه على تلك الفتنة اسم بهادر خان ، أي الملك الشجاع . انظر (Browne : Lit. Hist of Persia. II. pp. 52-53)

وفيه حُتِبَ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، بسبب مسألة الطلاق ؛ [وكان ذلك] بسعى قاضى القضاة شمس الدين بن الجربرى الحنفى عليه ، وإغرائه السلطان به .
وفيه أنعم على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى بإقطاع مغطاي بن أمير مجلس ، بإمرة ثمانين فارساً ؛ وتُخْلَع عليه وجلس رأس الميسرة ؛ وتُثْقَل مغطاي إلى الشام .

وفيه قدم صاحب كُحْر تَبْرِت^(١) ، فأنعم بإمرية .
وفيه استقرّ في نيابة الكرك [الأمير] عز الدين أيلك الجلالى نائب قلعة دمشق ، واستقرّ عوضه في نيابة قلعة دمشق الأمير عز الدين أيلك الدُمَيْرى^(٢) .
وفيه خرج الأمير بدر الدين محمد بن عيسى التركمانى بطائفة من العسكر بحجّ دين إلى (١٢٧) الحجاز ، في طلب الشريفين حميضة ورميثة .
وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين أقبغا الحسنى ، وأنعم عليه بإمرة في دمشق .
وفي شعبان قدم حمل سبّس على العادة . وفيه ولي قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الأختنائى ، بعد موت زين الدين على بن مخلوف في ثمانى عشر جمادى الآخرة .

[وفيه^(٣)] حجّ بالركب المصرى الأمير علاء الدين مغلطاي الجلالى ، وقبض على الشريف رميثة ، وفرّ حميضة ؛ وقدم رميثة مقيداً إلى قلعة الجبل ، فسجن بها .
وفيه قدمت^(٤) رسل ابن قرمان^(٥) بدراهم ضربت باسم السلطان ، وأنه خطب^(٦)

(١) ليس بالمراجع المتداول بهذه الحواشى ما يدل على اسم صاحب هذه المدينتى وقت ذاك ، غير أن الراجح بعد مراجعتها (Zambaur : Op. Cit. pp. 158, 228, 230) ، وكذلك (Ency. Isl. Art. Kharput) ، أن صاحبها كان من بني أرتقى أصحاب حصن كيفا ، وأنه كان زين الدين عبدالرشيد قراجا بك بن دلفارد الساسانى ، مؤسس الدولة الدلفارديّة .

(٢) مضبوط هكذا في ف .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين بياض في ف .

(٤) في ف « قدم » .

() تقدمت الإشارة إلى تأسيس دولة بنى قرمان بأسيا الصغرى في أواسط القرن السابع الهجرى (المقرئى : كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٣٠ ، حاشية ه) ، وكان ملكها هذه السنة بدر الدين محمود ابن قرمان ؛ ويلاحظ أن دولة بنى قرمان هذه كانت واحدة من كثير من الدول التى نشأت على أنقاض دولة السلاجقة الروم بأسيا الصغرى . انظر (Zambaur : Op. Cit. P. 158) ، وكذلك (Ency. Isl. Art. Karaman-Oghlu) .

(٦) في ف « خطب له » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٦٨ ب) .

هناك للسلطان ، وهي أطراف بلاد الروم ؛ فكُتبت له تقليد ، وسُيِّرت إليه هدية (١٢٧ ب) جلية .

وفيه سُخِّل أبو عبد الله محمد — المعروف بأبي ضربة — بن الأمير أبي يحيى زكريا اللحياني بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ، في آخر شهر ربيع الآخر ؛ وكانت مدته سنة واحدة . وقام بعده بتونس الأمير أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى عبد الواحد بن أبي حفص .

وفي هذه السنة انقضت دولة بني قطلمش (١) ملوك قونية . وذلك أن عز الدين كيكافوس بن كينخسرو (٢) لما مات سنة سبع وسبعين وستمائة ترك ابنه مسعوداً ، فولاه أبقا بن هولاكوسيواس وغيرها . واستبدَّ معين الدين سليمان برواناه على ركن الدين قلاج أرسلان بن كينخسرو (٣) بقيصرة ثم قتله ، ونصب ابنه غياث الدين كينخسرو (٤) ، فعزله أرغون بن أبغا ، وولى ابن عمه مسعود بن كيكافوس ؛ (١٢٨ أ) فأقام [مسعود] حتى انحلت أمره واقتقر ؛ وبقي الملك بالروم للططر إلا ملك بني أرتنا (٥) ، فإنه بقي بسيواس .

(١) يقصد المقرئ هنا دولة السلاجقة بآسيا الصغرى (دولة السلاجقة الروم) ، ومؤسسها سليمان ابن قطلمش بن أرسلان — أو إسرائيل — بن سلجوق ، سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) . وهذه الدولة هي أول ما اصطدم بالحملة الصليبية الأولى من القوى الإسلامية ، وقد نقلت عاصمتها من نيقية إلى قونية بعد أن استولى الصليبيون منها على ليقية سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) ، وظلت مع هذا تلعب دوراً هاماً في مصائر الصليبيين عامة ، بل أفادت بما كان بين الصليبيين والدولة البيزنطية من كره متبادل ، لحافظت على معظم كياناتها وقوتها حتى أواسط القرن السابع الهجري . ثم انتاب هذه الدولة خطر المغول من ناحية دولة إيلخانات فارس ، فضاغ استقلالها تدريجاً ، وتمتع سلاطينها في غالب الأحيان بما تبقى لهم من مظاهر السلطة الخافضة ، وتدخل السلطان الظاهر بيبرس في شؤونهم طمعاً في امتداد السلطة المملوكية إلى تلك البلاد ، كما ظهر بينهم أمثال الوزير معين الدين سليمان برواناه الذي استبد بأمر السلطنة والسلاطين فترة طويلة ، مما تقدم بتفصيل في الجزء الأول من السلوك . وما زالت أمور تلك الدولة على هذه الحال حتى جعلها إيلخانات فارس جزءاً من دولتهم نهائياً في أوائل القرن الثامن الهجري ، وعينوا عليها منذ سنة ٧٠٧ هـ ولاية من قبلهم ، مثل الأمير دمسدأش بن جوبات وعلاء الدين أرتنا ؛ ممن تلى أخبارهم بالمثل هنا . انظر (Howorth: Op. Cit. و، (Eucy Isl. Art. Seldjuks)، (Camb. Med. IV. pp. 304, 315) و (III. P. 429) ولقد بقي من سلاطين هذه الدولة بقايا من بعد ٧٠٧ هـ ، ومنهم مسعود بن كيكافوس الوارد بالمثل ، واسم غياث الدين مسعود الثالث ، وقد ظل على قيد الحياة حتى سنة ٧١٨ هـ . ومنهم أيضاً غازي شهابي أمير سينوب على البحر الأسود ، وقليج أرسلان بن لاطي بك الذي فر إلى مصر من قبضة العثمانيين في أواخر القرن التاسع الهجري . انظر (Zambaur: Op. Cit. pp 143-144, 153, n. 15, 148) وكذلك القرمانى (أخبار الدول ، ص ٢٩٤ — ٢٩٥) .

(٢، ٣، ٤) في ف « كينخسرو » . انظر (Zambaur: Op. Cit. p. 143, 144) .

(٥) في ف « أرتنا » ، والمقصود بذلك بيت الأمير علاء الدين أرتنا بن جعفر ، غير أن المقرئ —

ومات في هذه السنة من له ذكر جمال الدين أحمد بن جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحان^(١) البكري الوائلي الشريشي^(٢) الفقيه الشافعي ؛ قدم مصر وسمع بها وبالإسكندرية ، وبرع في الأصول والنحو ؛ وناب بدمشق في الحكم عن البدر محمد بن جماعة ، وولى وكالة بيت المال مرتين ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق ؛ وعلّق تعاليق^(٣) ، وقال الشعر ؛ ومولده في رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمائة بسنجار ؛ وتوفي بمنزلة الحسا^(٤) من طريق الحجاز عن ست وستين سنة ، في سلخ شوال . و [مات] جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة بن (١٢٨ ب) علي بن عقيل الفقيه الشافعي المعروف بابن القماح ، في سابع عشر ذي الحجة ؛ وهو عم القاضي شمس الدين محمد بن أحمد ابن القماح . و [مات] شرف الدين أبو الفتح أحمد بن أحمد بن أبي بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله السيرجي الأنصاري الدمشقي ، في سابع عشر ربيع الأول ؛ (وهو) من بيت جليل ، وولى عدة مناصب ؛ وكان ديناً صاحب مروءة وسعة ، مات يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول . و [مات] فخر الدين بن تاج الدين بن أبي الخير سلامة بن أبي العباس أحمد بن سلامة السكندري المالكي ، قاضي القضاة المالكية بدمشق ؛ وُلد سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ومات مستهل ذي الحجة ؛ وكان مشكور السيرة ، بهيماً بالعلم ماهرأ في (١٢٩ ا) الأصول حشماً و [مات] أحمد بن المغربي الإشيلي ؛ كان يهودياً يقال له سليمان . فأسلم في أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، سنة تسعين

= قد سبق الحوادث هنا كثيراً ، إذ المعروف أن هذا الأمير كان والياً من قبل إيلخانات فارس على بلاد السلاجقة الروم من سنة ٧٠٨ هـ ، وأنه استقل بإمارة سيواس وما تبعها من البلاد المجاورة سنة ٧٢٦ هـ ، وظلت سلالته تتداولها من بعده حتى أواخر القرن التاسع الهجري (Zambaur : Op. Cit. pp. 143, 155) على أن تلك الإمارة الصغيرة لم تكن كل ما تولد بأحيا الصغرى من دول على حساب السلاجقة الروم ، فقد نشأت الدولة العثمانية والدولة القرمانية وغيرها من دول مبشرة في أنحاء آسيا الصغرى ، منذ أواسط القرن السابع الهجري فصاعداً . انظر (Zambaur : Op. Cit. pp. 145, 161)

(١) في ف « سحان » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٦٨ ب) . انظر أيضاً ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٩١) .

(٢) بغير ضبط في ف ، والنسبة إلى بلدة شريش ، وهي حسبها ورد في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨٥) قاعدة كورة شذونة بالأندلس ، وتسمى أيضاً شرش .

(٣) التعاليق جمع تعليق ، والمقصود به هنا ما يوضع من الحواشي والتفسيرات على المسائل الغامضة في مختلف العلوم . (أحمد أمين) .

(٤) في ف « الحسن » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٦٩) ، وهو الصحيح .

وستمئة ، وتسمى أحمد ؛ مات في ليلة العشرين من صفر ؛ وكان بارعاً في عدة علوم ، إماماً في الفلسفة والنجامة ^(١) ، ولي رياسة الأطباء بديار مصر . و [مات] مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي المقرئ المالكي النحوي ؛ قدم في صباه إلى القاهرة ، وأخذ بها القراءات والنحو حتى برع فيهما ، وسكن دمشق وأقرباها ، واشتغل في عدة علوم من أصول وفقه وغير ذلك ، وكان ديناً صيباً مفرط الذكاء ، فيه تودد ويحب الانفراد ، وتخرج به الفضلاء ؛ مات يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة بدمشق ، عن اثنتين وستين سنة . و [مات] مسند (١٢٩ ب) الوقت زين الدين أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى الصالحى ، وسمع سنة ثلاثين وستمئة على الفخر الإربلى ، وسمع الصحيح كله على ابن الزيدى ، وسمع من الناصح ابن الحنبلى وسالم ابن مصرى وجعفر الهمذانى وجماعة ، وأضر قبل موته بثلاثة أعوام ، وثقل سمعه وكان له همة وجلادة وفهم ، وحدث وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ، ومات ليلة الجمعة تاسع عشرى رمضان ؛ ومولده في سنة خمس - أوست - وستمئة . و [مات] زين الدين أبو الحسن على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النورى (الجزولى) ^(٢) المالكي ، قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر ، في ليلة الأربعاء ثانى عشر جمادى الآخرة ، وأقام قاضياً نحواً من أربع وثلاثين سنة ؛ ومولده سنة عشرين (١٣٠) وستمئة ، وكان مشكور السيرة ، خبيراً بتدبير أموره الدنيوية ، كثير المدارة سيوساً ؛ محباً لقضاء الحوائج ، وولى بعده نائبه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عتيق

(١) في ف « النجامة » ، ولعل الصحيح ما هنا ، فيكون المقصود بذلك التنجيم .

(٢) أضيف ما بين الحاصرين من النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٠ - ١٢١) حيث وردت هذه الوفاة في شيء من التفصيل ، ومنه أن الوزارة عرضت على هذا القاضى في عهد السلطان الملك المنصور قلاوون فأبأها ، « ومنصل منها كل التنصل ، وبأخ في ردها كل المبالغة ، وانتهى حاله في التنصل منها إلى أن حضر إلى الدركاء بباب القلعة ، وخلع طيلسانه وقلع عمامته وفوقانيته ، وبقي بقبح ودلق ، وهو قائم . فقام الأمراء لقيامه ، وصاروا حوله حلقة ، وهم لا يعرفون موجب فعله لذلك . ثم جاء نائب السلطنة الأمير حسام الدين طرطاي وهو على هذه الصورة ، فتألم وسأله عن خبره ، فقال له : أنا إنما وصلت من بلدى بمثل اللبوس الذى على » ، وأنا اكتسبت بصحبتكم وخدمة السلطان زيادة على ما جئت به هذا الطيلسان وهذه الجبة والعمامة ، فإن ضمنت الى عند السلطان إعفائى من هذا الأمر الذى طلبنى بسببه ، وإبقائى على ما أنا عليه ، وإلا فلا أرجع إلى لباسى هذا أبداً ، وأرجع إلى بلدى بهذه الحالة . فبكى الأمراء وعظموه ، وألبسه نائب السلطنة قبضه ، وضمن له صرف الوزارة عنه ... »

[الأخضائي] (١). و [مات] محمد بن قاضي الجماعة أبي القاسم — وقيل أبي عمر — أحمد ابن القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن الحاج — وقيل أحمد بن محمد بن عبد الله ابن القاضي أبي جعفر بن الحاج — أبو الوليد الشَّجَبِي الأندلسي القرطبي الإشبيلي ؛ وُلد سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، ومات أبوه وجدته سنة إحدى وأربعين وستمئة ؛ وورث مالا كثيراً ، فصادره ابن الأحمر (٢) ، وأخذ منه عشرين ألف دينار ؛ ونشأ يتيمًا في حجر أمه ، ونقلته إلى شيريش (٣) ثم إلى غرناطة ، فلما شبَّ قدم تونس ، ثم رحل منها بابنية إلى القاهرة ، وسكن دمشق (١٣٠ ب) حتى مات بها في رجب ، وكان فاضلاً ديناً ، أمَّ بمحراب الجامع ، وامتنع من ولاية الحكم . ومات الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب ، بمحبسه من القلعة ، في ربيع الآخر ، وكان في ولايته مشكوراً حشماً صين اللسان . و [مات] الأمير علاء الدين أقطوان الظاهري ، بدمشق في عاشر رمضان ، وقد تجاوز الثمانين سنة . و [مات] الأمير سيف الدين طغاي ، بمحبسه بالإسكندرية أول شعبان . و [مات] الأمير شمس الدين الدكر الأشرفي ، أحد المماليك المنصورية قلاون ، بمحبسه بالقلعة . و [مات] الأمير سيف الدين منكوتر الطباخي . و [مات] أركنتمر بالجب من القلعة . وأشيع موت الأمير موسى ابن الملك الصالح علي بن قلاون بقوص . و [مات] الأمير عز الدين طقطاي نائب السكر . و [مات] ركن الدين بيبرس (١٣١) نائب عجلون .

و [فيه] قدم [الخبر بموت الوزير] رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبي الخير بن عالي الحمداني الطبيب ، في تاسع عشر رمضان . وكان قد علت منزلته عند غازان ، وقدم معه الشام ؛ وتقدم في أيام خربندا . فلما مات خربندا عزل عن وظائفه ، فصانع عن نفسه بمال كبير ، فلم يغنه شيئاً ؛ واتهم أنه قتل خربندا [بالسم] ، وشهد عليه الأطباخي ،

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢١) .

(٢) المقصود بذلك ملك غرناطة من بني نصر ، واسمه أبو الوليد إسماعيل بن فرج ، غير أن المراجع المتداول بهذه الحواشي لا تذكر سبب مصادرة هذا الملك لئلا ذلك الصبي . هذا وقد عرف بنو نصر ملوك غرناطة باسم بني الأحمر ، لئلا يظهر — إلى قلعة الحمراء التي بنى عليها ملوك بني نصر قصر الحمراء الشهير . (Ency. Isl. Arts. Nasrids, Alhambar) ، وكذلك (Zambaur : Op. Cit P. 58) ، و (Lane. Poole : Moors In Spain, P. 218) و

(٣) انظر ما سبق ، ١٨٧ ، حاشية ٢ .

[و] قُتِلَ^(١) وحمل رأسه إلى تبريز ، ثم مُتَّطَّعَتْ أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو .
و [مات] الأمير سيف الدين بهادر الشمسي ، بقلعة دمشق في ذي الحجة .
وفيه قدم من العراق محمل إلى مكة وكسوة للكعبة ، فلم يُسَكَّنُوا من الكسوة ؛
وكان القان أبو سعيد قد جهَّز الركب ، وقَدَّم عليهم رجلاً شجاعاً ، فلم يمكن العربان
أن تأخذ شيئاً (١٣١ ب) من الحجاج . فلما كان العام القابل خرجت العيون على الركب
ونهبوه ، وأخذوا من الحاج شيئاً ؛ فسأل أبو سعيد كم قدر ما أخذوا من الركب ،
ف قيل له نحو الثلاثين ألف دينار ، فرتب لهم ستين ألف دينار ، فمات من سنته .

سنة تسع عشرة وسبعمائة . [في] خامس المحرم قدم مبشر الحاج بسلامة
الحاج والقبض على الشريف رميثة بن أبي ندى ، و [أنه] استبرأ عوضه في إمرة مكة
أخوه الشريف عطيفة . وقدم الحاج مع مغلطاي الجمالي ، وصحبته الشريف رميثة ،
فسجن من سابع عشره إلى أن دخل المحمل في ثلث عشره . فشقَّ الجمالي على الناس
بكثرة عجلته في السير — وكانت العادة أولاً بقدم (١٣٢ أ) المحمل في ثامن عشر
المحرم ، ثم استقرَّ دخوله في الأيام الناصرية يوم الخامس أو^(٢) الرابع والعشرين
[منه] — ، فأنكر عاياه السلطان ما فعله ، وجهز محمد بن الرديني بماتقي جمل عليها الزاد
والماء برسم تحمُّل من انقطع من الحاج ، فسافر من يومه .

و [فيه] قدم كتاب الأمير بدر محمد بن عيسى بن التركماني من مكة بأنه منع العبيد
من حمل السلاح بمكة ، و [أنه] أخرج المفسدين ونادى بالعدل ، وأنه مقيم
لأخذ الشريف حميضة .

وفيه جهَّز الأمير أيتمش المحمدي على عسكر إلى برقة ، ومعه فايدوس سليمان أمراء العربان
لجباية زكاة الأغنام على العادة ؛ فسار في ثلاثمائة فارس من أجناد الحاققة — ومعه من

(١) في ف « قيل » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرين بعد مراجعة النويري (نهاية الأربء
ج ٣٠ ، ص ١٢٢ - ١٢٣) ، حيث وردت أخبار مقتل هذا الوزير اليهودي الأصل بتفصيل واف .
انظر أيضاً (Browne : Op. Cit III. P. 52) .
(٢) في ف يوم « الخميس الرابع والعشرين » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٧٠ أ) .

الأمراء بلبان الخاص تركي ، وبلبان الحسني ، وسنقر (١٣٢ ب) المرزوقي ، وصمغار ابن سنقر الأشقر ، ومنكلي الجمدار ، وغرثوا الجوكندار ، وناغاي — ، آخر يوم من المحرم ؛ ونزل بالإسكندرية .

ثم سار [أيتمش] يريد بلاد جعفر بن عمر من بركة ، ومساقفها من الإسكندرية على الجادة نحو شهرين . فدلّه بعض العرب على طريق مساقفها ثلاثة عشر يوماً يفضي به إلى القوم من غير أن يعلموا به ، وطلب في نظير دلالته على هذه الطريق مائة دينار وإقطاعاً من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة ؛ فعجّل^(١) له أيتمش المائة ، والنزم له بالإقطاع من السلطان ، وكتب له بعشرة أرادت قمحاً لعياله ، وأركبه ناقه ؛ وكتب ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان ، وسار بمسيره . فأنكر سليمان وفايد على أيتمش مسيره في (١٣٣ أ) غير الجادة . وخوفوه العطش وهلاك العسكر ، فلم يعبأ بكلامهما ؛ ففضيا إلى الأمراء وشنعا القول وأكثرا^(٢) من الإرجاف ، فاجتمعوا بأيتمش ليردّوه إلى الجادة فلم يفعل ومضى ، فلم يجدوا بدا من اتباعه حتى [إذا] مضت ثلاث عشرة ليلة أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه ؛ فدهشوا لرؤية العسكر . وأرسل إليهم أيتمش بسليمان^(٣) وفايد يدعوهم إلى الطاعة ، فأجابوا مع رسولهم : « لانا على الطاعة ! ولكن ما سبب قدوم هذا العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم ؟ » . فقال لهم أيتمش : « حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان » ، وأعادهم . وتقدم [أيتمش] إلى جميع من معه ألا ينزل أحد عن فرسه طول ليلته ، فباتوا على ظهور الخيل .

فلما كان الصباح حضر أخو (١٣٣ ب) جعفر ليسمع المرسوم ؛ فنهزه [أيتمش] وقال له ولئن معه : « ارجعوا إلى جعفر فإن كان طائعاً فليحضر ؛ وإلا فليعرفني ! » ، وبعث معه ثلاثة من مقدمي الحلقة ؛ فامتنع جعفر من الحضور . فلما حال لبس العسكر السلاح وترتب ، وأفرد سليمان وفايد بمن معهما من العسكر ناحية ؛ واستعدّ جعفر أيضاً وجمع قومه وحمل بهم على العسكر . فرمواهم بالشباب فلم يبالوا به ، ودقوا العسكر برماحهم ، [و] صرعوا

(١) في ف « فجعل » ، والرسم المتيقن هنا من ب (١٣٧٠) .

(٢) في ف « اكثروا » .

(٣) في ف « بسليم » ، انظر ما سبق بهذه الصفحة .

الأمير شجاع الدين غرلوا الجوكندار بعد ما جرحوه ثلاث جراحات ، فتداركه أصحابه وأركبوه . وحملوا على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة آخرها انهزم العرب^(١) إلى بيوتهم ، فقاتلهم العسكر عند البيوت ساعة وهزموهم إليها ، - وكانت [تلك البيوت] في غابة قصب . فكشف العسكر (١٣٤) عن الدخول إليهم ، ومنعهم أيتمش عن التعرض إلى البيوت وحماتها ؛ وأباح لهم ما عداها ؛ فامتدت الأيدي ؛ وأخذت من الجمال والأغنام ما لا ينحصر عدده . وبات العسكر محترسين ، وقد أسروا نحو الستائة رجل سوى من قُتل .

فلما أصبح [الصبح] مَنْ [أيتمش] على الأسرى وأطلقهم ، وتفقد العسكر فوجد فيه اثني عشر جريحاً ، ولم يقتل غير جندي واحد ؛ فرحل عائداً عن البيوت بأنعام تسدّ الفضاء ، وأبيع معهم فيما بينهم الرأس الغنم بدرهم ، والجل ما بين عشرين إلى ثلاثين درهماً ، وسار [أيتمش] ستة أيام في الطريق التي سلكها والعسكر بالسلاح ، خشية من عود العرب إليهم .

وبعث [أيتمش] بالبشارة إلى السلطان ، فبعث الأمير سيف الدين ألقاى الساق لتلقى العسكر بالإسكندرية (١٣٤ ب) وإخراج الخُمس مما معهم للسلطان ، وتفرقة ما بقى فيهم ؛ فخصّ الجندي ما بين أربعة (٢) جمال وخمسة ، ومن الغنم ما بين العشرين إلى الثلاثين . وحضروا إلى القاهرة ، فخلع السلطان على أيتمش ؛ وبعد حضورهم بأسبوع قدم جعفر بن عمر [إلى القاهرة] ، ونزل عند الأمير بكتمر الساق مستجيراً ، فأكرمه ودخل به على السلطان ؛ فاعترف بالخطأ ، وسأل العفو ، وأن يُقرّر عليه ما يقوم به ؛ فقبل السلطان قوله وعفا عنه ، وخلع عليه ومضى ؛ وصار يحمل القود في كل سنة .

وفي ليلة أول المحرم هبّت ريح بدمشق شديدة رمت عدة منازل وخرجت كثيراً من البيوت ، فهلك تحت الددم خلق كثير ، وقُلت أشجار كثيرة ، من أصولها . ثم سكنت [الريح] ، ثم ثارت ليلة التاسع عشر (١٣٥) منه ، ولم تبلغ شدة الاري .

وفي صفر استقرّ الأمير سيف الدين بهادر البدرى نائب السلطنة بخصص ، عوضاً عن بدر الدين بكتوت القرمانى ؛ فتوجه إليها في رابع ربيع الأول ؛ واستقرّ القرمانى من جملة

(١) في ف « العكر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٧٠ ب) .

(٢) في ف « اربع » .

أمراء دمشق . واستقرّ شرف الدين محمد بن معين الدين أبي بكر ظافر بن عبد الوهاب الهمداني المالكي بن خطيب الفيوم في قضاء المالكية بدمشق ، عوضاً عن فخر الدين أحمد بن سلامة ، في تاسع عشر ربيع الأول . واستقرّ تاج الدين أحمد بن القلاسي في وكالة بيت المال بدمشق ؛ وكُتِبَ بمنع ابن تيمية من الفتوى بالكفارة في اليمين بالطلاق .

وفيه قلّ المطر ببلاد الشام حتى أيس الناس ، واستسقوا بدمشق فسُقُوا ، ومرّ (١) بدمشق سيل (١٣٥ ب) عظيم قلّ ما عهد مثله .

و [فيه] استجدّ السلطان القيام فوق الكرسي للأمين (٢) جمال الدين آقوش نائب الكرك [وسيف الدين (٣) بكنمر البوبكري السلاح دار ، إذا دخلا عليه . وكان نائب الكرك] يتقدّم على البوبكري عند تقبيل يد السلطان ، فعتب الأمراء على البوبكري . وسئل السلطان عن تقديمه نائب الكرك وتأخير البوبكري ، فإن العادة جرت أن يتأخر الكبير في تقبيل اليد ويتقدّم الصغير (٤) قبله ، فقال لأنه أكبر . فكشف عن ذلك ، فوجد [أن] نائب الكرك قد (٥) أمره الملك المنصور قلاوون لمرّة عشرة ، وجعله أستاذ دار ابنه الملك الأشرف في سنة خمس وثمانين وستمائة ؛ ووجد [أن] البوبكري تأمر بعد ممسك سنقر الطويل ، عند ما مُطْلَب من ممالك البرج هو والخطيري وسنجر الجندار وطشتمر الجندار ، في سنة تسعين وستمائة .

(١٣٦) وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر قدم شمس الدين غريبال على البريد من دمشق باستدعاء ، وخُلِعَ عليه بنظر الشام .

وفي يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر فرّ الشريف رميثة آخر النهار ، فبعث

(١) في ف « مد » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٧١) .

(٢) في ف ، وكذلك في ب (١٣٧١) « للامير بن جمال الدين ... »

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٧١) . والجديد فيما أحدثه السلطان هنا ، كما يفهم من المتن ، أنه كان يقوم لهذين الأمينين إذا دخلا عليه ؛ غير أنه ليس من المفهوم إذا كان ذلك لمقامهما الشخصي عنده ، أو أن السلطان كان يقوم لبعض الأمراء فقط ، وأنه قد استجد القيام لنائب الكرك والسلاح دار .

(٤) هنا إشارة إلى بعض دقائق الخدمة السلطانية (court levee) في العهد المملوكي .

(٥) في ف « فوجد نائب الكرك تآمر في أيام الملك المنصور قلاوون » ، وقد عدلت إلى الصيغة

(١٤ - ١)

الواردة هنا لتستقيم مع بقية العبارة .

السلطان في طلبه الأمير قطلوبغا المغربي^(١) والأمير أقبا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية ، في ليلة الخميس سابع عشره ، فقبض عليه بمنزلة حَقْل (٢) في يوم الاثنين حادى عشره ، وقَدِم في خامس عشره ، فسجن في الجب من القلعة .

وفي يوم الخميس سابع عشرى رجب قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركانى من مكة بكتاب الشريف عطيفة ، [وأخبر] بأن^(٣) القواد فى طاعته ، وأن حميضة نزح إلى اليمن ، و [ذلك بعد أن] فارقه بنو شعبة وغيرهم .

و [فيه] قدم الخبر بإفساد العرب بشجر عيذاب (١٣٦ ب) وقتلهم الشاد المقيم بها . فجرد إليهم السلطان من الأمراء الآقوش [المنصورى (٤) — وهو المقدم] ، ومحمد بن الشمسى ، وعلى بن قراسنقر ، وطقصبای الحسامى ، ويبرس الكرىمى ، وآقوش العتريس ؛ وأنعم على^(٥) آقوش المنصورى بإمرة طيلخاناه ، وأقطع نغر أسوان لقيم بعذاب .

وفي جمادى الآخرة قدم سليمان بن مهنا طائفاً ، بعد دخوله إلى الأردو [ملتجئاً إلى (٦) المغل] ؛ فأكرمه السلطان ، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم من دمشق ، وأعطاه قاشاً بثلاثين ألف درهم ، وعاد .

و [فيه] استقر فى نقابة الجيوش أحمد بن آقوش العزيزى المهمندار ، بعد وفاة الأمير طبرس الخزندارى .

و [فيه] قدم كتاب أبى يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى الزاهد بن عبد الواحد بن أبى حفص المعروف باللاحيانى ، يسأل الإسماعيل (١٣٧ أ) بتجريد طائفة من العسكر إليه ليحضر معهم إلى مصر . فخرج إليه الأمير طقصبای الحسامى والأمير بدر الدين بليك المحسنى فى طائفة من الأجناد ، وأحضراه بحرمه .

(١) فى ف « العزى » ، انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 169, etc) .

(٢) تقع هذه المنزلة ، حسبما جاء فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٩) ، والنورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٤) ، على مسافة ستة عشر ميلاً جنوبى أيلة ، فى الطريق إلى الحجاز .

(٣) فى ف « ان » .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. P. 169) .

(٥) فى ف « عليه » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم المرجح هنا للتوضيح .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٧١ ب) .

وفيه أنزلت خوند أردوكين بنت^(١) نوكاى من الالعة إلى القاهرة ، بعدما أخذ [السلطان] منها كثيراً من الجواهر ، ورتب لها عدة رواتب .

وفيه عمل إبرنجى^(٢) خال القان أبى سعيد على قتل جوبان ، وواعد قرمشى [ودقاق] وغيرهما^(٣) من المقدمين على ذلك . فنقل الخبر لجوبان^(٤) ، فقرّ ونهبت أثقاله ، وقتل له نحو ثلاثمائة رجل . ولحق جوبان بتبريز ، وقدم ومعه على^(٥) شاه إلى بوسعيد^(٦) ، فقبلاً بما جرى عليه . وجهاز له [بوسعيد] عسكرياً وركب معه حتى لقوا إبرنجى ومن معه ، فقاتلوه وأخذوا إبرنجى وقرمشى ودقاق (١٢٧ ب) ، فقتلوا وأمسك أمراؤهم . وتمكن جوبان من أعدائه ، وقتل خلائق من المغل ، واتهم القان بوسعيد بأنه كان أمر إبرنجى بقتل جوبان لسكرته تحكمه عليه .

وفيه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج ، وتقدّم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم كسوة الكعبة . فطلب كريم الدين أكرم الصغير وغيره من المباشرين ، وأمرهم بتجهيز الإقامات والمطويات والحوامج خاناه ؛ وكتب لنائب الشام ونائب غزة بتجهيز ما يحتاج إليه . فتواتت أقدم الأمراء والنواب من سائر البلاد الشامية : وكانت أول مقدمة وصلت

(١) انظر ما سبق ، ص ١٧٧ ، سطر ١٦ .

(٢) بغير نقط في ف ، وسيصح الناشر هذا الاسم بهذه الصيغة فيما يلى بغير تعليق ، انظر النوبرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٥ ، وما بعدها) ، حيث وردت أخبار هذا الأمير بتفصيل . راجع أيضاً (Howarth : Op. Cit. III. pp. 471, 587, 593, etc) ، حيث ورد هذا الاسم بصيغتي (Irenchin) و (Ibrinjin) .

(٣) في ف « وغيره » ، وقد عدلت بضمير المتنى ، وأضيف اسم الأمير دقاق من النوبرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ٣٠ ، ص ١٢٥) لتستقيم العبارة مع ما يابها بالمتن .

(٤) في ف « فنقل له الخبر » ، وقد عدلت الجملة إلى ما بالمتن للتوضيح .

(٥) كانت على شاه المذكور هنا قد انقرد بمنصب الوزارة بعد مقتل الوزير رشيد الدولة . انظر (Browne : Op. Cit. III. PP. 51-52) ، وكذلك ما سبق ص ١٨٩ .

(٦) كذا في ف ، والمقصود به أبو سعيد إيلخان فارس ، وسيحافظ الناشر على هذا الرسم حيثما يرد بهذه الصيغة ، باعتباره تسمية اصطلاح عليها المعاصرون لهذا الملك ، فقد ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٠١) نقلاً عن الصفدى ما نصه : « الناس يقولون أبو سعيد بلفظ الكنية ، لكن الذى ظهر لى أنه علم ليس فى أوله ألف ، فإنى رأيت كذا في المكاتبات التى كانت ترد منه إلى الناصر ، هكذا بوسعيد ... » .

من الأمير تنكز نائب الشام ، وفيها الخيل والهجن بأكوار^(١) ذهب ، وسلاسل ذهب وفضة ، ومقاود (١٣٨ ا) حرير ؛ ثم مقدمة الملك المؤيد صاحب حماة . وتولى كريم الدين بنفسه تجهيز ما يحتاج إليه ، وعمل عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاخ ويطبخ فيها ؛ وأحضرت الخولة لعمل مياقل^(٢) ورياحين في أحواض من خشب تحمل على الجمال ، فتصير مزروعة وتسقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة إليه ، فيها من البقل والكرات والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شيء كثير ؛ ورتب لها الخولة لتعهدها^(٣) ؛ وجُهِّزت الأفران وصُنِّع الكعك^(٤) والجبن المقل وغيره . ودَفَعَ [كريم الدين] إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقساط ، وجُهِّز في بحر الملح مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدة ، وكتب أوراق العليق للسلطان والأمراء وعدتهم اثنان وخمسون أميراً ، لكل أمير (١٣٨ ب) ما بين مائة عليقة في كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة ، فكانت جملة العليق في مدة الغيبة مائة ألف وثلاثين ألف أردب من الشعير . وتُحْمَل من دمشق خمسمائة حمل على الجمال ، ما بين حلوى وسُكَّر دانات^(٥) وفواكه ، ومائة وثمانون حمل حب رمان ولوز وما يحتاج إليه من أصناف المطبخ . وجُهِّز كريم الدين من الأوز ألف طائر ، ومن الدجاج ثلاثة آلاف طائر .

وعين السلطان^(٦) الأمير أرغون النائب بديار مصر [للإقامة بقلعة الجبل] ، ومعه الأمير أيتمش وغيره ؛ [ورسم لمن تأخر من الأمراء أن يتوجهوا إلى نواحي

(١) الأكوار جمع كور ، وهو الرجل يوضع على ظهر الخيل أو الإبل . (المحيط) .

(٢) المياقل جمع مبقلة ، وهي هنا أنواع البقول . انظر محيط المحيط ، وكذلك (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

Dict. Ar.)

(٣) في ف « لتعاهدنا » .

(٤) الكعك جمع كعكة ، وهي كلمة فارسية الأصل ، ومعناها الخبز الشديد البياض ، أو — على حد قول محيط المحيط الفطير من الخبز ، يعجن بغير خميرة ويخبز على الرماد - (nee espèce de pain très blanc, sans levain, ou cuit dans les cendres) انظر (Dozy: Supp. dict. Ar.)

(٥) السكر دانات جمع سكر دان ، وهي حسبما شرح (Dozy: Supp. dict. Ar.) لفظ فارسي مركب ، ومعناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى المحفوظة ، أو هو الوعاء عامة .

(٦) في ف « عين السلطان بإقامة الأمير أرغون النائب بديار مصر » ، وقد عدلت الجملة ، وأضيف ما بين الحاصرتين هنا وبسائر هذه الفقرة من النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٧ - ١٢٨) .

إقطاعهم فيكون كل منهم يبلاد لإقطاعه إلى حين عود السلطان ، ولا يجتمع أمير بأمير في غيبته ؛ وكتب إلى النواب بالشام أن يستقر كل نائب بمقر مملكته ، ولا يتوجه إلى صيد إلى حين عوده ؛ فامتثلت أوامره .

و [فيه] قدم الملك المؤيد من حماة .

فتوجه المحمل على العادة في يوم الأحد ثامن عشر شوال ، مع الأمير سيف الدين طرجي^(١) أمير مجلس . وركب السلطان من القلعة في أول ذى القعدة ، وسار (١١٣٩) من بركة الحاج في سادسه ، ومعه صاحب حماة والأمراء وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأهل الدولة .

وقدم [السلطان] مكة بتواضع وذلة ، بحيث قال للأمير بدر الدين جنكلى بن البابا : « لازلت أعظم نفسى إلى أن رأيت الكعبة ، وذكرت بؤس الناس الأرضى لى ، فدخلت في قلبى مهابة عظيمة ما زالت حتى سجدت لله تعالى . » وحسن له بدر الدين محمد بن جماعة أن يطوف راكباً ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ومن أنا حتى أنشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟ والله لا طفت إلا كما يطوف الناس . » ومنع [السلطان] الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه ، وصاروا يزاحمون وهو يزاحمهم كواحد من الناس ، في مدة طوافه وفي تقييله الحجر . وبلغه أن جماعة (١٣٩ ب) من المغل بمن حج قد اختفى خوفاً منه ، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ في إكرامهم . وغسل الكعبة بيده ، وأخذ أزر لإحرام الحجاج وغسلها لهم بنفسه . وأبطل سائر المكوس من الحرمين ، وعوض أميرى مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام . وأحسن إلى أهل الحرمين ، وأكثر من الصدقات .

وفي يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة ظهر بعد الظهر القمر في السماء مقارناً لكوكبٍ ، وأقاما ظاهرين إلى بعد العصر .

(١) فى ف ، وفى ب (١٣٧٢) « طرشى » ، والرسم المتبث هنا من (Zetterstéen : Op. Cilt. p. 169) ، واسم هذا الأمير أيضاً بنفس المرجع « اطرعى » .

وفيه مهّد السلطان ما كان في عقبة أيلة من الصخور، ووسّع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة .

وفيه اتفقت موعظة : وهي أن السلطان بالغ في تواضعه بمكة ، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين الكبير إلى أعلا (١٤٠) السكبة بعدما صلّى بجوفها ، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين ؛ فأنكر الناس استعلاءه على الطائفين ، فبعث الله عليه نعاساً سقط منه على أم رأسه من علو البيت ، فلو لم يتداركوه من تحتة لهلك . وصرخ الناس في الطواف تعجباً من ظهور قدرة الله في إذلال المتكبرين ، وانقطع ظفر كريم الدين ، وعلم بذنبه فتصدّق بمال جزيل . وفي هذه السنة حشد الفرنج ، وأقبلوا يريدون استئصال^(١) المسلمين من الأندلس في عدد لا يحصى^(٢) ، فيه خمسة وعشرون^(٣) ملكاً ، فعلق المسلمون

(١) في ف « استيعال » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٧٢ ب) .

(٢) يشير القرطبي هنا إلى حلقة متأخرة من حلقات النضال المتواصل بين القوى الإسلامية والمسيحية بإسبانيا ، حيث كانت زعيمة الدول المسيحية وقت ذلك مملكة قشتالة (Castile) ، وملكها ألفونسو الحادى عشر (Alphonso xi 1312-1344 A. D) أما القوى الإسلامية فكانت قاصرة على مملكة غرناطة في أقصى الجنوب الشرق من شبه الجزيرة ، وسلطانها يومئذ الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل ابن فرج بن نصر (٧١٣ - ٧٢٥ هـ ، ١٣١٤ - ١٣٢٥ م) ، وهو خامس سلاطين بني الأحمر . انظر ماسبق ، ص ١٨٩ ، حاشية ٢ ، و (Camb Med. Hist. VII P 574) ، وكذلك (Lane - Poole : Moors in Spain , P. 217) و (Zambaur : Op. Cit. pp. 58-59) وقد استطاعت دولة بني الأحمر هذه أن تقاوم مملكتي قشتالة وأراجونة مدة طويلة ، بل أمكنهم أن تلحق بجيوشهم الهزائم أحياناً كما بالمتن هنا ، وذلك لأسباب منها ما كانت تضطرم به هاتان المملكتان من قنن داخلية كثيرة ، ولأن مملكة غرناطة قد جمعت في إقليمها الصغير جميع العناصر الإسلامية التي أخرجت من ديارها الإسبانية ، ولأنها كانت تجد من بني مرين مجراً كش منجداً ومغيثاً في كثير من حروبها الدفاعية ضد الدول المسيحية . (Camb. Med. Hist. VII P. 567 et seq.) غير أن السلطان الغالب بالله لم يجد من أبي سعيد عثمان بن يعقوب ملك بني مرين نجدة أو مساعدة تلك السنة ، كما بالمتن ، على أنه تعمّش عن ذلك بما قام به أمير جيشه شيخ الفزاة أبو سعيد عثمان بن أبي الملاء المريني من أعمال حربية جريئة . انظر (Ency. Isl. Art. Nasrids) ، وكذلك التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٣٠ - ١٣٤) ، حيث وردت أخبار هذه الحرب بتفصيل واف ، ومنه أتت الجيوش المسيحية وصلت إلى قرب غرناطة وهددتها . انظر ملحق رقم ٢ بآخر هذا الجزء .

(٣) ذكر التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٣١) بعض أولئك « الملوك » ، ونصه : « وقدموا في جيوش عظيمة اشتملت على خمسة وعشرين ملكاً ، منهم ملك اشقونة (كذا ولعلها أشبونة Lisbon) ، وقشتالة (Castile) ، والفراتير (كذا ولعلها ألبيرة Elvira) ، وأراغون (Aragon) وطلبيّة (Talavera) ، ووصلت إليهم الأتھال والمجانيق وآلات الحصار » ،

بغر ناطة ، واستنجوا بالمريني ملك فارس^(١) فلم ينجدهم ، فلجسوا إلى الله وحاربهم وهم نحو ألف وخمسمائة فارس وأربعة آلاف رجل ، فقتلوا الفرنج بأجمعهم . وأقل ما قيل (١٤٠ ب) لأنه قتل منهم خمسون ألفاً ، وأكثر ما قيل ثمانون ألفاً ؛ ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ؛ وغنم المسلمون ما لا يدخل تحت حصر ، وسُلب الملكُ دون بتر^(٢) وحُشي قطعاً ، وعُلّق على باب غر ناطة^(٣) ؛ فطلب الفرنج الهدنة فعمدت ، وبقي دون بتر معلقاً عدة سنين .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير سيف الدين كراي المنصوري ، في سادس عشر المحرم بسجن القلعة ؛ وكان مقدماً قليل السياسة . ومات الأمير شجاع الدين أغرلوا العادلي ، أحد ممالك المادل كتيغا ، بدمشق سلخ جمادى الأولى ؛ وكان شجاعاً كريماً . و [مات] الأمير علاء الدين طيرس الخرننداري ، نقيب الجيش [و] أحد أمراء الطيلخانا ، في عشرين ربيع الآخر ؛ ودفن بمدرسته (١٤١) المجاورة للجامع الأزهر ؛ و [كان قد] أقام في نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة ، لم يقبل فيها لأحد هدية ؛ وكان ديناً صاحب مال كبير ، وهو أول من عمّر في أرض مصر بستان الخشاب [و] الجامع والخانكاه على النيل ، وبني المدرسة المجاورة للجامع الأزهر ، وعمل لذلك أوقافاً كثيرة ، ولما كملت وجاءه مباشرة بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء ، وقال : « شئ خرجنا عنه لله لانشاسب عليه . » ومات الأمير ملكشمر السلجوقي الجمدار ، فجاء . ومات الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي^(٤) ، ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة ؛ ومولده في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ؛ وكان معتقداً عارفاً بالقراآت ، محدثاً فقيهاً حنفياً ؛ [و] أقام عدة سنين لا يأكل اللحم ؛ (١٤١ ب) وحل له حظ وافر في الدولة المظفرية ببيرس .

(١) في ف « فارس » .

(٢) كذا في ف ، وهو في ب (١٧٣) « دون بطرق » . والمقصود بذلك (Don pedro) أحد أوصياء ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة ، وقد قتل معه وصي ثان اسمه دون جوان (Don juan) . انظر (Ency Isl. Art. Nasrids) هذا وقد ذكر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٣١) أن الوقعة النهائية في تلك الحرب كانت يوم عيد ، وهو عيد القديس حنا (Sit John's Day, 1319A.D.) انظر أيضاً (Yonge : Christians And Moors Of Spain, p. 215) .

(٣) في ف « قرناطة » وما هنا من ب (١٣٣) .

(٤) في ف « المنبجي » والرسم المثبت هنا من ابن الهاد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٢) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٩٢) .

[مات] القاضي فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله الأنصاري الشافعي - معروف بابن بلت أبي سعد - ، في ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ؛ ومولده في حادى عشرى رجب سنة تسع وعشرين وستمئة بداريا ظاهر دمشق ؛ واستقرّ عوضه في تدريس الجامع الطولوني عز الدين [عبد العزيز^(١)] بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة . ومات الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى ، بالقاهرة في ثانى ذى القعدة ؛ وقد حضر من دمشق في طلب إمرة ، فأُنعم عليه بإمره (١١٤٢) طلبخانا بدمشق ، فمات قبل عوده إليها ؛ ومولده بدمشق فى سنة خمس وخمسين وستمئة . ومات بدمشق شهاب الدين أحمد ابن صلاح الدين محمد بن الملك الأجد مجد الدين حسن بن الناصر دواد بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، في رجب يوم الاثنين لست بقين منه . ومات الصدر بدر الدين محمد بن ناصر الدين منصور بن الجوهري الحلبى ، بدمشق فى سادس عشر جمادى الآخرة ؛ ومولده بحلب فى ثالث عشر صفر سنة اثنين وخمسين وستمئة ؛ وكان من رؤساء الدولة العادلية كتبغا ، وعُرضت عليه وزارة دمشق فأبى .

* * *

سنة عشرين وسبعمائة . [فيها] عاد السلطان من الحجاز بعدما مرّ بخليص^(٢) ، وقد (١٤٢) جرى المائى إليها . وكان قد ذُكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خُليص ، ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردّها الحاج ، وقد انقطع ذلك منذ سنين ، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص ؛ ففرّسهم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة ، وجعلها مقررة فى كل سنة لصاحب خليص . فأجرى

(١) ليس لما بين الحاصرين وجود فى ف ، ولكنه فى ب (١٣٧٣) . انظر أيضاً ابن حجر

(الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٧٩) .

(٢) بنير ضبط فى ف ، وهو حسبما ورد فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦٧) حصن بين

مكة والمدينة .

صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها^(١) ، واستمرّ حمل المال إليه في كل سنة ، ووجد الماء في البركة دائماً .

ولقي السلطان في هذه السفرة جميع العربان : من بني مهدي وأمرائها ، وشطلى وأخيه عساف وأولاده ، وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم ، وأشرف المدينة (١١٤٣) والينبع وخليص ، وبني لام وعربان حوران ، وأولاد مهنا موسى وسليمان وفياض ، وأحمد وجبار ، بعربهم ؛ ولم يتفق اجتماع هؤلاء الملك قبله . وأكثروا من الدالة على السلطان ، وجروا على عوائدكم العربية^(٢) من غير مراعاة الآداب^(٣) الملوكية وهو يحتملهم ، بحيث أن موسى بن مهنا كان له ولد صغير ، فقام في بعض الأيام ومدّ يده إلى الحية^(٤) السلطان وقال له : « يا أبا على ! بحياة هذي ! » ، ومسك منها شعرات ، « إلا ما أعطيتني الضيعة الفلانية إنعاماً على ؟ » . فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال له : « شلّ يدك ! قطع الله يدك ! والكَ ! تمدّ يدك إلى السلطان ؟ » ؛ فتبسم له السلطان وقال : « يا قاضي ! هذه عادة العرب ، إذا قصدوا (١٤٣ ب) كبيراً في شيء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته ، يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشيء ، فهو سنة عندهم . فغضب الفخر ، وقام وهو يقول : « والله إن هؤلاء مناحيس ، وسئلتهم أنحس » .

وفيهما قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب مبشراً إلى القاهرة ، ومعه الأمير قطلوبغا المغربي^(٥) . وقدم الأمير بدر الدين بدرجك^(٦) إلى دمشق مبشراً .

وقدم السلطان في يوم السبت ثاني عشر المحرم ، فخرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحاج ، وركب بعد انقضاء أمر السباط في موكب جليل ، وقد خرج سائر الناس لرؤيته ، وسار إلى القلعة ، فكان يوماً مشهوداً ، ودُيئت القاهرة ومصر زينة عظيمة . وفي يوم [١٤٤ أ] الخميس خامس عشره جلس [السلطان] ، وخلع على سائر الأمراء

(١) في « فاجري الماقبل وصول السلطان إلى خليص » ، وقد عدلت لتستقيم الجملة مع بقية العبارة .

(٢) في « الفرية » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٧٣ ب) . انظر ما يلي .

(٣) في « الادب » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٧٣ ب) .

(٤) يلاحظ من هذه العبارة أنه كان للسلطان الناصر حلية .

(٥) في « المعزى » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، حاشية ١ .

(٦) كذا في ف . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٧٢) .

والقضاة وأرباب الدولة ، وعلى الأمير شطى [بن عيبة ^(١)] وحسن بن دُرَيْبِي ؛ وألبس كريم الدين الكبير أطلسين ، ولم يتفق ذلك لمتمعن قبله .

و [فيه] بعث [السلطان] بالجمال والزاد لتلقى المنقطعين من الحاج ، فتواصلَ قدوم الحاج إلى أن وصل المحمل يوم الأحد سابع عشره ، وصحبته قاضي القضاة بدر الدين وغيره ؛ فاتفق فيه مطر عظيم قلَّ ما عهد مثله بمصر . وكانت الأسعار قد تزايدت ، فأنحطَّت منذ قدم السلطان .

وفيه خلع على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، وركب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين ، وحمل وراه الأمير قنجلين السلاح ، والأمير أَلجَى الدواة (١٤٤ ب) ، ورُتب معه الأمير بيبرس الأحمدي أمير جندار وأمير طبر ، وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة - وهم بالخلع معه - إلى أن صعد القلعة ، فكانت عدة القشاريين مائة وثلاثين تشريفاً : فيها ثلاثة عشر أطلس ، والبقية كنجى ^(٢) وعمل ^(٣) الدار وطرده ^(٤) وحش . وجلس [صاحب حماة] رأس الميمنة ، ولقبه [السلطان] بالملك المؤيد ، وسافر من يومه بعد ما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر أفرج عن الأمير علم الدين سنجر البروانى ، والأمير علاء الدين أيتغلى الشيشى ، وصارم الدين العينتاني ، وعز الدين أيدير الشيشى ، وعلاء الدين مغلطاي السيواسى ، والحاج بدر الدين بيليك ، وشمس الدين (١٤٥ ا) سنقر الكمالى الصغير ، والشيش على التبريزى ، وسيف الدين منكجار ، وسيف الدين طوغان ، نائب البيرة ، وناصر الدين منكلى ، وطاشار ، وموسى وغازى أخوى حمدان بن صلغاي ، وعن الشريف رميشة بن أبى ندى .

وفيه هرب من سجن الإسكندرية الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى النقيب ، - ويقال له زيرامو - ، وبهادر التقوى الزرقاق ؛ فأدركهما الطلب ، وأخذاهما هملًا إلى

(١) أضيف ما بين الحاصرين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٨٩) .

(٢) فى ف « كحى » . انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٧ ، حاشية ٩) .

(٣ ، ٤) انظر ما سبق ، ص ٩٨ ، حاشية ٣ ، ٤ .

القلعة ، بعد ما خرج الأمير أيتمش المحمدي والأمير أصلم [للقبض عليهما] . فلما أحضر كُتِبَ بعود الأميرين [أيتمش المحمدي وأصلم] ، فرجعا ثالث يوم سفرهما ، وأنزل بالأميرين الهاربين ليُوسَّطاً^(١) تحت القلعة ، فشفع فيهما الأمراء ، فعني السلطان عنهما من القتل ، وكحلها بالحديد المحمسى مرتين (١٤٥ ب) حتى فقد البصر . وفيه رُسم بالإفراج عَمَّن في سجن الإسكندرية ، فقدموا القاهرة وأنعم عليهم بالإقطاعات ، من أجل أنهم لم يوافقوا على الهروب .

و [فيه] كتب بإعفاء الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنم من نظر طرابلس ، وأن يقيم بالقدس ، ورُتِّبَ له في كل شهر ألف درهم ، وبُعِثَ إليه كريم الدين الكبير هدية حسنة .

وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الأول سار الأمير بيبرس الحاجب بطائفة من الأجناد إلى مكة ، ليقيم بها بدل الأمير آفسنقر شاد العياثر^(٢) الذي استخلفه السلطان بمكة ، ومعه عدة أجناد تخوفوا من هجوم الشريف حميضة على مكة .

و [فيه] كتب بخروج عساكر الشام إلى غزو [بلاد (٣) متملك] سبيس ، لمنعه الحمل .

وفيه أبطل مكس الملح (١٤٦ أ) بديار مصر ، فأبيع الأردب الملح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة ؛ فإنه كُتِبَ إلى الأعمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات ، وأيحت لكل أحد ، فبذلت الناس إليها وجلبوا الملح .

[وفيه^(٤) وصلت] السراير الرفيع الخاتوني طلبةباي . ويقال دُليبية^(٥) ، ويقال طولونية .

(١) التوسيط إحدى القوبات الكبرى بمصر في العصور الوسطى ، وقد مر شرحه في المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، حاشية ١) .

(٢) شرح القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٢) هذه الوغليفة بالآتي : « شد العياثر ، وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما في العياثر السلطانية ، مما يختار السلطان لإحداثة أو تعجده من القصور والمنازل والأسوار ... » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٧٤ ب) .

(٤) موضع ما بين الحاصرتين يراض في ف ولكذا في ب (٣٧٤ ب) .

(٥) في ف « ويقال دليبه ويقال طولونية بنت طغاي بنت هندو بن برتكوب دوشى خان ... » ، وقد صححت هذه الأسماء وضبطت بعد مراجعة (Zambaur : Op. Cit. pp. 241-250, 270-271) ، والنورى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ، ص ١٢٧) ، والمقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٦٦) ، و (Zetterstéen : Op. Cit. p. 216) .

بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان . وسبب ذلك أن السلطان كان قد بعث إلى أربك يخطب بعض الجهات الجنكزية ، فاشتط [به أربك] في طلب المهر وطول المدة وكثرة الشروط . فأعرض [السلطان] عن الخطبة وسير إليه الهدية كما تقدم ^(١) . وكان أربك قد عين المذكورة ^(٢) ، فاستدعى التجار واقترض منهم ثلاثين ألف دينار بمعاملتهم ، صرف كل (١١٤٦) دينار ستة دراهم ، وجزاها مع بعض أمرائه في مائة وخمسين رجلا وستين جارية وقاضى سراى ، ومعهم هدية سنية ، فقدموا في البحر إلى الإسكندرية في عشرين ربيع الأول . وخرج الأمير أقبغا عبد الواحد في عدة من الأمراء ومعه الحراريق إلى إقامتها ، وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربان وبخاق وبغال ، وضرب الخيام ^(٣) الحرير الأطلس بالميدان . فحملت [الخاتون] في الحراريق إلى ساحل مصر ، وركبت في العربة إلى الميدان ، والحجاب تمشي قدام العربة ، فأقامت بالخيام ^(٤) ثلاثة أيام . ثم حملت إلى القلعة ليلة السبت سلخه في عربة تجرها العجل ، وهي كالقبة مغطاة بالديجاج ، وفي خدمتها الأمير أرغون النائب ، والأمير (١١٤٧) بكتمر الساقى ، والقاضى كريم الدين الكبير .

وفي يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر جلس السلطان للرسل ، وحضر كبيرهم باينار ^(٥) وكان مقعداً لا يقدر على القيام ولا المشى وإنما يحمل ؛ ودخل معه إيتغلى ^(٦) وطقبقا ^(٧) ، ومنغوش ؛ وطرجى ، وعثمان خجا ، والشيخ برهان الدين إمام القان ، ورسل الأشكرى . فأجاس باينجار ؛ وأخذ منه كتاب أربك ، فبلغ السلام وقال : « أخوك أربك ، أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتاً ، قلنا لم يسيرها لم يطب خاطرك ؛ وقد سيرنا لك من بيت كبير ، فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلى عندك أكبر منها ، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا (١٤٧ ب) الأمانات إلى أهلها . فقال السلطان : ونحن ما نريد الحسّن ، وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخى ، ونكون نحن وإياه

(١) انظر ما سبق ، ص ١٧٤ ، حاشية ١ .

(٢) في ف « المذكور » ، وما هنا من ب (٣٧٤ ب) .

(٣) (٤) في ف « الخيام » .

(٥) بغير نقط في ف ، انظر ما سبق ، ص ٦٠ ، حاشية ١ ، ص ٨٧ ، سطر ٤ .

(٦) (٧) بغير نقط في ف ، والرسم المثبت هنا من ب (١٢٧٥) .

شيئاً واحداً،؛ وبلغه أيضاً [برهان الدين^(١)] مشافهة [من قبل أربك] . فتولى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار ، الحال منها عشرون ألفاً ، والموَجَل عشرة آلاف ؛ وقبله السلطان بنفسه . وكتب علاء الدين على بن الأنير كاتب السر العقد بخطه ، وصورته بعد البسملة : « هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخى السلطان أربك خان طولو ابنة طغاي بن بكر بن دوشى خان بن جنكيز خان » . وخلع [السلطان] يومئذ خمسمائة خلعة ، وكان يوماً مشهوداً (١١٤٨) . وبني عليها من ليلتها ، فلم تلق بخاطره^(٢) . وأصبح [السلطان] فتقدم إلى كريم الدين أكرم [الصغير^(٣)] بالتوجه إلى الصعيد وتعبية الإقامات إلى قوص ، وجهاز الرسل بالهدايا والإنعامات وسفّسّرهم ، وركب للصيد . وفيها توقف حال النائل بسبب الفلوس وما كثر فيها من الزّغل^(٤) ، وكانت المعاملة بها عدداً عن كل درهم فضة عدة ثمانية وأربعين فلساً من ضرب السلطان ، فعملها الزّغلية ، وخففوا وزنها حتى صار الفلوس زنته سدس درهم . وكانت معاملة دمشق بالفلوس التى يقال لها القراطيس^(٥) ، والقراطيس^(٦) ستة فلوس ، ويعدّ في الدرهم الفضة أربعة وعشرون قرطاساً ؛ فأبطل السلطان القراطيس من دمشق ، وضرب بها كل فلس (١٤٨ ب) زنته درهم ، وصار الدرهم بثمانية وأربعين فلساً مثل معاملة مصر ؛ فنقلت [هذه] الفلوس الخفاف القراطيس إلى مصر ، وخلطت بفلوس المعاملة^(٧) حتى كثرت ، وقالت الجياد^(٨) . فتعبت الناس فيها ، وزادت الأسعار

(١) أضيف ما بين الحاصرين من ب (٣٧٥ ب) .

(٢) قصة هذه الزبيجة واردة في النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٠ ص ١٢٧ ؛ وما بعدها) ، وهى فى أولها أكثر تفصيلاً مما هنا ؛ غير أن المقرئ قد أورد تفصيلات أوفى بصدد الأدوار الختامية لتلك الزواج .

(٣) أضيف ما بين الحاصرين من ب (٣٧٥ ب) .

(٤) الرغل النقود المزيفة عامة ، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية . (Dozy : Supp. Dict. Ar.)
(٥) هنا إشارة واضحة إلى أن القراطيس نوع من الفلوس النحاسية ، وهى فى (Dozy Supp. Dict. Ar.) دراهم ملفوفة على شكل إصبع (roulean d'argent) . انظر أيضاً : (Habeiche : Dictionnaire Français-Arabe) .

(٦) فى ف « القراطيس » .

(٧) الفلوس المعاملة هى المضروبة حسب قوانين الدولة القائمة ، وتكون متداولة بين الناس مقبولة لديهم بقيمتها الرسمية . انظر المقرئ (لغات الأمة يكشف الغمة ، ص ١٤ ، حاشية ٣) .

(٨) المقصود بذلك « الجيدة » ، وهو جمع صحيح للفظ جيد . (المحيط) .

كلها ، حتى غلقت الباعة الحوانيت عند ما نودى أن تكون الفلوس بالميزان ، على أن كل رطل منها بثلاثة دراهم فضة . فركب وإلى القاهرة ، وحُزِب كثيرًا من أرباب المعاش بالمقارع ، وشهَرهم ولم يرجعوا ؛ فنودى أن الفلس الذى عليه بقجة^(١) من ضرب دار الضرب يؤخذ ، والفلس الخفيف يرد ، فلم يفد ذلك شيئاً . وعمل الزغلية فلوساً خفافاً عليها بقجة ، فنودى أن يؤخذ (١١٤٩) الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل ؛ فمشى الحال قليلاً ، واستمرَّ عنتُ العامة ، وكثر تعطيلهم الحوانيت وغلقتها .

وكان السلطان غائباً ، فلما نزل بالجيزة وخرج كريم الدين إلى لقائه صاحبت به العامة وفاجأوه^(٢) بما لا يليق ، وقسَّاثروا عليه من كل جهة . وشكروا ما بهم من أمر الفلوس وردَّ الباعة لها وقلة الخبز وغيره ، فوعدهم بخير ، وعرف [كريم الدين] السلطان ذلك . فاستدعى [السلطان] الأمراء ، وأنكر عليهم ردَّ مباشرهم^(٣) الفلوس وعدم بيعهم القمح من الشئون للطحانين [والموانة^(٤)] ، وقرَّر ضرب فلوس جدد زنة الفلس منها درهم . وعلى أحد وجهيه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلى الآخر اسم السلطان ؛ فحُزِب منها نحو ثمانين ألف رطل : (١١٤٩ ب) واستقرَّت الفلوس العتق^(٥) كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب . فاستمرَّ ذلك ، ومشت الأحوال ؛ إلا أنه صار فيها غبن زائد ، وذلك أن الرطل من العتق يبلغ سبعة دراهم بالعدد .

(١) البقجة مفرد بلج ، والواضح من المتن أن معناها هنا علامة سلطانية خاصة بدار الضرب ، كالسكة مثلاً ، وهذا يضيف إلى المعاني الكثيرة التى أوردها (Mayer : Saracenic Heraldry. PP. 14-15) لهذا اللفظ . وقد وصف النورى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٢) هذه الفلوس التى ضربها الناصر محمد وصفاً دقيقاً بالآتى : « وخرجت الفلوس الجدد من دار الضرب ، وعلى أحد وجهيها اسم السلطان ؛ وعلى الوجه الآخر مثال بقجة مربعة ، وزنة كل فلس منها نصف وربع وثمن درهم » .

(٢) الضمير عائد على كريم الدين . انظر ما يلى .

(٣) فى « مباشرتهم » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٧٥ ب) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٧٥ ب) ، والموانة هنا - والمفرد موان - المشتغلون بتزويد الناس بما يحتاجون من غلال أو دقيق (fournisseur, munitionnaire, pourvoyeur) انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٥) الفلوس العتق هى التى تكون أقدم من غيرها من الفلوس فى التداول بين الناس ؛ وليس معناها الفلوس القديمة التى ترجع إلى ما قبل النقود الإسلامية ، كالطبرية مثلاً . انظر المقرئى (لغات الأمة يكشفه القصة ، ص ٤٨ ، حاشية ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦) ، والكرملى (النقود العربية ، ص ١١٥) .

وفيهما قدمت رسل متملك اليمن بالهدية ، وأحضروا بالقلعة يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة . وفي ليلته خسف القمر .

وفيهما بعث السلطان ثلاثين فداوياً من أهل قلعة مصياب^(١) للفتاك بالأمير قراسنقر فعندما وصلوا إلى تبريز نمت بعضهم لقراسنقر عليهم ، فتقبَّعهم وقبض على جماعة منهم ، [وقتلهم]^(٢) . وانفرد به بعضهم وقد ركب من الأردن ، فقفز عليه فلم يتمكن منه (١٥٠) وقتل . واشتهر في الأردن خبر الفداوية ، وأنهم حضروا لقتل السلطان أبي سعيد وجوبان والوزير على شاه وقراسنقر وأمراء المغل ، فاحترسوا على أنفسهم ، وقبضوا على عدة فداوية . فتحيَّلت بعضهم وعمل حمَّالاً ، وتبع قراسنقر ليقفز^(٣) عليه فلم يلحقه ، ووقع على كفل الفرس فقتل ، فاحتجب أبو سعيد بالخرقاء^(٤) أحد عشر يوماً خوفاً على نفسه . وطُلب^(٥) المجدد^(٦) إسماعيل ، وأنكر عليه جوبان وأخرق به ، وقال [له] : « واللك أنت كل قليل تحضر إلينا هدية ، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر ، لتسكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية ، وهذا أنه يقتله شر قتلة ، ورسم عليه ؛ فقام معه الوزير على شاه حتى أفرج (١٥٠) ب عنه ثم قدم^(٧) الخبر من بغداد بأن بعض الإسماعيلية قفز على النائب بها ومعه سكين فلم يتمكن منه ، ووقعت الضربة في أحد أمراء المغل ، وأن الإسماعيلي فرّ ، فلما

(١) في ف « مصاب » ، ويلاحظ أن هذه القلعة تسمى باسم مصياب أيضاً . راجع ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٦٦) .

(٢) أضيف ما بين الحامرتين من ب (١٢٧٦) .

(٣) في ف « قفز » .

(٤) تقدم شرح هذا اللفظ شرحاً مختصراً في المقرئ (كتاب السلوك ؛ ج ١ ، ص ٥) ، وهو لفظ فارسي معناه الحيمة السكبيرة ، كالتى يستعملها الملوك والأمراء في الأسفار ، غير أنه يوجد بالقلشندى (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٨) وصف أدق للخرقاء ، واه : « الخرقاء بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويشقى بالجوخ ونحوه ، تحمل في السقر لتكون في الحيمة للبيت في الشتاء لوقاية البرد » .

(٥) في ف « فطلب » .

(٦) اسم هذا الرجل مجد الدين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السامى ، وقد عرف باسم خواجا مجد الدين السامى ، وكان يلى وظيفة أجرة الخاس في دولة السلطان الناصر مجد ، فدخل بلاد التتر ويهود بالرتيق . غير أنه كان أيضاً سفيراً للسلطان الناصر ، وهو الذى تم على يديه وبمحسن تدبيره أمر الصلح بين السلطان الناصر وأبى سعيد . انظر المقرئ (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٣) .

(٧) في ف « تقدم عليه » ، وقد عدلت الجملة لتستقيم مع سائر العبارة .

أدركه الطلب قتل نفسه . فتنكر جوبان لذلك ، وجهاز المجد السلاوي إلى مصر ليكشف الخبر ، وبعثوا في أثره رسولا بهدية .

وفيها عادت العساكر من غارة سيس إلى أبيات مهنا ، وطرده من مكانه ، وفرقوا جمعه في نواحي العراق .

وفيها كثرت كتابة الأوراق للسلطان في أمرائه وأهل دولته ، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هي ، أو ربطها بجناح طائر [حمام] وحذفه ^(١) خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله ؛ فتأذى بذلك جماعة كثيرة . (١٦١) فاتفق أن السلطان ركب إلى مطعم ^(٢) الطيور بالمسطبة التي أنشأها قريباً من بركة الحبش ، فوجد ورقة مخنومة فقرأها ولم يعلم أحداً بما فيها ، وعاد إلى القلعة وقد اشتد حنقه ^(٣) ، ووقف عند دار النيابة وأمر بهدم المساطب والرفرف وغلق الشباك . ثم بعث ^(٤) [السلطان] أمير جانداز إلى الأمير سيف الدين البوبكري أن يتحول من داره بالقلعة ويسكن بالقاهرة ، فزل من يومه وسكن بدار كراي المنصوري ، وهدمت الدار التي كان البوبكري يسكنها ، وعمرت قاعات وطباق للخاصكية . وامتنع [السلطان] من ركوبه إلى المطاعم المذكور ، وصار يركب إلى ميدان القبق . وكانت الورقة تتضمن سب ^(٥) (١٥١ ب) السلطان وسوء تصرفه ، وتسليطه الكتاب النصاري على المسلمين ، وصُلحته مع المغل .

واففق ^(٥) أن بعض العامة أخبر ^(٦) عن شخص غريب ، فأفضى الأمر إلى تحملهما ^(٧)

(١) في ف « ودفعه تحت حائط الميدان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٢٧٦) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرين أيضاً .

(٢) عين ابن تغري بردي (حوادث الدهور ، ص ٢٨٠) هذا المسكان بأنه كان « بقية النصر خارج القاهرة » ، وحده ابن إياس (بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٧٦) بأنه كان « بالريديانية » ، ويستفاد من ذلك مضافاً إلى الزائد بالمتن أن مطعم الطيور هذا كان واقفاً في المنطقة التي بها اليوم جبانة الفير بالعباسية بالقاهرة ، وأنه كان مخصصاً لتربية طيور الصيد وحفظها ، فأتى السلطان إليه لذلك النوع من الرياضة ، ويطلق البازدارية تلك الطيور وورائها الطيور الجارحة لاصطيادها . انظر أيضاً ابن شاهين (زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٦ - ١٢٧) .

(٣) في ف « وقد اشتد حنق السلطان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٢٧٦) .

(٤) في ف « وبث » .

(٥) في ف « فاتفق » .

(٦) في ف ، وكذلك في ب (٣٧٦ ب) « انكر على » .

(٧) في ف « تحاملهما » .

إلى الخازن وإلى القاهرة ، فقال العاصي : ، هذا الغريب قاصد ومعه فداوية ، ، فقرّره
الوالى فاعترف أن معه أربعة من جهة قراسنقر بَعَثَهُم لقتل السلطان ؛ فقُبِضَ منهم
على رجلين ، وفرّ الآخران . وسُحِلَ الوالى الرجلين ^(١) إلى السلطان ، فأقرّ بأنهما
من جهة قراسنقر ؛ فأمر بهما فقتلا . وأخذ [السلطان] يحترس على نفسه ، ومنع
عند ركوبه إلى الميدان المتفرجين من الجلوس في الطرقات ، وألزم [الناس] بغلق
طاقات البيوت .

وفيها قبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة ، وسُجِنَ بالإسكندرية ؛
(١٥٢) ووقعت الحوطة على موجوده يوم الجمعة ثامن عشرى رمضان . [وكان
ذلك] لقلّة اكترائه بالأمير تنكز نائب الشام ، وموافقة بعض مماليكه [على ما قيل]
فيه أنه يريد التوجه إلى اليمن .

و [فيها] قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبي نعي ؛
ثم قدّم ^(٢) الأمير بيبرس من الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف
حميضة ، فقتل السلطان قاتله .

وفيها قدم المجد السلاوى على البريد من عند الملك أبي سعيد بن خربندا فى طلب الصلح ،
تفرّج القاضي كريم الدين الكبير إلى لقائه ، وصعد به إلى القلعة ؛ فأخبر [المجد السلاوى]
برغبة جُربان وأعيان دولة أبي سعيد فى الصلح ، وأن الهدية تصل مع الرسل ؛ فكتب
إلى نائبي حلب ودمشق (١٥٢ ب) بتلقى الرسل وإكرامهم . بتقديم البريد بأن سليمان
ابن مهنا عارض الرسل ، وأخذ جميع ما معهم من الهدية ، وقد خرج عن الطاعة لإخراج
أبيه مهنا من البلاد وإقامة غيره فى إمرة العرب . ثم قدمت الرسل بعد ذلك بالكتب ،
وفيها طلب الصلح بشروط : منها ألا تدخل الفداوية إليهم ، وأنّ مَنْ حضر من
مصر إليهم لا يُسَلَب ، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه ، وألا
يُسَبَّح إليهم بغارة من عرب ولا تركان ، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة
تسير تجارة كل مملكة إلى الأخرى ، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز فى كل عام

(١) فى ف « وحلها » ، وقد عدت الجملة للتوضيح .

(٢) فى ف « وقدم » .

بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبي سعيد ليتجمل بالسنجق (١٥٣) السلطاني، وألا يُطلب الأمير قراسنقر. لجمع السلطان الأمراء، واستشارهم في ذلك، بعد ما قرأ عليهم الكتاب؛ فاتفق الرأي على إفضاء الصلح بهذه الشروط؛ وجُهِزت الهدايا لأبي سعيد؛ وفيها خلعة أطلس بديار باولي (١) رزكش، وقباء تترى وقرقات وغير ذلك، مما بلغت قيمته أربعين ألف دينار. وأعيد الرسل بالجواب، وفيه ألا يمكن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق، فإن العسكر واصل لقتالهم؛ وسافر (٢) السلامي على البر يد يبشر بعود الرسل بالهدية.

وفيها أنشأ السلطان ميدان المهار (٣) بجوار قناطر السباع فيها بين القاهرة ومصر، ونقل إليه الطين، وزرع فيه النخل، ولعب فيه (١٥٣ ب) بالكرة مع الأمراء، ورتب فيه الحُجُورَة (٤) للنتاج؛ فاستمر ذلك، وصار يتردد إليه. ثم أنشأ [السلطان] بجوار جامع الأمير علاء الدين ضيرس النقيب زربية (٥) على النيل، ليرز بمنظر الميدان الكبير إلى قريب شاطئ النيل؛ و [كان قد] أختر عمل ذلك [بسبب قرب سفره (٦) إلى الصعيد].

وفيها مرض كريم الكبير نحو أسبوعين؛ فكان يحضر إليه في كل يوم جمدار

(١) كذا في ف ينير فقط، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٧٧).

(٢) في ف «قدم».

(٣) في ف «المهار»، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٧٧)، والمهار - والأمهارة والمهارة أيضاً - جمع مهر، وهو ولد الفرس. وقد أنشأ السلطان الناصر محمد هذا الميدان ليكون به جميع خيوله، فإنه كان شغفا بالخيل وتناجها، ويحفظ لسكر مما عنده منها سجل به اسم صاحبه الأصلي وتاريخ مولده وشرائه وإذا حلت فرس ترقب الوقت الذي تلد فيه، فرأى أن ينشئ هذا الميدان يرسم نتاج خيوله. ويلاحظ أن المقریزی (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٩٩) قد سمى هذا الميدان باسم ميدان المهاري وهو خطأ، فإن المهاري - ويقال مهار ومهاري أيضاً - هي الأبل المهرية، نسبة إلى بلدة مهر بمان، أو نسبة إلى مهرة ابن حيدان، وهو حي من قصاعة من عرب النين. (قاموس المحيط، ومحيط المحيط).

(٤) الحجورة - والحجور، الأحجار أيضاً - جمع حجر، وهي الأثني من الخيل. (المحيط).

(٥) الزربية حظيرة الغنم، وتكون عادة من خشب. (المحيط، ومحيط المحيط)، والمقصود بالزربية هنا، حسب ما ورد في (Dozy: Suppl. Dict. Ar.)، كوخ يصنع حيطانه من الجرائد النخل (Cabane de branches de palmier)، يبتنيه السلطان أو الأمير ليأوي إليه طلباً للراحة، انظر المقریزی (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٦٥، ١٩٨، ١٩٩، ٥١٢).

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقریزی (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٩٩).

فيخلع عليه بكرة النهار ، ويعود فيأتيه آخر العصر فيخلع عليه ، وكلما أتاه مملوك من جهة أحد الأسراء للسلام عليه خلع عليه . فلما عُوفى وركب زينت القاهرة ، وأوقدت فيها الشموع ، وجلست المغاني ، واجتمع الناس لرؤيته ، فكان يوماً مشهوداً . ولما^(١) قدم إلى المدرسة (١١٥٤) المنصورية بين القصرين تصدق بمال ، فأتت في الازدحام ستة أنفس . وصعد [كريم الدين] إلى القلعة ؛ ثم ركب من الغد إلى مدينة مصر ، فزُيِّنَت لركوبه أيضاً ، وزُيِّنَت الحرايق ولعبت في النيل ؛ فتخلع على رؤساء الحرايق ، وفترق في رجالها مالا ، وعمل لهم مائة خروف شواء . وكانت عدة الشموع التي اشتعلت له في مصر ألفاً وستمائة شمعة ، ونثر الناس على رأسه الذهب والدرهم ، وعمل [له] الفخر ناظر الجيش ضيافة عظيمة ؛ فكانت [تلك الأيام] من الأيام المشهودة .

وفيها قدم الخبر بأن أبا سعيد أراق الخمر في سائر مملكته ، وأبطل منها بيوت الفواحش ، وأبعد أرباب الملاهي ، وأغلق الخانات ، وأبطل المكوس التي تنجس [من] التجارة الواردة (١١٥٤ ب) إليهم من البلاد ، وهدم كنائس بالقرب من توزين ، ورفع شهادة الإسلام ، ونشر العدل ، وعمر المساجد والجوامع ، وقتل^(٢) من وجد عنده الخمر بعد إراقته . فكتب [السلطان] لسائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمرات وإزالة الخمر ، وغلق الخانات واستنابة أهل الفواحش ؛ فعُمل ذلك في سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها ، واجتهد النواب في إزالة المناكير حتى طهر الله منها ومن أهاها البلاد .

وفيها قدم مملوك المجد السلامي ورسول أبي سعيد وجوبان ، وأخبروا بوصول الهدية السلطانية ، وسألوا تجهيز السنجق السلطاني ليسير مع الركب إلى الحجاز ؛ فسُيِّرَ ؛ سنجق حرير أصفر بطلمة^(٣) ذهب ، وكتب لصاحب مكة (١١٥٥) بإكرام حاج العراق .

و (فيها) قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى في مملكته بالحج ، فتجهز عالم عظيم ؛ وأن فياضاً وسليمان ابني مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجارة ،

(١) في ف « قلما » .

(٢) في ف « قل » ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٧٧ ب) .

(٣) كذا في ف ، وربما كان المقصود لفظ « الطالع » وهو الهلال . انظر محيط المحيط .

و يخاف على الركب العراقي من عرب مهنا . فاقترضى رأى السلطان أن استدعى سيف ابن فضل أخى مهنا من البلاد ، وقرر معه أن أباه فضلاً يمتنع مهنا وأولاده من التعرض لركب العراق ؛ فقام فى ذلك فضل وخذع أخاه مهنا حتى كف عنهم ، ولم يتعرض لأحد منهم ؛ وبعث مهنا بابنه موسى إلى السلطان بأنه لم يتعرض للركب ، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى من معه .

وفىها أخرج الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى (١٥٥ ب) إلى الشام على إمرة ، لتغيير كريم الدين الكبير منه .

وفى ثانى عشرى رجب عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ؛ ثم اعتقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ، فأفرج عنه . ومات فى هذه السنة من الأعيان قاضى القضاء شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق السروجى [الخنفي ^(١)] ، فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب ، بعد عزله فى رابع ربيع الآخر بشمس الدين محمد بن عثمان الحريرى ؛ ومولده سنة سبع وثمانين وستائة ؛ وكان من أئمة الحنفية ولم يسمع عنه ما يشينه ، ولا رأى [صاحب] جاه قط ، مع السماح والجود . [مات] الشيخ أبو العباس (١٥٦ ا) أحمد بن أبى بكر بن عرام [بن إبراهيم] بن ياسين بن أبى القاسم بن محمد بن إسماعيل الشيخ بهاء الدين أبى العباس بن أبى الفضائل بن أبى المجد بن أبى إسحاق الربيعى الشافعى ، سبط أبى الحسن على الشاذلى ، فى ليلة سابع شوال ؛ ومولده سنة أربع وستين وستائة ؛ سمع الحديث وقرأ النحو وتصوّف ، وتصدّر بالإسكندرية لإقراء العربية ، وولى نظر الأحباس بها ، وصنّف فى الفقه وغيره . ومات صاحب قوام الدين الحسن بن محمد ابن جعفر بن عبد الكريم بن أبى سعيد — المعروف بابن الطراح — ، فى أول المحرم ببغداد ؛ ومولده فى ربيع الأول سنة خمسين وستائة ؛ وهو من بيت علم ورياسة ، وكان يعرف النحو واللغة والحساب والنجوم والأدب . (١٥٦ ب) ومات الصدر نجر الدين أبو الهدى أحمد بن إسماعيل بن على بن الحباب السكاتب ، يوم الخميس تاسع رمضان ، عن سبع وتسعين سنة . وقُتل إسماعيل بن سعيد الكردي على الزندقة ، يوم الاثنين سادس عشرى صفر ؛ وكان عارفاً بالقراآت والفقه والنحو والتصريف ، ويحفظ كثيراً من التوراة والإنجيل ، ويحلّ الحاوى فى الفقه ، ويحفظ العمدة فى الحديث ؛

(١) أضيف ما بين الحتين من اصر ب (٣٧٧ ب) .

غير أنه حُفظت عنه عظامٌ في حقّ الأنبياء ، وكان يتجاهر بالمعاصي ؛ فاجتمع القضاة وضربوا عنقه بين القصرين . ومات الحسن بن عمر بن عيسى بن خليل السكردى الدمشقى ، بناحية الجيزة تجاه مصر في ثالث ربيع الآخر ، وقد أناف على التسعين ؛ قرأ على السخاوى ، (١١٥٧) وسمع الحديث . و [مات] كمال الدين عبد الرحيم بن عبد المحسن بن حسن بن ضرغام الكنانى الحنبلى ، خطيب جامع المنشأة فيما بين القاهرة ومصر ، في ربيع الآخر عن ثلاث وتسعين سنة . و [مات] كمال الدين أبو حفص عمر بن عز الدين أبى البركات عبد العزيز بن محيى الدين أبى عبد الله بن محمد بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن جمال الدين هبة الله أبى الفضل بن مجد الدين أبى غانم محمد ابن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبي الحنفى ، قاضى القضاة الحنفية [بحلب ^(١)] ؛ وكان مشكوراً . [ومات ^(٢)] زين الدين أبو القسم محمد بن العلم محمد ابن الحسين بن عتيق بن رشيق الإسكندرى الفقيه المعمّر المالكي ، بمصر في ليلة الجمعة حادى عشر (١٥٧ ب) المحرم ، عن اثنتين وتسعين سنة ؛ ولى قضاء الإسكندرية مدة اثنتى عشرة سنة ، وعُرض عليه قضاء دمشق فامتنع ؛ وله نظم . و [مات] شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابونى الحلبي ، بالقاهرة في يوم الخميس تاسع عشرى رجب ؛ كان محدثاً عدلاً ، ودرس بالمنكوتيرية من القاهرة ، وتميّز في كتابة السجلات . ومات القاضى زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الأسعردى ، محتسب القاهرة ووكيل بيت المال ، في يوم الاثنين سادس عشرى رمضان ؛ واستقرّ في الوكالة بعده قطب الدين محمد بن على بن عبد الصمد السنباطى ، وفي حسيبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين . و [مات] على بن عبد الصمد (١١٥٨) الأسعردى ، في سابع شوال . و [مات] الشيخ نجم الدين أبو الحسن على بن الأسيوطى المقرئ الواعظ ، في يوم الجمعة سادس عشرى ذى الحجة . وقتل أقجبا بملوك ركن الدين ببرس التاجى بدمشق ، لدعواه النبوة ، في خامس عشرى ربيع الأول . ومات بهاء الدين الشنجارى محتسب مصر ، يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى العقدة ؛ فولى بعد نجم الدين

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٧٨) .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين يابى في ف ، وهو وارد في ب (١٣٧٨) .

أحمد بن محمد بن أبي الحزم القمولى خليفة الحكم^(١) ، فى ثامن ذى الحجة . ومات صاحب غرناطة من بلاد الأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل ابن يوسف بن نصر ، فى ذى العقدة ؛ وأقيم بعده ابنه أبو عبد الله محمد ، فكانت مدته ثلاث عشر سنة .

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . (١٥٨ ب) فى يوم الاثنين ثالث المحرم قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز ؛ وكان [قد] سافر إلى مكة فى مدة اثنى عشر يوماً ، وغاب — حتى قدم — نحو شهر ، وتصدق فى الحرمين باثنى عشر ألف دينار .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره قدم الأمير أرغون النائب [من الحجاز^(٢)] ، وكان قد سافر أول ذى القعدة ، ومشى من مكة إلى عرفات [على قدميه^(٣)] بهيئة الفقراء . ثم قدم الأمير بهاء الدين أصلم أمير الركب بالحاج ، ولم يرَ فيما تقدّم مثل كثرة الحاجّ فى موسم الخالية . وكانت الوقفة يوم الجمعة . وكان حاجّ مصر سبعة ركوب : ركب^(٤) فى شهر رجب ، وأربعة^(٥) فى شوال أولها^(٦) رَحَل فى يوم الاثنين سادس عشره ، و رَحَل آخرها^(٧) يوم الجمعة تاسع عشره . وسار (١٥٩ ا) الأمير أرغون النائب أول ذى القعدة فى جماعة ، ثم توجه الفخر فى جماعة ؛ وركب البحر خلاّق ، واجتمع بعرفة ما يزيد على ثلاثين ركبا . ووقف يحمل العراق خلف يحمل مصر ، ومن خلفه يحمل اليمن .

واعتنى أبو سعيد بأمر حاجّ العراق عناية تامة ، وغشّى الحمل بالحرير ورصّده باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر ، وجعل له جتراً يُنصَبُ عليه إذا وُضع . فلما مرّ ركب العراق بعرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم ، فتوسّط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار ؛ فلما قيل لهم إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر وكتابه إلينا بالمسير إلى الحجاز أعادوا المال ، وقالوا : دلّاجل الملك (١٥٩ ب) الناصر نخفركم بغير شيء ، ومكنوهم من المسير .

(١) لم يستطع الناشر أن يجد لهذه الوظيفة تعريفاً بالمراجع المتداولة بهذه الحوائى .

(٢،٣) أضيف ١٠ بين الحاصرتين من ب (٢٧٨ ب) .

(٤) فى ف « أولهم » .

(٥) فى ف « آخرهم » .

فبلغ ذلك السلطان فسرّ به ، وبألغ في الإنعام على العربان . وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع ، فلما انقضى الحجّ خلع عليهم الأمير أرغون النائب ، ودُعي لأبي سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة .

وفيه قدم كتاب نائب الشام في الشفاعة في ابن تيمية ، وكان قد سُجن في السنة الماضية ؛ فأفرج عنه بعد مأسّجن خمسة أشهر ، وشُرط عليه ألا يفتي بمسألة الطلاق . وفيه استقرّ كريم الدين الكبير في نظر الجامع الطولوني ، فنمت أوقافه . و [فيه] قدم البريد من دمشق بهدم كنيسة لليهود بدمشق ، على يد العامة .

وفيهما أخرج (١٦٠) الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندَر (١) إلى دمشق . وسببه أنه لما أنشأ جامعته المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره في برّ الخليج الغربي ، وعمل القنطرة ، أراد أن يفتح في سور القاهرة خوّخه (٢) تنهى إلى حارة الوزيرية ؛ فأذن له السلطان في فتحها ، فخرق باباً كبيراً وعمل عليه رنكة ، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولى القاهرة أنه فتح باباً قدر باب زويلة وعمل عليه رنكة ؛ فشقّ عليه ذلك وأجرجه من يومه على إقطاع الأمير جوبان ، ونقل جوبان إلى الإمرة بديار مصر . و [فيه] قدم الأمير سيف الدين طقصبای (٣) من بلاد أذربك . وقدم من الأردو الأمير باورر بن براجوا (٤) أحد أعيان المغل ؛ فأنعم (١٦٠ ب) عليه بإمرة طبلخاناه بمصر .

و [فيه] قدم أبو يحيى اللحيماني من الغرب ، ولم يمسكّن من البلاد ؛ فرمّته له

(١) تقدم هذا الاسم (ص ١٧٧) برسم « حيدر » والصحيح ما هنا ، فقد كان أبو الأمير حسين هذا أمير جاندار عند سلطان من سلاطين السلاجقة الروم ، حيث عرف باسم جندر بك . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٥٠ - ٥١) ؛ وكذلك القرينى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ١٤٧ ، ٣٠٦) .

(٢) الخوخة باب صغير في بوابة كبرى لسور أو حصن أو فندق ، وكانت العادة في العصور الوسطى في مصر وغيرها أن يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومي ، فلا تكون حاجة إلى فتح البوابة الكبرى إلا عند الاقتضاء أو الضرورة . ويقابل الخوخة في الإنجليزية لفظ (wicket) وفي الفرنسية (guichet) . غير أن الجديد هنا أن هذا اللفظ قد أطلق على باب في سور القاهرة نفسه ، من غير أن تكون هناك بوابة كبرى .

(٣) في ف « ملقصابى » .

(٤) في ف « باورر بن براجر » ؛ وقد ذكر (Zetterstéen : Op. cit. P. 171) وسولا اسمه

« شيوخى » من عند أبي سعيد تلك السنة .

بالإسكندرية ما يكفيه ، وأقام بها . و [فيه] أخرج الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى حاجباً بالشام .

وفى يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر ثارت العامة يداً واحدة ، وهدموا كنيسةين متقابلتين بالزهري ^(١) ، وكنيسة بستان السكرى — وتعرف بالكنيسة الحمراء — ، وبعض كنيسةين بمصر . وكان ذلك من غرائب الاتفاق ونوادير الحوادث . والخبر عنه أن السلطان لما عزم على إنشاء الزربية بجوار جامع الطيرسى على النيل احتاج إلى طين كثير ، فنزل بنفسه وعين مكاناً من أرض بستان الزهري قريباً من ميدان المهارة ^(٢) ليأخذ منه الطين ، [ولينشئ في هذا المكان بركة] ^(٣) ، وعوض (١٦٦) مستحقى وقفه بدله ، وكتب أوراقاً بأسماء الأمراء ، وأفرز ^(٤) لكل منهم قياساً معلوماً ، فنولى قياس ذلك عدة من المهندسين مع الأمير بييرس الحاجب . وابتدأ الأمراء ^(٥) فى الحفر يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول ، ورفعوا الطين على بغالهم ودوابهم إلى شاطئ النيل حيث تعين عمل الزربية . فلم يزل الحفر مستمراً إلى [أن] قرب من كنيسة الزهري ، وأحاط بها الحفر من دأيرها وصارت فى الوسط ، بحيث تمنع من اتساع البركة . فعرف الأمير آقسنقر شاد العماثر السلطان بذلك ، فأمره أن يبالغ فى الحفر حولها حتى تتعلق ، وإذا دخل الليل فيدع الأمراء ^(٦) تهدمها ، ويشيع أنها سقطت على غفلة منهم ؛ فاعتمد الحفر فيما حولها ، وكتم ما (١٦٦ ب) بريدته ؛ وصارت غلمان الأمراء تهرخ وتريد هدم الكنيسة ، وآقسنقر يمنعهم من ذلك . فلما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر بطل العمل وقت الصلاة لاشتغال الأمراء

(١) عين المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ، وما بعده) موضع حاقين الكنيسةين وغيرهما من الكتائب الواردة هنا فيما يلى بالمتن .
(٢) انظر ص ٢١٠ ، حاشية ٣ .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٦٥ ، ٥١٢) ، وهذه البركة هى البركة الناصرية التى جعل السلطان الناصر مساحتها سبعة أفدنة ، وصار ما حولها من أكثر أخطاط القاهرة حمارة فى عصر المماليك ، حتى سنة ٨٠٦ هـ .

(٤) المقصود بذلك أن السلطان عين لكل أمير مساحة محدودة ليقوم بالعمل فيها ، ففى محيط المحيط « فرز الشيء من غير عزله ونحاه ومازه ... وأفرز الشيء من غيره بمعنى فرزه » . (انظر أيضاً المحيط) .

(٥) فى ف « الامراء » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٧٩ ب) .

(٦) فى ف « الاسرا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٧٩ ب) .

(٧) فى ف « الى ان كان » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٧٩ ب) .

بالصلاة ، فاجتمع من الغلمان والعامة طائفة كبيرة ، وصرخوا صوتاً واحداً الله أكبر ، ووقعوا في أركان الكنيسة بالمساحي والفوس [حتى] صارت كوما ؛ ووقع مَنْ فيها من النصارى ، وانتهب العامة ما كان بها . والتفتوا إلى كنيسة الحمراء المجاورة لها ، وكانت من أعظم كنائس النصارى ، وفيها مال كبير ، وعدة من النصارى ما بين رجال ونساء مترهبات ؛ فصعدت العامة فوقها ، وفتحوا أبوابها ونهبوا أموالها ونمروها . وانتقلوا إلى كنيسة يومنا^(١) بجوار السبع سقايات ، (١١٦٢) وكانت معبداً جليلاً من معابد النصارى ، فكسروا بابها ونهبوا ما فيها ، وقتلوا منها جماعة ، وسبوا بنات كانوا بها تزيد عدتهن على ستين بكراً . فما انقضت الصلاة حتى ماجت الأرض ؛ فلما خرج الناس من الجامع رأوا غباراً ودخان الحريق قد ارتفعا إلى السماء ، وما في العامة إلا من يده بلت قدسبها أو جرة خمر أو ثوب أو شيء من النهب ، فدهشوا وظنوا أنها الساعة قد قامت .

وانتشر الخبر من السبع سقايات إلى تحت القلعة ، فأنكر السلطان ارتفاع الأصوات بالضجيج ، وأمر الأمير أيدغمش بكشف الخبر . فلما بلغه ما وقع انزعج لذلك انزعاجاً زائداً ، وتقدم إلى أيدغمش أمير آخور ، فركب بالوشاقية ليقبض على العامة ويشهرهم . (١١٦٢ ب) فها هو إلا أن ركب أيدغمش إذا بمملوك الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى البحارة حضر [وأخبر] بأن العامة ثارت بالقاهرة ، وأخربوا كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة ، وأنه ركب خوفاً على القاهرة من النهب . وقدم مملوك والى مصر [وأخبر] بأن عامتها قد نجمت لهدم كنيسة المعلقة حيث^(٢) مسكن البترك وأموال النصارى ، ويطلب نجدة . فلشدة ما نزل بالسلطان من الغضب هم أن يركب بنفسه ، ثم أُرْدِفَ أيدغمش بأربعة أمراء ساروا إلى مصر ؛ وبعث بيبرس الحاجب ، وألماس الحاجب إلى موضع الحفر ، وبعث طينال إلى القاهرة ، ليضعوا السيف فيمن وجدوه . فقامت القاهرة ومصر على ساق ، وفرّت النّهب ، فلم تدرك الأمراء منهم إلا من غلب (١١٦٣) على نفسه بالسكر من الخمر . وأدرك الأمير أيدغمش والى مصر وقد

(١) في ف « بوالنفا » ، والرسم المثبت هنا من المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٣) ، وقد سماها المقرئى فيما يلى هنا (ص ٢١٧) كنية أبى النفا .

(٢) في ف « المعلقة سكن البترك » ، وما هنا من ب (٣٧٩ ب) .

هزمت العامة من زقاق المعلقة ، وأنكروا بما ليك بالرمي عليهم ، ولم يبق إلا أن يحرقوا أبواب الكنيسة ؛ فحسبوا أنه من معه السيوف ليفتك بهم ، فرأى عالماً عظيماً لا يحصيهم إلا خالقهم ، فكف عنهم خوف اتساع الحرق ، ونادى من وقف قدمه حلال ، تخافت العامة أيضاً وتفرقوا . ووقف أيدغمش بحرس المعلقة إلى أن أذن العصر ، فصلى بجامع عمرو ، وعيّن خمسين أو شاقيا للبيت مع الوالى على باب الكنيسة ، وعاد .

وكان كائما نودى في إقليم مصر بهدم الكنائس . وأول ما وقع الصوت بجامع قلعة الجبل : وذلك أنه لما انقضت صلاة الجمعة صرخ رجل مولاه^(١) (١٦٣ ب) في وسط الجامع : « اهدموا الكنيسة التي في القلعة » ، وخرج في صراخه عن الحد واضطرب . فتعجب السلطان والأمراء منه ، ونادى نقيب الجيش والحاجب لتفتيش سائر بيوت القلعة ، فوجدوا كنيسة في خرائب^(٢) الترقد أخفيت . فهدموها . وما هو إلا أن فرغوا من هدمها والسلطان يتعجب إذ وقع الصراخ تحت القلعة ، وبلغه هدم العامة للكنائس كما تقدم ؛ وطُلب الرجل الموله فلم يوجد .

وعندما خرج الناس من صلاة الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة رأوا العامة^(٣) في هرج عظيم ، ومعهم الأخشاب والصلبان والسياب وغيرها ، وهم يقولون : « السلطان نادى بخراب الكنائس » ، فظنوا الأمر كذلك . و [كان قد] خرب من [كنائس] القاهرة سوى كيسة (١٦٤) حارة الروم وحارة زويلة وكنيسة بالبندقانيين [كنائس^(٤) كثيرة] ، ثم تبين أن ذلك كان من العامة بغير أمر السلطان .

فلهذا كان يوم الأحد حادى عشره سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس

(١) كذا في ف ، والمقصود الموله الذى ذهب عقله ، غير أن الصحيح لغة لهذا المعنى ، وذلك حسبما ورد في المحيط والمحيط ، لفظ وله .

(٢) ذكر المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ، ٥١٣) ، أن خرائب كثير هذه كانت مساكن بالقاهرة ، وقد حُصرت في عهد السلطان برسباى ، سنة ٨٢٨ هـ ، ويلاحظ أنه كان بالقاهرة خط يعرف باسم خرائب تتر ، وسيرد التعريف به فيما يلى .

(٣) في ف « الناس » .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة ما يلى بالتي بهذه الصفحة .

في صلاة الجمعة تجمّع العامة^(١) وصاحوا هُدمت الكنائس ، فركب الأمير بدر الدين المحمدي متولى النفر بعد الصلاة ليدرك الكنائس ، فإذا بها قد صارت كوماً ، وكانت عدتها أربع كنائس . ووقعت طاعة من والى البحيرة بأن العامة هدمت كنيسةين في مدينة دمنهور ، والناس في صلاة الجمعة . ثم ورد ملوك والى قوص في يوم الجمعة سابع عشره ، [وأخبر] بأنه لما كان يوم الجمعة هدم العامة ست كنائس بقوص في نحو نصف ساعة . وتواترت الأخبار من الوجه القبلى (١٦٤ ب) والوجه البحرى بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة . فكثرت التمتعج من قوع هذا الاتفاق في ساعة واحدة بسائر الأقاليم .

وصار السلطان يشتد غضبه من العامة ، والأمراء تسكن غضبه وتقول : « يا مولانا ! هذا إنما هو من فعل الله وإلا فن يقدر من الناس على هدم كنائس الإسكندرية ودمنياط والقاهرة ومصر وبلاد الصعيد في ساعة واحدة ؟ » ، وهو يشتد على العامة ويزيد البطش بهم ، فهرب كثير منهم .

وكان الذى هُدم في هذه الساعة من الكنائس ستون كنيسة : وهى كنيسة بقاعة^(٢) الجبل ، وكنيسة أرضى الزهرى موضع البركة الناصرية ، وكنيسة بالحمام ، وكنيسة بجوار السبع سقايات ، وكنيسة أبى المسا^(٣) بجوارها ، وكنيسة الفهادين (١٦٥) بحارة الحكر ، وكنيسة بحارة الروم من القاهرة ، وكنيسة البندقانيين منها ، وكنيسة بحارة زويلة ، وكنيسة بخزانة البنود ، وكنيسة بالحنديق خارج القاهرة ، وأربع كنائس بالإسكندرية ، وكنيسة بستان دمنهور الوحش . وأربع كنائس بالزربية ، وثلاث كنائس بالشرقية ، وست كنائس بالهنساوية ، وبسيوط ومنفلوط ومنية ابن خصيب ثمانى كنائس ، وقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة ، والإطيفية كنيسة ، وبمدينة مصر بخط المصاصة^(٤)

(١) فى « الناس » .

(٢) المقصود بذلك الكنيسة التى كانت بجوارب التتر بالقاعة . انظر ما سبق ، ص ٢٨ .

(٣) انظر ما سبق ص ٢١٧ ، حاشية ٩ .

(٤) كان هذا الخط حسبما أورد ابن دقاق (الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٤ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٨٠) من أكبر خطط الفسطاط - أى مصر ، وموقعه بجوار خط تجيب (انظر ص ١٥٢ ، حاشية ١) وقصر الشمع الشهير ، وكان بخط المصاصة هذا بخمسة عشر مسجداً ، كما أنه كان مركزاً لليهود ومقرّاً لرئيسهم الدينى وموضعاً للسويقة الخاصة بهم ، وهذا فضلا عن أنه كان سكناً لبعض كبار القبط .

وسوق وردان (١) وقصر (٢) الشمع ثمانى كنائس ، ومن الأديرة شىء كثيرة (٣) .

وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر ، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى ، وتواتر إلى سابعه . (١٦٥ ب) وكان من خبره أن الميدان الكبير المطل على النيل لما فرغ [العمل فيه] ركب السلطان إليه في يوم السبت المذكور ، وكان أول لعبه فيه بالأكرة ؛ فبلغه الخبر بعد عوده إلى القلعة بأن الحريق وقع في ربع من أوقاف المارستان المنصوري ، بخط الشوايين (١) من القاهرة . واشتد الأمر ، والأمراء تطفئته إلى عصر يوم الأحد ؛ فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق في حارة الديلم بزقاق العريسة ، قريب من دار كريم الدين الكبير . ودخل الليل واشتد هبوب الرياح ، فسرت النار في عدة أماكن ، وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان

(١) ذكر ابن دقاق (الانتصار ، ج ٤ ، ص ١١ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ج ٥ ، ص ٤١) هذا السوق في مواضع كثيرة من مؤلفه ، ويستفاد منه أنه كان من أقدم أسواق القسطنطينية ، إذ عرف بذلك الاسم نسبة إلى وردان الرومى مولى عمرو بن العاص . وقد كان هذا السوق من أكثر الأسواق عمارة وحركة ، بدليل ما كان به من تربية وقياسر وسقائف ومساجد وغيرها ؛ غير أنه مما يدعو إلى لانفاس أن ابن دقاق لم يذكر اسم كنيسة واحدة بهذا السوق ، أو بخط المصاحفة الذى تقدم التمرير به ، مما يدل على أن الحريق قد امتد إلى غير الكنائس ؛ وربما كان معنى ذلك أنه امتد إلى بعض بيوت كبار القبط في ذلك العهد .

(٢) كان بهذا الخط ، حسبما أورد ابن دقاق (الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ج ٥ ، ص ٢٨) عندا كنائس النصرى واليهود وأديرتهم ، ثمانية عشر مسجدا أيضا .

(٣) أورد المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٧) أخبار هذه الكنائس ، وما تبعها من أخبار الحرائق الكبرى بالقاهرة ، في عبارة معاهدة لما هنا ، والواضح من وقوع حرائق الكنائس في وقت واحد بالمدن المختلفة بالوجهين القبلى والبحرى أن الأمر كان مبيتاً مدبراً أدق تدبير ، غير أن المراجع المتداول بهذه الحواشى لا يغير بشىء عن سبب تلك الحركة الواسعة . انظر : (Butcher : The Story of The Church of Egypt. II. pp. 187, et seq) .

(٤) لم يذكر المقرئى في باب الخطوط (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٣ ، وما بعدها) خطأ بهذا الاسم ، غير أنه ذكر سوق الفوايين (نفس المرجع والجزء ، ص ١٠٠) ، وقرر أنه أول سوق أنشئ بالقاهرة ، وقد عرف باسم سوق الشرايين أولاً . وكان ذلك في عهد الخليفة المعز الفاطمى .

يعرفه ، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفاً على الحواصل (١) السلطانية. ثم تفاقم (٢) الأمر ، واحتاج (١١٦٦) آقسنقر شاد العماير إلى جمع سائر السقائين والأمراء ، ونزلت الحجاب وغيرهم ، والنار تعظم طول نهار الأحد ؛ وخرجت النساء مسيات من دورهن . وباتوا على ذلك ، وأصبحوا يوم الاثنين [والنار] تنلف ما تتمر به ، والهدوء واقع في الدور التي تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها في جميع دور القاهرة .

فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر (٣) الحريق عن القدرة البشرية ، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت المراكب ، ونشرت النار ؛ فاشك الناس في أن القيامة قد قامت . وعظم شرر النيران ، وصارت تسقط في عدة مواضع بعيدة ؛ فخرج الناس وتعلقوا بالمآذن (٤) ، واجتمعوا في الجوامع والزوايا ، وضجوا بالدعاء والتضرع (١٦٦ ب) إلى الله تعالى ؛ وصعد السلطان إلى أعلا القصر ، فماله ما شاهد .

وأصبح الناس يوم الثلاثاء في أسوأ حال ، فنزل النائب بسائر الأمراء وجمع من في القلعة وجمع أهل القاهرة ، ونقل الماء على جمال الأمراء ؛ ولحقه الأمير بكتمر الساق . وأخرجت جمال القرى السلطانية ، ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء ، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار . وجمعت سائر البنائين والنجارين ، فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق في سقوفها . وعمل الأمراء الألوف - وعدتهم أربعة وعشرون أميراً - بأنفسهم (٥) في طي الحريق ، ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشارات ؛ وتنازلوا الماء بالقراب من السقائين ، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحراً ؛ وحضر كزيم الدين أكرم الصغير بماتى رجل . فكان يوماً لم ير

(١) كانت الحواصل السلطانية ثمانية ، وهي العراب خاناه والقرائ خاناه والسلاح خاناه والركاب خاناه والحوائج خاناه والمطبخ والطبلخاناه ؛ وكان لكل منها موظفون يقومون بالعمل فيها وتدبيرها ، ما عدا الحوائج خاناه فلم تكن مشغولة على حاصل كسائر الحواصل ، وإنما لها جهة تحت يد الوزير مباشرة للصرف على حوائج خاص السلطان ؛ وقد صارت الحوائج خاناه تحت يد ناظر الخاس فيما يظهر ، وذلك منذ ألقى السلطان الناصر منصب الوزارة وصار ناظر الخاس كالوزير في تصرفه . القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٩ - ١٣ ، ٣٠) .

(٢) في ف « ففاقم » .

(٣) في ف « أثر » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٨١) .

(٤) في ف « موادن » .

(٥) في ف « بأنفسها » .

أشنع منه ، بحيث لم يبق أحد إلا وهو في شغل . ورؤى سائر الأمراء وهي تأخذ القرب من ممالكها . وتطفى النار بأنفسها ، وتدوس الوحل بأخفافها . ووقف الأمير بكنمر السافى والأمير أرغون النائب حتى نُقلت الحواصل (١) السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرب الرصاصى ، وهُدم لأجل نقل الحواصل ستة عشر داراً . وخمدت النار وعاد الأمراء .

فوقع الصباح في ليلة الأربعاء برقع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقسارية الفقراء ، وهبت الرياح مع ذلك . فركب الحجاب (١٦٧ب) والوالى وعملوا في طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء ، وهدموا درراً كثيرة بما حوله . فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار في بيت الأمير سلا ر بخط بين القصرين ، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادعة - شج (٢) - وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل - ورأوا فيه نفطاً قد عمل فيه فتيلة كبيرة ؛ فما زالوا بالنار حتى أطفئت ، من [غير] أن يكون لها أثر كبير . ونودى بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زيرٌ ودنٌ ملآنٌ ماء . وكذلك بسائر الحارات والأزقة ؛ فبلغ ثمن كل دنٍّ من ثلاثة دراهم إلى خمسة . وكل زيرٍ إلى ثمانية دراهم ، لكثرة طلبها .

ولما كانت ليلة الخميس (١٦٨) وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة ؛ وتمادى الحال كذلك . [و] لا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر ؛ وامتنع والى القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم . فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أهلكهم هدم الكنائس ونهبها ، وصارت النيران توجد تارة في منابر الجوامع وتارة في حيطان المدارس والمساجد . رؤي جدت [النار] بالمدرسة المنصورية ،

(١) الواضح أن المقصود بالحواصل السلطانية هنا الحوائج خاناه . (انظر ما سبق ، ص ٣٢١) ، غير انه مما يوجب الالتفات أنها كانت في بيت كريم الدين الكبير ناظر الخاص ، إذ يستتبع من هذا أن موظفى الدولة كانوا يحفظون الأشياء الخاصة بوظائفهم في بيوتهم ، أو أنهم كانوا يسكنون البيوت التي توجد فيها تلك الأشياء .

(٢) البادعج - أو البادنج - منفذ لاتوية في البيوت (tuyau semblable à celui d'une cheminée oervant de ventilateur) انظر (Dozy: Supp.Dict. Ar.) ، وربما كان مرادفه لفظ

« منور » في الممارسة الحالية بمصر .

فزاد قلق الناس وكثر خوفهم ، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء في أسطحه الدور وغيرها . وأكثر ما كانت النار توجد في العلو ، فتقع في زروب الأسطحه والبادهنجانات . ويوجد النفط قد مُلِّف في الخرق^(١) المبيلة بالزيت والقطران . فلما (١٦٨ ب) كانت ليلة الجمعة حادى عشره فُبِض على راهبين حرجا من المدرسة السكهارية^(٢) بالقاهرة ، وقد أرميا النار؛ وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن وإلى القاهرة ، فشمَّ منهما رائحة الكبريت والزيت ؛ فأحضرهما من الغد إلى اسلطان ، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفَا . فلما نزل [الأمير علم الدين] بهما وجد العامة قد قبضت على نصراني من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية ، وسعه كعكة خرق^(٣) بها نفط وقطران ، وقد وضعها بجانب المنبر ، فلما فاح الدخان وأنكروه وجدَّ النصراني وهو خازج والأثر في يديه ، فعوقب قبل صاحبيه . فاعترف [النصراني] أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط ؛ ورفقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع . (١٦٩ أ) ثم عاقب [الأمير علم الدين] الراهبين ، فأقرَّ أنهما من دير البغل^(٤) ، وأنهما أحرقا سائر الأماكن التي تقدَّم ذكرها . وذلك أنه لما مرَّ بالكنائس ما كان ، حنق [هما] اللذان النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليهما ، واتفقوا على نكاية المسلمين ، وعملوا النفط وحشوه بالفتائل وعملوها في سهام ورموا بها ، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة ما ، ذراع . فلما أتقنوا ذلك فرسقه في جماعة ، فصاروا يدورون في القاهرة بالليل ، وحيث وجدوا قرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة ، حتى كان ما كان . فطالع [الأمير علم الدين] السلطان بذلك .

[واتفق وصول كرم الدين^(٥) الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية ، فعرفه

(١) في ف « الخروق المبولة » ، والصحيح ما هنا ، فالخروق جمع خرق ، وهى القفر والأرض الواسعة تتفرق فيها الرياح . (المحيط) .

(٢) في ف « الهـكـارية » ، والرسم المثبت هنـ من ب (١٣٨٢) . انظر ما سبق .

(٣) في ف « خروق » .

(٤) موضع هذا الدير ، حسبها ذكر المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣) بأعلى جبل المقطم شرق طرا وحلوان ، واسمه الأصلى دير القمحير .

(٥) أضف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة ، واتى تأيها من الفقرات الواردة بصدد هذه الحوادث ، من المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥١٥) . وكان السلطان قد أرسل كريم الدين إلى الإسكندرية « بسبب تحصيل الماء وكشف الكنائس التي خربت بها » ، والمفهوم من المقرئى (نفس المرجع والجزء ، ص ٥١٤) أن السلطان بعث إلى الإسكندرية ليعده عن مجسه بالقاهرة ، لأنه كان يغريه بالفتك بالمامنة .

السلطان ما وقع من القبض على النصارى ، فقال كريم الدين : « النصارى لهم بطرك^(١) يرجعون إليه ، وهو الذى يعرف أحوالهم » . فأمر [السلطان] كريم الدين بطلب البطرك [إلى بيته] واستعلام الخبر منه ، فأثاء ليلاً [فى حماية وإلى القاهرة خوفاً من العامة] ؛ فبالغ كريم الدين فى إجلاله ، وأعلمه بما ذكر الرهبان وأحضرهم (١٦٩ ب) ؛ إليه ، فذكروا له كما ذكروا للوالى ، فبكا وقال : « هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم ، والحكم للسلطان ، ومن أكل الحامض ضرس ، والحمار العثور يلقى الأرض بأسنانه » . وأقام [البطرك] ساعة . وقام فركب بغلة كان قد رُسم له منذ أيام بركوبها فشق ذلك على الناس ، وهموا به لولا الخوف من حوله من الممالك .

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحبت العامة به : « ما يحل لك^(٢) يا قاضى تحايج للنصارى ، وقد أخرجوا بيوت المسلمين ، وتركبهم البغال ، فانتكى [كريم الدين منهم نكايته بالغة] ، وأخذ يهون من أمر النصارى المسوكين ويذكر أنهم سفهاء [وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك . و] أنه [اعتنى به . فأمر [السلطان] الوالى بعقوبة النصارى ، فأقروا على أربعة عشر راهباً بدير البغل ، فقبض عليهم (١٧٠ أ) من الدير . وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة ، وأحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة وقد اجتمع من الناس عالم عظيم . فاشتدت العامة عند ذلك على النصارى ، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم ، وألقوهم عن الدراب إلى الأرض .

وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثانى عشره ، وقد اجتمع عالم عظيم وصاحوا : « نصر الله الإسلام ، انصر دين محمد بن عبد الله » . فما استقر [السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن وإلى القاهرة نصرايين قد قبض عليهم ما فاحش قاخارج الميدان وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه القشريف ، فصاحت به العامة : « كم تحايج للنصارى ؟ » وسبوه ورموه بالحجارة ، فعاد إلى الميدان . فشق ذلك على السلطان ، واستشاد الأمراء (١٧٠ ب) فى أمر العامة ، فأشار عليه الأمير جمال الدين اقوش نائب الكرك

(١) المقصود بذلك بطرك الأقباط ، وهو وقت ذاك حنا التاسع ١٣٢١ - ١٣٢٧ م ، ٧٢١ - ٧٢٨ هـ . انظر (Butcher : Op. Cit. II. p. 193) .

(٢) فى ف « ١٠ » بمحصل .

بعزل البكتاب النصارى ، فإن الناس قد أبغضوه ؛ فلم يرضه ذلك . وتقدم [السلطان] إلى ألباس الحاجب أن يخرج في أربعة أمراء ويضع السيف في العامة حتى ينتهى إلى باب زويلة ، ويمرّ إلى باب النصر وهو كذلك ، ولا يرفع السيف عن أحد ؛ وأمرّ وإلى القاهرة أن يتوجّه إلى باب اللوق والبحر ، ويقبض من وجده ، ويحبيلهم إلى القلعة ؛ وعين لذلك عليك تخرج من الميدان . فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو ، فقبل شفاعته ، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم .

وكان الخبر قد طار ، فقررت العامة حتى الغلمان ، وصار الأمير لا يجد من يُركّبه . وانتشر ذلك ، فغلقت جميع أسواق (١٧١) القاهرة ، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحداً ، وشقوا القاهرة ، إلى باب النصر ، فكانت ساعة لم يمرّ بالناس أعظم منها . ومرّ الوالى إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر ، وقبض كثيراً من السكّالزة^(١) والنواتية وأراذل العامة ، بحيث صار كل من رآه أخذه . وجفل الناس من الخوف ، وعدوا في المراكب إلى برّ الجزيرة .

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحداً في طريقه ، وأحضر إليه الوالى بمن قبض عليه وهم نحو المائتين ؛ فرسم أن يصلبوا ، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط^(٢) وجماعة لقطع الأيدي . فصاحوا : يا خوند ! ما يحلّ لك ! فما نحن الغرماء ! ، وتباكوا . فرقّ لهم بكتمر الساقى ، وقام معه الأمراء ، وما (١٧١ ب) زالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل ، وأن يُبلقوا بأيديهم . فأصبحوا يوم الأحد صفّاً واحداً من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة ، فتوجّع لهم الناس ، وكان منهم كثير من بياض^(٣) الناس ، ولم تفتح القاهرة .

(١) السكّالزة جمع كلابزى ، وهو في (Dozy : Supp. Cict. Ar.) الشخص الذى يركب بكتاب الصيد عند سلطان أو أمير من الأمراء (celui qui conduit à cheval une meute) ، ويقال له في الفرنسية لفظ (piqueur) وفي الإنجليزية (whipper-in) ، غير أن المقصود بهذا اللفظ وما يليه هنا الفوغاء من العامة ، كما يتضح من المتن . انظر أيضاً كهاف الألفاظ الاصطلاحية بآخر هذا الجزء .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٠٣ ، حاشية ١ .

(٣) المقصود ببياض الناس كرمائهم وأتقيائهم ، فنى محيط المحيط « الأبيض ... الرجل الكريم

المتقى التقي العرض » .

وخاف كريم الدين على نفسه ، ولم يسلك من باب زويلة ، وصعد القلعة من خارج السور ، فإذا السلطان قد قدّم السكلابزة وأخذ في قطع أيديهم . فكشف [كريم الدين] رأسه وقبّل الأرض ، وباس رجل السلطان ، وسأله العفو . فأجابه [السلطان] بمساعدة الأمير بكتمر ، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل في الحفير بالجيزة . ومات بمن قُطع [يده] رجلاً ، وأمر بحطّ مَنْ عُلّق على (١٧٢) الخشب . فللمحال وقع الصوت بحريق أما كن بجوار جامع ابن طولون ، ووقع الحريق في القلعة وفي بيت الأحمدى بحارة بهاء الدين من القاهرة ، وبفندق طر نطاي خارج باب البحر ؛ فدهش السلطان . وكان هذا الفندق يرسم تجار الزيت [الوارد من (١) الشام] ، فعمّت النار كل ما فيه حتى العمدة الرخام ، وكانت ستة عشر عموداً ، طول كل منها ستة أذرع بالعمل ، ودوره نحو ذراعين ، فصارت كلها جيراً ؛ وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم ؛ وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط ، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك .

فلما كان يوم السبت تاسع عشرية ركب السلطان إلى الميدان ، فوجد نحو العشرين ألفاً (١٧٢ ب) من العامة قد صبغوا خرقاً (٢) بالأزرق والأصفر (٣) ، وعمدوا في الأزرق صلباناً بيضاء ، ورفعوها على الجريد ، وصاحوا عليه صيحة واحدة : لادين إلا دين الإسلام ! نصر الله دين محمد بن عبد الله يا ملك الناصري سلطان الإسلام ، انصرونا على أهل الكفر ، ولا تنصر النصارى . فخشع السلطان والأمراء ، ومرّ إلى الميدان وقد اشتغل سرّه . وركبت العامة أسوار الميدان ، ورفعت الخرق الزرق وهي تصيح : « لادين إلا دين الإسلام » . فخاف [السلطان] الفتنة ورجع إلى مداراتهم ، وتقدّم إلى الحاجب بأن يخرج وينادي : « من وجد نصرانياً قدمه وماله حلال » . فلما سمعوا النداء صرخوا صوتاً واحداً : « نصرك الله [يا ناصر] دين الإسلام » ، فارتجت الأرض .

ونودى (١٧٣) عقيب ذلك بالقاهرة ومصر : « من وُجد من النصارى (٤) »

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من المقرئ (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٤) .

(٢) في ف « خروفا » . انظر ما سبق .

(٣) انظر ما يلي بالصفحة التالية .

(٤) في ف « من وجد نصرانياً بعمامة بيضاء حل دمه ومن وجد نصرانياً راكباً حل دمه » ، وقد عدلت بعد مراجعة ما يلي ، وكذلك التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧ - ٨) ، حيث يوجد نص الرسم السلطاني في هذا الصدد . انظر ملحق رقم ٣ ، بآخر هذا الجزء .

بعامة حلّ دمه . وَمَنْ وُجِدَ مِنَ النصارى راكباً باستواء حلّ دمه . وكتب^(١) مرسوم بلبس النصارى^(٢) العائم الرزق ، وألا يركبوا فرساً ولا بغلاً ، وأن يركبوا الخير عرّضاً ، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرّس في أعناقهم ، ولا يتزوّجوا بزي المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم . ورُسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان ، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال ؛ وغلّقت الكنائس والأديرة ؛ وطلب السني بن ست بهجه^(٣) ، والشمس بن كثير فلم يوجد .

وتجرّأت العامة على النصارى ، بحيث إذا وجدوا ضربهم وعروهم ثيابهم ؛ فلم يتاجسر (١٧٣ ب) نصراني أن يخرج من بيته . ولم يتحدّث^(٤) في أمر اليهود ، فكان النصراني إذا طرأ له أمر يتزوّج بزي اليهود ، ويلبس عمامة صفراء يكتريها من يهودى ليخرج في حاجته . واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودى له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئاً ، فأمسكه اليهود وصاح : « أنا بالله وبالمسلمين ؛ فخاف النصراني ، وقال له : « أبرأت ذمتك » ، وكتب له خطه بالبراءة وفرّ . واحتجاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام ، فأسلم السني بن ست بهجة في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة ، وخُلع عليه^(٥) ؛ وأسلم كثير منهم ؛ واعترف بعضهم على رهاب بدير^(٦) الخندق (١٧٤) أنه كان يتفق المال في عمل النفط للحريق ومعه أربعة ، فأخذوا وشمروا .

وانبسطت أسنة الأمراء بسبب كريم الدين أكرم الصغير ؛ وحصلت مفاوضة بين

(١) في ف « ومن وجد » والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٨٣ به) .

(٢) ذكر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧) أن المرسوم السلطاني حتم على النصارى أن يلبسوا « عمام زرق وجباب زرق ، ويشدوا الزنار في أوساطهم » . هذا ويرجع اختيار الألوان المميزة لأهل الذمة من نصارى ويهود ومجوس إلى عهد الخليفة هارون الرشيد ، وكان تسمين الأزرق للنصارى والأصفر لليهود مسألة متروكة للعادات المحلية فيما يظهر . انظر (Mez : Die Renaissance Des Islams)

تعريب أبو ريدة ، ص ٨٠ - ٨٢ ، ٩٥ .

(٣) انظر ما يلي بهذه الصفحة .

(٤) في ف « ولا يتحدث » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٨٣ ب) .

(٥) في ف « عليهم » .

(٦) حدد القرينزي (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٧) موضع هذا الدير بأنه كان ظاهر القاهرة من بحريها ، وأن القائد جوهر الصقلي هو الذي عمره عوضاً عن دير هدمه داخل القاهرة .

الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بكتمر الساقى بسبب كريم الدين الكبير ، فإن بكتمر كان يعتنى به وبالداواوين ، والفخرى يضع [منه و] منهم ؛ وصار مع كل من الأميرين جماعة ، وبلغ السلطان ذلك ، وأن أمراء تترقب وقوع الفتنة .

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى أحداً في طريقه من العامة لكثرة [خوفهم] من أن يبطش بهم ، فلم يعجبه ذلك ؛ ونودى بخروج الناس للفرجة على الميدان ، فخرجوا على عادتهم . فلما كانت ليلة الأحد ثاني عشره وقع (١٧٥ ب) الحريق بالقلعة ، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طُفي .

وفي رابع عشره توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية ، ونادى فيها بلبس النصارى العمام الرزق ، ومنعهم من المباشرة في الديوان . فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار ، فسر كريم الدين بذلك . وعاد [كريم الدين] إلى القاهرة . فشفع في إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا ؛ وأعطى كل واحد [منهم] عشرة دراهم فضة وعشرة فلوساً وقيصاً ، وفرس ألف قيص ؛ ثم استدعى المسجونين على الديون ^(١) ، وصالح غرماءهم عنهم ، وخلي سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق .

(١٧٥ ا) وفيها ألقيت ورقة في جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان ، وأنه فرط في ملكه وماليسكه ، والعسكر قد تلف ، وقد باع أولاد الناس الإقطاعات التي بأسمائهم ، وصاروا يسألون الناس من الحاجة . فغضب السلطان من ذلك ، وتقدم إلى نقيب ^(٢) الجيش بكتابة أسماء من باع خبره ، وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس ؛ وعرض ممالك السلطان ، وأخرج منهم مائة إلى السكر .

و [فيه] سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على اليريد ، فتلقاه النائب على العادة ؛ وقدم الناس إليه تقادم جليلة ، فلم يقبل منها لأجد منهم شيئاً ، بل عثمهم بالإنعامات (١٧٥ ب) والصدقات ، وعاد إلى القاهرة .

(١) في ب (١٣٨٤) « الديوان » .

(٢) تقدم التعريف بهذه الوظيفة وصاحبها في المفريزى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٨٤٦ ،

حاشية ٤) .

وفيهما جلس السلطان لعرض أجناد الحلاقة، فضرب جماعة وحبس جماعة، وقطع أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء؛ ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين، وبعثهم إلى الشام.

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرساً، فقُسمت بخمسمائة ألف درهم فضه، وأنعم عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك؛ وخُلع على الجميع.

وفيه خرج الأمير جمال الدين [أنوش^(١) الأشرفي] نائب السكرك بعسكر إلى أياس، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات؛ فنزلوها ونصبوا عليها المجانيق، وقتلوا الأرمن حتى ملكوها، وغنموا منها مالا كثيراً وقتلوا عدة كثيرة منهم، (١٧٦) وفر من بقي في البحر؛ وذلك في حادي عشر ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور^(٢)، وأخذت مالا كبيراً؛ وقدم الأمير جمال الدين [أنوش] إلى القاهرة. فبلغ الأمير الطنبغا نائب حلب أن أهل أياس قد عادوا إليها، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم. [و]ركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة، وقتل منهم نحو ألفي رجل وأسر ثلاثمائة، وغنم مالا جزيلا وعاد.

وفيه تنكرت الممالك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخر جوامعهم شهرين؛ ثم تجمعوا في يوم الخميس ثامن عشر صفر قبل الظهر، ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان [وقته] عند الحريم، فلما بلغه ذلك (١٧٦ ب) خشي منهم، وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقى إليهم، فلم يرَ ضوّه؛ فخرج إليهم السلطان وقد صاروا ألفاً وخمسمائة، فعندما رآهم سبّهم وأهانهم، وأخذ القضاة من المقدّم وضرب بها رؤوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: «اطلعوا مكانكم، فعدوا بأجمعهم إلى الطباقي، فعددت سلامته من الهجائب^(٣)». ثم إنه أمر النائب بعرضهم، فعرضهم في يوم السبت

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen: Op. Cit. pp. 163,172).

(٢) المقصود بذلك بلاد أمينية الصغرى (قبايقية)، وكان ملكها تلك السنة، حسبما ورد في أبي الفداء (المختصر في أخبار، ج ٤، ص ٩٢) أو شين بن ليفون (Oshin, son of Leo IV). انظر (Howorth: Op. Cit III. p. 602). راجع أيضاً المقرئ (كتاب السلوك، ج ١، ص ١٥٥، حاشية ٣) لشرح لفظ تكفور.

(٣) ذكر النويري (نهاية الأرب، ج ٣١ ص ١٤) أن السلطان عالج هذه الفتنة بأن طلب من الثائرين «أن يختاروا من أعيانهم من يعبر إليه ويشكو ضررهم، ويشافهوه بحالهم، فامتنعوا من ذلك، =

آخر صفر ، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية ؛ وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب (١) تترَ ؛ وضرب واحداً منهم بالمقارع هو وغلّامه ، لكونه شرب الخمر ، فمات بعد يومين من ضربه ؛ وأخرج (٢) جماعة من الخدام وقطع جوامكهم ، (١٧٧ أ) وأنزله من القلعة .

وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب ليعمرها ويقفها على الحرم ، فأعيد رسوله بأنه يُسَير إليه مكاتب ضيعة بعد ذلك . وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بأمريات : منهم علاء الدين أيدغدى التليلى الشمسى أحد ممالك سنقر الأسقر ، و [كان قد] أمّر (٣) في أيام المنصور لاجين ؛ وأنعم على كل من بيبرس الكريمنى ، وقطلوبغا الناصرى ، وعبد الملك المنصورى والى القامة ، وأبو بكر بن الأمير أرغون النائب ، وملكتمر السرجوانى (٤) ، وطبيبنا القاسمى ، وطبقنا ، وبيدمر ، وطغاي تمر من (١٧٧ ب) الخاصكية ، يامرة . ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين ، وقد أشعلت لهم القاهرة ، وجلس المغاني بالحوانيت فى عدة أماكن ؛ وعمل [لهم] كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة ، فكان يوماً مشهوداً (٥) .

وفيه نزل السلطان اصيد الكراكى من بركة الحاج ، وتقدّم لسكريم الدين الكبير أن يعمل بها أحواشاً للخيل والجمال وميداناً ، ويبنى الأمير بكتمر الساقى مثل ذلك . فجمع [كريم الدين] (٦) من الرجال للعمل نحو ألفى رجل ومائة زوج من البقر حتى

= وكانوا فى جمع كثير . فخرج السلطان إلى الرحبة وسمع شكواهم ولطف بهم ، وقابل جهلهم بحلمه وسياسته ، ووعدهم إزالة ضررهم ، وأنه يتولى ذلك بنفسه ، وصرفهم إلى أماكنهم فأنصرفوا . ليها ، وكشف عمن حملهم على الجراة ... من المماليك أبواب الإقطاعات ، فرسم بإخراجهم من القلعة وإسكانهم المدينة ... » .

(١) فى ف « خرايب التتر » وما هنا من المقرئ (المواعظ والاعتبار ج ١ ، ص ٣٣٨ - ٤٣٩ ، ج ٢ ، ص ٨٠) حيث ورد أن تتر اسم لملوك من مماليك أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان هذا الملوك قد استولى على حمام بخط دار الوزارة السكبرى مدة الدولة الفاطمية ، فعرفت الحمام والخط أيضاً باسمه ؛ ثم خربت الحمام وصار مكانها داراً عرفت باسم دار الأمير الشيخ على ، وبقي الخط معروفاً باسم خط خرائب تتر ، « غير أن العامة تقول خرائب التتر بالتعريف ، وهو خطأ » . انظر أيضاً نفس المرجع (ج ٢ ، ص ٥١٣) .

(٢) فى ف « خرج » ، والصفة المثبتة هنا من ب (٢٨٤ ب) .

(٣) إذا صح هذا فمعناه أنه كان من الممكن تأمين الملوك أكثر من مرة .

(٤) ضبط هذا اللفظ من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 183) .

(٥) هنا إشارة إلى بعض مراسيم الدولة المملوكية فى حفلات الترقية إلى مرتبة الإمرة .

(٦) فى ف « لسكريم الدين » ، والصفة المثبتة هنا من ب (٢٨٥ أ) .

فرغ في أيام يسيرة ، وجعل في الميدان عدة من الحجورة ^(١) المستولدة ، وركب السلطان لمشاهدة ذلك ، [واستمر] يتعاهد الركوب إليها .

وفيه (١٧٨ ا) شكا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون ^(٢) في البلاد ، فوسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدث في ذلك . وزايد القانون شيء حدث في الأيام الناصرية: وذلك أن السلطان لما عمل الجسور ، وافق ^(٣) أمرها ، وأنشأ عليها القناطر ، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجمد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيترجع ، ثم تحرق من موضع خرقاً كالنجرة ، واتسع حتى صار خليجاً صغيراً يمر على أراض لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء . فطالع الأمير وكن الدين القلنجقي ^(٤) كاشف البحيرة [السلطان] بأن عدة من الأراضي التي في بلاد المقطعين قد شملها الري ، وسأل أن يقطع ولده منها خبزاً [بعشرة أرماع ^(٥)] ، فإنها زائدة عن قانون المقطعين . فندب السلطان الأمير أيتمش المحمدي (١٧٨ ب) والموفق مستوفى الدولة لكشف هذه الأراضي وقيامها ، فتوجهوا إلى البحيرة وكشفا عنها ، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان ، فكتبت مشاريحها ^(٦) ، ولم يذكر منها غير خمسة عشر ألف فدان فقط ، فإنها كانت أراض متفرقة في بلاد المقطعين . فكتب السلطان بها مثالات ^(٧) ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ، وفرقها على أرباب الجوامك من الممالك ، فشق هذا على الأجناد ، فإنها كانت من أراض إقطاعاتهم .

وفي نصف جمادى الآخرة ولد للسلطان من خوند ^(٨) طغاي ولداً أسماه

(١) انظر ما سبق ، ص ٣١٠ ، حاشية ٤ .

(٢) المقصود بذلك ما زاد من الأرض عن المساحة الأصلية للإقطاع المقرر بمكاتيبه . انظر تعريف هذا المصطلح الإقطاعي بالسطر التالي وما بعده بهذه الفقرة .

(٣) في ف « اتفق » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٨٥ ا) .

(٤) بنير نقط في ف ، وقد كل النقط من ب (٣٨٥ ب) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٨٥ ب) ، والأرماع جمع رمح ، ولعل المقصود هنا أن تكون المساحة قدر رمية الرمح عشر مرات .

(٦) المشاريح جمع مشروح ، والمقصود به هنا ، كما يفهم من المتن ، ما يكتبه الموظف المكلف بعمل الأعمال بمثابة تقرير وشرح لما كلف به من عمل .

(٧) انظر الفريزي (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٨٤٤ ، حاشية ٦) لشرح لفظ مثال .

(٨) كذا في ف ، وكذلك في ب (٣٨٥ ب) ، والمعروف أن هذا اللفظ كان يستعمل لقباً للملوك فقط ، وأما الملكات والأميرات فكان يلقب غالباً بلفظ « خاتون » ، على أن لفظ « خوند » - أو خونده أيضاً - كان يطلق كذلك على الملكات والأميرات (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

آنوك^(١) ، وكانت طغاي هذه جارية تركية اشتراها تنكر نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم ، وبعثها إلى السلطان . (١١٧٩) فشقّ على سيدها ذلك لشغفه بها ، وحضر إلى السلطان ، فأنعم عليه بألفي دينار مصرية ؛ وكتب له مسموحاً^(٢) بألفي دينار . وحظيت [الخاتون طغاي] عند السلطان ، وكانت بارعة الجمال ؛ فعمل السلطان عند ولادتها مهماً عظيماً إلى الغاية ، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز لتحتج ؛ فشرع كريم الدين في تجهيزها ؛ وبعث الأمير تنكر أيضاً يستأذن في الحج ، فأذن له ، وفيها قبض على الأمير صلاح الدين بن البيهقي ، وأرخص في الحب مقيداً ، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية . وسببه أنه كان يتورّع عن الأكل من سباط السلطان ، كانت أخته تحت الحاج آل ملك ، فشكا منه أنه قد أكل مالها ، فقال السلطان : « متورّع عن الأكل من السباط ، ويأكل مال (١٧٩ ب) اليتيم ! » ، وأمر به فقيّد .

و [فيها] قدم البريد من حلب بمسير جوبان بعساكر المغل لحرب الملك أوزبك^(٣) . وفيها أنشأ السلطان على بركة الفيل داراً بجوار دار الأمير بدر الدين جنكلي^(٤) ابن البابا ، وأقام آتسنقرشاد العمار على عملها^(٥) ، وأدخل فيها كثير من دور الناس وأراضى ملائكتها ، ورسم بنقل كريم الدين الكبير إليها . و [فيها] قدمت تقادم نواب الشام برسم سفر^(٦) الخاتون طغاي [إلى الحجاز] ؛ وعمل الأمير أرغون النائب برسمها ثمان مائة كعادة بلاد^(٧) الترك لتسافر فيها ، وجرّها ، إلى الإسطنبول ؛ فأعجب بها السلطان وأخلع عليه . وعُين للسفر مع الخاتون الأمير قجليس

(١) بنبر ضبط في ف . انظر (Zetterstéen Op. Cit. 173,184,etc) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٩ ، حاشية ه .

(٣) كان غرض جوبان من تلك الحملة التي قادها شمالاً لحرب أوزبك ، أن ينتقم لدولة إيلخانات فارس مما شنّه أوزبك من حرب قبلا على حدود الدولة المملوكية بفارس . راجع Howarth : Op. Cit. III pp, 590,605 .

(٤) في ف « جنكلي » . انظر (Zetterstéen Op. Cit. 128,etc) .

(٥) في ف « علها » ، والصيغة المثبت هنا من ب (٣٥٨ ب) .

(٦) في ف « سنقر » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٨٥ ب) .

(٧) وصف ابن بطوطة في كتاب الرحلة المشهور (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار Defr. Sang. - ج ٢ ، ص ٤٠٨) مواكب الخواتين في بلاد الترك ، مما شاهدته بنفسه في بلاد أوزبك خان ، ملك القبيلة الذهبية ، وهو يعطى صورة واضحة لما جهزت به الخاتون طغاي .

والقاضي كريم الدين الكبير ؛ وخرَجَ النائب والحجاب (١٨٠) في خدمتها إلى بركة الحاج حتى رحلت في يوم الأربعاء ستايع عشرين شوال ، ومعها النقيب صاروجا وبكتاش^(١) ؛ ورُفِعَت عليها العصائب السلطانية ودُقِّت الكوسات وراها ؛ وُحِلَت الخضراوات والبقول والرياحين في المحابر^(٢) مزروعة في الطين ؛ ولم يُعْهَد سفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها .

و [فيها] خرج السلطان إلى الصيد ، وقد توقَّفَ حال الناس في أمر الفلوس لسكثرة الزغل فيها ، وتحسَّنت البضائع . فلما قدم السلطان من الصيد رسم أن تكون [الفلوس] بالميزان ، بعدما ضرب كثيراً من الباعة .

[وفيها]^(٣) سقط بحجم عظيم بغد العصر ، فطبَّقَ شعاعه^(٤) الأرض ، وراه كل أحد . [وفيها] ولدت كلبة بالقاهرة (١٨٠ ب) ثلاثين جروا ، وأحضرت بجراها^(٥) إلى السلطان .

وفي يوم الاثنين سادس عشرين رمضان شكَا طلبة زاوية الشافعي بجامع عمرو من مدرّسهم شهاب الدين الأنصاري ؛ وأبدوا فيه قوادح ؛ فصرَّفَ عنهم ، وولى عوضه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، ونزلت إليه الخلعة يوم الجمعة سلخه ، فلبسها يوم العيد .

ومات في هذه السنة من له ذكر نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن علي الخيري الإسفاني الفقيه الشافعي ، قاضي قوص ، بالقاهرة يوم الثلاثاء سادس عشرين صفر ؛ أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطي ، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود (١٨١) الأصماني ، والنحو عن ابن النحاس ؛ وبرع في ذلك وصنَّف . و [مات] تاج الدين أبو الهدي أحمد بن محمد بن الكمال أبي الحسن علي بن شجاع القرشي العباسي ، بمنشأة المهراني خارج مدينة مصر ، عن تسع وسبعين سنة ، في سابع جمادى الأولى . و [مات] محمد الدين أحمد بن معين الدين أبي بكر

(١) في ف ، « بكتاش » انظر ابن خيبر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٨٢) .

(٢) المحابر جمع محارة ، وهي حسبا ورد في محيط المحيط شبه المودج ، وفي اصطلاح العامة صندوقان يشدان إلى جانبي الرجل . وكان للمحابر سوق خاص بالقاهرة اسمه سوق المحابر ، واشتهر تجاره بتحديد أثمان بضائعهم بغير مساومة . (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠١) .

(٣) موضع ما بين الحاصرتين بياض في ف ، والإضافة من ب (١٣٨٦) .

(٤) في ف « سفاعته » والرسم المثبت هنا من ب (١٣٨٦) .

(٥) في ف « بجرواها » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٨٦) .

الهمداني المالكي، خطيب الفيوم، يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول؛ وكان يضرب به المثل في المكارم والسودد، وهو أخو قاضي القضاة شرف الدين المالكي، وصهر صاحب تاج الدين محمد بن حنّس^(١). ومات بمكة الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد ابن محمد الأصماني، في جمادى الآخرة. و[مات] الأمير زين الدين كتيبغا العادلي حاجب دمشق بها، (١٨١ ب) في يوم الجمعة ثامن عشرى شوال؛ واستقر عوضه الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمي؛ وكان شجاعا كريما. و[مات] نقي الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الغفار الهمداني الحلبي الضرير بمصر؛ ومُجد ميتاً في حادى عشر ذى الحجة، وقد أناف على السبعين؛ وحدثت بأشياء. ومات الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول التركاني ملك اليمن، في مستهل ذى الحجة؛ وكانت مدته خمسا وعشرين سنة؛ وقام من بعده ابنه الملك المجاهد سيف^(٢) الدين على. ومات كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الدست، في (١٨٢ أ) يوم الاثنين خامس عشر ذى الحجة بالقاهرة؛ وكان حشما رئيساً عاقلا. ومات الطواشى صنى الدين جوهر مقدم الممالك السلطانية، فاستقر بعده الطواشى صنى الدين صواب الركنى؛ وكان [صواب الركنى هذا] يلى تقدمه الممالك فى الأيام الركنية ببيرس، فلما قدم السلطان من السكرك عزله، ثم أعاده بعد موت جوهر. ومات حميد الدين أبو الشناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابورى، شيخ الخاندكاه الركنية^(٣) ببيرس، فى تاسع عشر جمادى الآخرة؛ ومولده سنة خمس

(١) ربما كان من الضرورى هنا أن يغير كاتب هذه السطور إلى صفة هذا الاسم الذى تقدم مررات بالجزء الأول من كتاب السلوك من غير ضبط أو تعليق، فصحته كما ذكر القرىزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٧٠) «بهاء مهمل مكسورة»، ثم نون مشددة مفتوحة، بعدها ألّف».

(٢) اضطربت أحوال اليمن منذ قيام الملك المجاهد سيف الدين هذا، إذ خرج عليه عمه الملك المنصور زين الدين أيوب سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) واعتقله وأخذ الملك منه مدة ثلاثة أشهر، ثم خلع الملك المنصور زين الدين وقبض عليه؛ وأعيد المجاهد سيف الدين إلى العرش، غير أن ابن عمه، واسمه الملك الناصر جلال الدين، قام يريد الملك لنفسه؛ وبقي أمر مملكة اليمن مضطربا غير منتظم الأحوال كما سيلي. انظر الخزرجى (العقود الأولوية، ج ٢، ص ١-٦)، أبو الفداء (المختصر فى أخبار البشر، ج ٤، ص ٩٤)؛ النويرى (نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٢٠-٦٠)، حيث توجد هذه الأخبار ضمن فصل طويل كتبه النويرى فى تاريخ اليمن كله منذ دخلها المسلمون إلى زمنه.

(٣) وصف القرىزى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٤١٦، وما بعدها) هذه الخاتمة التى بناها الأمير ركن الدين ببيرس الجاشنكير سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) قبل أن يتسلطن، بأنها كانت «أجل» =

واربعين وستمئة . ومات الشيخ تاج الدين يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم
الدمهورى الشافعى ، فى ثالث عشر جمادى الأولى ؛ كان يتصدر لإقراء (١٨٢ ب)
النحو ، وصنّف . ومات بمكة الإمام المقرئ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن
عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد المخزومى الدلاصى ، فى ليلة رابع عشر المحرم .

* * *

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . أهل المحرم يوم الأربعاء ، فى يوم الأربعاء
خامس عشره وصل أوائل الحجاج . وفى يوم الثلاثاء حادى عشره وصل القاضى
كريم الدين الكبير ، والأمير قجلىس صحبة الخاتون^(١) طغاي . وخرج السلطان إلى
لقائها ببركة الحاج ، ومدّ سمطاءً عظيماً ، وتخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف
وجميع القهرمانات : مثل الست حدّق^(٢) المعروفة بالست كمشكة ، [ونساء^(٣)
الأمراء] ؛ ودخل الجميع^(٤) إلى منازلهم ؛ فكان يوماً مشهوداً . (١٨٣ أ) ولم يسمع
بمثل هذه الحجة فى كثرة خيرها وسعة العطاء ، ويقال إن السلطان^(٥) أنفق على حجة
طغاي مبلغ ثمانين ألف دينار وستمئة ألف درهم ، سوى كرى الحمول وثمان الجبال
ومصروف الجوامك ، وسوى ما تحمل من [أمراء] الشام وأمراء مصر ، وفى
تاسع عشره قدم الحمل بيقية الحاج .

وفى يوم السبت ثانى صفر خرج الأمير جمال الدين أقوش نائب السكر ، والأمير
علم الدين سنجر الجقدار ، والأمير سيف الدين الماس الحجاب ، والأمير سيف الدين

= خاتمه بانقاهرة بنياناً ، وأوسسها مقداراً ، وأنقنها صنعة ... وهى مبينة بالحجر ، وكلها عقود محكمة
بدل السقوف الخشب » ، وقد بناها بيبرس على جزء من أرض دار الوزارة الكبرى .

(١) فى ف « خوند » . انظر ما سبق ، ص ٢٣١ ، حاشية ٨ .

(٢) فى ف « مثل الست حدّق والست مسكة » ، والصيغة المثبتة هنا من (Van Berchem : Corp. Inscr. No. 134, pp. 193-194) ومن ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٧) حيث توجد للست
حدّق هذه ترجمة ، ومنها « حدّق القهرمانية الناصرية » ، كان الناصر جعل لأميرها أمور نسائه ، فتحكمت فى
داره تحكماً عظيماً ، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدّق ، وحدث مرة فضرب المثل بما فعلته من الخيرات ،
وعمرت جامعاً ظاهر القاهرة ، وكان يقال ست مسكة ، فربما قيل للجامع ست مسكة ... » . انظر أيضاً
المقريزى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١١٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٦) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٢٨٦ ب) .

(٤) فى ف « ودخلوا إلى منازلهم » ، وقد عدلت للتوضيح .

(٥) فى ف « ويقال انه » .

طرجى أمير نخلس ، والأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار ، بمضافيهم وطائفة من أجناد الحلقة ، إلى غزو [بلاد متملك] سيس ، لمنعه الحمل . ولم يكن الأمر كذلك ، بل مسيرهم إنما كان (١٨٣ ب) لأجل توجه الملك أذربك إلى بلاد أبى سعيد . وكُتِبَ بخروج عساكر الشام أيضاً .

وفيه هدم موضع دار العدل الذى أنشأه الملك الظاهر بيبرس ، وعُمل طبلخاناه ، فى شهر رمضان ، فاستمرّ موضع الطبلخاناه إلى اليوم ، ولما هُدم وُجِدَ فى أساسه أربعة (١) قبور ، فلما نُبِشت وُجِدَ بها رمم أناس طوال عراض ، وإحداها (٢) مغطاة بملاءة دَبيق ملونة إذا مُسّ منها شئ تطاير ، وعليهم عدة القتال ، وبهم جراحات ؛ وفى وجه أحدهم ضربة سيف بين عيضة عليها قطن ، فلما رُفِعَ القطن أُنْبَع من تحته دم ، وشوهد الجرح كأنه جديد ، فنقلوا إلى بين العروستين (٣) ، وعمل عليهم مسجد . وفى مستهل ربيع الآخر قدم الأمير (١٨٤) سيف الدين طقصبا الظاهرى ، ومعه رسل الملك أذربك بكتابه ، فأحضروا ، ولم يعبأ السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أذربك عليه واطّراحه له ، وأعيد الرسل بالجواب .

[وفيه] قدم عرب البحرين بمائة وثلاثين فرساً ، فقوّمت بأثمان غالية ما بين عشرة آلاف درهم الفرس إلى خمسين ألفاً ، فلما أخذت أثمانها أنعم [السلطان] عليهم بخلع وتفاصيل وغير ذلك ، وسفّروا إلى بلادهم . وفيه عوّض السلطان أمير مكة عن نظير ما كان يستأديه من مكس الغلال ، وأقطعه ثلاث دمايين (٤) بالوجه القبلى .

و [فيه] قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بد الدين جنسكى بن البابا من الشرق ، وصحبها جماعة كثيرة (١٨٤ ب) إلى دمشق ، وأنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام . فاستُدعى من حضر معها إلى مصر ، فلما وصلوا أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وغيرها .

(١) فى « أربع » .

(٢) فى « واحد » مغطاة بملاءة ملونة ، والدبيق لسبة إلى دبيق ، وهى بليدة بين القرمة وتيس ، ينسب لإيها الثياب الدبيقية . ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٤٨) .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٧٣ ، حاشية ١ .

(٤) عرف مبارك (الخطط التوفيقية ، ج ١١ ، ص ٢٠) بلدة دمايين بأنها من مركز الأقصر بمدينة قنا ، وموقعها على الشاطئ الغربى للنيل .

وفي مستهل جمادى الأولى قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس ، وأخرب وغم وقتل جماعة ، وأن أوشين^(١) ، متملك سيس هلك ، وقام من بعده ابنه ليفون ، وله من العمر [نحو] اثنتى عشرة سنة ، وأن العساكر نازلت أياص وأخذوها عنوة بعد حصار ، وقتلوا أهلها وخرّبوها ؛ وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيراً ، وتوجهوا عائدين^(٢) . فقدم الأمير جمال الدين أقوش بالعسكر إلى القاهرة في سابع عشرى جمادى الآخرة ، وخُلع عليه .

وفي يوم (١٨٥) الأربعاء تاسع عشر رجب قدم الأمير تنكرز نائب الشام باستئذان ، فأنعم عليه السلطان بإعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار ؛ ورُسِّم لسان الأمراء بحمل تقادهمهم إليه ، وأن من أحضر مقدمة يُخلع على مُحضِّرها من الخزانة السلطانية ؛ فحملت^(٣) إليه تقادم جليلة ، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضة ؛ وحمل كريم الدين الكبير مقدمة بعشرة آلاف دينار . وعاد [تنكرز] — بعد إقامته خمسة أيام — على البريد ، في يوم الاثنين رابع عشرية ، ودخل دمشق أول شعبان .

و [فيه] توجه الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى إلى السلطان أبي سعيد بن خر بندا لعقد الصلح ، وعلى يده هدية سنية ، وسفّر بألف دينار .
وفي ثاني شعبان (١٨٥ ب) عُقد على الأمير أبي بكر بن الأمير أرغون النائب عقد خوند بنت السلطان ، وتولى العقد قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى ، على أربعة آلاف دينار . وختن السلطان أولاد ثلاثة من الأمراء : وهم بكتمر الساقى ، وطشتمر حمص أخضر ، ومنكلى بغا الفخرى ، وعمل لهم مهماً عظيماً مدة أربعة أيام ، ورعى الأمراء الذهب فى الطشت ، فبلغ ما فى طشت ابن الأمير بكتمر الساقى أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانين ديناراً ، وفى طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار ونيف ، وفى طشت ابن منكلى بغا ألف دينار وثمانمائة دينار .

(١) ذكر (Howorth Op. Cit III, P. 602) أن أوشين (Oshin) توفى سنة ١٣٢٠ م (٧٢٠ هـ) ؛ وأن ابنه وخليفته ليفون الخامس (Leo V) كان عمره عشر سنوات فقط ، فقام عليه وصياً من اسمه (Bailiff Oshin) ، وقد تزوج الوصى من أم الملك ليفون الخامس ، وتزوج الملك من ابنة الوصى .
(٢) انظر النويرى (نهاية الأرب ج ٣١ ، ص ١٢ — ١٤) ، حيث توجد أخبار هذه الحادثة فى كثير من التفصيل .
(٣) فى ف « غمل » .

وفي يوم الخميس عاشر رمضان تَبَضُّض على الأمير سيف (١١٨٦) الدين بكتمر البوبكرى وولديه ، ثم وقعت الشفاعة في ولديه أطلقا . وسبب ذلك كثرة معارضته للسلطان ، فعينه [السلطان] لنيابة صفد ، فاستعفى من ذلك ؛ فبعث إليه كريم الدين الكبير بالنى دينار وتشريف نيابة صفد ومالين بأمرتين لولديه بها ، فلم يعبأ بكريم الدين وفارقه وهو متغير فركب الأمير بكتمر وسأل السلطان الإغفاء ، فغضب وقبضه وولديه ، وسجنهم بالبرج إلى ليلة عيد الفطر ؛ [ثم] أفرج عن الولدين .

و [فيه] قدم الشريف عطيفة بن أبى نى صاحب الحجاز ، وأخبر بخطط مكة لعدم المطر ، وأنهم استسقوا ثلاثاً فلم يُسَقُوا ، ووصل القمح إلى مائتين وخمسين درهماً الأردب . فرسم السلطان أن يُحْمَل إلى (١٨٦ ب) مكة ألفاً أردب ، وحمل النائب^(١) ألف^(٢) أردب ، والحاج آل مالك ألف أردب . فلما وصلت الغلال تُصَدَّقُ بها ، فأنخل السعر ، وأبيع الأردب القمح بمائة درهم ؛ وأغيث^(٣) [أهل مكة] عقيب ذلك .

و [فيه] قدم الملك المؤيد صاحب حماة ، وسار مع السلطان إلى قوص .
و [فيه] نقل البوبكرى إلى الإسكندرية عند سفر السلطان إلى بلاد الصعيد ، فسجن بها .

و [فيه] ورد الخبر بخلع الملك المجاهد على صاحب اليمن ، وإقامة الناصر جلال الدين^(٤) .

ومات في هذه السنة من له ذكر الشيخ نجم الدين الحسين بن محمد بن عبود ، ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال ؛ وكان قد عظم قدره في الدولة المنصورية لاجين وغمَّـر (١١٨٧) زاويته بالقرافة ، وقصده الناس لقضاء حوائجهم . ومات الشيخ جلال الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود القلانسي ، بالقدس في ذى القعدة ؛ وكان قدم إلى مصر في سنة تسع وتسعين وستائة ، وأقام بها وحصل له بها رياسة ، واعتقده الأمراء ، وأهل الدولة ، وترددوا إلى زاويته على بركة الفيل ؛ ثم أخرج إلى القدس

(١) لعل المقصود بذلك الأمير أرغون نائب الساطنة .

(٢) في ف « اتقا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٨٨ ب) .

(٣) في ف « واغيثوا » ، وقد حذفت واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٢٣٤ ، حاشية ٢ .

وكان كاتباً فاضلاً معتقداً . و [مات] الشيخ حسن الجوالقي القاتندري ، صاحب زاوية القلندرية^(١) ، خارج باب النصر من القاهرة ، في يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الآخرة بدمشق ؛ و [كان قد] تقدم في دولة العادل كتبغا . و [مات] الرئيس الكاتب زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح رواحة بن علي بن الحسين بن مظفر (١٨٧ ب) ابن نصر بن رواحة الأنصاري الحموي ، بسيوط من بلاد الصعيد ، في ذي القعدة عن أربع وتسعين سنة ؛ ورحل إليه الناس لسماع الحديث . و [مات] محي الدين عبد الرحمن بين مخلوف بن جماعة بن رجاء الربيعي الاسكندراني المالكي مسند الإسكندرية ، بها في يوم الثامن من ذي الحجة عن ثلاث وتسعين سنة . و [مات] تقي الدين عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح [العمري]^(٢) المحدث الزاهد ، في ذي القعدة بمصر . و [مات] أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن حريث^(٣) القرشي البليكنسي السبتي ، بمكة في جمادى الآخرة عن إحدى وثمانين سنة ؛ وأقام بها مجاوراً سبع سنين ؛ وكان خطيباً بسنة ثلاثين سنة ، وبرع في فنون . و [مات] شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع — المعروف (١١٨٨) بابن الصائغ — بدمشق ؛ وقدم إلى مصر ، وبرع في الأدب ، وصنف . و [مات] أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الأصفهاني الشافعي ، بسيوط . و [مات] تاج الدين محمد بن الجلال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي^(٤) الشافعي بقوص . و [مات] زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر أم محمد المقدسية المعمرة الرُّحْلَة ، في ذي الحجة بالقدس ، عن أربع وتسعين سنة ؛ حدثت بمصر والمدينة النبوية . ومات بدمشق الأمير غلبك العادلي ، والأمير نضر الدين أياز شاد الدواوين ، والأمير أيدير الساقى — المعروف بوجه الخشب ومات أقجبا البدرى وإلى الفيوم .

(١) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٦٥٥ ، حاشية ٤) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرين من بد (١٢٨٨) . انظر أيضا ابن العباد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٧) .

(٣) في ف « حرث » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن العباد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٥٨) . انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٩٩) .

(٤) في ف « النساوي » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٢٨٧ ب) . انظر أيضا ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٢٣) ؛ هذا والنسبة إلى دشما أحد مهاجري مديرية قنا الحالية . (فهرس مواقع الأمكنة ، ص ٦١) .

و [مات] بدر الدين والى قوص . ومات الأمير عز الدين أيلك البغدادى بمحبسه من قلعة الجبل ، فى سابع عشر جمادى الآخرة . (١٨٨ ب) ومات بمصر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن المسكين^(١) بن رابعة ، فى ثالث عشرى المحرم . و [مات] أفضى القضاة نور الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن يعقوب الزاوى المالكي ، يوم الأربعاء سابع عشر صفر . و [مات] القاضى سعد الدين مسعود بن نفيس الدين موسى بن عبد الملك القمنى الشافعى ، يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان . و [مات] أفضى القضاة قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى ، خليفة الحكم الشافعى ووكيل بيت المال بالقاهرة ، سحر يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة .

* * *

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . أهل المحرم بيوم الأحد الموافق له رابع عشر طوبة ، سقط بالدقهلية والمراتحية من بلاد الغربية — بعد مطر (١٨٩) عظيم وريح قوية جداً — بردٌ وزن الحبة منه ما يذيف على خمسين دهما ، أنلف كثيراً من الزرع ومن الغنم والبقر ؛ ووُجد فيه حجارة منها [ما] وزنه من سبعة أرطال إلى ثلاثين رطلاً ، وتلف من البلاد أحدٌ وسبعون^(٢) بلداً بالغربية ، واثنان وثلاثون^(٣) بلداً بالبحيرة .

وفى نزل السلطان بالجيزة عائداً من بلاد الصعيد ، وتخلع على نائب حماة ، ورسم له بالعود إلى بلده . واستدعى [السلطان] بالحريم من القلعة إلى عنده ، وكان الوقت شتاءً ؛ فطُرد سائر الناس من الطرقات ، وغلقت الحوانيت ؛ ونزلت خوند طغاي ، والأمير أيدغمش أمير آخور ماش يقود عنان فرسها بيده ، وحوطها سائر الخدام مشاة منذركت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل ، فعدت في الحراسة . واستدعى (١٨٩ ب) الأمير بكنمر الساقى وغيره من أمراء الخاصكية حريمهم ، وأقاموا فى أهنأ عيش وأرغده .

و [فيها] قدم من [عند] صاحب ماردن الجارية التى طُلبت : وكان المجد السلامى

(١) فى ف « الكبير » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٨٨ ب) .

(٢) فى ف « سبعين » .

(٣) فى ف « اثنين وثلاثين » .

قد بعث بأنه أراد شراء جازية جنكبيّة^(١) من الأردوا ، فبذل صاحب ماردین فيها الرغائب لصاحبها حتى اشتراها ، وأن المجد سيّر يعلمه بأنه قد عينها للسلطان ، فلم يعباً بقوله وشفف بها . فكتب [السلطان] لصاحب ماردین بالإنكار عليه ، وأن يحملها إلى مصر ، فسيّر جازية غيرها مع ملوكين ؛ فلم يخف ذلك على السلطان ، وردّ الثلاثة ، وقال لقاصده شفاهاً : « متى لم يبعث بالجازية ، وإلا أخربت ماردین على رأسه » ، فلم يجد بُدأ من إرسالها ؛ فلما خضرت أنعم السلطان عليه بإنعامات (١٩٠) جليلة . و [فيه] عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة ، وقد توّكك كريم الدين الكبير . وفي خامس عشره قدمت بوادر الحجاج ، وقدم المحمل ببقية الحاج في يوم الخميس سادس عشره .

و [فيه] تكرّر إرسال السلطان الأمراء وغيرهم لنفقده حال كريم الدين ، فلم ينزل إليه أحد إلا وخلق عليه أطلس بطراز وكلفته زركش وحياسة ذهب ، حتى استعظم الناس ذلك . وبالحق [السلطان] في كثرة الإنعام على الأمراء والحكام إلى يوم الخميس ثالث ربيع الأول . [ثم] ركب [كريم الدين] إلى القلعة ، وتوجه بعد اجتماعه بالسلطان إلى القرافة ؛ فكان يوماً مشهوداً ، نُثِنت فيه القاهرة زينة عظيمة ، وصفت بها المغاني ، وأشعلت الشموع ؛ واجتمع الناس بالمدرسة المنصورية بين القصرين لأخذ الصدقات (١٩٠ ب) ، فمات في الزحمة أربعة عشر إنساناً ، وتأذى أناس كثيرة ، ولم يفرّق فيهم [شيء] . وخلق على جميع الأطباء ، وأخرج أهل السجون ، وتصدّق بأموال جزيلة .

و [فيه] قدم الخبر باجتماع الأمير أيتمش بالسلطان أبي سعيد ، وأنه أكرم غاية الكرامة ، وعاد إلى ماردین .

وفي عشره قُتِل الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندي^(٢) الصوفي : وكان قد قدم من دمشق في أوائل هذه السنة على هيئة الفقراء اليونسية^(٣) ، ولا يزال في يده

(١) انظر المقرئ (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، حاشية ٣) .

(٢) في ف « الدينري » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٨٩) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣١١) .

(٣) انظر ما سبق هنا ، ص ٣١ حاشية ٤ .

طبر^(١)؛ وشيهر بدين وعلم . فلما كان هذا اليوم تحزّم وقال : « أنا راجح أجاهد في سبيل الله وأموت شهيداً » ، وسار من خانكاه سعيد السعداء إلى قلعة الجبل ، والأمراء جلوس على باب القلعة ؛ فرأى رجلاً من المسلمين قد تبسّع بعض (١٩١) الكتاب النصراني وقبّل يده والنصراني لا يعياً به ، فخنق منه وضرب النصراني بالطبر فهدل كتفه وثنّى عليه . فارتجت القلعة ، واجتمع الناس وقبضوه ؛ فاشتدّ السلطان ، وأمر به فضرب عنقه على باب القلعة .

وفي ثالث عشرية قدم البريد بوفاة نجم الدين أحمد بن محمد بن صصري قاضي القضاة الشافعية بدمشق ، فاستقرّ عوضه قاضي القضاة جمال الدين سليمان بن عمر الزرعي ؛ واستقرّ عوضه في تدريس المدرسة المنصورية القاضي تقي الدين السبكي ، وفي تدريس الجامع الحاكّي الشيخ شمس الدين محمد بن عدلان .

و [فيه] قدم الأمير أيتمش المحمدي من عند أبي سعيد ، وقد عقّد الصلح بينه وبين السلطان ، وخُطب بذلك في يوم الجمعة (١٩١ ب) بمدينة توريز على منبر الجامع ، و [قد حمل الأمير أيتمش] معه نسخة الأيمان التي تتضمن حلف أبي سعيد وجوبان والوزير^(٢) ، وما أُنم به عليه أبو سعيد : وهو ما قيمته نحو المائتي ألف درهم ، ولؤلؤاً^(٣) اشتراه بأربعين ألف درهم قنّوم بمائة ألف . وقُدّم [أيتمش] ذلك كله للسلطان ، وحلف ألا يدخل في ملكه ، فقبله منه وأنعم عليه بمائة ألف درهم ؛ وحمل له كريم الدين عشرين ألف درهم من عنده .

وفي يوم الخميس سلخ ربيع الأول قبل الظهر وُلد للسلطان ولد ذكر من حظيته طغاي^(٤) سماه آفوك .

(١) في ف « طبر » والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٨٩) . انظر ما يلى بهذه الصفحة ، سطر ٥ ، وقد تقدم شرح لفظ طبر في المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧٤٧ ، حاشية ٤) .

(٢) المقصود بذلك وزير أبي سعيد ، واسمه على شاه ، وهو حسبما ذكر أبو الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ٩٦) صاحب الفضل في الصلح والمودة بين أبي سعيد والسلطان الناصر محمد . انظر أيضاً ما سبق هنا ، ص ١٩٥ ، حاشية ٥ .

(٣) في ف « لولو » .

(٤) في ف « طغاي » . انظر ما سبق ، ص ٣٣١ ، سطر ١٧ . ويلاحظ أن هذا الخبر قد تقدم فعلاً بالصفحة المشار إليها ، وقد تكررت هذه الظاهرة في بعض الأخبار ، ويظهر من هذا أن المقرئى قد أنفأ هذا الجزء من كتاب السلوك من مرجعين .

وفيه وقف بعض بزدارية (١) السلطان وشكا أن أحد أجناد الأمير بكتمر الحاجب تزوج بامرأته من غير أن يكون [قد] طلقها (٢) ؛ وأنه رشا الشهود حتى فعلوا له (١٩٢) ذلك . فكشف علم الدين الخازن والى القاهرة عن قوله فتبين كذبه ، وأنه طلق المرأة وانقضت عدتها ثم تزوجت بالجندی . فتعصب الأمير بكتمر على البازدار لظهور كذبه ، فحقق السلطان وأمر الوالى بتعزيز (٣) الشهود ومنعهم من تحمل الشهادة ، وإلزام الجندی بطلاق المرأة وردّها إلى البازدار ، فكان هذا من الأمور الشيعة .

وفيه قبض على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة الله بن السديد ناظر الخاص ووكيل السلطان ، فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر ، بعد ما تجهز لیسافر فى يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام . فعندما طلع إلى القلعة على العادة ، ووصل إلى الدركاه ، (١٩٢ ب) منع من الدخول إلى السلطان ، وعوق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبد الله وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة . ووقعت الحوطة على دور كريم الدين الكبير خاصة التى بالقاهرة وبركة الفيل ، ونزل شهود (٤) الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل ، وحملوا ما فيها إلى القلعة . وتوالت مصادرتة ، فوجد له شىء كثير جداً : من ذلك قماش وبرمرد (٥) وطرز وحوایص قيمتها زيادة على ستين ألف دينار ، وفند وسكسّر زنته ثمانون ألف قنطار ، وعسل عدة ثلاثة وخمسين ألف كمنطر (٦) ؛ وصناديق بها مسك [وزعفران] وعنبر وعود ولبان وغير ذلك عدة

(١) انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦ ، حاشية ٦) .

(٢) فى ف « يطلقها » .

(٣) التعزيز تأديب المذنب على ذنب لم تشرع فيه الحدود بعقوبة ثابتة ، ولذا تختلف العقوبة فيه بحسب المذنب والذنب المرتكب . انظر الماوردى (الأحكام السلطانية ، ص ٢٢٤ - ٢٢٧) .

(١) تقدمت هذه الوظيفة أكثر من مرة فى المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٥٩٣ ، ٩٦٧) . غير شرح أو تعليق ، والواضح من عبارة المتن أن المقصود بالشهود هنا شهود خزانة المال السلطانية ، ويوجد فى ابن مائى (قوانين الدواوين ، ص ٩) تعريف لوظيفة الشاهد عامة ، ونصه : « الشاهد من لوازمه أن يضبط كل شىء هو شاهد فيه ؛ وأن يكون له تعليق بخدمته ، ويكتب على الحساب الموافق لتعليقه ، ولا يلزمه شىء مما يلزم الناظر والمشارف والعامل والجبهذ ، إلا أن يظهر أنه وإطام على خيانة ، فيكون كأحدهم » .

(٥) فى ف « وبر » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٩٠) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة .

(٦) المطر - والجمع أمطار - مكيال للسوائل عامة ، وقد ذكره المقرئى (المواعظ =

أحد وأربعين صندوقاً . وأبيعت داره التي على بركة (١١٩٣) الفيل للأمر سيف الدين طقتمر بثلاثة عشر ألف دينار . وحمل ماله في (١) الإسكندرية ، وكان خمسين ألف دينار ، ومن أصناف المتاجر شيء كثير جداً ، ومنه ثمانون ألف قطعة خشب ، ومائة وستون ألف قنطار رصاص ؛ وبلغت قيمة الأصناف التي له في الإسكندرية خمسمائة ألف دينار . ووجد له بدمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم ، وخمسة وعشرون ألف دينار . وبلغت قيمة أوقافه ستة آلاف ألف درهم .

وفي يوم السبت سلخه [قبض على كريم الدين الصغير (٢) ، بسبب أنه امتنع من أن يتحدث في الخاص والمتجر ويدبر الأمور كلها بعد القبض على خاله كريم الدين الكبير] . و [فيه] نُقل كريم الدين الكبير وولده علم الدين إلى البرج المرسوم للصادر بين باب القرافة من القلعة ، وطولب بالحمل . وعوفي بالقلعة ناصر الدين شاد الخاص ، والمهذب (١٩٣ ب) العامل (٣) ، وغيره لعمل حساب كريم الدين .

وكان سبب نكته حسد الأمراء وغيرهم له على قوة تمكنه (٤) من السلطان وسعة ماله وكثرة عطائه . فوشوا به إلى السلطان أنه يتلف الأموال السلطانية بتفريقها ، ليقل عنه إنه كريم . واتفق مع ذلك أن كريم الدين أكرم الصغير كان له اختصاص بالأمير أرغون النائب ، فأكثر من شكاية كريم الدين الكبير ، وأنه يمنعه من تحصيل الأموال . وكان

= (والاعتبار ، ج ١ ، ص ٨٤) كيكال للسمن . وهو لفظ يوناني الأصل ، ويقال في اللاتينية لفظ (metreta) وسعته نقل عن (Dozy Supp. Dict Ar.) « نصف قنطار باللي على التحرير ، والطل اللي مائة درهم » . وفي نفس المرجع لفظ مطرة ، وهي وعاء كبير من الجلد أو الخشب يستعمل للقاء (grand vaisseau ou bouteille de cuir ou de bois pour l'eau) ، وقد قاموس المحيط باللفظ القرية . ويوجد به أيضاً لفظ مطارية ، وهي إناء مستدير من الفخار له رقبة طويلة فسه ضيقة (pot de terre, de forme ronde, avec goulot, étroit et allongé) .

(١) في ف « الى » والصيغة المثبتة هنا من ب (١٣٩٠) .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠) ، ضرورته في توضيح ما يلي .

(٣) عرف الفلقشندی (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦) العامل في زمنه بالآتي : « وهو الذي ينظم الحسابات (كذا) ويكتبها ، وقد كان هذا اللقب في الأصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب ، وخصه به دون غيره » .

(٤) في ف « تمكنه » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٣٩٠) .

أكرم [الصغير] ظلوماً غشوماً ، يريد أن يمدّ يده إلى ظلم الناس فيمنعه كريم الدين . فبلغ النائبُ السلطانَ شكوى أكرم [الصغير] مراراً ، فآثر في نفسه ذلك . وصار [السلطان] ^(١) يرى عند ^(٢) الخاضعية من الملابس الفاخرة والطرز الزركش ، وعند نسائهم من الملابس والخلى (١٩٣) ما يستكره ، فإذا سأل عنه قيل له هذا من كريم الدين ، فتصغر نفسه عندهم لأنه لا يعطيهم قطّ مثل ذلك . ولما حضر عرب البحرين بالخيّل قوّمت بألف ألف ومائتي ألف درهم ، سلّها كريم الدين إليهم بحملتها ^(٣) فيما بين بكرة النهار إلى الظهر ، وعادوا إلى السلطان وقد دهشوا ، فإنه كان أخرج إليهم شكاثر ^(٤) ما بين ذهب وفضة . فلما قال لهم السلطان : « قبضتم ؟ » ، قالوا : نعم ! ، قال : « لعله تأخر لكم شيء ؟ » ، فقالوا : « وحياتك ! عند كريم الدين مال في خزانة إذا أخرج منه مدة شهر ما يفرغ » . فتحرّك [السلطان] لذلك ، وقال ليكثر الساقى : « سمعت قول العرب أنه دفع هذا القدر في يوم واحد ، والخزانة ملائنة ذهباً وفضة ؟ وأنا أطلب (١٩٤ ب) منه ألفي دينار فيقول ماتمّ حاصل ! » . وتبين الغضب في وجه السلطان ، فأخذ بكتمر يتلطّف به وهو يحتدّ إلى أن قبض عليه .

وفي يوم السبت سابع جمادى الآخرة نُقل تاج الدين بن عمّاد الدين [بن السكري] ^(٥) من شهادة الخزانة إلى نظر بيت المال ، وُخلع عليه بطرحة . و [فيه] نقل علاء الدين بن البرهان البرلسي من نظر بيت المال إلى نظر خزائن السلاح ، وخلع عليه .

وفي رابع عشره قدمت رسل أبي سعيد لتحليف السلطان على الصلح ، ومعهم هدية ما بين بخّائي وأكاديش وتحف ، فقرأ كتابه بوقوع الصلح ، ثم سفّروا بهدية

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٣) ، حيث توجد أخبار كارثة كريم الدين الكبير في تفصيل كثير .

(٢) في ف « على » .

(٣) في ف « محملها » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٩٠ ب) .

(٤) الشكاثر جمع شكاراة ، وهي هنا كيس النقود (bourse) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٣٩٠ ب) .

سنية — بعد ما غرهم إحسان السلطان — في ثانی عشریه .
[وفيه ^(١) قدم] الخل من [عند متملك] سيس [صحبة رسوله] ، ومعه جواهر
ثمينة ؛ واعتذر [الرسول] عما (١٩٥) كان من ^(٢) [متملك سيس ، واستأذن في
عمارة أياس ، على أن يحمل في كل سنة مائة ألف درهم ؛ فأجيب إلى ذلك .

و [فيه] قدم موسى بن مهنا وعمه محمد بالقود على العادة ، وخيول كان السلطان
استدعى بها ؛ وسبب ذلك وقوع الصلح مع أبي سعيد ، فضاقت بهم البلاد ، فأكرمها
السلطان وأنعم عليهما ، وأعادهما إلى بلادهما .

و [فيه] وقعت مرافعة بين فرج وعلى ولدى قراسنقر ، بسبب دخيرة لأهمها
تبلغ نحو المائتي ألف ألف درهم ، فأخذها السلطان منهما .

و [فيه] قدم المجد السلاحي من الشرق ، وقدم مقدمة جليلة ؛ فرتبت له الرواتب
السنية ، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين ^(٣) ألف درهم في السنة ، ومرسوم بمساحة
نصف المكس عن تجاراته ؛ وعاد (١٩٥ ب) إلى توريذ .

و [فيه] قبض على جماعة من الممالك ، وعثوا بسبب ورقة وجدت تحت
كرسى السلطان فيها سببه وتوبيخه ؛ وأخرج منهم عدة إلى بلاد ، وسجن منهم جماعة .
وفي سادس عشره استقر الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي أستاذاً ، عوضاً عن
الأمير سيف الدين بكتمر العلائي ؛ وخرج بكتمر إلى دمشق . [وكان ذلك] بسبب
أنه استخدم طباح كريم الدين الكبير في مطبخ السلطان ، فأنكر عليه [السلطان ^(٤)]
ذلك [وقال له : « تستخدم طباح رجل قد عزله وصادته في مطبخي ؟ » . وأخرج
أيضاً الأمير سنقر السعدي نقيب الممالك إلى طرابلس .

(١) موضع ما بين الحاصرين بياض في ف .

(٢) في « منه » وقد حذف الضمير وأثبت الاسم ، وأضيف ما بين الحاصرين بهذه الفقرة بعد
مراجعة (Howarth : Cp. Cit. III. P. 604) وكان متملك سيس — أي صاحب إرمينية الصغرى —
تلك السنة ليون الخامس ، وقد سفر له عند السلطان الناصر قسطنطين بطرك الأرمن .

(٣) في ف « خسون » .

(٤) في ف « وانكر عليه وقيل له » .

وفيه أفرج عن كريم الدين أكرم [الصغير^(١)] ، ورُسم [له] أن يتحدث في الأموال السلطانية كلها بغير مشارك ؛ فامتنع من ذلك ، (١٩٦) فعزل عن نظر الدواوين . ثم خُلع^(٢) عليه واستقرَّ صاحب ديوان الجيش ، عوضاً عن معين الدين ابن حشيش ؛ وخُلع على معين الدين بنظر الجيش بالشام .

وفيه ولي السلطان نظر الخاص تاج الدين إسحاق أحد نظار الدواوين ، وقسمي لما أسلم عبد الوهاب ، ورسم ألا يتحدث في متجر . وكان سبب ولايته أن السلطان لما قبض كريم الدين الكبير بعث إليه أن يعين من يصلح لنظر الخاص ، فعين التاج ؛ وبأشر [التاج] الخاص بسكون زائد وسياسية جيدة إلى أن مات .

و [فيه] طلب صاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القدس .

وفي ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سفر كريم الدين أكرم [الصغير^(٣)] على البريد إلى صفد .

وفي يوم الأربعاء رابع عشره أفرج (١٩٦) عن كريم الدين الكبير وولده ، وألزم بالاقامة في تربته من القرافة ؛ وكان له يوم عظيم جداً ، وأتاه الناس من كل مكان .

و [فيه] استقر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك في نظر المارستان ، عوضاً عن كريم الدين [الكبير] ؛ فوجد حاصله أربعاًة ألف درهم ، سوى سكر وغيره قيمته مائة ألف درهم .

و [فيه] استقر الأمير سيف الدين قجليس في نظر جامع ابن طولون ، [عوضاً^(٤) عن كريم الدين الكبير أيضاً] .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١) .

(٢) في ف « وخلع » ، وقد عدلت كما هنا للتوضيح .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠١) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٣) .

(٥) في ف « لغيره » ، انظر ابن كثير (البداءة والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٠٥) ومنه أضيف

ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة . ولشمس الدين غبريال هذا ترجمة طويلة في ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ - ٣٥٤) ، ومنها أن اسمه عبد الله بن صليحة القبطي شمس الدين غبريال ، وأله أسلم سنة ٥٧١ هـ . وأنه كان يحفل بالمولد النبوي ويقيم الليالي سماع البخاري .

أموال كثيرة ؛ ثم خسول أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرّماً .
ثم قدم (١) [الصاحب] أمين الدين يوم الأحد رابع عشر ربيع الآخر ، وقُترّر
في الوزارة ، وجلس بقلعة الصاحب من القلعة ، ونزل إلى داره ، فكان يوماً مشهوداً .
واستقرّ في نظر النظار شرف الدين إبراهيم بن زُنْبُور (٢) ، واستقرّ عوضه في
استيفاء (١٩٧) (١) الصحبة شمس الدين إبراهيم بن قروينة (٣) صهر [الصاحب] أمين
الدين ؛ فصار نظر النظار بين القاضي موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم وبين
ابن زنبور . وشكّي [الصاحب] أمين الدين نفسه من [كريم الدين] أكرم الناظر ،
وأُخْرِقَ به .

وفي يوم السبت سلخ ربيع الآخر قبض على كريم الدين الصغير ؛ واعتقل ببرج في
القلعة ، فشرع في حمل المال ؛ ثم أفرج عنه سلخ جمادى الأولى ، ورسم له بنظر صفد ،
فتوجه إليها ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة .

و [فيه] قدم شمس الدين غبريال ؛ ومعه حمل دمشق ألف وستائة ألف درهم
ومن الذهب مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار من حاصل كريم الدين ومتاجره .

وفي يوم السبت تاسع عشر جمادى (١٩٧ ب) الآخرة أخرج كريم الدين الكبير
وولده إلى الشوبك ؛ بعد ما أشهد عليه أن جميع ما وقفه من الأملاك وغيرها إنما
مُتْرَاهُ من مال السلطان دون ماله . فأبقى السلطان أوقاف الخانكاه بالقرافة ؛ وأوقف
أمع بدمشق ؛ وأعيد غبريال إلى دمشق على عادته .

و [فيه] توجه التاج [إسحاق والأمير] علاء الدين [مغلطاي] [الجمالي (٤)] إلى

(١) في ف « قدم » .

(٢) في ف « زبير » ، والرسم المثلث هنا من ب (١٣٩١) . انظر أيضاً ما يلي بهذه الصفحة ،
سطر ٦ ، ولم يكتب ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١ ، وما بعدها ترجمة لابن زنبور هذا بين
من اسمه إبراهيم كما ينظر ، على أنه أورد ترجمة لابن له فيما يظهر ، واسمه علم الدين عبد الله بن أحمد بن
إبراهيم بن زنبور القبطي (نفس المرجع ، ج ٢ ص ٢٤٠) وكذلك Wiet : Les Biographies du
Munhal Safi No. 1301. p. 185)

(٣) في ف « قروينة » . انظر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٥٣) ، وكذلك
(Wiet : Les Biographies du Munhal Safi No. 1951, P. 291) حيث ورد ذكر
اخ إبراهيم هذا ، واسمه غفر الدين ماجه بن قروينة القبطي الأملي . انظر أيضاً ما سبق هنا ، ص
١٤٧ . سطر ١٠

(٤) أضيف ما بين الحاملتين بهذه الفقرة بعد مراجعة (Zetterstéen : Op. Cit. p.148, etc) .

الإسكندرية ، واحتاطا على أموال كريم الدين [الكبير] ، وكانت تحت يد مكين الترحمان ، و [قد] أخذ المكين [منها] ثلاثة وخمسين ألف دينار ؛ فاستقر [التاج إسحاق] يتحدث في متجر الخاص . وعاد [التاج إسحاق] — ومعه الأمير مغلطاي — فأوقع الحوطة على أموال التجار ، وألزم ابن المحسن متولى الثغر بخمسين ألف دينار ، ورسم على سائر المباشرين ، وصادر الناس ، ففُتِلَّتْ المدينة . وبلغ السلطان ذلك (١١٩٨) فأنكره ، وأفرج عن ابن المحسن بعد ما أخذ منه مبلغ اثني عشر ألف دينار ؛ وعاد [الأمير علاء الدين مغلطاي] الجالى بستين ألف دينار من المصادرات .

وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة السلطان ، في يوم الاثنين ثامن عشر شعبان . وقد اعتنى السلطان بمهازها عناية عظيمة ، وعمل لها بشخانا (١) وستارة وداير بيت زركش بمبلغ ثمانين ألف دينار ، وآت ذهب وفضة بما ينيف على عشرة آلاف دينار . وعمر [السلطان] لها مناظر الكباش عمارة جديدة ، ونقل الجهاز إليها ، ثم نزل بنفسه حتى نصب الجهاز . وعمل المهم مدة ثلاثة أيام ، حضره نساء الأمراء بتقادهم : وهى ما بين أربعائة دينار — سوى تعابى القماش — إلى مائتى دينار . وكان فيه ثمانى (١٩٨ ب) جوق من مغانى القاهرة ، وعشرون جوقة من جوارى السلطان الأمراء ، تخص كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير ؛ ولم يحصر ما حصل لجوارى السلطان والأمراء لكثرتهم . فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبىة قماش على قدرها ، وعم جميع الأمراء بالخلع ؛ وفُتِلَ من الشمع بعد ما استعمل منه مدة العرس ألف قطار مصرى . وأنعم [السلطان] على الأمير أرغون النائب بمنية بنى خصيب ، زيادة على إقطاعه .

وفيه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى ، وفرج بن قراسنقر ، وكرت ، وعدة من المالك . ثم أفرج عن طشتمر من يومه ، ونفى كرت إلى صفد ، وبقي فرج بن قراسنقر (١٩٩ أ) بالجب .

(١) البشخانا — والجمع بشاخين — لفظ فارسى معرب ، ومعناه حسبنا ذكر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) الناموسوية أو ما يشبهها من حليقول السرير أو الغرفة كلها ، ومن معانيها أيضا السرير ، أو الغرفة التى بها ناموسية (Msustiquaire, garniture du lit ou de chambre pour garantir des cousins,.... le lit ou la chambre, qui a un moustiquaire)

وفيه هبّت ريح سوداء حارة بدمشق ، مات منها جماعة من الناس لجأة ، وفسدت الثمار وجفت المياه ؛ فتحسّن سعر الغلال . ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر ، فتغيرت أمزجة الناس ، وفسدت الأمراض ، وكثر الموت مدة شهر ، وفسدت الثمار ؛ وتحسن السعر ليهف الغلة وقلة وقوعها .

وفيه قدم الأمير بكتمر الحسامي من دمشق ، فولى الإسكندرية وتوجه إليها ؛ فأراق الخور بها ، ومنع من بيعها ، وجعل أجرة النقيب نصف درهم ، وتثبتت في البيئات ، وحمل الناس على الأمور الشرعية . فاستخفوا به وطعموا فيه . وكثر فسادهم ؛ فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه ، فكان الرجل إذا شكى يجبي [منه] من مائتي درهم إلى ما (١٩٩ ب) دونها ؛ وضرب جماعة منهم فخصعوا له .

و [فيه] توجه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة والأمير آل ملك إلى الحج ، في سادس شوال . وتوجه الأمير بيبرس الدردار نائب السلطنة في حادى عشره ، ومعه حاج كثير ؛ ورحل المحمل ببقية الحاج في ثامن عشره من البركة . وتوجه الفخر ناظر الجيش في ثانى عشره إلى القدس ، ليتوجه منه إلى الحج . وكانت عدة ركوب الحاج من مصر ستة ركوب ، على كل ركب أمير .

و [فيه] استقر بلبان العتريس في ولاية البحيرة ، عوضاً عن أسندمر القانجق .

و [فيه] استقر قدادار ملوك برلغى في ولاية الغريبة .

وفى أول ذى الحجة خرج الأمير علاء الدين على بن قراسنقر ، والأمير سيف الدين أيدمر السبكى ، والأمير (٢٠٠) طقصبای المرتبة فديتته^(١) بقوص ، وخمسمائة من أجناد الحلقة إلى بلاد النوبة ، ومعهم كرنبس . فانتهاوا إلى دمقلة — و [كان] قد تغلب كنز الدولة عليها ، ونزع كرنبس — ، فقر كنز الدولة منهم ؛ وجلس كرنبس على سرير مملكة وعادوا ، فخارب كنز الدولة كرنبس بعد عود العسكر ، ومالك منه البلاد .

وفيه صرف معين الدين بن حشيش عن ديوان الجيش ، ونقل إلى دمشق ، وأشرك بينه وبين القطب ابن شيخ السلامة في نظر الجيش بها .

(١) في ف « طقصبای افديته المرتبه بقوص » ، ولعل الصحيح ما أثبت بالمتن .

وفيه ابتداء السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس في آخر ذى الحجة .
 وكان قاع^(١) النيل في هذه السنة ستة أذرع ونصف ، وكان الوفاء يوم الأربعاء
 سادس شعبان ، وسابع عشر مسرى ، وانتهت الزيادة في سابع عشر (٢٠٠ ب)
 رمضان إلى ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع . وخرق الماء من ناحية بستان الخشاب ،
 ودخل إلى بولاق ، وغرق بساتين . وانقطعت الطريق من جهة اللوق ، وغرق
 الخور ، وانهدمت عدة بيوت ، وغرقت المنية وجزيرة الفيل ؛ وجزيرة الفيل ؛ فركب
 السلطان بنفسه لعمل جسر . ثم قويت^(٢) الزيادة ، وفاض الماء على منشأة المهراني
 ومنشأة الكتبة ، وصار ما بين بولاق ومصر بجزراً واحداً . وأمر الناس برمي التراب
 في ناحية بولاق ، وكثر الخوف من غرق القاهرة ، واشتدت الاحتراس . وطلب
 الفقراء للعمل ، فبلغت أجرة الرجل في كل يوم ما بين درهم إلى ثلاثة دراهم ، لعزة
 وجود الرجال واشتغالهم عند الناس في نقل التراب . ونزلت أما كن كثيرة ،
 وغرقت (١٢٠١) الأقباب ببلاد الصعيد ، وتلف القلقاس والنيلة وعدة مظامير بها
 الغلال . وكتب لسائر الولاة بكسر جميع الترع والجسور وتصريفها إلى البحر المالح ،
 فبث الماء ثلاثة وأربعين يوماً ، ثم نزل قليلاً قليلاً . فاستدعى السلطان المهندسين ،
 ورسم بعمل جسر يحجز الماء عن القاهرة لثلاث فرق في نيل آخر ، وألزم أرباب الأملاك
 المظلة على النيل بعمارة الزراي^(٣) ، فعمل كل أحد تجاه داره ذرية . واستدعى
 الأمراء فلاحيهم من النواحي ، فحضرُوا بالآبقار والجراريف . وعمل الجسر من
 بولاق إلى منية الشيرج ، ووُزِعَ بالآقصاب على الأمراء ، فنصب كل أمير خيمة
 وخرج برجاله للعمل . ونُصِبَت لهم الأسواق ، حتى كمل [الجسر] في عشرين يوماً ؛
 (٢٠١ ت) وكان ارتفاعه أربع قصبات في عرض ثمانية .
 و [فيه] قدم البريد بموت تكفور متملك سيس ، وإقامة ولده بعده ؛ ثم قدمت
 رسله بالهدية^(٤) .

(١) في ف « قاعدة » ، والرسم المُنْبَت هنا من ب (٢٩٢ ب) .

(٢) في ف « قويت » .

(٣) الزراي جمع ذرية ، وهي هنا - فيما يظهر - ما يبتنيه أصحاب البيوت المظلة على النيل من حوائط
 لحاية بيوتهم من فعل الماء ، ومن سلام لتسهيل الوصول من تلك البيوت إلى النهر ، كما هو متبع في البيوت
 الباقية على شواطئ النيل بدمياط وسمنود ورشيد . هذا وقد عرّف (Dozy : Supp. Dict. Ar.)
 الزرية بأنها باب السر (Porte Secrète) ، ولم يزد على ذلك .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٢٢٧ ، حاشية ١ .

و [فيه] قدم الشريفان عطيفة أمير مكة وقادة أمير ينبع .
ومات في هذه السنة من الأعيان المجاهد أنص بن بن العادل كتبغا ، بعد ما عصى
من سهم أصابه ، في يوم الاثنين ثاني المحرم ؛ وكان سمحا ذكيا متندما في رمى البندق .
ومات تاج الدين أحمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعي ،
في عشرى ذى الحجة ؛ ومولده في ربيع سنة ست وثلاثين وستائة ؛ وكان فقيها فاضلا
في مذهبي الشافعي ومالك ، سمع الحديث وحديث ، وولى الحكم بغرب^(١) قولا
وبقوص ؛ وكان (١٢٠٢) كثير العبادة . ومات قاضي القضاة بدمشق نجم الدين
أبو العباس أحمد بن العماد محمد بن الأمير سالم بن الخافظ بهاء الدين الدين الحسن بن
هبة الله بن محفوظ بن صهرى التغلبي الدهشقي الشافعي ، في ليلة [السبت^(٢)]
سادس عشرى ربيع الأول ؛ ومولده في سابع عشرى ذى القعدة سنة خمس وخمسين
وستائة ؛ وولى القضاء إحدى وعشرين سنة ، [و] قدم القاهرة مرارا ؛ وقرأ
القرآن السبع ، وسمع الحديث ، وكتب الخط المليح ، وبرع في الأدب والتاريخ ،
وقال الشعر ، وشارك في فنون من فقه وتفسير وغيره . [ومات] أحمد بن محمد بن
علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري المغربي ، في يوم الأحد سابع عشر شعبان
بمصر ؛ ومولده بالجزيرة^(٣) الخضراء من الغرب ، في المحرم (٢٠٢ ب) سنة ست
وأربعين وستائة ؛ وكان صاحب فنون وصلاح ودين وشعر جيد . ومات نجم الدين
محمد بن عثمان بن الصفي البصروي الخنفي الوزير صاحب ؛ ولى حسبة دمشق ثم
وزارتها ، ثم صار من الأمراء . ومات كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن
أحمد بن القوطي^(٤) البغدادى المؤرخ ، في المحرم ببغداد . ومات تاج الدين ناهض بن
مخلوف ، أخو قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، في يوم الأربعاء ثامن
عشر المحرم بمصر . ومات السنن بن ست^(٥) بهجة ، يوم الأحد خامس عشرى ذى الحجة ؛

(١) تقدم التمرين ببلدة قولا في ص ٨٤ ، حاشية ١ ، وكانت تعرف أيضا باسم غرب قولا .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٩٣) .

(٣) في ف « بالجزيرة » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٩٣ ب) . انظر أيضا ابن حجر (الدور
الكاملة ، ج ١ ، ص ٢٨١) .

(٤) في ف « القوطي » ، والرسم المثبت هنا من ب . انظر أيضا ابن العماد (شذرات الذهب ،
ج ٦ ، ص ٦٠) ، حيث ورد أن القوطي نسبة إلى بيع القوط ، وهى صناعة جده لأمه ؛ وهذا ومن مؤلفات
القوطي كتاب الموادئ الجامعة ، وهو من المراجع الهامة في تاريخ استيلاء التتار على بغداد .

(٥) في ف « بنت » . انظر ما سبق ، ص ٢٢٧ ، سطر ٦ .

وكان من أعيان الكتاب بمصر . ومات بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن تاج الأمانه أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله (١٢٠٣) بن عبد الله بن عساكر ، في خامس عشرى شوال ؛ ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة ؛ سمع وحدث وصار مسند الشام .

* * *

سنة أربع وعشرين وسبعمائة . أهل الحرم يوم الجمعة ثالث شهر طوبة ، فقدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز عشية الأحد ثلثه . وفي يوم الأربعاء سادسه نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل ، على أن كل رطل منها بدرهمين ، ومن عنده منها شيء يحضره إلى دار الضرب ، يأخذ عنها فضة . ورسم بضرب فلوس زنة الفلوس منها درهم وثمن ، فضرب منها نحو مائتي ألف درهم فرقت على الصيارف . وكان سبب ذلك كثرة مادخل في الفلوس من ٢٠٣ ب) الزغل ، حتى صار وزن الفلوس نصف درهم . فتوقف الناس عن أخذ الفلوس ، وكثر ردّها وعقوبة الباعة على ذلك بالضرب والتجريس ، إلى أن فسد الحال ، وغلقت الحوانيت ، وارتفعت الأسعار ، وبلغ القمح بعد عشرة دراهم الأرب إلى سبعة عشر درهما .

وفي يوم السبت تاسعه وصل الأمير سيف الدين طشتمر حص أخضر الساق من الحجاز ، وصحبته جماعة — وكان قد سافر بعد الإفراج عنه — ؛ وأنعم عليه بالني دينار وغلل كثيرة ، وعمل له السلطان عند قدومه اثنتي عشرة بدلة وثلاثة حوائص وطرز زركش ، وأنعم عليه بمال جزيل . وتتابع قدوم الحاج حتى قدم المحمل في خامس عشرى .

وفيه توجه (١٢٠٤) الأمير أرغون النائب إلى منية بنى خصيب ، فشكا أهلها من مباشرهم ، فلم يسمع لهم وأمر بضربهم ، فرجموه بالحجارة وأنكوا في ممالكهم وغلماهم . فركب عليهم [أرغون] ليفتك بهم ، فقرّوا من عند الوطاق^(١) خارج البلد إلى داخل البلد ؛ فأخذ ممالكهم من عمائم الهاربين نيفاً على ثلاثمائة وستين عمامة زرقاء من عمائم النصارى ، فلما استكثر ذلك قيل له إن بها كثيراً من النصارى ، ولهم

(١) انظر المقرئى (كتاب السلوك ؛ ج ١ ؛ ص ١٠٤ ، حاشية ٦) .

خمس كنانس؛ فهدمها في ساعة واحدة ، ورسم ألا يُستخدم نصراني في ديوانه ؛ وكان النصراني قد جدّدا عمارة ماخرب من الكنانس بالصعيد ، فهدمت أيضاً . وفي يوم الجمعة هبت ريح والناس في الصلاة ، حتى ظنّ (٢٠٤ ب) الناس أن الساعة قامت ، واستمرت بقية النهار وطول الليل ، فهدم بها دور كثيرة ، وامتلأت الأرض بتراب أسود . وخرجت ريح شديدة يبلاد قوص إلى أسوان ، واقتلعت في ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة ، وخربت الديار .

و [فيه] قدمت رسل [المجاهد^(١) سيف الدين بن علي] ملك اليمن بطالب نجدة من مصر ، فلم يجب إلى ذلك .

وفيهما قحطت بلاد الشرق ، فقدمت طوائف إلى بلاد الشام ، وكان الجراد قد أتلف زروعها ، فبلغت الغرارة بدمشق إلى مائتي درهم . فجهز الأمراء من مصر الغلال الكثيرة في البحر إلى بيروت وطرابلس ، فكان ما حمل من جهة السلطان والأمراء نحو عشرين ألف أردب سوى ما حمله التجار ؛ فانحط السعر حتى أبيع الغرارة بثمانين درهما . (٢٠٥ أ) وكتب بإبطال مكس الغلة بالشام ، وهو على كل غرارة ثلاثة دراهم ، فبطل ذلك واستمرّ بطلانه .

وفيه عُزل جمال الدين سليمان الزرعي عن قضاء القضاة بدمشق ؛ واستقرّ عوضه جلال الدين محمد القزويني ، بعد استدعائه إلى القاهرة في يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى ، وقدمه في يوم الجمعة ثالث عشره . فلما اجتمع [القزويني] بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة ، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء ؛ ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق ، وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة . وسافر [القزويني] على البريد يوم الاثنين رابع عشره ، فقدم دمشق خامس رجب ؛ وكان عليه ديون (٢٠٥ ب) اجتمعت عليه بسبب مكارمه ، وهي ألف دينار ومائت وستون دينارا ، فأعطاء السلطان ما وفي به ديونه .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين للتوضيح ، وكان الملك المجاهد (٧٢١ - ٤٧٧ هـ ، ١٣٢١ - ١٣٦٢ م) قد تقاض عنه سلطانه حتى صار لا يعدو حصن تيز ، وأما بقية اليمن فكانت بيد الملك الظاهر ابن الملك المنصور زين الدين أيوب . انظر ما سبق ، ص ٢٣٨ ، سطر ١٦ ، وأبو الفداء (المختصر في أخبار البصر ، ج ٤ ، ص ٩٥) وكذلك (Zambaur : Op. Cit. P. 120) . ولقد أرسل الملك المجاهد إلى السلطان الناصر محمد يطلب النجدة مرة ثانية ؛ فأجيب إلى طلبه كما سيلي .

و [فيه] كتب باستقرار كمال الدين محمد بن علي الزمليكاني [في قضاء^(١) حلب] ، عوضا عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصاري .

وفيه توجه السلطان إلى الصيد بالبحيرة ، فاصطاد نحو المائتين غزال بالحياة - سوى ما قتل - ، وجرّح كثيرا منها وأطلقها .

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول توجه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربي^(٢) ، لإحضار كريم الدين الكبير وولده من القدس ؛ فلما كان يوم الخميس خامس عشر به حضرا على البريد تحت الحوطة فسُأتم إلى الأمير قجليس ، فأقاما عنده إلى يوم حادي عشر (١٠٦) ربيع الآخر ؛ ثم طلعا^(٣) إلى قلعة الجبل ، وطولبا بالمال .

وفيه تنكّر الحال بين الأميرين تنكّر نائب الشام والأمير أطنبغا نائب حلب .

وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعة الجبل ، فعُوق ببرد باب القرافة . وفي يوم الجمعة ثامن عشره سُفّر كريم الدين الكبير وولده إلى الوجه القبلي ، صحبة والي قوص . وفي يوم الاثنين ثامن عشره أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير ، ونزل إلى بيته .

وفي ليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى طلع القمر مخسوبا بالسواد .

و [فيه] قدم منسا^(٤) موسى ملك التكرور يريد الحج ، وأقام تحت الأهرام ثلاثة (٢٠٦ ب) أيام في الضيافة . وعدى [منسا] إلى برّ مصر في يوم الخميس سادس عشر رجب ، وطلع إلى القلعة [ليسلم^(٥) على السلطان] ، وامتنع من تقبيل الأرض ؛ فلم يُجسّر على ذلك ، غير أنه لم يمكن من الجلوس في الحضرة السلطانية [. وأمر السلطان بتجهيزه للحج ، فنزل وأخرج ذهباً كثيراً في شراء ما يريد من الجوارى والثياب وغير ذلك ، حتى انحط الدينار ستة دراهم .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١١٢) .

(٢) في ف « المعزى » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، حاشية ١ .

(٣) في ف « ضلما » .

(٤) اسم هذا الملك في ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١١٢) الأشرف موسى بن أبي بكر .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة بعد مراجعة ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١١٢) .

وفي يوم الخميس ثامن رمضان عزل صاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة ، ولزم بيته ، واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغطاي الجمالي وزيراً ، مع ما بيده من الاستاذارية في يوم السبت عاشره .

و [فيه] استقر شهاب الدين ابن الآفقي في نظر الدواوين ، عوضاً عن الموفق ، وعن شرف الدين بن زنبور . وولى مجد الدين إبراهيم بن لُقَيْسَةَ (١) نظر البيوت ، عوضاً عن الآفقي (٢٠٧) المذكور . ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء في أثناء شهر رمضان ؛ فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحة ونائب الوزارة ، في يوم الجمعة ثاني عشر رمضان يوم وصوله .

واستقر في يوم الجمعة ثالث عشر رمضان الأمير سيف الدين قدادار في ولاية القاهرة ، عوضاً عن علم الدين سنجر الخازن — نُقل إليها من ولاية البحيرة — ؛ ففتك في العامة ، ومنع من الخمر وأراقها (٢) ، فعظمت مهابته .

و [فيه] عزل علم الدين سنجر الجمعي من شد الدواوين ، وولى الجيزة نحو شهرين ؛ ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها . وفيه استقر علاء الدين أيدغدي الباشقردى بمصر ، عوضاً عن علاء الدين بن (٢٠٧ب) أمير حاجب .

و [فيه] استقر ابن زنبور في نظر خزائن السلاح ، عوضاً عن علاء الدين علي بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسي . واستقر ابن البرلسي في نظر بيت المال ، عوضاً عن تاج الدين بن السكري ، واستقر ابن السكري شاهد الخزانة الكبرى .

و [فيه] استقر كريم الدين أكرم [الصغير (٢)] في نظر ، عوضاً عن غبريال ، في يوم السبت رابع عشر رمضان ؛ وخرج على البريد يوم الاثنين سابع عشر شوال . وفي يوم السبت ثاني عشر شوال فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدمرى ، وقد جدّها الأمير الحاج آل ملك .

(١) مضبوط هكذا في ف . انظر ابن حجر (الدر السكينة ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤) ، حيث ورد أن ابن أقيّة كان نصرانياً ثم أسلم .

(٢) « وارقها » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٩٤ ب) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرين بعد مراجعة ابن كثير (البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١١٣) .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرية رحل الراكب من بركة الحاج إلى الحجاز .
 وفي يوم الاثنين ثامن ذى القعدة (١٢٠٨) قدمت رسل أبي سعيد بسبب المصاهرة
 مع السلطان ، فأعيدوا بعد إكرامهم .
 وفيه رُسم بإغلاق دكاكين النشاب ، وهدم مراىي النشاب .
 وفيه فشت الأمراض في الناس بالشام ومصر والصعيد ، وكثر الموت السريع .
 ومرض السلطان ثمانية عشر يوما وعوفي ، فعملت الهاني والأفراح سبعة أيام ،
 وكتب بالبشارة إلى الأعمال على يد الأمير قطلوبغا المغربي^(١) ، فحصل له ستة
 آلاف دينار وثلاثون فرسا وثمناثة قطعة قماش وست خلع كاملة بجوانص ذهب ؛
 فلما حضر أنعم عليه السلطان بعد ذلك بتشريف .
 وفيها أخرج الأقوش [المنصوري^(٢)] أميراً بدمشق . وسبب ذلك مرافعة
 ولده حتى قبض عليه يوم الجمعة سادس عشرى رجب ، ثم أفرج عنه في سلخه ؛
 ورُسم (٢٠٨ ب) له بإمرة في حلب ، فخرج على البريد في عشية نهاره .
 وفي سادس عشرى رجب استقرَّ الأمير أطنقش أستاذاراً ، عوضاً عن الأمير
 جمال الدين يغمور بعد موته ؛ [وكانت وفاة الأمير يغمور] في خامس عشرى
 جمادى الآخرة .

وفي ثالث شعبان قدم المجردون إلى النوبة ، وقد غابوا ثمانية أشهر . و [فيه]
 منع الأجناد من الاجتماع بسوق الخيل .
 و [فيه] قدم الخبر بهبوب الريح في بلاد الصعيد ، وأنها اقتلعت من ناحية عرب^(٣)
 بقولة زيادة على أربعة آلاف نخلة في ساعة واحدة ، وأخرجت عدة أماكن بأخميم
 وأسيوط وأسوان وبلاد السودان ، وهلك منها كثير من الناس والدواب .
 وفي ذى القعدة طُوب^(٤) الصاحب أمين الدين والموفق ناظر الدولة (١٢٠٩)
 بثمان كنان من خراج الجيزة قيمته مائة ألف درهم ، خصَّ الصاحب منها مبلغ خمسين
 ألفاً ، وخصَّ الموفق خمسة عشرين ألفاً ؛ فاستخرج ذلك من جوامك المباشرين .

(١) في ف « المزي » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، حاشية ١ .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 174)

(٣) كذا في ف . انظر ما سبق ، ص ٨٤ ، حاشية ١ .

(٤) في ف « طلب » ، والصفة المثبتة هنا من ب (١٣٩٥) .

وكان قاع النيل في هذه السنة ستة أذرع وعشرين أصبعا ، وكان الوفاء في يوم الأربعاء تاسع شعبان وثمان مسرى . وانتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا ؛ ففرقت الأقصاب والمعاصر وكثير من شون الغلال^(١) ، وصارت المركب لانجسد برّا تضرب فيه الوند من قوص إلى القاهرة ؛ وغرقت^(٢) الفيوم لانقطاع جسرهما ، وتوجه الأمير بكتمر الحسامي لعمارة .

وفيها قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصرف ، فصارت (٢٠٩ ب) تعرض عليه كل يوم ، وتحدث في الأموال بنفسه^(٣) .

ومات في هذه السنة من الأعيان برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر ، يوم الخميس سادس جمادى الآخرة ؛ كان فقيها شافعيًا . و [مات] الشيخ نور الدين علي ابن يعقوب بن جبريل البكري الفقيه الشافعي ، في يوم الاثنين سادس ربيع الآخر . و [مات] تقي الدين محمد بن الجمال عبد الرحيم بن عمر الباجري الشافعي ، في ربيع الآخر بدمشق ؛ قدم القاهرة وأقام بها ؛ وله الملحمة الباجرية ، واتهم بالزندقة^(٤) . و [مات] خوند أردكين بنت نوكاى الأشرفية [ثم الناصرية^(٥)] ، يوم السبت ثالث عشر المحرم . و [مات] الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الفخري ، يوم الجمعة ثامن (١٢١٠) عشرى جمادى الآخرة ؛ وكان أحد الأمراء الألف . و [مات] الأمير سيف الدين بزلار أمير علم . [ومات] الطواشى عنبر الأكبر زمام^(٦) الدور ، في ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى . و [مات الأمير] محمد ابن عيسى بن مهنا من آل فضل ، يوم السبت سابع رجب ؛ قدم القاهرة مراراً .

(١) في ف « الغلات » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٩٥ ب) .

(٢) في ف « شرفت » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٣٩٥ ب) .

(٣) هنا مثل من أمثلة الحكم المطلق الذى عمل الناصر على تطبيقه في نواحي الحكم والإدارة

في عهده .

(٤) انظر ما سبق ، ص ٤ ، حاشية ٢ .

(٥) أنشيف ما بين الحاصرتين لتكميل الاسم ، فقد عرفت خوند أردكين أولاً باسم « الأشرفية » نسبة إلى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون زوجها الأول ، وقد توفى عنها ، ثم تزوجها من بعده أخوه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فهي الناصرية أيضاً . انظر المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ص ٧١٧ ، ٩١٧) .

(٦) تقدم شرح هذه الوظيفة في المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٥٧٧ ، حاشية (١) ، غير أنه يوجد في ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ١٩٩) أن الطواشى عنبر هذا كان متولياً لوظيفة اسمها « زمام الوف » .

و[مات] الأمير قطليجا الزينى من أمراء مصر . و[مات] الشيخ الصالح محمود الحيدري ، خارج القاهرة . و[مات] الأمير بدر الدين بكتمر بدرجك ، أحد الأمراء بمصر . و[مات] كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السيد بشغر أسوان ، ليلة الخميس العشرين من شوال ؛ وعاد ابنه علم الدين عبد الله فاعتقل بالقلعة ، وأخذ منه مال كثير جداً . ومات نور الدين (٢١٠ ب) على بن تقي الدين محمد بن محمد الدين حسن بن تاج الدين على القسطلاني ، خطيب جامع عمرو بمصر ، في يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر . و[مات] ناصر الدين محمد بن علاء الدين النابلسي ، يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى . و[مات] بهاء الدين ابن الشيخ جمال الدين ابن صفى الدين بن أبي المنصور ، يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة . و[مات] الحسن بن على الأسواني الفقيه الشافعى ، في جمادى الأولى بالمدينة النبوية ؛ وقد أم بها واشتغل (١) ثمانى عشرة سنة ؛ وكان فقيهاً صالحاً .

سنة خمس وعشرين وسبعمائة . المحرم أوله الأربعاء ثالث عشرى كهك . [وفى] يوم الجمعة عاشره قدم أرائل الحاج . [وفى] يوم الخميس (١٢١١) ثالث عشره قدم السلطان من الوجه القبلى . [وفى] يوم السبت خامس عشره وصل المحمل وبقية الحاج ، مع الأمير أيتمش المحمدي أمير الركب .

و[فيه] اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع مثلهم في الدولة التركية ، وهم : رسل صاحب اليمن ، ورسل صاحب إسطنبول ، ورسل الأشكرى (٢) ، ورسل متملك سيس ، ورسل أبي سعيد ، ورسل ماردين ، ورسل ابن قرمان ، ورسل ملك النوبة ؛ وكلهم يذلون الطاعة . وسأل الملك المجاهد صاحب اليمن لإنجاده بعسكر من

(١) في ف « واشغل بها ثمانى عشرة سنة وقدامها » والعبارة المثبتة هنا من ب (٣٩٥ ب) .
(٢) هذه العبارة توجب الالتفات ، فإن صاحب إسطنبول والأشكرى شخص واحد ، وهو إمبراطور الدولة البيزنطية أندرونيق الثانى باليولوج الذى تقدمت الإشارة إليه أكثر من مرة هنا . على أنه كانت بالدولة البيزنطية تلك السنة حرب بين الإمبراطور وخفيده أندرونيق الثالث باليولوج ، والغالب أن كلا منهما بعث إلى السلطان الناصر محمد يطلب مودته ، أو أنهما أرسلتا إليه ليستخدما نفوذه في مصلحتهما عند عثمان ملك الدولة العثمانية النامية . انظر (Camb. Med. Hist. IV. pp. 536, 559) .

مصر ، وأكثر من ترغيب السلطان في المال الذي بالين ، وكان قد قدم رسله في مستهل صفر . فرسم [السلطان] بتجهيز العسكر صحبة الأمير [ركن الدين] بيبرس الحاجب ، [وهو ^(١) مقدم العسكر] . و [كان] معه من أمراء (٢١١ ب) الطبلخانة خمسة : [وهم] آقول ^(٢) ، الحاجب ، وقجار الجوكندار — ويعرف باسم بُشاس ^(٣) — ، وبلبان الصرخدي ، وبكتمر العلاني أستاذ دارا ، وألجاي الساقى الناصري ؛ ومن العشراوات عز الدين أيدير السكوندي ، وشمس الدين إبراهيم بن التركاني ؛ وأربعة من مقدمي الحلقة ، عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب ، ومعه خمسة أمراء طبلخانة ، وهم : الأمير ططر الناصري ، وعلاء الدين علي بن طغريل الإيغاني ^(٤) ، وجرباش أمير علم ، وأبيك السكوندي ، وكوكاي طاز ؛ ومن العشراوات [أيضاً] بلبان الدواداري ، وطرنطاي الإسماعيلي وإلى باب القلة ؛ وأربعة [آخرون] من مقدمي الحلقة ؛ ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة فارس ؛ ومن (١٢١٢) أجناد الحلقة تمة الألف فارس . وفُتِّحت فيهم أوراق السفر يوم الاثنين خامسه . وكتب بحضور العربان من الشرقية لأجل الجمال .

و [فيه] خرج السلطان إلى سرياقوس ، وقبض على الأمير بكتمر الحاجب وجماعة ، في يوم الخميس ثاني ربيع الأول .

و [فيه] قدم الأمير تنكر نائب الشام في عاشره ، فأقام عند [السلطان] ^(٥) أياماً وعاد إلى دمشق [مكرّماً] .

و [فيه] أنفق ^(٦) [السلطان] في الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط ، فحمل لبيبرس

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٥٨) ، وكذلك (Zetterstéen: Op. Cit. P. 176) ، ويلاحظ أن النويري قد سمى هذا الأمير « ركن الدين بدر ابن الحاجب » .

(٢) في ف « أفول » ، انظر (Zetterstéen: Op. Cit. p. 147, etc) .

(٣) في ف « ويسرف بيحاش » ، انظر (Zetterstéen: Op. Cit. p. 193, etc) .

(٤) في ف « الاغاني » . انظر ما سبق ، ص ٦٢ ، سطر ١٥ ، وكذلك (Zetterstéen: Op. Cit. p. 23) .

(٥) في ف « عنده » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح ، وذلك بعد مراجعة ابن كثير (البداية والنهاية ج ١٤ ، ص ١١٧) ، ومنه أضيف ما بين الحاصرتين .

(٦) في ف « نفق » .

ألف دينار ، ولطينال ثمانمائة دينار ، ولكل أمير طبائخاناه عشرة آلاف درهم ، والأمير من العشاوات مبلغ ألفي درهم ، ولمقدم الحلقة ألف درهم . وحضرت العربان ، فاستقرت كراجل إلى مكة بمائة وستين (٢١٢ ب) درهما ، وإلى ينبع بمائة وثلاثين ؛ ورَحَل^(١) كل جندي على أربعة جمال ، جملين إلى مكة ، وجملين إلى ينبع ؛ وتولى الأمير عز الدين أيدمر الكبسكي أمر^(٢) العربان . وأخذ العسكر في التجهيز ، وباعوا موجودهم ، فانحط سعر الدنانير من خمسة وعشرين إلى عشرين درهما ، لكثرة ما باعوا من الحلى والمصاغ . وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، واستقلوا بالمسير يوم الخميس ثالث عشره .

و [فيه] خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين ، وعين موضعاً على نحو فرسخ^(٣) من ناحية سرياقوس ليبنى فيه خانكاه بها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبجانباها جامع تقام فيه الجمعة ، ومكان برسم ضيافة الواردين (٢١٣ أ) وحمام ومطبخ ؛ وندب [السلطان] آقسنقر شاد العمائر لجمع الصناع . ورتب [السلطان] لها^(٤) أيضاً قصوراً برسم الأمراء الخاصكية ، وعاد ؛ فوقع الاهتمام في العمل حتى كملت في أربعين يوماً .

ثم اقتضى رأى^(٥) [السلطان] حفر خليج^(٦) خارج القاهرة ينتهي إلى سرياقوس ، ويرتب عليه السواقي والزراعات ؛ وتسير فيه المراكب أيام النيل بالغلال وغيرها إلى القصور بسرياقوس ؛ وفوض ذلك إلى الأمير أرغون النائب . فنزل [الأمير أرغون] بالمهندسين في النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضى بستان الخشاب ، ويقع الحفر في الميدان الظاهري الذي صار بستاناً ، ويمر على بركة قرموط إلى باب البحر ، ثم إلى أرض الطبالة ، ويرى في الخليج الكبير . فكُتِبَ (٢١٣ ب) إلى ولاية الأعمال بإحضار الرجال للحفير ، وعُين لكل واحد من الأمراء أقصاب

(١) في ف « عاد » . (٢) في ف « أمير » ، والرسم المثلث هنا من ب (٣٩٦ ص) .

(٣) ذكر التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦١) أن السلطان الناصر اختار لهذه العمائر قرية

سماس قرب سرياقوس .

(٤) الضمير عائذ على الخانكاه .

(٥) في ف « فاقضى رايه » .

(٦) هذا هو الخليج الناصري ، وقد شرحه القرىزى (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٧٢ ؛ ج ٢ ،

ص ١٤٥) بما لا يخرج في جوهره عما هنا .

يحفرها . وابتدأ الحفر مستهل جمادى الأولى إلى أن تمّ في سلبخ جمادى الآخرة . وخربت فيه أملاك كثيرة ، وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب ؛ وأعطى السلطان ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها ، وفيهم من هدم داره وأخذ أنقاضها . والتزم الفخر ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند^(١) فمه ، والتزم قدادار والى القاهرة بعمل قنطرة تجاه البستان الذى كان ميدانا للظاهر ؛ ورُسّم بعمل قنطرة الأوز وقناطر الأميرية^(٢) . فلما كانت أيام الزيادة فى ماء النيل جرت السفن فى^(٣) هذا الخليج ، وعمرت (١٢١٤) عليه السواقي ، وأنشئت بجانبه البساتين والأملاك . وفى يوم الاثنين^(٤) سادس جمادى الآخرة توجه السلطان إلى الخانكاه خارج ناحية سرياقوس ، و[قد] خرجت القضاة والمشايخ والصوفية يوم الأربعاء ؛ وعُمل لهم سماء عظيم فى يوم الخميس تاسعه بالخانكاه . واستقرّ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى — [وهو] شيخ خانكاه كريم الدين الكبير بالقرافة — فى مشيخة هذه الخانكاه ؛ ورُتّب عنده مائة صوفى^(٥) ، وخلع [السلطان] عليه ، وعلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، وولده عز الدين عبد العزيز ،

- (١) ذكر المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، وما بعدها) هذه المنطقة وغيرها مما بنى فى ذلك العهد ، ومنه يستخلص أن القنطرة التى ألزم الفخر ناظر الجيش بعمارته كانت أول قنطرة صمرت على الخليج الناصرى ، وموقعها بجوار موردة البلاط من أراضى بستان الخشاب ، وقد عرفت باسم قنطرة الفخر . أما قنطرة قدادار فكان يتوصل إليها من اللوق ، ويمشى فوطها إلى بركة القيل ، وكانت قناطر الأوز توصل بين الحسينية وأراضى البعل .
- (٢) كانت قناطر الأميرية آخر القناطر العامة على هذا الخليج ، من حيث موقعها من القاهرة ، إذ كانت تجاه الناحية المعروفة بالأميرية ، فيما بينها وبين المطرية .
- (٣) فى « فيه » .

- (٤) فى « الخميس » ، وهو غلط يصححه ما يلى نظراً أيضاً (Wust tenfeld-Mahler: Tabellen)
- (٥) ذكر المقرئى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ — ٤٢٣) كثيراً مما رتبته السلطان الناصر لهذه الخانكاه وصوفيتها ، ومنه أتت معالمها كانت « من أسنى معلوم بديار مصر ، يصرف لكل صوفى فى اليوم من لحم الضأن السليج (كنا) رطل تد طبخ فى طعم شهى ، ومن الخبز النقى أربعة أرطال ، ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهما فضة عنها ديناران ، ورطل حلوى ، ورطلات زيتا من زيت الزيتون ومثل ذلك من الصابون ، ويصرف له ثمن كسوة فى كل سنة ، وتوسعة فى كل شهر رمضان ، وفى العيدين وفى مواسم رجب وشعبات وعاشوراء ؛ وكلما قدمت فاكهة يصرف له مبلغ لصفرائها . وبالخانكاه خزانة بها السكر والأشربة والأدوية ، وبها الطبائعى والجرايحى والكحان ومصلح الشعر ، وفى كل رمضان يفرق على الصوفية كيزات لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحاس ، ويعطون حتى الأشنان لنسل الأبدى من وضر اللحم ؛ يصرف ذلك من الوقف لكل منهم . وبالحم الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم ، فكان المنقطع بها لا يحتاج إلى شئ غيرها ، ويتفرغ للعبادة » .

وعلى قاضى الفضاة تقى الدين الأختائى المالكى ، وعلى الشيخ علاء الدين القونوى شيخ خانكاه سعيد السعداء ، ورسم (٢١٤ ب) للشيخ مجد الدين بيغلة ، وأن يلقب بشيخ الشيوخ ؛ وخلع على أرباب الوظائف ؛ وفرق ستين ألف درهم ، وخلع على الأمراء وأهل الدولة .

وفىها حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مرى ^(١) البعلبكي [الحنبلى] (٢) أحد أصحاب ابن تيمية ، مقيداً فى سجن القاضى المالكى [تقى الدين الأختائى] بالقاهرة ، وضرب بالسياط ضرباً مبرحاً ، وشهر فى تاسع عشر جمادى الأولى ، بعد ما أقام فى السجن من سادس عشر ربيع الأول ؛ و [كان قد] عُرض على السلطان فى نصف ربيع الآخر ، [فأتى عليه الأمير] بدر الدين بن جنكل بن البابا ، والقاضى بدر الدين ^(٣) بن جماعة ، وغيرهما من الأمراء ، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيرى ، حتى كادت تكون فتنة . ففرض السلطان الأمر لأرغون النائب ، فأل الأمر إلى تمكين القاضى المالكى منه كما تقدم . ثم أعيد [ابن مرى] إلى السجن ، ثم شُفع فيه ، فأل أمره إلى أن أفرج عنه ، وأخرج إلى القدس بعد يومين [من ^(٤) سجنه] ، وكان مظلوماً . فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقى الدين بن شاس بأنه كفر [لتصويبه بعض ^(٥) آراء ابن مرى] ، وشهدوا عليه ، فدافع الأختائى عنه وسكن القضية (١٢١٥) حتى نحدث ، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيدى فى ذلك :

يا قاضياً شاداً أحكامه على تقى من الله وأقوى أساس
مقالة فى ابن مرى لمقت تجاوزت فى الحد حد القياس
وفى ابن شاس حققت ما أثرت فهل أباح الشرع كفر ابن شاس

وفىها بلغ السلطان عن دمرداش ^(٦) بن جويان ممتلك الروم ما أغضبه ، فكتب يشكوه

(١) فى « مر » وما هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣) ، حيث توجد لهذا الرجل ترجمة طويلة تنفى عن كثير مما كان بذلك العصر من أثر لأراء ابن تيمية ، ومنها أن ابن مرى هذا كان فى أول أمره مخالفاً لابن تيمية منحرفاً عنه ، ثم اجتمع به فأحبه وتلذذ له ، وبالغ فى التعصب له حتى لقي ما لقي ، كما بالين هنا .
(٢) (٣ ، ٤ ، ٥) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣) .

(٦) كذا فى ف ، وفى بعض المراجع المتداولة فى هذه المواشى مثل (Zetterstéen : Op. Cit.) (١٧٩ ، ١٨٠) ، وهذا الاسم وارد فى بعض المراجع الأخرى ، كأبى القداء (المختصر فى أخبار البشر ، =

إلى أبيه [جوبان] ، فأنكر عليه فعله ، فاعتذر عما وقع منه ؛ وبلغ [جوبان] ذلك [إلى] السلطان ، فجهز إلى دمرداش تشريفاً وهدية ، وكتب إليه يستميله .
وفي آخر جمادى الآخرة توجه الأمير الوزير مغلاطى الجالى ، ومكين الدين بن قروينته مستوفى الدولة ، على البريد (٢١٥) لكشف القلاع وحمل ما فيهم من الخواصل ؛ فراك [الجمالى^(١)] المملكة الحلبية ، وعاد يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان .
و [فيه] استقر بهادر البدرى فى نيابة السكر ، عوضاً عن يليلك الجمالى .
وفى يوم^(٢) السبت العشرين من رمضان قدم الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهرى والأمير بدر الدين يليلك السيفى السلارى — المعروف بأبى غدة — من بلاد أذربك بهدية ، و [معهما] كتابه ، وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول ، وكتاب شرح السنة والبحر للروبانى فى الفقه ، وعدة كتب طلبها ؛ فجهزت^(٣) له .

و [فيه] خرج السلطان إلى البحيرة^(٤) ، فى ثالث عشر ذى الحجة ، للصيد .
و [فيه] بعث [السلطان^(٥)] الأمير مغلاطى الجمالى إلى الإسكندرية ، فأفرج عن [الأمراء] المسجونين بها ، وهم : طاجار^(٦) المحمدى ، وبلبان الشمسى ، وكيتم^(٧) .

(= ج ٤ ص ٩٣ ، وغيرها) برسم تراتش . وكان هذا الأمير حاكماً على آسيا الصغرى من قبل أبى سعيد ، وقد ادعى أنه المهدي المنتظر سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) ، فسار إليه أبوه جوبان وحاربه وهدم حر كته ، ثم عفاه أبو سعيد وأبقاه على ولايته . انظر (Browne : Lit. Hist. Of Persia, III, p. 55)
وترجع صلة تراتش بالسلطان الناصر إلى ما قبل هذا العهد ، كما تدل عليه أخبار قصاده إلى القاهرة (انظر ص ١٦٣ ، ص ١٤) ، وكما يدل عليه قمامه بفزو بلاد الأرمن بإيحاء السلطان الناصر سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) . انظر (Howarth : Op. Cit, III, p. 602) ، غير أن المراجع المتداول بهذه الحواشى لا تنهى بشئ عما أغضب السلطان الناصر على دمرداش تلك السنة .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٩ ، ص ٦١) ، حيث ورد أن نيابة حلب كانت النيابة الوحيدة التى ظلت بغير روك حتى تلك السنة ، من دون أسائر جزاء الدولة المملوكية .
(٢) فى ب « وقدم فى يوم السبت العشرين من رمضان الأمير بدر الدين بكمش المعروف بأبى غدة الظاهرى من بلاد أذربك » ، وقد عدلت العبارة وضبطت أسماؤها بعد مراجعة التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦١) ، وكذلك (Zetterstéen : Op. Cit. pp. 174-176)

(٣) فى ف « تجهزت » .

(٤) فى ف « البحر » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٩٧) .

(٥) فى ف « طارجا » . انظر (Zetterstéen : Op. Cit p. 176) ، وابن حجر (الدرر

الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢١٣) .

(٦) بغير ضبط فى ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit p. 176) ، حيث ورد « كيتم اخو

حروط » .

وبهادر التقوى أمير جاندار ؛ فقدوا (١٢١٦) إلى القاهرة في ثامن عشره .
وفيهما نزل سيل عظيم في النيل حتى اصفر ماءه ، وزاد ستة أصابع .
وأما العسكر [المجرد لنجدة صاحب^(١)] الذين [فإنه سار إلى مكة ، وقد كتب
السلطان إلى الشريف عقيل أمير ينبع ، وإلى الشريفين عطيفة ورميثة أميرى مكة ،
وإلى قوادهما ، و [إلى] بنى شعبة وعرب الواديين وسائر عربان الحجاز ، بالقيام في
خدمة العسكر . [ووصل العسكر إلى مكة في السادس والعشرين من جمادى الأولى] ،
ودخلها وأقام بها حتى قدمت المراكب بالغلال وغيرها من مصر إلى جدة ؛ فأبيع
الشعير بثلاثين درهما الأردب ، والدقيق بعشرين درهما الوبة . وتقدم الخادم كافور
الشبيلي^(٢) خادم [الملك] المجاهد إلى زييد ، ليعلم مولاة بقدم العساكر ؛ وكتب
[الأمير ركن الدين بيبرس بن الحاجب ، وهو مقدم العسكر] إلى أهل حلّى بنى
يعقوب بالأمان ، وأن يجلبوا البضائع للعسكر .

ورحل العسكر في (٢١٦ ب) خامس جمادى الآخرة من مكة ؛ [ومعه الشريف
عطيفة والشريف عقيل ، وتأخر الشريف رميثة] . فوصل العسكر إلى حلّى بنى يعقوب
في اثني عشر يوما ، بعد عشرين مرحلة ؛ فتلقاهم أهلها ، ودهشوا لرؤية العساكر ،
وقد طُلِبَت ولبست السلاح ، وهموا بالفرار . فنودى فيهم بالأمان ، وألا يتعرض
أحد من العسكر لشيء إلا بشئنه ، فاطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال مقدمى
الآلوف مائة رأس من الغنم وخمسمائة أردب أذرة^(٣) ، فردّاها ولم يقبلوا لأحد شيئا .
ورحل^(٤) [العسكر] بعد ثلاثة أيام ، في العشرين منه .

فقدمت الأخبار باجتماع رأى أهل زييد على الدخول في طاعة الملك المجاهد
خوفا من معرّة [قدوم] العسكر [المصرى] ، وأنهم ثاروا بالملك عليهم
[وهو الملك الظاهر] ، ونهبوا أمواله فقرّ عنهم ، وكتبوا إلى المجاهد بذلك ، فعقوى

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة وما يليها من أخبار هذه الحملة من النويرى (نهاية الأرب ،
ج ٣١ ، ص ٥٨ - ٦٠) ، حيث توجد تفاصيل أكثر مما هنا . انظر أيضا الخزرجى (العقود اللؤلؤية ،
ج ٢ ، ص ٣٢ ، وما بعدها) .

(٢) كذا في ف ، على أنه يوجد في الخزرجى (العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٨٩) من اسمه
« كافور البتولى » .

(٣) في ف « درا » .

(٤) في ف « ورحلوا » ، وقد حذفوا واو الجماعة وأثبت الاسم للتوضيح .

(١٢١٧) ونزل من قلعة تعزّ يريد زبيد فكتب أمراء^(١) [العسكر المصرى] إليه ،
[وهم قرب حدود اليمن] ، بأن يكون على أهبة اللقاء .

ونزل العسكر على زبيد ، ووافاهم المجاهد بجنده ؛ فسخر منهم^(٢) الناس من أجل
أنهم عراة ، وسلاحهم الجريد والخشب ، وسيوفهم مشدودة على أزرعهم ، ويقاد
للأمير فرس واحد مجلّس ، وعلى رأس المجاهد عصاية ملونة فوق العمامة . وعندما
عين المجاهد العساكر [المصرية] وهى لابسة آلة الحرب رُعب ، وهم أن يترجل
عن فرسه حتى منعه الأميران بيبرس وآقول من ذلك . ومشى العسكر صفين والأمراء
فى الوسط حتى قربوا منه ، فالتقى [المجاهد] نفسه ومن معه إلى الأرض ؛ وترجل له
أيضاً الأمراء وأكرموه وأركبوه فى الوسط ، وساروا إلى النخيم ، وألبسوه تشريقاً
سلطانياً (٢١٧ ب) وكفّاهم زركش وحياسة ذهب . وركب [المجاهد] والأمراء
فى خدمته بالعساكر إلى داخل^(٣) زبيد ، ففرح أهلها فرحاً شديداً .

ومدّ المجاهد لهم سماطاً جليلاً فامتنع الأمراء والعسكر من أكله خوفاً من أن
يكون فيه ما يخاف عاقبته ، واعتذروا إليه بأن هذا لا يكتفى العسكر ، ولكن فى غد
يُعمل السباط . فأحضر [المجاهد] إليهم ما يحتاجون إليه ، وتولى طباخو الأمراء
عمل السباط . وحضر المجاهد وأمراؤه ، وقد مُدّ السباط بين يدي كرسى جلس
عليه المجاهد ، ووقف السقااة والنقباء والحجاب والجاشنكيرية على العادة ؛ ووقف
الأمير بيبرس رأس الميمنة ، والأمير طينال رأس الميسرة . فلما فرغ السباط صاحت
الشاوشية على أمراء المجاهد (١٢١٨) وأهل دولته فأحضرهم ، وقرئ كتاب
السلطان ، فباسوا بأجمعهم الأرض ، وقالوا سماعاً وطاعة ؛ وكتب الأمير بيبرس
للممالك اليمن بالحضور ، فحضروا .

ولم يجهن [الملك] المجاهد للعسكر شيئاً من الإقامات . وعندئذ الأمير بيبرس على
ذلك ، فاعتذر بخراب البلاد ، وكتب لهم على البلاد بمن وأذرة^(٤) ؛ فتوجه إليها قصاد

(١) فى ف « الاسما » ، وقد أضيف ما بين الحاصرين للتوضيح .

(٢) الأمير عائد على جند الملك المجاهد .

(٣) ذكر التورى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٥٩) أن الملك المجاهد لما رأى أن مدينة زبيد
التائرة قد أعلنت ولادها له كتب إلى الأمير بيبرس مقدم العسكر المصرى ، وهو وقت ذلك عند حدود
اليمن « لأنه سقط فى يده » وتدم على طلب العسكر ، وخاف على نفسه « غير أن الأمير بيبرس تقدم إلى
زبيد ، كما سبيل باليمن .

(٤) فى ف « درا » .

الأمراء . وسار [المجاهد] إلى تعز لتجهيز الإقامات ، ومعه الأميران^(١) [سيف الدين ططر العفيفي السلاح الدار وسيف الدين قجار في ماتي فارس ، وتأخر العسكر بزيد ؛ وعادت قصاد^(٢)] الأمراء [بغير شيء . فرحل^(٣)] العسكر [من زبيد في نصف رجب يريدون تعز ؛ فتلقاهم المجاهد ، ونزلوا خارج البلد ، وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامات ، فوعد بخير . وكتب الأمراء إلى الملك المقيم بدْمُلسوة^(٤) ، وبعثوا إليه الشريف عطيفة (٢١٨ ب) أمير مكة وعز الدين الكوندكي ؛ وكتب إليه المجاهد أيضاً يحثه على الطاعة .

وأقام العسكر في جهد ، فأغاروا على الضياع ، وأخذوا ما قدروا عليه ، فارتفع سعر الأذرة^(٥) من ثلاثين درهماً الأردي إلى تسعين ، وفقد الأكل لإلّا من الفاكمة فقط ، لقلة الجلب ؛ واتهم أن ذلك بمواطاة المجاهد خوفاً من العسكر أن يملك منه البلاد . ثم إن أهل جبل صَير^(٦) قطعوا الماء عن العسكر ، وتحفظوا^(٧) الجمال والغلمان . وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر في طلبهم ، فامتنعوا بالجبل ورموا بالمقاليح على العسكر ، فرمواهم بالنشاب . وأتاهم المجاهد فغزاهم عن الصعود إلى الجبل فلم يعبأوا بكلامه ، ونازلوا الجبل (٢١٩ ا) يومهم ، ففقد من العسكر ثمانية من الغلمان ، وبات العسكر تحته . فبلغ بيرس أن المجاهد قرر مع أصحابه بأن العسكر إذا صعد يضرمون النار في الوطاق وينهبون^(٨) ما فيه . فبادر بيرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقري^(٩) وأخذ موجود ، ووسطه قطعتين وعلقه على الطريق ؛ ففرح أهل

(١) في ف « ومعه اميرين » .

(٢) في ف « قصادهم » .

(٣) في ف « فرحلوا » .

(٤) بغير ضبط في ف ، وهي حصن عظيم باليمن ، على مسافة ثلاثين ميلاً شرق تعز ، وبينها وبين عدن خمسة وستون ميلاً . انظر الخرجي (المقود اللؤلؤية - Annotations - ص ٦٥ ، رقم ٣٢٦) ، وياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ - ٦٠٠) .

(٥) في ف « الدرة » .

(٦) بغير ضبط في ف ، وهو حسبما جاء في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٦٦) الجبل الشامي المثل على قلعة تعز باليمن ، وفيه عدة حصون وقرى .

(٧) في ف « تحفظوا » ، والرسم المثبت هنا من ب (٣٩٨ ب) .

(٨) في ف « يضرمو النار في الوطاق وينهبوا ما فيه » .

(٩) في ف « المظفرى » ، وفي ب (٣٩٨ ب) « الصقري » ، والرسم المثبت هنا من الخرجي (المقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٤) . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٩٩) ، حيث توجد ترجمة وافية لهذا الأمير ، ومنها أضيف ما بين الحاصرين .

تعز بقتله ؛ وكان [بهادر] قد تغلب على زبيد ، [وتسمى بالسلطنة ، وتلقب بالملك الكامل ، وظل متسلطاً عليها] حتى طرده أهلها عند اندوم العسكر .
وقدم الشريف عطيفة والكوندكي من [عند الملك الظاهر صاحب] دُمْلُوَة [وأخبرا] بأنه في طاعة السلطان . وطلب [بيبرس] من المجاهد ما وعد به السلطان ، فأجاب أنه لا قدرة له إلا بما في دُمْلُوَة ؛ فأشهد عليه بيبرس قضاء تعز بذلك ، وأنه أذن للعسكر في العود ، لخراب (١) البلاد وعجزه عما يقوم به للسلطان ، (٢١٩ ب)
و [أنه] امتنع بقلعة (٢) تعز .

ورحل العسكر إلى حلى بنى يعقوب ، فقدمها في تاسع شعبان . ورحلوا منها أول رمضان إلى مكة ، فدخلوها في جادى عشرة بعد مشقة زائدة . وساروا من مكة يوم عيد الفطر ، وقدموا ركة الحاج أول يوم من ذى القعدة .

وطلع الأمراء إلى القلعة ، فخلع عليهم في يوم السبت ثالثه . وقدم الأمير بيبرس هدية ، فأغرى الأمير طينال السلطان بالأمير بيبرس ، وأنه أخذ مالا من المجاهد وغيره ، و [أنه] قصر في أخذ مملكة البين . فلما كان في يوم الاثنين تاسع عشره رسم بخروجه إلى نيابة غزة ، فامتنع لأنه كان قد بلغه ما قيل عنه ، وأن السلطان قد تغير عليه ؛ فقيد وسجن في البرج ، وقبضت حواشيه . وعوقبوا (١٢٠) على المال فلم يظهر شيء .

وفى ثالث ذى الحجة قبض على إبراهيم بن الخليفة أبي الربيع ، وسجن بالبرج ، لأنه تزوج بمغنية ، وأشهد عليه بطلاقها .

وفى ثالث عشر ذى القعدة قدم الطنبغا نائب حلب ، وسافر آخر يوم الأحد . وفى أول ذى الحجة خلع على الأمير بهادر البدرى السلاح دار ، واستقر في نيابة السرك ، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى ؛ ونقل لنيابة غزة ، [فسار (٢) إليها في خامس عشرة .

(١) في ف « لجواب » ، والرسم المثبت هنا من ب (٢٩٨ ب) .

(٢) ذكر الخرجى (العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٣) أن الملك المجاهد كتب إلى مقدمى العسكر المصرى وهو بمدينة تعز يطلب إليهم الجلاء عن البين ، ونص « وكتب إلى مقدمهم أنه قد بلغ شكركما ، وهذا خطنا بأيديكما يشهد بوصولكما واتقضاء الحاجة بكما » .

(٣) ليس لما بين الحاصرين وجود في ف ، ولكنه في ب (١٢٩٩) .

وفي ثالث عشره توجه السلطان إلى الصيد نحو الجزيرة ؛ وأفرج عن بلبان الشمسي ، وبهادر التقوى ، وأمير جاندار ، وطاجار المحمدي .

ومات في هذه السنة عن له ذكر (٢٢٠ ب) حُجَّاب [بنت عبد الله] شيخه (١) رباط البغدادية في المحرم ؛ وكانت صالحة خيرة ، ملازمة للرباط ، تعظ النساء . و [مات] الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن ، وحمل إلى مكة فدفن بها ؛ وكان جواداً عفيفاً . و [مات] الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري ، في ليلة الخميس خامس عشر رمضان ؛ وهو أحد ماليك الملك المنصور قلاوون ، واستنابه بالكرك ؛ وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين آقوش ، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس ، وولى نيابة السلطنة بديار مصر ؛ وكان عاقلاً كثير البر ، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزى خارج القاهرة ؛ وله تاريخ سماه زبدة الفكرة (٢) في تاريخ (١٢٢١) الهجرة ، يدخل في أحد عشر سفرأ ، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر (٣) النصراني ، وكان يجلس رأس الميسرة ؛ فأخذ إقطاعه الأمير مغطاي الجمالي ، وأخرج منه طبخاؤه لبلبان السناني (٤) ؛ وصار الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى بعده يجلس في رأس الميسرة . ومات الشريف منصور بن جماز بن شيحة في حرب يوم الرابع والعشرين من رمضان ، قتله حديثة ابن أخيه ؛ و [كان] له في الإمرة ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأيام ؛ واستقر عوضه في إمرة المدينة النبوية ابنه [بدر الدين] كيشة (٥) بن منصور ؛ وقدم منصور إلى القاهرة مراراً . ومات الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبي كاتب السر ، بدمشق في شعبان ،

(١) في ف « شعبه » ، والصيغة المثبتة هنا من ابن حجر (الدر السكامة ، ج ٢ ، ص ٦) ؛ ومنه ضبط الاسم وأضيف ما بين الحاصرين .

(٢) استخدم الناشر مخطوطه هذا الكتاب في الحواشي هنا كثيرا ، وتوجد منها صور شمسية بمكتبة الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) . وللأمير بيبرس مؤلف آخر في التاريخ اسمه التحفة الملوكية في الدولة التركية . انظر (Ecy. Isl. Art. Baibars al - Mansuri) .

(٣) كذا في ف ، وكذلك في ابن حجر (الدر السكامة ، ج ١ ، ص ٥١٠) ، حيث توجد ترجمة طويلة للأمير بيبرس .

(٤) كذا في ف ، وكذلك في ابن حجر (الدر السكامة ، ج ١ ، ص ٤٩٣) .

(٥) في ف « كنيس » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر ، الفلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠١) . انظر أيضاً ابن حجر (الدر السكامة ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ ، ج ٤ ، ص ٣٠٣) ، حيث ورد اسم هذا الأمير برسم « كيش » و « كيش » .

عن إحدى وثمانين سنة ؛ (٢٢١ ب) وقدم القاهرة مراراً . ومات الشيخ تقي الدين محمد بن الجبال أحمد بن الصفي عبد الخالق — الشهير بالتقى الصائغ — شيخ القراء ، بمصر في ليلة الأحد ثامن عشر صفر . ومات نجم الدين أبو بكر بن بهاء الدين محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر بن خلسكان الشافعي ، بالقاهرة في ثالث ذي القعدة ؛ وكان فاضلاً ، إلا أنه رمى في عقله وعقيدته بأشياء . ومات الأمير سيف الدين بلبان التتري المنصوري ، في ذي القعدة . و [مات] الخطيب جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد ابن^(١) الحسن بن علي بن أحمد القسطلاني ، في ليلة السبت مستهل ربيع الأول ؛ واستقر^(٢) ابن أخيه الخطيب تقي الدين بن نور الدين [مكانه خطيباً بجامع القلعة ، ورئس] ولده [زين الدين أحمد بن (١٢٢٢) جمال الدين في خطابة جامع عمرو وإمامته ونظره . ومات شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندي الفقيه الشافعي ، في خامس عشر ربيع الآخر .

• • •

سنة ست وعشرين وسبعمائة . أهلت والسلطان في الصيد بالوجه البحري .

و [في] يوم الاثنين سادس عشر المحرم وردت رسل ملك الحبشة^(٢) بكتاب به يتضمن إعادة ماخرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام ، ويهدد بأنه يخرب ما عنده من مساجد المسلمين ، ويسدّ النيل حتى لا يعبر إلى مصر ؛ فسخر السلطان منه ، وردّ رسله .

وفي عشرى صفر خُلع على فخر الدين أستاذار الطنبغا ، (٢٢٢ ب) واستقر^(٣) والى المحلة بعد موت الشيخى .

(١) في ف « الخطيب جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن محمد بن الحسن » ، وقد عدلت إلى بالمئن بعد مراجعة التويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ٦٣) ، ومنه أنصف ما بين الحاصرتين . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ١٧٣) .

(٢) كان ملك الحبشة وقت ذاك جيرة مصقل (Gabra Maskal) ، واسمه الأصلي عمدة صيون (Amda Seyon) ، وقد حكمه من سنة ١٣١٢ إلى ١٣٤٣ إلى ١٣٤٢ م (٧١٢ - ٧٤٣ هـ) ، وكان في معظم تلك السنين يشن حروباً كثيرة ضد مسلمي الحبشة . انظر (Budge : Op - Cit , I . pp. 288 - 298) .

وفي ثامن عشر صفر صُرف شمس الدين غبريال عن نظر النظار ، وسُفّر إلى دمشق ؛ فسار على البريد في حادى عشره ، وقدم دمشق في ثامن عشره .

وفي يوم الاثنين سادس ربيع الاول قدم كريم الدين أكرم الصغير من دمشق باستدعاء إلى ناحية سَفْط من الجيزة - والسلطان مخيم بها - ؛ فأنكر [السلطان] عليه إنكاراً شديداً ، وأمره بملازمة يده . وكان قد سعى به الفخر ناظر الجيش وغيره ، وأغروا به السلطان حتى أحضره من دمشق .

وفيه استقر شرف الدين الخطيرى - المعروف بكتاب سلا ، وكان قد خدم عند الأمير أرغون النائب - في نظر (١٢٢٣) النظار ، عوضاً عن غبريال .

و [فيه] رُسم للوزير مغلطاي بقتل [كريم الدين] أكرم [الصغير^(١)] في خفية ، فتقدم إلى والى القاهرة بذلك ، فوضع له أعيناً^(٢) يترقبون فرصة ، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الاثنين رابع ربيع الآخر ، فوثب عليه جماعة ؛ وكان قد احتس على نفسه ، فنجى بفرسه منهم ، وقتلوا غلامه . وأصبح الناس وقد شاع خبره . وبلغ السلطان فرسم للوزير بإخراجه إلى أسوان ، فقَبَص عليه في يوم السبت تاسعة هـ وأولاده ، وأحضرهم مجلس السلطان ؛ وطُوب بالمال ، فلم يعترف بشيء ، فضُرب ابنه سعد الدين أبو الفرج بالمقارع . وسُلم أكرم إلى والى القاهرة ، فوجد في كفه أوراقاً فيها مرافعات في جماعة (٢٢٣ ب) من أهل الدولة ، فطلبها الوزير منه ، فامتنع من ذلك حتى بعث السلطان مَنْ تسلمها منه وقرأها ؛ فأفرج [السلطان] عن أولاده ، ورسم بعقوبته قَسْط^(٣) بالخل والجير . وأخبرج [أكرم] هو وابنه سعد الدين في ليلة الاثنين حادى عشره إلى جهة الصعيد ، بعد ما توجه الأمير هـاء الدين والى القلعة إلى الوزير يطلب له^(٤) منه بساطاً ونفقة فأبى ذلك . ومضى أكرم وابنه في سَلْوَرَة^(٥) إلى أسوان ، مقدما في

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١) .

(٢) في « أعاننا » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤٠٠) .

(٣) هنا إشارة إلى نوع من التعذيب في مصر في العصور الوسطى ، ويقال سَعَط الدواء وأسعطه : لاء ، أى أدخله في أنفه . (المحيط) .

(٤) في « منه له » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤٠٠) .

(٥) السلورة - والجمع سلاوير - نوع من السفن ، ولم يزد (Dozy : Supp. Dict. Ar.) في =

ليلة الاثنين خامس عشره ، وقُتِل ليلة الثلاثاء سادس عشره .
وفي يوم الخميس سابع جمادى الأولى سار الأمير أيتمش المحمدي رسولا إلى القان
بوسعيد ، وصحبته هدايا جليلة ، ليرغبه في مصاهرة السلطان . فبلغ [أيتمش]
رسالته ، (١٢٢٤) وعاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان .

وفي ثاني عشرى جمادى الأولى خرجت تجريدة إلى برقة ، عليها من الأمراء
أسندمر العمرى ، وماسكتمر الإبراهيمى ، وقطلوبغا الطويل ، وجماعة من أجناد
الأمراء . وسبها حضور فايد وسليمان أميرى العربان ببرقة ، وشكواهم من العرب
أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم .

وفي ليلة الجمعة ثامنه وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان ، ومعه الأمير
قجلايس والأمير طقتمر الخازن ، ليتوجه إلى الكرك - وعمره يومئذ ثمانى سنين - ؛
وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال . واستقر في نيابة الكرك الأمير سيف
الدين بهادر البدرى ، (٢٢٤ ب) وتوجه معه ليقوم بأمره ، ويودع المال بخزانة
قلعة الكرك ، ولا يمكن أحداً من التصرف ، بل يمرنه^(١) على الصيد والفروسية .
فأوصله الأميران إلى الكرك ، وعادوا في ثاني جمادى الآخرة .

و [فيه] قدم كتاب نائب الشام بأنه قبض على بكتوت القرمانى ، لامتناعه من
التوجه لإحضار حمل سيس ؛ فأجيب بتقييده وسجنه بقلعة دمشق ، وأن يستقر
شهاب الدين قرطاي الصلاحى نائب طرابلس على خبره .

و [فيه] رُسم للأمير طينال الحاجب بلبابة طرابلس ، فساد من القاهرة في
يوم الخميس رابع جمادى الآخرة . وأمر [السلطان] بتقدمته على الأمير قوصون
زيادة على إقطاعه ، وعُقد له على إحدى بنات (١٢٢٥) السلطان .

= تعريفاً عن ذلك ، انظر أيضاً (Ziada : The Mamjuk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century) على أن الواضح هنا أن السلوة كانت من السفن المستعملة في نهر النيل ،
أي أنها لم تكن من سفن البحار الكبرى .
(١) في ف « عيشه » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٤٠٠ ب) .

وفي يوم الثلاثاء ثامن رجب ابتدأ جلوس الصوفية بخانقاه الأمير بكتسر الساقى ،
بآخر القرافة مما يلي بركة الحبش .

وفي يوم الاثنين رابع عشر رجب قدمت رسل جوبان حاكم دولة أبى سعيد ،
ومعهم طائر بغا^(١) وابنه يحيى ؛ فخُلع عليهم ، وأنعم على طائر بغا بإمرة طبلخاناه فى
سابع عشره ، وعلى ابنه يحيى بإمرة عشرة ؛ وأعيدت الرسل فى رابع عشره . وكان
طائر بغا هذا [على نيابة خلّاط^(٢)] ، وبينه وبين السلطان قرابة ؛ فكتب إلى الأمير
جوبان ليستدعيه [وأهله إلى مصر] ، فبعثهم . وفى سابع عشره أيضاً أنعم على أحمد
ابن بكتسر الساقى بإمرة .

وفي يوم الاثنين سادس شعبان مُحبس (٢٢٥ ب) تقي الدين أحمد بن تيمية ، ومعه
أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق . وضرب شمس الدين محمد بن أبى بكر بن
قَسِيم الجوزية، وشُهر على حمار بدمشق . وسبب ذلك أن ابن قيم الجوزية تكلم بالقدس
فى مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء ، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد
للمسجد النبوى ؛ فأنكر المقداسة عليه مسألة الزيارة ، وكتبوا فيه إلى قاضى القضاة
جلال الدين محمد القزوينى وغيره من قضاة دمشق . وكان قد وقع من ابن تيمية كلام
فى مسألة الطلاق بالثلاث^(٣) أنه لا يقع بلفظ واحد ، فقام عليه فقهاء دمشق . فلما
وصلت كتب المقداسة فى ابن القيم ، كتبوا فى ابن تيمية وصاحبه ابن القيم (١٢٢٦)
إلى السلطان ، فعرف شمس الدين الحريرى قاضى القضاة الحنفية بديار مصر ذلك ،
فشنع على ابن تيمية تشنيعاً فاحشاً حتى كتب بحبسِه ؛ وضرب ابن القيم .

وفيه أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصورى ، ونحت
جدران المارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلًا وخارجًا ، وطرس^(٤) الطراز الذهب من
خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد . وعمل [آقوش] خيمة يزيد طولها على مائة

(١) بنبر ضبط فى ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p. 177) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٠٠ ب) .

(٣) فى ف « الثلاث » .

(٤) فى ف « طرا » ، والصحيح لفة ما أثبت بالآتين ، والمقصود بذلك أنه جدهه ؛ ففى قاموس
المحيط الطرس تحديد البنيان ، وفى محيط المحيط طرس البنيان جدهه .

ذراع ، وركبها لتستر على مقاعد الأفاص ، وتستر أهلها من الحر؛ ونقل الحوض من جانب باب المارستان ، لكثرة تأذى الناس برائحة النتن ، وعمل موضعه سبيل ماء عذب (٢٢٦ ب) لشرب الناس ؛ وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف . وفي يوم الاثنين سابع عشر شعبان أفرج عن الأمير بلبان طرنا^(١) أمير جانداز ، فكانت مدة اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام ؛ فلما مُنَّسَل بحضرة السلطان خلع عليه وأعطاه إمرة دمشق ، وبعثه إليها .

وفيه نقل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من دمشق إلى شدّ الدواوين بطرابلس ، وأنعم على أشقتم^(٢) من أمراء حلب بخبزه .

و [فيه] حمل بكتوت القرمانى من قلعة دمشق إلى القاهرة مقيداً على البريد وحمل منها إلى الإسكندرية هو والبوكرى والجاوى ، فسجنوا بها .

وفيه قدم بازان (٢٢٧ أ) رسول جوبان حاكم بلاد أبي سعيد ؛ [وجوبان هو] الذى أجرى العين من عرفة إلى مكة . فلما قدم إلى مصر واجتمع بالسلطان ، وعرفه خبر العين ، شقّ عليه ذلك ؛ وقال له على اسان النائب : « من أذن لك فى هذا ؟ ولم لا شاورتنى ؟ » ، فقال [بازان] للنائب : « عرف السلطان أن جوبان فَعَلَ ما فَعَلَ من الخير ، وبقي الأمر للسلطان إن شاء يخرب أو يعمر ، فهذا شيء قد فعله من فعله وخرج عنه ، والأمر إليكم » ؛ فلما بلغ [النائب] قوله السلطان سكت .

وكان من خبر هذه العين أنه لما كثر تردد الحاج من العراق إلى مكة فى كل سنة شقّ عليهم قلة الماء بمكة ، فإن الراوية كانت تبلغ فى الموسم عشرة دراهم مسعودية^(٣) ، وفى غير الموسم (٢٢٧ ب) من ستة [دراهم] إلى سبعة . فقصد الأمير جوبان حاكم بمكة

(١) فى ف « طربا » .

(٢) كذا فى ف . انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٨٩) .

(٣) تنب الدرام - وكذلك الدنانير - المسعوديه إلى الملك المسعود الأيوبي ملك العين ، واسمه المسعود بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وكان المسعود قد غزا مكة سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢م) ، فضرِب اسمه على نقودها ، وظل متولياً عليها حتى وفاته بها سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩) (Sauvare : Materiaux Pour Servir à l' Histoire de la Numismatique , et de la Mérologie Musulmanes, Ire Partie. pp. 222-223)

أبى سعيد عمل خير بمكة ، فدلّه بعض الناس على عين كانت تجرى في القديم ثم تعطلت ؛ فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار ، وجسّزه في موسم سنة خمس وعشرين . فلما قضى حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها ، فأعلم بعين في عرفة ، فنادى بمكة : « من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم في كل يوم » . فهرع إليه العمال ، وخرج بهم إلى العمل ، فلم يشقّ على أحد منهم ولا استعشه ، وإنما كانوا يعملون باختيارهم . فأتاه جمع كبير من العرب ؛ وعمل حتى النساء ، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة ، في ثامن عشرى جمادى (١٢٢٨) الأولى من هذه السنة ، فكانت مدة العمل أربعة أشهر . وكثر النفع بهذه العين ، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضراوات .

وفيه قدم [القاهرة الأمراء] المجردون إلى برقة ، وقد غابوا عنها ثلاثة أشهر وأربعة أيام .

و [فيه] قدم الخبر بأن الأمير تنكز نائب الشام جمع العامة بدمشق والزهم بإحضار الكلاب ورميها بالخنزق ، فأقاموا عشرة أيام في جمعها حتى امتلأ الخنزق بها ، وأكل بعضها بعضاً .

و [فيه] قدم الخبر بحصول سيل عظيم في الفرات ، أعقبه مطر ، وأنه حدث وخم وفناء عمّ الناس من الفرات إلى دمشق ، فلم تبق مدينة فيما بين ذلك حتى كثرت بها المراض والموت ؛ وباع بعض عطّارى دمشق في كل يوم أدوية للمرضى (٢٢٨ ب) بنحو الألف درهم ، وأبيع قدر فيه حسّو^(١) شعير بزيادة على ثلاثين درهماً ، وأخذ حجّام في أجرة فصّد وشراطة آذان في كل يوم أربعائة درهم ، فإنه كان فصلاً زموماً^(٢) ، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المراض قليل .

(١) في ف « حشو » ، وفوق الشين حرف ظ ، والرسم الثبت هنا من ب (٤٠١ ب) ، وهو المقول ، إذ الحسو مصدر فعل حسا ، ومعناه شرب في مهلة ، والحسا طعام يعمل من الدقيق والماء ، وربما كان الحسا هو المصود هنا . (انظر محيط المحيط) . هذا وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن الحسو - والجمع أحساء - ما يكون مغلياً غلياً بيطا ، فيقال حسو البيض لما يغل منه بحيث لا يكون جامداً (Des oeufs mollets, des oeufs que le blanc et le jaune restent liquides)
(٢) في ف « ديرنا » ، وفوقها حرف ظ ، والرسم الثبت هنا من ب (٤٠١ ب) ، والزموم المتلى . (المحيط) .

وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان قدم الملك الصالح صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر بن شاذى بن الملك الأوجد تقي الدين بن الملك المعظم غياث الدين توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب [بن الملك الكامل (١)] محمد بن الملك العادل بن أيوب [بن شاذى ، صاحب حصن (٢) كيفا . فأقبل عليه السلطان وأكرمه ، وخلع عليه تشريفاً طرد وحش بمحاصرة ، ورتب له ما يليق به من اللحم والدجاج والسكر والخملى (١٢٢٩) وغير ذلك ، وبعث له عشرة آلاف درهم .

وأقام [الصالح صلاح الدين] إلى نصف شوال ، وسار بعد ما جهزه السلطان بكل ما يحتاج إليه من خيل وجمال وسلاح وتحف ، وأنعم عليه بألف دينار . فلما قدم دمشق بالغ الأمير تنكز في الإحسان إليه ، وبعثه إلى بلده فقدمها ، ومُسرَّ به أهلها . فلما صعد الحصن وتوسط الدهليز ، وثب عليه أخوه [الملك العادل محيى الدين] (٣) وقتله . وكان من خبر [الصالح صلاح الدين] أنه ملك حصن كيفا من أعمامه وإخوته بالقوة ، فإنه كان شجاعاً جريئاً ؛ فلما (٤) تمكن منع الخراج عن أبي سعيد ، وتعرض إقصاء الأمير تنكز نائب الشام ، وإلى بعض التجار . فكُتب إليه تنكز يهدده بأنه يقتله وسط حصنه ، فخاف سوء العاقبة ، وأجاب بالاعتذار ، وأنه من اليوم في خدمة (٢٢٩ ب) السلطان ونائبه ، وأنه يمثل ما يرسم به ؛ وجهز لتسكن هدية .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين من التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦٩) ، حيث الوارد بصدد حضور هـ الملك الأيوبي إلى القاهرة أكثر تفصيلاً وأوضح تعليلاً ، وخلاصته فضلاً عما هنا فيما يلي بالمتن أن الملك الصالح هذا كان يدين بالتبعية لدولة إيلخانات فارس وملكها خربندا ، غير أنه لم يخضع للتبوعه ، فغاف على نفسه وعلى إمارته بحصن كيفا ، وحضر إلى مصر ليطلب إلى السلطان الناصر حمايته ، وقد تم له ما أراد كما سيلي بالمتن .

(٢) يقع حصن كيفا على نهر دجلة ، في منتصف الطريق بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وقد استولى عليه الأيوبيون سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م) ، وجعل منه أحد فروعهم دولة صغيرة تشمل آمد أيضاً ، وظلت تلك الدولة الأيوبية ، كما ظلت أختها في مدينة حماة بالشام آثاراً باقية لتدل على أيام الأيوبيين ، فبقيت مملكة حماة حتى سنة ٧٢٢ هـ (١٣٣٢ م) ، وعاشت مملكة حصن كيفا إلى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) ، أى إلى ما بعد زوال دولة المماليك من مصر والشام . على أن هاتين الدولتين لم تكونا مملكتين مستقلتين ، بل كانت حماة في الواقع تابعة للدولة المملوكية ، كما كان حصن كيفا يدين بالطاعة لدولة إيلخانات فارس . انظر (Ency. Isl. Art. Hisn Kaifa) ، وكذلك (Zambaur : Op. Cit. pp. 97 - 98) ، وخايل بن شاهين (زبدة كشف الممالك - Ravaisse - ص ١٤٩ - ١٥١) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بهذه الفقرة كلها من التويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٦٩ - ٧٠) .

(٤) في ف « فلم يمكن » والصفة المثبتة هنا من ب (١٤٠٢) .

فسر السلطان بذلك ، وأكد على تنكر في مهاداته . فلما قدم الأمير أيتمش الحمدي عليه تلقاه ، وقدم له مقدمة حسنة ، وعرفه أنه نائب السلطان في الحصن تحت أوامره ؛ وكتب إلى نائب الشام بذلك . فكتب [تنكر] يعرف السلطان [بذلك] ، فازداد رغبة فيه ، وما زال به الأمير تنكر يستميله حتى قدم [إلى مصر] ، و [ذلك بعد أن] استناب أخاه [الملك العادل محي الدين على الحصن مدة غيبته] . فطمع [محي الدين] في الحصن وقتله [بعد رجوعه من مصر] ، وكتب إلى جوبان وأبي سعيد أنه لم يقتله إلا لخمارته وخروجه عن طاعتهما ، وبعت إليهما بالخراج ؛ فأجاباه بالشكر والثناء واستمراره على نيابة الحصن . وكتب [محي الدين] أيضاً لنائب الشام بأنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شرب الخمر (١٢٣٠) والفسق وقتل الأنفس واستباحة الأموال والتلفظ بالكفر غير مرة ، وجهز إليه هدية وترفق إليه في كتبه ، وأنه ملوك السلطان ونائبه . فعرف [تنكر] السلطان ذلك ، فأجابه بقبول عنده ومهاداته واستجلاب خاطره ؛ ففعل ذلك .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان تولى الأمير عماد الدين البحيرة ، عوضاً عن [بلبان]^(١) العتريس .

وفي خامس شوال توجه الأمير سيف الدين أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد ، إلى الحجاز للحج .

و [فيه] أشيع أن قصاد الأمير تنكر وصلت من الشرق ، [وأخبرت] بأن الأمير جوبان جمع من خيار عسكر الأردو عشرة آلاف فارس ، وقصد الحج . فأظهر السلطان الخوف على نائبه (٢٣٠ ب) الأمير أرغون أن يقبض عليه جوبان ويحمله إلى بلاده ، وكتب إلى [تنكر] نائب الشام أن يخرج بعسكر الشام إلى جهة السرك ليدرك الأمير أرغون . فبرز [تنكر] بعد أربعة أيام من قدوم البريد عليه ، ونزل الصنمين . ثم كتب إليه السلطان بعوده إلى دمشق : فعاد . وباطن هذه الحركة أن السلطان بلغه أن الأمير مهنا بن عيسى يريد الحج فندب الأمير أرغون للحج ، وأن يقبض عليه . فلما خرج أرغون بلغ السلطان أنه كتب إلى مهنا يحذره من الحج ،

(١) أنصف ما بين الحاصرتين مما سبق ، ص ٢٥٠ ، سطر ١٥ .

فشق ذلك على السلطان ، وأشاع ما تقدم ذكره ، وأخرج نائب الشام بالعسكر ليقبض على أرغون ؛ ثم بدله فأشاع أن جوبان أبطل حركته للحج ، وأعاد نائب الشام . وفيها (١٢٣١) كثر الرخاء بمصر ، فأبيع الأردب القمح بخمسة دراهم وبسته ، وأبيع الشعير والفل من ثلاثة دراهم الأردب إلى أربعة . وفي يوم الخميس التاسع عشر شوال فرّق السلطان الخوانص الذهب على الأمراء . و [فيها] بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر إصباعاً وسبعة عشر ذراعاً . وفيها كُتب مرسوم السلطان - وقرى على المنابر - بالأيضرب أحد في ديار مصر والشام بالمقارع . وفيها قدم يديغا الخوى من مكة مبشراً بسلامة الحاج ، في رابع عشر ذي الحجة . ومات فيها من له ذكر شيخ الشيعة جمال الدين حسين بن يوسف بن المطهر الحلي المعتزلي ، شارح مختصر ابن الحاجب ، في المحرم ؛ وكان رضي^(١) الخلق حلماً ، عالماً (٢٣١ ب) بالمعقولات ، وله وجاهة عند حربندا ، وله عدة مصنفات ، ولابن تيمية عليه رد^٢ في أربع مجلدات ، وكان يسميه ابن المنجس . و [مات] شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبي البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن إلياس - المعروف بابن الشيرجي - الأنصاري الدمشقي ، محتسب دمشق ؛ ومولده في سنة سبع وأربعين وستائة . و [مات] بدر الدين حسن بن الملك الأفضل صاحب حماة ، أحد الأمراء بحماة ، عن نيف وستين سنة ، وكان من أهل العلم ، وسعى في ملكة حماة . و [مات] سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طراد الخورجي الأنصاري المصري الشافعي ، خطيب المدينة النبوية . ومات والي المحلة الشينخي ، في سابع عشر المحرم .

(١٢٣٢) سنة سبع وعشرين وسبعمائة . أهل المحرم وقد كثر مرض الناس بحميات حادة دموية فشئت حتى لم يكدها يسلم منها أحد ، فكان المريض يتماهى مرضه أسبوعاً ويبرأ ؛ وريح يباعو الأدوية والأطباء والحجّامون ما لا كثيراً .

(١) في ف « ريش » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٤٠٢ ب) .

وفي يوم الأحد حادى عشره قدم الأمير أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد من الحجاز ، والسلطان بناحية سرياقوس . فقبض عليهما وعلى الأمير طليغا الجوى ، فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده وسعى فى أمرهم ؛ فأخرج [السلطان^(١)] الأمير أيتمش [فى يوم الاثنين ثانى عشره بالأمير أرغون لنيابة حلب ، عوضاً عن الطنبغا .

وقد تقدم تغيير السلطان على^(٢) [الأمير أرغون] فلما قدم بعث السلطان الأمير (٢٢٢ ب) أيتمش المحمدى ليقف على باب القلة من قلعة الجبل ، فإذا مرّ به أرغون فى دخوله على السلطان منع مالىكه من العبور معه . وأمر [السلطان] الأمير قجلىس أن يتلقاه إذا صعد القلعة ، ولا يمكنه من العبور إلى داره ؛ فتلقاه قجلىس من باب القلعة ، ومشى معه إلى أن جاز^(٣) دار النيسابة ؛ فسمع^(٤) [أرغون] صراخ أهله ، وقد ماتت ابنة زوجته . ثم^(٥) مرّ [أرغون] إلى باب القلة ، فإذا أيتمش وغيره ؛ فأخذوا سيفه وسيف ابنه محمد وفرّق بينهما . فبعث السلطان إليه الأمير بكتمر الساقى يعدّد عليه ذنوبه فاستسلم لأمر الله ؛ وطال تردد بكتمر بينه وبين السلطان إلى أن أُنعم عليه بنبابة حلب ، وأخرج معه أيتمش ليوصله ويعود . وبعث السلطان (١٢٢٣) الأمير ألكاى الدوادار على البريد إلى حلب ليحضر الطنبغا نائبها ، وقرّر مع كل من أيتمش وألكاى أن يكونا بمن معهما فى دمشق يوم الجمعة ثالث عشره ولم يعلم أحد منهما بما توجه فيه الآخر ، حتى توافيا بدمشق فى يوم الجمعة المذكور . وقد خرج الأمير تنكز فى الساعة الرابعة إلى ميدان الحصا للقاء الأمير أرغون ، فترجّل كل منهما لصاحبه ، وسارا إلى جامع بنى أمية ؛ فعند ما توسطاه إذا بألكاى ومعه الطنبغا نائب حلب ، فسلم عليه أرغون بالإيماء . فلما قضيت صلاة الجمعة عمل لهما الأمير تنكز سماً طاجيلاً ، وركب أرغون إلى حلب ، فدخلها فى سلخه .

(١) أنصف مابين الحاصرين مما يلى ، سطر ١٤ .

(٢) فى ف « عليه » .

(٣) فى ف « جاد » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤٠٣) .

(٤) فى ف « سمع » .

(٥) فى ف « فر » .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره (٢٣٣ ب) عُزل شرف الدين الخطيرى من نظر الدولة بمجد الدين إبراهيم بن لفيفة ، واستقر الخطيرى ناظر البيوت ؛ فالزم ابن لفيفة المباشرين بعمل الحساب ، وأراد توفير جماعة منهم ، فلم يتمكن من ذلك .

و [فيه] سار أطنبغا إلى القاهرة ، فقدمها يوم السبت مستهل صفر ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، وأسكنه بقلعة الجبل ، وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع أرغون ؛ وكمّل [السلطان] منه أطايربغا إمرة مائة ، فزادت التقادم تقدمة ، وصارت الأمراء خمسة وعشرين مقدماً .

واتهم الفخر ناظر الجيش بأنه كان سبب تغيير السلطان على الأمير أرغون ، لكثرة حطه عليه وإغرائه به ، حتى قال له : « ياخوند ! ما رأينا (١٢٣٤) سلطاناً أدخل عليه الدخيل من غير نائب السلطنة ، وذكّره بما وقع للنصور لاجين بسبب نائبه منكوتمر ، وقيام لاجين وهو نائب السلطنة على العادل كتبغا ، وإفساد سلاّر نائب السلطنة مملكة المظفر بيبرس ؛ وأشار عليه بإبطال النيابة والاستبداد بالأمور . وسبب ذلك ما كان بين الفخر وبين الأمير أرغون من المنافرة ، وأهنة أرغون له وحطّه من مقداره .

ولما قدم أيتمش سأله السلطان عن أرغون ، فما ذكر إلا خيراً ، فقال له الفخر بحضرة السلطان : « يا أيتمش ! كلما قلت صحيح ، لكن والله لو أقام أرغون في النيابة شهراً واحداً ما رأيت السلطان على هذا الكرسي ، . فأثر هذا القول في السلطان^(١) (٢٣٤ ب) أثراً [قبيحاً^(٢)] ، وطلب شرف الدين الخيري كاتبه وهدّده بالشنق إن أخفى شيئاً من مال أرغون ، وألزمه بكتابة حواصله^(٣) ؛ فلما تنجزت الأوراق أحاط [السلطان] بجميع حواصله . وأخذ بعضها وأنعم بالباقي .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر قدم الشريف طفيل فارساً من ابن عمه الشريف ودي^(٤) ابن جمّاز بن شيخه ، [وأخبر] أنه حصر المدينة النبوية سبعة أيام ، ودخلها عنوة

(١) في « أرغون » ، وهو خطأ واضح .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (٤٠٣ ب) .

(٣) في « وهدده بالشنق أن أخفى شيئاً من ماله والزمه بكتابة حواصل أرغون » ، وقد

هدلت للتوضيح .

(٤) النظر ما سبق ، ص ١٧٥ ، سطر ٩ .

لغية الشريف كُبَيْشَة^(١) أمير المدينة ، وأخذ غلماناً وأهله وصادقهم ، وعاقب جماعة حتى ماتوا تحت العقوبة ، وقتل القاضي هاشم بن علي وعبد الله بن القائد على ابن يحيى . فلما بلغ ذلك الشريف كُبَيْشَة^(٢) قدم ، ففر منه ودى ، فغضب السلطان (١٢٣٥) من ذلك ، وعزم على تجريد عسكر يوم الجمعة .

وفي رابع ربيع الآخر قدم الأمير تنكز نائب الشام باستدعاء ، ومعه قليل من ماله ، فخرج الأمير بكتمر الساقى إلى لقائه بسرياقوس وقدم به ، فأكرمه السلطان وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقى . وكان قد قدم الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أحد حجاب دمشق ، فشكا^(٣) منه وسأل أن يكون بديار مصر ، فأُنعِمَ عليه بإمرة طبلخاناه ، وأن يكون حاجباً صغيراً أرفقاً للأمير الماس الحاجب ؛ وأُنعِمَ بإقطاعه في دمشق على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير ؛ وسافر الأمير تنكز .

وفي يوم الأحد سادس ربيع الآخر (٢٣٥ ب) قبض على الأمير سيف الدين قطوبغا الفخرى ، والأمير سيف الدين طشتمر حص أخضر الساقى . وأخرج قطوبغا على إقطاع أيدغدى التليل بدمشق ، في يوم السبت ثانى عشره ؛ وأُفْرِجَ عن طشتمر ، واستمر على حاله . وسبب مسكهما أن السلطان وجد ورقة فيها أنهما اتفقا على قتله ، فقام الأمراء وكذبوا^(٤) هذا القول ، فإنه من فعل من يريد الفتنة ، وما زالوا^(٥) حتى أُفْرِجَ عنهما .

وفيه استقر الأمير عز الدين دقاق نقيب الجيوش ، عوضاً عن شمس الدين المهندار ، مضافاً لما بيده من نقابة الممالك ؛ واستقر المهندار على المهندارية .

وفي يوم الخميس مستهل جمادى الأولى قبض على (١٢٣٦) الأمير بهاء الدين أصلم ، وعلى أخيه سيف الدين قرمجى ، وجماعة من القبجاقية . وسبب ذلك أن أصلم عرّض سلاح خاناه وجلس بإسطبله ، وألبس خيله عدة الحرب ، وعرّضها يومه كله ؛ فوشى به إلى السلطان بعض أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرمجى وجماعة جنس القبجاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة ، وأنه أمس عرّض عدده وألبس خيله ورتبهم

(١) في « كيش » . انظر ما سبق ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٥ .

(٢) في ف « فسكر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤٠٤) .

(٣) في ف « وكذبا ... وما زال » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤٠٤) .

للكوب ؛ وكتب^(١) هذا في ورقة وألقاها [أحدم] في الإسطنبول السلطاني . فلما وقف السلطان عليها تغير تغيراً زائداً ، وكانت عادته أنه لا يكذب^(٢) في الشر خبراً ، وبعث من فوره يسأل أصل مع الحاجب ألماس عما كان يعمله أمر (٢٣٦ ب) في إسطنبول ، فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كل فرس منها ؛ فصدق السلطان ما نقل عنه ، وقبض عليه وعلى أخيه وأهل جنسه ، وعلى قيران صهر قرجي^(٣) وانكبار^(٤) أخى آقول الحاجب ؛ وسفروا إلى الإسكندرية مع صلاح الدين طرخان ابن بدر الدين^(٥) يسرى الشمسي وبرلغى قريب^(٦) السلطان ، وكانا مسجونين بقلعة الجبل ؛ وأفرد أصل في برج بالقلعة .

[وفي] يوم الاثنين تاسع عشره قدم الأمير حسين بن جندر بك من الشام ، فخلع عليه أطلس بطرذ زركش وكفتاه زركش وحياسة مجوهره^(٧) ، وأنعم عليه بإقطاع الأمير أصل .

وفيه سار الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى الشام ، (٢٣٧ ا) وقد كان فرّ من بلاد التتار ، [وشمله الإنعام السلطاني^(٨)] ، وصار من جملة أمراء الطيلخانا . و[فيه] قدمت رسل اصطنبول ، فأسلم منهم [نفران ، وهما] أقسنقر [وبهادر] ؛ وأنعم

(١) ضمير الفاعل عائده على « بعض الأعداء » .

(٢) هنا إشارة دقيقة لبعض أخلاق السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وهو يلقى ضوءاً على كثير من حوادث التعذيب والقتل التي ارتكبت في ذلك العهد بناء على ريبة أو شك ، ويقابل تلك المبالغة في وصف أخلاق السلطان الناصر أيضاً ما أورد المغريزي (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٩) ونصه : « وكان السلطان كثير النور من العامة شديد البغض لهم » .

(٣) في ف « قرمشى » . انظر الصفحة السابقة ، سطر ٢٠ .

(٤) في ف « انكار » . انظر ما سبق ، ص ٧٠ ، سطر ١ .

(٥) في ف « صلاح الدين طرخان بن ملسرى » . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. p.171)

(٦) ذكر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٦) أن برلغى كان ابن عم السلطان الناصر محمد .

(٧) في ف ، وكذلك في ب (١٠٤ ب) « مكرمه » بغير نقط الة ، والرسم المثبت هنا من النويري

(نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٦) .

(٨) أضيف ما بين الحاصرتين من النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٦) ، حيث توجد تفاصيل أكثر بصدد هذا الأمير ورجوعه إلى بلاده بناء على طلب أبي سعيد ، بعد أن تقرر الصلح الدائم بين الدولة المملوكية ودولة إيلخانات فارس .

على [أقسنقر] ^(١) بإمرة عشرة بديار مصر ، [وعلى بهادر بنجنز جندى ، وكانا أخوة] .
[وفي] يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة عُقد على الأمير سيف الدين قوصون
بالقلعة عَقْدُ ابنة السلطان بالقلعة ، وتولى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد
ابن الحريرى الحنفى .

وفيه سأل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى فى الإعفاء من القضاة ،
واعتذر بنزول الماء فى إحدى عينيه وانحداره إلى الأخرى ، وقلّة نظره وكبر سنه .
فسأل السلطانُ من ابنه عز الدين عبد العزيز بن جماعة عن وظائف والده ، فأخبره
بها ، فلما (٢٣٧ ب) حضر بدر الدين دارالعدل فى يوم الاثنين عاشره أعاذ السؤال
فى طلب الإعفاء ، فأجابه [السلطان] من غير تصريح ، وقال له : « احكم بين الأمير
بكتمر الحاجب وبين غرمائه » ، فنزل إلى المدرسة الصالحية وحكم بينهما ، وقال لأهل
مجلسه : « هذا آخر الحكم » ، ومضى إلى داره بمصر ؛ فقرر له السلطان من مال المتجر
فى كل شهر ألف درهم فضة .

و [فيه] كتب يا حصار جلال الدين محمد القزوينى قاضى دمشق ، ليستقرّ فى قضاء
القضاة بمصر عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، فقدم على البريد إلى سرياقاوس يوم
الجمعة ثامن عشره ، وخطب بجامع الخانكاه ، وصلى بالناس صلاة الجمعة . وطلع
[القزوينى] قلعة الجبل (٢٣٨ ا) يوم السبت تاسع عشره ، فخلع عليه فى أول رجب ،
واستقرّ فى قضاء القضاة ، وأركب بغلة بزوار جوخ ؛ وأضيف إليه تدريس المدرسة
الصالحية ، والمدرسة الناصرية ، ودار الحديث الكاملية ، وخطابة جامع القلعة شركة
[مع] ابن القسطلانى ؛ وأعيد ابنه بدر الدين محمد على خطابة جامع بنى أمية بدمشق .
وكتب باستقرار شمس الدين أبى اليسر بن الصائغ بتعيين الجلال القزوينى ، فامتنع
من ذلك .

وفى يوم الأربعاء رابع رجب قدمت رسل القان أبى سعيد ، ومعهم محمد بيه ^(٢) بن
جحق قريب السلطان وابن أخت طايير بغا ، بهدية سنّية . فأنعم [السلطان] على محمد بيه ^(٣)

(١) فى « وانعم عليه » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الماصرتين بهذه الفقرة كلها من
(Zetterstéen : Op. Cit. p. 178)

(٢) فى « محمد مالى بن جحق » ، والصيغة المثبتة هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ،
ص ٧٨) .

(٣) فى « مالى » . انظر الحاشية السابقة .

يامرة طبابخاناه عوضاً عن أيبك البسكتوقى أمير علم ، بحكم انتقاله على إقطاع (٢٣٨ ب) فيروز بصفد .

فلما كان يوم السبت ركب السلطان إلى الميدان ومعه الرسل ، تم أركبهم في ثالث عشره معه إلى القاهرة ، ونزل إلى زيارة قبر والده الملك المنصور ؛ ومُدَّ سباط عظيم يايوان المدرسة المنصورية القبلى ، وحضر الفقهاء بالإيوان البحرى . ثم ركب [السلطان] بهم مرة ثانية إلى الميدان ، وأعادهم في سادس عشره بهدية جليلة .

وفى يوم الخميس خامسه كانت الفتنة بالإسكندرية : وملخصها أن بعض تجار (١) الفرنج فاوض رجلا من المسلمين وضربه ، وذلك أن الفرنجى وقف بجانب صبي أمرد ليأخذه ويفعل به ذلك الفعل ، فنهاه بعض المسلمين وقال [له] : « هذا ما يحل » ، فضربه الفرنجى بخنجر على وجهه . (١٢٣٩) شار المسلمون بالإفرنجى ؛ وثار الفرنج لتحميه ، فوقع الشر بين الفريقين ، واقتتلوا بالسلاح . فركب [ركن الدين] السكركى (٢) متولى الشر فإذا الناس قد تعصبوا وأخرجوا السلاح ؛ وشهدوا على الفرنجى بما يوجب قتله ، وحملوه إلى القاضى ، وغلغلت أسواق المدينة وأبوابها .

فلما كان بعد عشاء الآخرة فتحت الأبواب ليدخل من كان خارج البلد ، فن شدة الزحام قتل عشرة أنفس ، وثلقت أعضاء جماعة ، وذهبت (٣) عمامم وغيرها لكثير منهم . وتبين للسكركى (٤) تحامل الناس على الفرنج ، فحمل بنفسه وأجناده عليهم ليدفعهم عن الفرنج ، فلم يندفعوا وقاتلوه إلى أن هزموه ، [وقصدوا (٥) لإخراج الأمراء المعتقلين بالشعر] . بعدما سفكت بينهما دماء كثيرة .

(١) ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٩ ، ص ٧٨) أن الفرنجى المذكور هنا كان من أتباع الرسل الذين وصلوا حديثاً من عند صاحب اسطنبول ، وأن الفتنة التى ثارت بسببه قد وقعت في وجهه بين الباب الأخضر وباب البحر ، وأن الحادث الذى كان أصلاً لتلك الفتنة هو أن الفرنجى كان يقرب حاقة ذكر ولم يجهر مع الناس بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) كذا في ف ، وهو في ب « السكركى » . انظر أيضاً النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣٩ ، ص ٧٨) ، وكذلك (Zelterstéen : Op. Cit. p. 180)

(٣) في ف « نهب » والرسم المثبت هنا من ب (١٤٠٥) .

(٤) في ف « له » ، وقد حذف الضمير وأثبت الاسم للتوضيح .

(٥) أضيف ما بين الخاصرتين بهذه الفقرة وما يليها من أخبار تلك الفتنة من النويرى (نهاية الأرب ،

[فعمد ذلك بادر السكركى بمطالبة السلطان بهذه الحادثة] ، فشرح ^(١) الطائر بالبطاق يعلم السلطان ، (٢٣٩ ب) فاشتد غضبه . وخشى [السلطان] خروج الأمراء من السجن ، وبادر إلى أخذ أولاد الأمير سيف الدين الأيوبى الثلاثة وهم على رأسلغا وأحمد — فى يوم الاثنين تاسعه ، وجعلهم فى دار الأمير المساس الحاجب . وأخرج [السلطان] الوزير مغايطى الجمالى ، وطوغان شاد الدواوين ، و [سيف الدين] الدمر ^(٢) [الركنى] أمير جندار ، فى جماعة من المماليك السلطانية ، ومعهم ناظر الخاص إلى الاسكندرية ، ومعهم نذاكر ^(٣) بما يعمل من تتبع أهل الفساد وقتلهم ، ومصادرة قوم بأعيانهم ، وتغريم ^(٤) أهل البلد المال ، والتقبض على أسلحة الغزاة ، ومسك القاضى والشهود وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل ؛ فساروا فى عاشره ، ودخلوا المدينة .

(١٢٤٠) وجلس الوزير والناظر بديوان الخمس ^(٥) ، وفرض [الوزير] على الناس خمسمائة دينار ، وقبض [على] جماعة من أراذلهم [و] وسطهم ، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ؛ وتطالّب ^(٦) ابن رواحة كبير دار الطراز ووسطه ، من أجل أنه وشى به أنه كان يغرى العامة بالفرنجة ويمدح بالسلح والنفقة . فحلّ بالناس من المصادرة بلاء عظيم ، وكتب السلطان ترد شيئاً بعد شيء تتضمن الحث على سفك دماء المفسدين وأخذ الأموال ، والوزير يجيب بما يصلح أمر الناس . ثم استدعى

(١) فى ف « فرح » والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤٠٥) .

(٢) بغير ضبط فى ف . انظر (Zetterstéen: Op. Cit. p. 149) ومنه أضيف ما بين الحاصرين .

(٣) التذاكر جمع تذكرة ، وقد تقدم شرح هذا اللفظ الاصطلاحي فى المقرئى (كتاب السلوك ،

ج ١ ، ص ٤٨٠ ، حاشية ٥) .

(٤) فى ف « وتغريمهم » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤٠٥) .

(٥) فى ف « وجلس الوزير والناظر بالخمسة » ، وقد عدلت إلى الصيغة المثبتة هنا بعد مراجعة المقرئى (المواظ والاعتبار - Wiet - ج ٣ ، ص ١٥٥ ، ١٩٢ ، ٣٢٨) . وكان ديوان الخمس خاصاً بالفرائب التى تحبى من التجار الأجانب على متاجرهم ، وقد عرف المقرئى (نفس المرجع - Wiet - ج ٢ ص ١٠٢) هذه الضريبة بالآتي : « فالحبس ما يستأدى من تجار الروم الواديين فى البحر عما معهم من البضائع التجرة ، بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منهم عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين ديناراً ، وربما انحط من عشرين ديناراً ، ويسمى كلاماً خمساً ، ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ، ولذلك ضرائب مقررة . . » .

(٦) كان هذا الرجل ، حسبما يفهم من النورى (نهاية الأرب ، ج ٣٩ ، ٧٩) قائد الحامية الموكلة بحفظ ثغر الإسكندرية ، وقد تزعم الفتنة مع من تزعموها ، فأخرجه الوزير من الإسكندرية . ثم توجه ابن رواحة هذا إلى منية مرشد مستجيراً بالشيخ محمد المرشدى ، فطلبه منه الوزير الجمالى كما بالمتى .

[الوزير] بالسلاح المعدّ للغزاة ، فبلغ ستة آلاف عدة ، وضعها كلها في حواصل وختم عليها ؛ واستمرّ نحو العشرين يوماً في سفك دماء وأخذ أموال ، حتى جمع ما ينيف على (٢٤٠ ب) مائتين وستين ألف دينار . وقدم [الوزير] عماد الدين محمد بن إسحاق ابن محمد البليدي قاضي الاسكندرية ليشنق ، أخّره ، وكاتب [السلطان] بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح . وبعث [الوزير] المسجونين إلى قلعة الجبل في طائفة معهم لحفظهم ، فقدّموا في ثامن عشره ، وهم البوبكري ، وتمر الساقى ، وسنجر الجاولى ، وبهادر المعزى ، وطلخ ، وأمير غانم ، وقطلوبك الوشاقى ، وأيدمر اليونسى ، وكجلى^(١) ، وأياس نائب قلعة الروم ؛ فأخرج البوبكري وتمر الساقى إلى الكرك ، وسُجن الجاولى وبهادر المعزى في البرج بالقلعة ؛ وأنزل بطفاق وأمير غانم وقطلوبك وأيدمر وبلاط وبرلغى ولاجين زير باج ويهرس (١٢٤١) العلى وطشتمر أخى بتخاص المنصورى إلى الجب بالقلعة ؛ وأفرج عن فخر الدين آياس نائب قلعة الروم ، في يوم الخميس سادس عشره .

وقدم الوزير [من الإسكندرية] بالمال ، وجلس في سلخ رجب بالشباك بقاعة الوزارة المستجدة بالقلعة ، وقد سكنها . وحضر التظار والمستوفون من خارج الشباك ، وحضر طوغان الشاد أيضاً : فنفذ [الوزير] الأمور ، وصرف أحوال الدولة . وفي أول شعبان قدمت رسل بابا^(٢) الفرنج من مدينة رومة بهدية ، وكتاب فيه

(١) في « كسلى » والرسم المثلث هنا من النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٧٩) . انظر أيضاً (Zettersléen Op. Cit. p. 190, etc)

(٢) كان البابا تلك السنة حنا الثانى والعشرين (John XXII 1316-1334 A. D) ، وكانت البابوية منذ سنة ١٣٠٥ م قد انتقلت عن روما إلى مدينة آفيون (Avignon) ، كنتيجة من نتائج نضالها المعروف مع الملكية الفرنسية في عهد الملك فيليب الجميل (Philip IV, The Fair, 1285-1314) . ومع أن البابوية قد خسرت كثيراً بسبب انتقالها عن روما ذات الصفة العالمية القديمة ، فلما ظلت تؤدى وظيفتها الدينية العامة ، وتدعو إلى إحياء فكرة الحروب الصليبية ، وتعمل على التبشير بالمسيحية بالشرق ، وتسمى لإغاثة من يستغيث بها من الدول المسيحية ، كدولة الأرمن في سيس مثلاً (Camb. Med. Hist. VII. pp. 286-288) ، وكذلك (Howorth : Op. III. pp. 602-604) . والحاصل هنا أن رسل البابا الذين حضروا إلى القاهرة تلك السنة قد جاءوا إليهم من مدينة آفيون ، وليس من روما كما بالمتن ، وكان برقتهم حسبما ذكر النويرى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٠) سفراء من قبل ملك فرنسا وقت ذاك ، وهو شارل الرابع (Charles IV 1322-1328) ؛ وأما سبب قدوم رسل البابا وملك فرنسا تلك السنة فهو ما نزل بطوائف المسيحيين من عنت وإرهاق كما تقدم . انظر (Lane - Poole : History of Egypt in the Middle Ages. p. 310)

الوصية بالنصارى ، وأنه مهما عمل معهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين
بمثله ، فأجيبوا ^(١) وأعيدوا ؛ ولم تقدم رسل [من عند] ^(٢) البابا [إلى مصر]
منذ أيام الملك الصالح نجم الدين (٢٤١ ب) أيوب .
وفيه قبض على أمير فرج بن قراسنقر ، واعتقل بالجلب في القلعة . وأُخْرِجَ كجكن ^(٣)
الساقى إلى صفد ، فاعتقل بها .

[وفي] يوم الاثنين السادس [والعشرين ^(٤) من] شوال استدعى الشيخ علاء الدين
على بن إسماعيل بن أبي العلاء القونوي الشافعي شيخ خانكاہ سعيد السعداء ، وُخِّلِعَ
عليه بقضاء القضاة بدمشق ، ونزل فحكم بالقاهرة ، وأثبت كتباً تتعلق بدمشق ؛
وسافر فقدم دمشق في خامس عشره ، وأضيف إليه مشيخة الشيوخ بها ، عوضاً عن
قاضى القضاة شرف الدين المالكي . واستقرَّ في مشيخة سعيد السعداء شيخ الشيوخ
مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقبصري ، [شيخ] خانكاہ ^(٥)
سرياقوس ، ورسم له أن يستنوب ^(٦) عنه (٤٤٢) بسعيد السعداء الشيخ جمال
الدين الحويزاني ^(٧) . واستقرَّ في مشيخة خانكاہ الركنية ييبرس افتخار الدين
الخوارزمي ، عوضاً عن مجد الدين أبي بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني ؛
إلى مشيخة تدريس الحديث النبوي بالقبة البيبرسية .

(١) في ف « فلم يجيبوا » ، وما هنا من ب (٤٠٥ ب) .

(٢) يشير المقرئ هنا إلى جماعة أخوان والإرشاد (Preaching Friars) الذين
وصلوا إلى بلاط السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٥ م ، من قبل البابا إنوسنت الرابع
(Innocent IV. 1243-1254) . انظر (Lane-Poole Op. Cit. p. 241) .

(٣) في ف « بجسك » ، والرسم المثبت هنا من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٦٥) .

(٤) في ف « سادس شوال » ، وقد عدلت وأضيف ما بين الحاصرين من النويري (نهاية الأرب ،
ج ٣١ ، ص ٧٩ - ٨٠) .

(٥) في ف خانكاہ » ، وقد حذف حرف الجر ، وأضيف ما بين الحاصرين بعد مراجعة ابن كثير
(البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢٩) .

(٦) في ف « ورسم له أن يقيم باتباعه بسعيد السعداء الشيخ جمال الدين ... » ، والصفة المثبتة هنا
من النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٠) .

(٧) هذا الاسم مضبوط هكذا في ف ، والنسبة إلى حويزان ، وقد عرف ياقوت (معجم البلدان ،
ج ٢ ، ص ٣٧١) هذا الموضع بأنه « صقع يمان » ، ولم يزد على ذلك .

وفيه قبض على الشريف ودري [بن جمار] عند ما حضر من المدينة النبوية ،
و [كان قد] تحاقق هو وطفيل [بن منصور بن جمار] (١) بين يدي السلطان ، فقلع
عليه طفيل في الخصومة . وسفّر الأمير علاء الدين على بن طغريل صحبة الشريف
كيشة (٢) ، ليوصله إلى المدينة النبوية ، ويقبض على أصحاب ودري . فلما قدما فر
أصحاب ودري ، وملك كيشة (٣) [ابن منصور] المدينة ، ودعا للسلطان عقيب كل
(٢٤٢ ب) صلاة كما يدعى له بمكة .

وفي خامس عشر ذي القعدة ، استقر مغلطاى الخازن في نيابة قلعة دمشق ، عوضاً
عن سنجر الدميترى ؛ وأنسم على سنجر يامرة في دمشق .

و [فيه] استقر الأمير بلبسطى (٤) في نيابة حمص ، بعد وفاة بلبان البدرى . واستقر
في نظر القدس والخليل إبراهيم الجاكي .

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي الحجة دخل الأمير قوصون على ابنة السلطان ، بعد
ما حمل جهازها إليه ؛ وكان شيئاً عظيماً : منه بشخاناه وداير بيت زركش ، زنة
البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهباً . وعمل الفرح مدة سبعة أيام ، ذبح فيه خمسة
آلاف رأس من الغنم الضأن ، ومائة رأس من البقر ، وخمسون فرساً (٥) ، ومن
الدجاج (٢٤٣) والأوز مالا يحصى كثرة . واستعمل فيه من السكر برسم الحلالات
وتحالى الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة ؛ وبلغ وزن الشمع الذى أحضره
الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطاراً ؛ وبلغت تقادم الأمراء لقوصون خمسين
ألف دينار . وعمل الأمير قجلباس في القلعة برجاً من بارود ونفط ، غرم عليه
ثمانين ألف درهم . وحصل للمغانى من النقوط عشرة آلاف دينار مصرية . وقدم
جميع أمراء مصر والشام تقادم جليلة ، منها مقدمة الملك صاحب حماة ، ومن جملتها
مشعل وطرطور ومخللة مطرز ذهب بألفي دينار .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة القلشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٠١) .

(٢، ٣) في ف «كيش» ، وما هنا من القلشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٠١) .

(٤) في ف «بلبسطى» ، وفي ب «بلبسطى» .

(٥) هذا في ف ، وفي ب (١٤٠٦) . والواضح من المتن أن لحم الخيل كانت من طعام الولائم
الكبرى عند سلاطين المماليك وأمراءهم ، ومعنى ذلك أن حافظوا على عوائد موطن الغالبية العظمى منهم ،
وهو بلاد القبايق بموضع نهر إتل (القولجا) ، حيث تؤكل لحوم الخيل في الولائم والمواسم والأعياد . انظر
(Camb. Med. Hist. I. pp. 331, 339)

وفي صبيحة العرس عقد الأمير أحمد بن بكتمر الساقى على قطلو ملك^(١) (٢٤٣ب) بنت الأمير تنكز نائب الشام ، وقد حضرت في أول ذى القعدة بجهاز عظيم ، فيه دابر بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب . وقدم الأمير تنكز ، وخلع عليه السلطان خلعة كاملة ، انصرف على القباء الفوقاني [منها] وحده مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضة فدخل أمير أحمد على ابنة تنكز في ليلة رابع عشره .

وفي هذه السنة قدم إلى ميناء بيروت من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين ، وقد اشترؤهم من الجزائر ؛ فاشترأهم الأمير تنكز ، وأفاد التجار في كل أسير مائة وعشرين درهما على ما اشتراه به . وكسا [تنكز] الجميع وزودهم ، وحملهم (٢٤٤ ا) إلى مصر ، فسرّ المسلمون بقدمهم ؛ وجدّ تجار الفرنج في شراء الأسرى وغبة في الفائدة

و [فيه] كُتِبَ لنائب الشام بجميع فقهاء الشام والعمل في أوقافها كلها بمقتضى شروط واقفيها ، وأن يُجهز ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد — المعروف بالضياء ابن خطيب بيت الأبار — ، وكان قاضى القضاة جلال الدين القزويني قد عينه لنظر الأوقاف بديار مصر وأثنى عليه . فلما قدم [ضياء الدين] خُلع عليه بنظر الأوقاف ، فباشرها مباشرة جيدة . ونظر [تنكز] نائب الشام في أوقافها ، ورسم بعمارة ما يحتاج إليه ، ومنع الجرامك كلها أن يصرف منها لأحد حتى تفرغ عمارتها ، فامتثل ذلك . (٢٤٤ ب) ونظر [تنكز] في مقاسم المياه بدمشق التي تنصرف في دور الناس ، وكسح ما فيها من الأوساخ ، وفتح ما استند منها حتى صلحت كلها ، فعمّ النفع بها . وكانت المياه قد تغيرت لما خالطها في طول السنين ، وصار الوخم يمتد أهل دمشق في كل سنة . فشكر الناس هذه الأفعال ، ودعوا له ؛ ويقال إنه باسغ المصروف في ذلك ثلاثمائة ألف درهم

وفيها اهتم تنكز أيضاً بفتح العين بالقدس ، فإن الماء قلّ به حتى بلغ شرب الفرس الماء مرة واحدة نصف درهم فضة ؛ وكتب إلى ولاية الأعمال بإخراج الرجال ، ونُتدب قطلوبك بن الجاشنكير بالمال لنفقاته عليها .

(١) في ف « قطلوبك » ؛ والرسم المثبت هنا من ب (٤٠٦ ب) ، وهو أرجح ، فإن اسم قطلوبك يطلق كما باليمن هنا على الذكور عادة . انظر ما يلي بهذه الصفحة ، سطر ٢٤ .

وفيهما نذب السلطان الأمير علاء الدين (١٢٤٥) على بن هلال الدولة لعمارة حرم مكة ، وقد بلغه أن سقوفه تشعشت ، وتهدم فيه عدة جدر ، وُجِّهت [ابن هلال الدولة] بكل ما يحتاج إليه من المال والمصاغ والآلات ، وكتب [السلطان] للشريف عطيفة بمساعدته ؛ وحجج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أفوش نائب الكرك .

ومات في هذه السنة من الأغنياء نجم الدين أحمد بن أبي الحزم^(١) مكي المخزومي ابن ياسين القمولى^(٢) الشافعي ، محتسب مصر ، في ثامن رجب : و [مات] أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحدين أحمد بن محمد اللحياني ، ملك تونس ، بالإسكندرية . و [مات] كمال الدين محمد بن علاء الدين على بن كمال الدين [٢٤٥هـ] عبد الواحدين بن عبد الكريم بن خلف بن نهان الزملكاني الشافعي ، بمدينة بليس عند قدومه من حلب ، في سادس شهر رمضان ؛ ودفن بالقرافة . و [مات] شمس الدين محمد بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ، كاتب السر بدمشق ، في عاشر شوال . و [مات] نور الدين على بن عمر بن أبي بكر بن عبد الله الخلاطي الوائلي^(٣) الضوفي ، نزيل القاهرة ، في المحرم ؛ ومولده في سنة ست وثلاثين وستمائة ؛ سمع من يونس بن محمود الشاوي وعبد الوهاب [بن^(٤)] رواح وعبد الرحمن بن مكي ، سبط السافي وجماعة ؛ وخرج له الحفاظ أبو الحسين بن أيك جزءاً أحدث به ، فسمع منه قديماً البرزالي سنة خمسة وثمانين وستمائة . (١٢٤٦) وسمع منه شيخنا^(٥) أبو الفرج بن الشيخة وأبو علي الباصلي وعبد الوهاب البصري . و [مات] قاضي القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن صفي الدين أبي القاسم

(١) في « نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم حرمي بن ياسين ... » ، وقد عدل الاسم بعد مراجعة ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٠٤) ، وابن المأد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٧٥) .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٨٤ ، حاشية ١ .

(٣) كذا في ف ، بفتح على الواو فقط ، والنسبة إلى قلعة وان ، وهي حسبما جاء في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٩٥) وائمة بين خلاط وقليس ، وتعمل فيها البسط المعروفة بتلك التسمية ، ولعلها مدينة « وان » وائمة على البعيرة المعروفة بتلك الاسم ببلاد أرمينية . هذا وقد ذكر ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٩٠) ، وكذلك ابن المأد (شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٧٨) أن نور الدين هذا كان قد أضر في آخر أيامه ، ثم عولج فأبصر .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٩٠) .

(٥) هنا إشارة إلى أحد شيوخ القرطبي ، وهذه ثاني مرة يتكلم القرطبي فيها بشيء عن نفسه في هذا الكتاب . انظر ما سبق ، ص ١٤٠ ، حاشية ٥ .

ابن محمد بن عثمان البصراوي ، في شعبان ، بعد ما حكم بدمشق عشرين سنة . و [مات]
 الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السعيد فتح [الدين ^(١)] عبد الملك بن الصالح عماد
 الدين [اسماعيل بن العادل أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادي ؛ بدمشق في جمادى
 عشرى جمادى الآخرة ، عن أربع وسبعين سنة . و [مات] الطواشي ناصر الدين
 نصر الشمسى ، شيخ الخدام بالحرم النبوى ؛ وكان خبيراً يحفظ القرآن ، ويكثر تلاوته
 بصوت حسن . (٢٤٦ ب) و [مات الضياء المجدى بمصر ، وكان مطبوعاً صاحب
 نوادر . و [مات] الأمير سيف الدين بلبان البدرى نائب حمص ، في ليلة عيد الفطر .
 و [مات] الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب بحلب ، في ثالث عشر شعبان .
 و [مات] الأمير سيف الدين قطلوبغا المخرى ^(٢) الحاجب ، بالقاهرة في ثامن
 رجب . و [مات] الأمير سيف الدين كرجى أمير شكار ، بالقاهرة في تاسع عشرى
 ذى الحجة ؛ وهو مملوك عز الدين أيدير نائب دمشق في الأيام الظاهرية . و [مات]
 بكتوت بن الصانغ ، في يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى . و [مات] الأمير
 شمس الدين إبراهيم بن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى ، في جمادى الآخرة ،
 بداره (٢٤٧) جوار باب البحر خارج القاهرة ؛ وكانت له مكارم وفيه مروءة .

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . [في] ثالث المحرم أنعم بجنز الأمير كوجرى
 أمير شكار على الأمير بشتاك .

وفي خامس عشرية قدم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من الحجاز بالحجاج .
 وفي سابع عشرية قدمت رسل القان أبي سعيد ، فأكرموا وأعيدوا في رابع صفر .
 وفي المحرم هذا وُشى بالأمير شمس الدين آقسنقر شاد المأثر أن جميع عمائره
 وأملاكه التى استجدها مما يأخذه من الأسرى وأرباب الصنائع ؛ فرُسم عليه ليحمل

(١) أخيف ما بين الحاصرتين من التورى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٢) ، حيث توجد وفاة
 أبوبى آخر بدمشق أيضاً ، واسمه ناصر الدين إبراهيم بن المظفر شرف الدين عيسى بن الزاهر داود بن
 المجاهد أسد الدين شيركوه بن القاهر ناصر الدين بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي . هذا وقته
 ذكر حجر (الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣١ - ٣٢) بسدد ناصر الدين محمد الوارد بالمتن هنا أنه كان ممن
 اشتغل بالعلم من فرارى الأيوبيين .

(٢) في ف « المخرى » . انظر ما سبق ، ص ١٩٤ ، سطر ١ .

مالاً ألزم به، فاعتنى به الأمير قوصون (٢٤٧ ب) وشفع فيه، فأخرج عنه وأخرج إلى الشام. و[فيه] وردت مكانة الأمير تنكر نائب الشام بالشكوى من الأمير طينال نائب طرابلس وترفعه عليه؛ فكتب بالإنكار عليه، وألا يكاتب في المهمات وغيرها إلا نائب الشام، ولا يُجهز بعدها مطالعة إلى مصر.

وفي سابع ربيع الأول قدم دمر داش بن جوبان بن تملك بن (١) تداون. وسبب ذلك أن القان أبا سعيد بن خربندا لما ملك أقبل على اللهو، فتحكم الأمير جوبان ابن تملك (٢) على الأرردو، وقام بأمر المملكة، واستتاب ولده [دمشق] (٣) خواخا بالأرردو، وبعث ابنه دمر داش إلى مملكة الروم. فأنحصر أبو سعيد إلى أن تحرّك بعض أولاده (٤) كيك (١٢٤٨) بجهة خراسان، وخرج عن الطاعة؛ فسار جوبان لحره في عسكر كبير، فما هو إلا أن بعد عن الأرردو قليلاً [حتى] رجع العدو عن خراسان، وقصد جوبان العود. و[كان] قد قبض أبو سعيد على دمشق خواجا، وقتله بظاهر مدينة السلطانية، في شوال من السنة (٥) الماضية؛ وأتبع به إخوته ونهب أتباعهم، وسفك أكثر دماهم؛ وكتب إلى من خرج من العسكر مع جوبان بما وقع، وأمرهم (٦) بقبضه؛ وكتب إلى دمر داش أن يحضر إلى الأرردو، وعرفه (٧) شوقه إليه، ودرس مع الرسول إليه عدة ملطفات (٨) إلى أمراء الروم بالقبض عليه أو قتله، وعرفهم ما وقع.

(١) في ف « ملك بن تداون ». انظر النويري (نهاية الأرب، ج ٣١، ص ٨٤)، وكذلك (Howorth : Op. Cit, III, pp. 491 etc) حيث يوجد أمير بهذا الاسم، كما توجد مدينة بتلك التسمية أيضاً. انظر أيضاً (Sauvare : Materiaux Pour Servir à l'histior de la (Numismatique et de la Métrologie Musulmanes. Ire, partie p. 223)

(٢) في ف « ملك » انظر الحاشية السابقة.

(٣) أخيف ما بين الحاضر بين من ب (٤٠٧ ب). انظر أيضاً (Browne : Op, Cit, III, p. 54)

(٤) يشير القرزى هنا إلى ما حدث من ثورات بخراسان وغيرها في السنوات الأولى من حكم أبي سعيد، وكان من زعمائها كيك خان (Kepek Khan) المتعذر من بيت شطاي. انظر، Howorth : Op, Cit, III, p . 591)

(٥) وقعت تلك الحادثة في ٢٥ أغسطس ١٣٢٧ م، أي في أواخر سنة ٧٢٧ هـ. انظر (Browne : Op, Cit III, p. 55) ، وما به من المراجع.

(٦) في ف « يامرهم ».

(٧) في ف « يعرفه ».

(٨) في ف « حافظات » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤٠٨).

وكان دمرداش قد ملك بلاد الروم جميعها وجبال ابن قرمان ، وأقام على كل دربند جماعة تحفظه ، فلا يمر أحبداً إلا ويعلم به خوفاً (٢٤٨ ب) على نفسه من السلطان الملك الناصر أن يبعث إليه فداوياً يقتله ، بسبب ما حصل بينهما من المواجهة إلى اقتضت انحصار السلطان منه ، وأنه منع التجار وغيرهم من حمل الممالك إلى مصر ، وإذا سمع بأحد من جهة صاحب مصر أخرق به . فشرع السلطان يخادعه على عادته ، ويماديه ويترضاه ، وهو لا يلتفت إليه ؛ فكتب إلى [أيه] جوابان في أمره حتى يبعث ينكر عليه ، فأمسك عما كان فيه قليلاً ، ولبس تشریف السلطان ، وقبيل هديته وبعث عوضها ؛ وهو مع هذا شديد التحرز^(١) .

فلما قدمت رسل أبي سعيد بطلبه فقتلهم الموكلون بالدربنجات ، فوجدوا الملطفات ، فخلوهم وما معهم إلى دمرداش . فلما وقف [دمرداش] عليها لم يزل يعاقب الرسل إلى أن (٢٤٩ أ) اعترفوا بأن أبا سعيد قتل دمشق خواجه وإخوته ومن يلوذ بهم ، ونهب أموالهم ، وبعث بقتل جوابان . فقتل^(٢) [دمرداش الرسل] ، وبعث إلى الأمراء أصحاب الملطفات فقتلهم^(٣) أيضاً ؛ وكتب إلى السلطان الملك الناصر يرغب في طاعته ، ويستأذنه في القدوم عليه بعساكر الروم ، ليكون نائباً عنه بها ؛ فسر السلطان بذلك . وكان قد ورد على^(٤) [السلطان] كتابُ المجد السلافي من الشرق بقتل دمشق خواجه وإخوته ، وكتابُ أبي سعيد بقتل^(٥) جوابان ، وطلب ابنه دمرداش ، وأنه ما عاق أبا سعيد عن الحركة إلا كثرة الثلج وقوة الشتاء .

فكتب [السلطانُ الناصر] جواب دمرداش يعده بمواعيد كثيرة ، ويرغبه في الحضور . فتحير [دمرداش] بين أن يقيم فيأنيه أبو سعيد ، أو يتوجه إلى مصر فلا (٢٤٩ ب) يدرى ما يتفق له . ثم قوى عنده المسير إلى مصر ، وأعلم أمراءه أن عسكر مصر سار ليأخذ بلاد الروم ، وأنه [قد] كتب إليه الملك الناصر يأمره أن

(١) في ف « الفجور » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤٠٨) .

(٢) في ف « قتلهم » ، وقد عدلت العبارة بالإضافة بين الحاصرين للتوضيح . انظر النويري (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٤ ، وما بعدها) ، حيث توجد هذه الأخبار كلها بتفصيل أكثر مما هنا .

(٣) في ف « قتلهم » .

(٤) في ف « عليه » .

(٥) في ف « ويقتل » ، والرسم المثبت هنا من (١٤٠٨) .

يكون نائبه ، فشى عليهم ذلك و سرهم^(١) . وأخذ [دمرداش] يجهز أمره ، وحصن أولاده وأهله في قلعة منيعة ، وبعث معهم أمواله ؛ ثم^(٢) ركب بعساكره حتى قارب بهسنا ، فجمع^(٣) من معه وأعلمهم أنه يريد مصر ، وخبرهم بين العود إلى بلادهم وبين المسير معه ، فعادوا إلا من يختص به .

وسار [دمرداش] إلى بهسنا في نحو ثلاثمائة فارس ، فلقاه نائبها ؛ وما زال حتى قدم دمشق يوم الأحد خامس عشر صفر ، فركب الأمير تنكز إلى لقائه ، وأنزله بالميدان ، وقام له بما يجب ، وجهزه إلى مصر بعدما قدم بين يديه (١٢٥٠) البريد بخبره . فبعث إليه السلطان بالأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير ، ومعه المهنديار بجميع الآلات الملكية من الخيام^(٤) والدلهيز والبيوتات كلها إلى غزة ، فلقوه بها وأقام فيها يومين وسافر [إلى القاهرة] ؛ فركب الأمراء إلى لقائه ، وخرج السلطان إلى برّ الجزيرة ، ورسم أن يعدى النيل إليه .

فلما قدم [دمرداش إلى القاهرة] في سابع ربيع الأول أتاه الأمير طايربغا وأحضره إلى السلطان ، بالجزيرة ، فقبل الأرض ثلاث مرات . فترحب [السلطان] به وأجلسه بالقرب منه ، وبأسطه وطيب خاطره ، وسأله عن أحواله ، وألبسه تشرىفاً عظيماً ، وركب معه للصيد ؛ وعدى به النيل إلى القلعة ، وأسكنه بها في بيت الجارلى ، ورتب له جميع ما يحتاج إليه ؛ ورسم (٢٥٠ ب) للأمير طوغان أن يدخل صحبة طعامه بكرة وعشيا .

وفي عاشره قدم [دمرداش] مائة كديش وثمانين بختبا وخمسة ممالك وخمس بقج فيها الثياب الفاخرة ، منها بقجة بآباء أطلس مرصع بعدة جواهر ثمينة ؛ فلم يقبل السلطان غير القباء وكديشا واحداً وقطار بخاقى ، وردّ البقية [إليه] ليتقوى بها . وتقدم [السلطان] إلى الوزير أن يرتب لدمرداش^(٥) ما يليق به ، [وطلب] إلى الحاجب أن يحلبه^(٦) في الميمنة تحت الأمير سيف الدين آل ملك [الجوكندار] .

(١) في ف « فرم » .

(٢) في ف « وركب » .

(٣) في ف « جمع » .

(٤) في ف « الخيام » .

(٥) في ف « له » .

(٦) في ف « مجلس » ، والرسم المثلث هنا من ب (٤٠٨ ب) . انظر النورى (نهاية الأرب ،

فشق عليه ذلك ، إلى أن بعث السلطان إليه الأمير بدر الدين جنسكلى يعتذر إليه أنه ما جهل قدره ، وإنما الشهد والد السلطان له بمالك كبار قد ربوا السلطان ، فهو يريد تعظيم قدرهم ، فلهذا أجلسك بجانبهم ؛ (٢٥١) فطاب خاطره .

واجتمع [دمرداش] بالسلطان وفاوضه في أمر بلاد الروم ، وأن يجهز إليها عسكرياً فأشار السلطان بالمهمة حتى يرد [البريد] بخبر أبيه جوبان مع أبي سعيد ، وكتب إلى ابن قرمان أن ينزل على القلعة التي فيها أولاد دمرداش وحواسله ويرسلهم مكرمين إلى مصر . فاستأذن دمرداش في عود من قدم معه إلى بلادهم ، فأذن له في ذلك ، فسار كثير منهم . وأنعم [السلطان] على دمرداش بأمرة سنجر الجفقدار ، بحكم إخراجيه إلى الشام . وفي يوم الاثنين حادى عشره ركب دمرداش بالقماش الإسلامى ^(١) [على] هيئة الأمراء .

وفي تاسع عشره قدم الأمير شاهنشاه ابن عم جوبان ، فخُلع عليه ، وأنزل عند دمرداش (٢٥١ ب) وفي ثامن عشره وصل مُطلب دمرداش وقله ، فأنزلوا بدار الضيافة ، وهم نحو ستمائة فارس .

وفي يوم الأحد أول ربيع الآخر عرض السلطان أصحاب دمرداش ، وفرّق أكثرهم على الأمراء ؛ واختار نحو التسعين منهم العود إلى بلادهم ، [فعادوا] ^(٢) . وفيه قدمت رسل أبي سعيد بكتابه ، وفيه بعد السلام والاستيحاء وذكر الود ^(٣) [السلطان] بأمر جوبان وتحكمه وقلة امثاله الأمر ، وأنه قصد قتله ^(٤) والتحكم بمفرده ، فلما تحقق ذلك [لديه] بعثه إلى خراسان ، وسير بالقبض عليه ، و[هو] يأخذ رأى السلطان في ذلك ؛ وقد سیر أبو سعيد مع رسله هدية ^(٥) . وسألهم السلطان عن دمرداش ، فذكروا أنهم لم يعرفوا خبره حتى قدموا دمشق ؛ (٢٥٢ أ) فبعثهم إليه فلم يعبا بهم .

(١) وصف القلقندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩ - ٤١) ملابس أمراء المالك وأزائهم ، وذكر « القباء الإسلامى » في عرض وصفه سرتين ، ويتبين من (Dozy : Vêtements pp. 81, 210, 359) أن هذه التسمية كانت تطلق على القباء العربى التفصيل ، تمييزاً له من القباء السلاوى الترى ، وهو البلاطاق .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٣٠٩) .
(٣) في ف « أعلامه » .
(٤) الضير عائده على أبي سعيد .
(٥) في ف « وسير معه هدية فقبلت » .

وفي يوم الثلاثاء عاشره توجه السلطان إلى الوجه البحري ، ومعه دمرداش ؛ وحسن له الفخر ناظر الجيش والأمير بكتمر الساقى زيارة الشيخ محمد^(١) المرشدى ، فتوقف في زيارته ثم عزم عليها . فرُسِمَ^(٢) للأمير علم الدين سنجر الخازن كاشف الغريبة بطلب جميع العربان وتقديمهم الخيل والهجن ، وأن يُجهز الإقامة ؛ واستناب السلطان في غيبته الأمير قجليس . وعاد [السلطان] في سادس عشرية ، بعد ما قدم الأمير تنكز في رابع عشرية .

وفي تاسع شوال مُخلع على الطواشى ناصر الدين نصر الساقى ؛ واستقرّ مقدم الممالك ، عوضاً عن الطواشى [صواب^(٣) الركنى] .
و[فيه] بعث [السلطان] الأمير سيف الدين (٢٥٢ ب) أروُج^(٤) مملوك قبجق إلى أبى سعيد يشفع في دمرداش ، ومعه الرسل بهدية جليلة ؛ فساروا في تاسع جمادى الأولى .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة سار برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفى على البريد إلى القاهرة ، وقد طلب ؛ فقدم يوم السبت خامس عشرية ، واستقرّ في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر ، عوضاً عن شمس الدين محمد عثمان الحربرى بعد وفاته .

[وفي] يوم السبت عاشر رجب عاد أطوجى^(٥) من بلاد أذربك ملك القبجاق بتقادم جليلة ، فأنزل بالميدان ، وأنعم عليه وعلى جماعته بشىء كثير ، وفي حادى عشره حضر [أطوجى] إلى بين يدى السلطان فخلع عليه ، وسار في عشرية .
وفي خامس عشرية عقد نكاح (٢٥٣ ا) ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاي تمر العمري الناصرى ، وأعفى^(٦) الأمراء من حل الشموع وغيرها ، وأنعم عليه من الخزانة بأربعة آلاف دينار عوضاً عن ذلك .

(١) القالب أن هذا الشيخ الذى زاره ابن بطوطة قرب فوة في أول رحلته المشهورة . ابن بطوطة (تحفة النظار - Der. et. San. - ج ١ ، ص ٣١) .

(٢) في ف " ورسم " .

(٣) أضيف ما بين الماصرتين من ب (١٤٠٩) ؛ انظر أيضاً ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٧٠٨) .

(٤) بغير ضبط في ف . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. 179, etc) .

(٥) في ت « اعنى عن الامرا » .

و [فيه] عاد جواب ابن قرمان بأنه ركب إلى القلعة التي فيها أهل دمر داش ، وعرفهم
أله حضر بمرسوم السلطان ، وبعث إليهم بكتاب دمر داش أنهم يقدمون ^(١) عليه
بمصر ؛ فردوا جوابه : « لا حاجة لنا في مصر » . و ذكر [ابن قرمان] أن هذا بمباطنة
دمر داش لهم ، وخط عليه بأنه سفك دماء كثيرة ، وقتل من المسلمين عالما عظيما ، وأنه
جسور وما قصد بدخوله مصر إلا طعماً في مأكلاها . وبعث [ابن قرمان] الكتاب
صحة بجم الدين إسحاق الرومي صاحب أنطالية ^(٢) ، [رهي] القاعة التي أخذها منه
دمر داش وقتل والده ، وأنه (٢٥٣ ب) قدم ليطالبه بدم أبيه . فلما وقف السلطان
على الكتاب تغير ، وطلب دمر داش وأعله بما فيه . وجمع السلطان بينه وبين إسحاق ،
فتحاققا بحضرة الأمراء فظهر أن كلا منهما قتل لصاحبه قتيلا ؛ فكُتِبَ جواب
ابن قرمان معه وأعيد . وقد تبين للسلطان خبث نية دمر داش . فقبضه وأمسك من
معه من الأعيان ، وهم محمود شاهنشاه [وعدة ^(٣) أخرى] ، في يوم الخميس العشرين
من شعبان ؛ واعتقل [دمر داش] ببرج السباع من القلعة ، وفرق البقية في الأبراج ؛
وفرت مما يملك على الأمراء ، ورتب له ما يكفيه .

وكان ^(٤) للقبض على [دمر داش] أسباب : منها أنه كان ^(٥) له بالروم مائة ألف رأس
من الغنم ، فلما وصلت قطيا أطلق منها للأمير بكنمر الساقى عشرين ألفا ؛ ولقوصون
وبقية الأمراء كل واحد شيئا (١٢٥٤) حتى فرق الجميع ، فلم يوجب السلطان ذلك .
ودخل [دمر داش] يوما الحمام فأعطى الحمامي ألف درهم ، والحارس ثلاثمائة ؛
فوادحق السلطان منه . ثم أخذ [دمر داش] يوقع ^(٦) في الأمراء والخاصكية ؛ ويقول :
« هذا كان كذا ، وهذا كان كذا ، وهذا الماس الحاجب كان حمالا ؛ فما حل
السلطان هذا منه .

(١) في ف « يقدموا » .

(٢) في ف « انطاكية » ، وهو خطأ واضح من النسخ في الغالب ، وأنطالية حسما ورد في
ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٨) حصن وبلد كبير بآسيا الصغرى على شاطئ البحر الأبيض
المتوسط ، وأسمه القديم أطلية (Attalia) ، وهو في المراجع الإنجليزية (Satalia) ؛ ويسمى الآن أضانية
انظر (Ency. Isl. Art. Adalia) .

(٣) أضيف ما بين الحاصرين من ب (٤٠٩ ب) .

(٤) في ف « فكان للقبض عليه أسباب » .

(٥) في ف « كسب » .

(٦) في ف « بقع » .

وفى شوال حُسن جماعة للسلطان توفير كثير من الجوامك . فعمل [فيه (١)
استيثار] ، وفرَّق فيه (٢) ما قُطع من جوامك المباشرين والغلمان وهى جملة ،
ووفر منهم عدة ؛ ثم قرى عليه .

وأحضر الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام (٣) ؛ وخلع عليه وعلى مجد الدين
إبراهيم بن لفيفة بغير طرحات ؛ واستقرّا فى نظر النظار والصحبة فى يوم الاثنين
نصف شوال . [وفيه] نُقل شمس الدين إبراهيم بن قروينة (٢٥٤ ب) إلى نظر البيوت
وخلع عليه معهما .

وفى ناسع عشره عقد نكاح الخاتون طلباى (٤) الواصلة من بلاد أربك على الأمير
سيف الدين منكلى بغا السلاح دار ، بعد ما طلقها السلطان وانقضت عدتها ، وبني
عليها [الأمير سيف الدين] فى ثامن ذى القعدة .

وفى يوم الأربعاء ناسع عشره عزل الصاحب أمين الدين (٥) بن الغنام عن نظر
الدولة . [وكان قد كتب (٦) قصة يطلب الإغفاء من المباشرة ، فلم يجب إلى ذلك ،
فكتب قصة ثانية فأجيب ؛ فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوماً تحريراً] .

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين [العمري (٧)]
- الملقب زيرباج - الجاشنكير ، أحد المماليك المنصورية المشهورين بالشجاعة والقوة ،
بعد ما أقام فى الاعتقال - من يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر سنة ثنى عشرة - مدة
ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام ، (٢٥٥ ا) وهو يغزل الموف المسرع (٨)
ويعمله كوافى بديعة الزى وللناس فيها رغبة ، ويتصدق بثمنها .

(١) موضع ما بين الحاصرتين يياض فى ف ، والإضافة من ب (٤٠٩ ب) . انظر المقرئى (كتاب
الساوك ، ج ١ ، ص ٨٥٠ ، حاشية ٢) لشرح لفظ استيثار .

(٢) فى ف « وفر يه » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٤٠٩ ب) .

(٣) فى ف « أمين الدين عبد الملك عبد الله بن الغنام » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٤١٠ ا) .
انظر ما سبق ، ص ١٠٦ ، حاشية ٣ .

(٤) كذا فى ف . انظر ما سبق ، ص ٢٠٣ . حاشية ٥ .

(٥) فى ف « أمين الملك بن غنام » . انظر حاشية ٤ بهذه الصفحة .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين من التويرى (نه يه الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٨) .

(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من (Zetterstéen : Op. Cit. p. 147) .

(٨) ذكر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) أن هذا اللفظ من أصل أرمى ، وأن الصوف المرعز

هو صوف الماعز .

و [فيه] أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، وكانت مدة اعتقاله ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً ، كان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث ونحوه . وأفرج عن أمير فرج بن قراسنقر في يوم عرفة ، ثم أعيد [إلى سجنه ؟] في يومه .

وفيه سافر [الأمير سيف الدين^(١)] أيتمش إلى بور سعيد [برسالة تتضمن ما قام به السلطان^(٢) مع دمرداش بن جوبان وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية في يوم الأربعاء حادى عشر شهر رمضان رسل^٣ من عند أبي سعيد ، وهم ثلاثة نفر ، والمشان إليه منهم أياجى أمير جندار الملك أبي سعيد . فلما مثلوا بين يدي السلطان ، وشملهم الإنعام بالتشريف على عادة أمثالهم ، أرسلهم السلطان إلى دمرداش^(٢) في معتقله ، صحبة الأمير سيف الدين قجلىس أمير سلاح ، فاجتمعوا به وتحدثوا معه . وقيل كان مضمون^٤ رسالتهم طالب دمرداش من السلطان ، وأنه إذا سلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد في مقابلة ذلك الأمير شمس الدين سنقر المنصورى . قال السلطان إلى ذلك ، ورسم^٥ للأمير أيتمش المحمدى أن يتوجه إلى الملك أبي سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال في ذلك ، وتوجه طلب دمرداش في يوم الاثنين سادس عشر شهر رمضان ؛ ثم عدل السلطان عن هذا الأمر ، وترجّح عنده أنه لا يرسله إلى الملك أبي سعيد .

[فلما كان في ليلة الخميس رابع شوال من هذه السنة أخرج دمرداش من معتقله بالبرج ، وفتح باب السر من جهة الفرافة وأخرج منه وهو مقيد مغلول ، وشاهده رسل الملك أبي سعيد وهو على هذه الحال . ثم خنق دمرداش ، وشاهده الرسل بعد موته ؛ وقُطِّع رأسه وسلخ وصبر^٦ وحشى ؛ وأرسل السلطان الرأس إلى أبي سعيد ، ودُفن الجسد بمكان قنله . وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية في يوم الخميس رابع شوال ،

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) سيلاحظ القارئ، هنا أن المقرئى أورد الخبر عن هذا السفر دون أن يشير إلى موضوعه بشيء ، وفي ذلك حذف غريب لموضوع كبير الأثر في قصة العلاقات بين الدولة المملوكية ودولة إيلخانات فارس ، ولذا رأى الناصر أن يشارك هذا الحذف بالإضافة الطويلة بين الحاصرتين ، وهي الفقرة التي تليها من النويزى (نهاية الأرب ، ج ٣١ ، ص ٨٦) ، حيث توجد أخبار دمرداش بن جوبان كلها في تفصيل . انظر أيضاً (Zetterstéen : Op. Cit. p. 179) .

(٣) في الأصل « تمرش » بهذه الفقرة والتي تليها . انظر ما سبق ، ص ٢٦٣ ، حاشية ٦ .

ووكبوا مع السلطان إلى الميدان في يوم السبت سادسه ؛ ثم خضروا إلى الخدمة السلطانية في يوم الاثنين ثامننه ، وشملهم الخلع والإنعام ، وأعيدوا إلى مرسلهم في هذا اليوم ؛ وتوجه معهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى برسالة السلطان إلى الملك أبي سعيد ، كما تقدم [.

وفيها وقع في زروع أرض مصر آفة من الدودة عند أوان الزرع عقيب حر شديد ، حتى عمّ ذلك أ كثر الزرع . فكُتِبَ إلى الولاة بكتابة ما تاف ، فوجد قد تاف في بعض البلاد نصف الزرع وما دونه في غير ها ^(١) . وتحسن السعر ، فبلغ القمح (٢٥٥ ب) إلى عشرين الأردب بعد ثلاثة عشر .

وفيها هبت ريح سوداء بعد ما أرعدت السماء وأبرقت ، حتى كان الإنسان لا يبصر ^(٢) رقيقه ، وحتى ردت وجوه الخيل إلى ورائها ، ولم يستطع أحد أن ^(٣) يثبت فوق فرسه ، ولا أن يقف على رجليه فوق الأرض ، بل تلقىه الريح ؛ وكان ذلك ببلاد فوة وبحر الغرب وسائر الوجه البحري . وغرق بها من المراكب شيء كثير ، وتقصفت عدة من النخل ؛ وأقلعت شجرة جميزة كبيرة من أصلها بناحية فوة ، ومرّت بها قدر ما أتى قصبة ، فلما قطعت حمل خشبها تسعة أحمال . ومرّ من ذلك ^(٤) في البرين الغربي والشرقي جانب ، وهدمت عدة دور ثم أمطرت بعد أيام مطراً عظيماً سال منه [إلى] مدينة ^(٥) ٢٥٠ (١) بليس حتى خرب كثير منها ، وجرى السيل إلى المطرية ؛ وأمطرت بالقاهرة ومصر ثلاثة أيام مطراً لم يعهد مثله ، تلف ^(٦) منه عامة السقوف .

وفيها اشتد بأس الأمير قدا دار والى القاهرة ، وتسلب على العامة بكثرة سفك الدماء . وكان قد رُسم لجميع الولاة أن لا يقتلوا أحداً ولا يقطعوا يده [إلا بعد ^(٧) مشاركة الساطان] ، خلا قدا دار ، فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره . فانطلقت يده في سائر الناس ، وأقام

(١) في ف « بعضها » . والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤١٠) .

(٢) في ف « لا ينظر » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤١٠) .

(٣) في ف « ولم يثبت أحد فوق فرسه » ، وقد عدلت لتنجم مع بقية الجملة .

(٤) في ف « ومر في ذلك من البرين ... » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١١٠ ب) .

(٥) في ف « خرب » .

(٦) في ف « دلفت » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (٤١٠ ب) .

(٧) أضيف ما بين الحاصرين من ب (٤١٠ ب) .

عنه (١) نائباً من بطّالى الحسينية ضمن المسطبة منه في كل يوم بثلاثمائة درهم . وأتت الطائفة المعروفة بالمستصنعين (٢) في المدينة ، وعملوا أعمالاً شنيعة ، وكتبوا لأرباب الأموال أوراقاً بالتهديد ؛ فاشتدّ خوف أهل الرتب منه . ونادى [قدادار] ألا يفتح بعد عشاء الآخرة أحدٌ دكاناً (٢٥٦ ب) في مدة غيبة السلطان في الوجه البحرى ، ولا يمشى أحد بالليل في الأسواق ، ولا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة ؛ فكان من يوجد يؤخذ ، فإن وجدت منه رائحة الخمر لقي شدة . فانكشف الناس عن الخروج ليلاً ، وصارت الشوارع موحشة . وأقام [قدادار] على كل حارة درهماً (٣) ألزم أهلها بعمله ، ورتّب الخفراء تدور [في الليل (٤)] بطبول في جميع الحارات والخطط ؛ فظفر [أحدهم] برجل قد سرق من بيت ولبس ثياب الدساء ، فسمّره (٥) [قدادار] بباب زويلة .

وفيها قدم البريد من صفد ، ومعه مبلغ أربعين ألف درهم حملاً للوقعين ؛ فأخذ قريباً من بلبيس . فألزم السلطان وإليها علم الدين - مملوك العلّاقى - بها ، بعد ما رسم بشنقه ؛ ثم عفا عنه وعزله .

و[فيها] ولي مُظَلِّمُ ظِيْتِه (٦) الشرقية ، نقله [السلطان] [إليها] [من] (٧) (١٢٥٧) ،

(١) في « وضمن نايه بمسماية درهم في كل يوم » ، والصيغة المثبتة هنا من المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٨ - ١٥٠) ، حيث وردت أخبار هذا الأمير في تفصيل كثير ، ومنه أن السلطان الناصر كان شديد الإعجاب به وبوسائله الصارمة ، وأنه أبقاء على ولايته مدة برغم سعى الساعين الموتورين . (٢) المقصود بهذا اللفظ ، كما يفهم من المتن ، جماعة الرجال الذين اصطفتهم هذا الوالى - أو غيره ممن سلك في ولاية القاهرة - ، وجعل منهم عوالة على ما يريد من وسائل التشديد والمراقبة والتهديد ، ويؤيد ذلك ما أورده المقرئى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٤٩) في هذا الصدد ونصه : « وتسارعت المستصنعة وأرباب المظالم على الناس (وكانوا إذا رأوا سكران أو شموا منه رائحة خر أحضروه إليه » ؛ وفي موضع آخر بنفس الصفحة مائنه : « ومشت جماعة من المستصنعين في البلد وكتبوا الأوراق ورموها في بيوت الناس بالتهديد » ، كما بالمتن هنا .

(٣) الدرب - وجمعه دراب - باب السكة الواسع ، والباب الأكبر أيضاً . (قاموس المحيط) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٠٤ ب) .

(٥) المقصود بذلك أن هذا السارق عوقب بقوة التسمير ، وهى إحدى العقوبات الشنيعة بمصر وغيرها من البلاد في العصور الوسطى ، وقد تقدم شرحها في المقرئى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، حاشية (١) .

(٦) في ف « طلدیه » ، بغير ضبط ، وهو في ب (١٠٤ ب) بالطاء بدل الطاء ، وفي ابن حجر

(الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٠٩) « برسم ضلای » ، والرسم المثبت هنا من (Zetterstéén : Op.

(Cit. pp. 201, etc) ، وسيدأب الناصر على إنبات هذا الرسم فيما يلى بغير تعليق .

(٧) أضيف ما بين الحاصرتين من ب (١٠٤ ب) .

الهندسا . وولى عوضه شجاع الدين قنغلى .
و [فيها] ولى عز الدين أيدمر السلاحي المنوفية ، ففمن في إتلاف الأنفس ، وأوقف
رجلايين خشبتين ونشره من رأسه ، وصلق آخر في دست ، وسلخ آخر وهو حي .
وفيها عزم السلطان على أن يُجْرى النيل تحت القلعة ، ويشق له من ناحية حلوان ؛
فبعث الصناع صحبة شاد العماير إلى حلوان ، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر المطل على
القاهرة ؛ وقدروا العمل في بناء الواطى حتى يرتفع ، وحفر العالى ليجرى الماء
ويذفع به في داخل قلعة الجبل ، من غير معاناة نقل ولا كلفة . ثم عادوا وعرفوا
السلطان ذلك ، فركب لـ كشفه ، وقاسوا الأرض بين يديه . فكان قياس^(١) (٢٥٧ ب)
ما يُحفر اثنين وأربعين ألف قصبة حاكية^(٢) ، ليقى خليجاً فيه ماء النيل شتاءً وضيافاً
بسفح الجبل . وعاد [السلطان] وقد أعجب بمشروعه^(٣) ، وشاور الأمراء فيه ، فلم
يعارضه منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش ، فإنه قال : « بمن يحفر السلطان هذا الخليج ؟ »
فقال^(٤) [السلطان] : « بالعسكر » ، فقال^(٥) [الفخر] : « والله لو اجتمع عسكر آخر
فوق عسكر السلطان ، وأقام سنين ؛ ما قدروا على حفر هذا العمل . ومع ذلك فإنه
يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال . ثم هل يصح أو لا ، فالسلطان لا يسمع كلام
كل أحد ، ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم ؛ ونحو هذا من القول حتى رجع
[السلطان] عن عمله .

وفيها كملت العين التي أجزاها^(٦) الأمير تنسكنز بالقدس ، بعد ما أقام الصناع^(٧)
فيها مدة سنة ، وبنى لها مصنعا^(٨) سعة نحو مائتي ذراع ، (٢٥٨ أ) وركب في الجبل
مجارى نقب لها في الحجر حتى دخل الماء إلى القدس ، فكان لها يوم مشهود ، وأنشأ
[تنسكنز] بالقدس [أيضا] خانكاه وحماما وقيسارية ؛ فعمرت بالقدس .

(١) في ف « قياسها » ، والرسم المثبت هنا من ب (١٤١١) .

(٢) تقدم التعريف بهذا المقياس في الميرزى (كتاب السلوك ، ج ١ ، ص ٧١٢ ، حاشية ٣) .

انظر أيضاً ابن ماقى (قوانين الدواوين ، ص ٣٢) .

(٣) في ف « أعجب منه » .

(٤) في ف « قال » .

(٥) في ف « انشأها » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤١١) .

(٦) في ف « بالضياع » ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٤١١) .

(٨) المصنع حوض يقع فيه ماء المطر ، وجمعه مصانع . (قانون المحيط) .

وفيهما أفرج عن تقي الدين أحمد بن تيمية ، بشفاعة الأمير جنسكلى بن البابا وغيره من الأمراء .

رفيها أجرى ابن هلال الدولة عينا بمكة تعرف بعين ثقبه ، فصار بمكة عين جوبان وعين ثقبه هذه . وانحلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهما الغرارة إلى أربعين ، وذرع بها البطيخ والذرة والخضراوات وغيرها ، وامتلات البرك وكملت عمارة الحرم . وجدّد [ابن هلال الدولة] بمكة عدة مئتمن باسم السلطان ، وأجرى لها ما يقوم بكلقتها .

وفيهما ورد الخبر بقتل جوبان نائب (٢٥٨ ب) أبي سعيد . وذلك أن العسكر المجهم معه لما وصل إليهم خبر قتل أولاده^(١) [بأمر أبي سعيد] ، و [وصلت إليهم] كتب أبي سعيد بقتله [أيضا] . ركبوا عليه ؛ ففرّ ومعه ابنته جلوخان^(٢) وطائفة من خواصه إلى قلعة هراة^(٣) ، وامتنع بها ؛ فدرس إليه أبو سعيد مَن قتلته وابنته وحملها إلى أبي سعيد ، فكان لدخولهما الأرضوا يوما عظيما .

و [فيها] حج بالركب المصرى شهاب الدين أحمد بن المهمن دار . وحج [في هذه السنة] أيضا الأمير [سيف الدين] طقز دمر [الناصرى^(٤)] ، وست حدّث^(٥) ، وعملت معروفا كبيرا .

وفيهما قدم ابن هلال من مكة فخلع عليه ، وأعيد إلى شد الخاص .

وفيهما طُلب صلاح الدين يوسف دوادار قيجق من طرابلس ، وولى شد الدواوين . وفيها تنكّر السلطان على الأمير علاء الدين (١٢٥٩) مغايطا الجمالى الوزير . وسببه

(١) كذا فى ف ، غير أن المراجع المتداول فى هذه المواشى ، مثل (Browne: Op. Cit. III, pp. 54-55) ، وكذلك (Howorth: Op. Cit. III. p. 606-607) أني بقتل دمشق خواجه فقط ؛ وقد أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة هذين المؤلفين . انظر ما سبق هنا ، ص ٢٩٢ سطر ١١ .
(٢) فى ف « جيكوخان » ، والرسم المثبت هنا من (Howorth: Op. Cit. III, p. 610-611) ، وكان للأمير جوبان أولاد آخرون ، ومنهم حسن ودمرداش وحسين ومحمود . انظر (Howorth: Op. Cit. III. pp. 606 610) .

(٣) فى ف « هرا » ، وكان صاحب هراة وقت ذاك الأمير غياث الدين كرت ، وهو رجل قديم الصلة بجوبان ، غير أنه هو الذى قام بقتله . انظر (Howorth: Op. Cit. III. p. 601-611) ، وكذلك (Browne: Op. Cit. III, p. 55) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٢٥) ، ولهذا الأمير أخبار كثيرة فى عهد أولاد السلطان الناصر محمد .
(٥) انظر ما سبق ، ص ٢٣٥ ، سطر ١٠ .

عمل الفخر ناظر الجيش عليه بموافقة التاج [سحاق ، و] [قد] كتبت فيه مرافعة غضب [السلطان] بسببها عليه ، وقصد الإيقاع به . فاعتنى به الأمير بكتنم الساقى ، واعتذر عنه بأنه رجل غتمى (١) .

وفى يوم عرفة - وهو يوم الجمعة - أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، ومدة سجنه مائى سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام .

ومات فى هذه السنة (٢) من الأعيان شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ، بدمشق ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة ، فى سجنه بالقلعة ؛ ومولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول ، سنة إحدى وستين (٢٥٩ ب) وستائة . و [مات] الأمير سيف الدين جوبان المنصورى ، أحد أمراء دمشق الأكبر ، بها فى العشرين من صفر . و [مات] الأمير سيف الدين بكتنم البوبكرى ، بسجنه من قلعة الجبل ، يوم الخميس نصف شعبان . و [مات] الأمير جوبان ابن تلك بن تداون (٣) نائب القان أبى سعيد بن خربندا مقتولا بهراة ؛ وحمل إلى بغداد ، فقدمها فى سابع عشرى شوال ، وصلى عليه وحمل إلى مكة مع ركب الحاج العراقى ، وحليف به الكعبة ، ومضى به إلى المدينة النبوية ، فدُفن (٤) بالقيس . و [مات] الشريف كيدشة (٥) بن منصور بن جمان بن [شحنة] أمير المدينة . فى أول شعبان قتيلا ، وكانت ولايته بعد قتل أبيه منصور فى رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة ؛ قتل أولاد ودى ، وكان ودى قد (٢٦٠) حبس بقلعة الجبل ، فولى بعده أخوه طفيل . و [مات] الأمير جمال الدين خضر

(١) التمنى صفة للشخص الأغتم ، وهو الذى لا يفصح شيئا ، والفتنة العجمة (تاموس المحيط) . ومثال ذلك قول المقرئى (المواقظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٠٧) بصدد الأمير ألماس الحاجب ، ونصه « وكان غتميا لا يفهم شيئا بالمرى » ، غير أن (Dozy : Supp. Dict. Ar.) قد ترجم هذا اللفظ الى (Callidus) ، وهى كلمة لاتينية معناها الحاذق اللطيف .

(٢) فى ف « ومات فيها من الاعيان » ، والصيغة الواردة هنا من ب (٤١١ ب) ، وهى ما جرى المقرئى على تصدير الوفيات به فى أغلب المواضع .

(٣) انظر ما سبق ، ص ٢٩٢ ، حاشية ١ .

(٤) هذه الوفاة واردة فى ب (٤١١ ب) فى عبارة مخالفة ، على أنها لا تخرج فى جوهرها عما هنا مضافا إليه ماتقدم بصفحة ٢٩٢ بصدد جوبان .

(٥) انظر ما سبق ، ص ٢٦٩ ، حاشية ٥ .

ابن نوكاى أخو خوند أردوكين ، فى ليلة الرابع عشر من رمضان . و [مات] الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى بالمراغة من آذربيجان ، يوم السبت سابع عشر شوال ؛ وورد الخبر بموته فى حادى عشرى ذى القعدة ، فأنعم على والده أمير على ابن قراسنقر بإمرة طبلخاناه على عادته بدمشق ، وعلى أخيه أمير فرج بن قراسنقر بإمرة عشرة ؛ ورسم بسفرهما من القاهرة إليها . [و] توفى دمرداش بن جوبان بن تلك ابن تدارن ، ليلة الخميس رابع شوال ؛ وحمل رأسه إلى أبوسعيد بن خربنداد . ومات ببغداد مفتى العراق كمال الدين عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن ثابت الواسطى العاقولى ، مدرس (٢٦٠ ب) المستنصرية . فى ذى القعدة ؛ ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (١) .

(١) هنا تنهى مخطوطة فاتح رقم ٤٨٣ ، وقد رؤى أن يكون عند ذلك وقفة لإخراج القسم الأول من الجزء الثانى من كتاب السلوك ، حتى لا تطول الفترة بين ما سبق نشره وبين هذا القسم الجديد .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧١ / ٤٥٦٠

